

تفسیر قرآن

۵۴۷۳

۵۱۹۱
۶۲۳۷۵



مم به الخبر عن الله تعالى ٥ وعن ابن عباس انه سئل عن الليل كان قبل النهار او
ر قال الليل ثم قرا هذه الاية ثم قال فهل تعلمون كان بينهما الا ظلمة ٥
تعالى ٥ وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تضطرب
ب بهم ليتم القرار عليها والتمكن فيها وجعلنا فيها فجاجا قال ابن عباس فيها اي
الجبال فجاجا اي طرقا واسعة جمع فج ومنه تفاج اي فتح ما بين رجليه للبول
ابن عمر كانت الجبال منضمة فلما اغرق الله قوم نوح فرقها فجاجا وقيل
في الارض مع الجبال والسهول سبلا اي مسالك وهو كقوله لتسلكوا
فجاجا لعلهم يهتدون اي ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة ويدخل فيها
نوع من الاستدلال وقد نفي عنه الخطا ٥ وجعلنا السما سقفا محفوظا
عليهم كالسقف محفوظا في موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السما ان
الارض الا باذنه وقال وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما
محفوظا بالشهب من الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم
اياتها اي ايات السموات والارض معرضون لا يتفكرون فيها بخلاف المؤمنين
يتفكرون في خلق السموات والارض ويقولون سبحانك ما خلقت هذا باطلا
هو الذي خلق الليل والنهار الليل ليسكنوا فيه والنهار ليتصرفوا فيه ٥ والشمس
القمر احدهما سراج النهار والاخر سراج الليل لنعلم بهما الشهور والسنون
م بهما مصالح وهذا كله ايات يستدل بها على وحدانيته الله تعالى ونعم يجب بها
الشكر لله تعالى العباد

كل في فلك يسبحون كل من الشمس والقمر والنجوم في فلك قال الضحاك هي المجرة
الذي تجري فيه الشمس والقمر وقال الحسن الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل
وقيل هو موج مكفوف ولذلك قال يسبحون كما يسبح الانسان في الماء وقال جريج
يسبحون يجرون وقيل يسرعون وقيل يدورون وجمع بالواو لانه وصفها
بالفعل الذي يكون مثله من العقلاء وهو كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وكقوله
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وكقوله ادخلوا مساكنكم وقال النابغة
تمززتها والديك يدعو صباحه   اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا   وقوله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لما ذكر لهم هذه الآيات قالوا ما أتى به أضغاث
احلام بل افتراه بل هو شاعر وقال في آية اخرى شاعر نتربص به ريب المنون أي
الموت نموت كما مات شاعر بني فلان فنستريح منه ومن شتمه لأصنامنا وتسفيهه
لأحلامنا فنزلت وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أي الخلود في الدنيا فليس في الموت
ما يبطل النبوة أفإن مت فهم الخالدون استفهام بمعنى النفي أي لا يخلدون بل يموتون
كما تموت ٥ كل نفس أي كل نفس حيوان ذائقة الموت تذوق الموت لا محالة ونبلوكم
نختبركم في الدنيا بالشر والخير بالمكروه والمحبوب فتنة أي امتحانا وتعبدا أما الصبر
في المكروه والشكر في المحبوب والينا ترجعون بالموت والبعث فنجزيكم على أعمالكم
وقوله تعالى ٥ وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك أي ما يتخذونك إلا هزوا يسخرون
بك أهذا الذي يذكر آلهتكم استفهام بمعنى التعجب أي يقولون أهذا الذي يعيب آلهتكم

وهو كقوله سمعنا فتى يذكرهم أي يعيبهم وقيل يذكرهم بالسوء والذم ٥ وهم بذكر الرحمن
هم كافرون أي بذكر الله الذي خلقهم بما هو أهل أن يذكر به كافرون أي ينكرون عليك ذكر
آلهتهم بالسوء وذكر الله بصفاته الحسنى وقيل بذكر الرحمن أي توحيده كما قال وإذا
دعي الله وحده كفرتم وقيل الذكر اسم للقرآن هاهنا ومعناه هم بكتاب الله كافرون وأعاد
هم تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون لأن الأول إشارة إلى مشركي مكة بمنزلة تسميتهم
وثانية لحصر الاختصاص بهم بهذا القول هو الذي فعل كذا أي اختص به وانفرد
خلق الانسان من عجل أي عجولا وقد ذكر ذلك في آية وهو كقوله خلقكم من ضعف وقال
في آية خلق الانسان ضعيفا وهو كقولك خلقت من الشر أي خلق مستعجلا ما
يشتهيه يريده بطبعه وهؤلاء المشركون يستعجلون أيضا في طلب الآيات وقال
سأريكم [illegible] التي تطلبونها دلالة على صحة رسالة محمد فلا تستعجلون في سؤالها وقيل
يستعجلون [illegible] العذاب بقولهم ويقولون متى هذا الوعد وما هذا في حق النضر بن الحارث
[illegible] رنيكم آياتي أي عجائبي في عقوبتهم فلا تستعجلون ذلك وكان ذلك يوم بدر ثم النهي
عن الاستعجال مع أنه طبع على العجلة لمخالفة الطبع وعليه الثواب كما في الشهوات
ويقولون متى هذا الوعد أي الموعود إن كنتم صادقين هو اخذ وجهي استعجالهم ٥
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
أي لو علموا حالهم إذا دخلوا جهنم وهم حينئذ لا يمكنهم أن يمنعوا عن أنفسهم ما
يضطرم من النار في وجوههم وظهورهم لعظمها وكثرتها ولأن أيديهم مغلولة حينئذ

ولا ينصرهم غيرهم اي لا يمنع العذاب عنهم والنصرة المنع قال تعالى فمن ينصرني
من الله وقيل اي لا ينصرهم آلهتهم التي رجوها وجوابه محذوف وهو ابلغ لما مرهم
واحد وجوه الجواب هاهنا لم يستعجلوا وقيل اضمار الجواب بعد تمام الآية التي
تليها بل تأتيهم بغتة اي النار فجأة فتبهتهم قيل اي فتحيرهم وقيل اي فتجبههم
وتلفح وجوههم وظهورهم عيانا كالرجل يبهت الرجل في وجهه فلا يستطيعون
ردها ولا هم ينظرون يمهلون اي لا يؤخر عنهم طرفة عين والجمع بين هذه الصفات
بيان غاية شدة عذابهم ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل بالذين سخروا منهم
ما كانوا اي جزاء ما كانوا به يستهزئون وقوله تعالى قل من يكلؤكم يعني قل يا محمد
لهؤلاء المستعجلين من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي من عذاب الرحمن
العرب يقرون بان الله هو الخالق والرازق والحافظ فاذا سألتهم عن
مانع لا حافظ من عذاب الله ثبت انه قادر على ان يعجل لهم العذاب وانه لا
يعجز لكن لسابق الكتاب اجله بل هم عن ذكر ربهم معرضون وفيه اضمار يعني كلهم
جاهلين ان لا كالئ لهم من عذاب الله بل هم عن تدبر ذكر الله اي وعظه معرضون
ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا وفيه اضمار ايضا لكونهم على حقيقته استعجلوا
العذاب ظنا منهم انهم يمنعون من عذاب الله بانفسهم ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا ثم
رد عليهم ذلك فقال لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون اي يجارون
ويحفظون يقال في الدعاء صحبك الله اي كان الله لك مجيرا حافظا وفي الحديث اللهم

اصحبنا بصحبة واقلبنا بذمة بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اي
ليس لهم آلهة تمنعهم من دوننا ولا جار يجيرهم من عذابنا لكون اصرارهم على الكفر
اتكالا عليهم لكن متعناهم بالحيوة الدنيا وبسطنا لهم في عزها ونعيمها وكذا فعلنا
باباءهم فطال عليهم العمر فالفوه واستطابوا الدعة فقست قلوبهم فلما جاءهم
من يدعوهم الى خلاف ما الفوه استثقلوا ترك ما هم عليه وظنوا ان ما هم فيه لا يزول
عنهم فاعرضوا عن التدبر ثم بين خطأهم في ذلك فقال افلا يرون انا نأتي الارض
ننقصها من اطرافها اي افلا يشاهدون ما نفتحه على محمد من بلاد الكفار مما حول
مكة فننقص من قراهم ونزيد في ملكة محمد وما نهلكه من رؤسائهم افهم الغالبون
كفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا من اطراف ارضهم اي ليس كذلك بل يغلبهم رسول
الله نصر الله وفي نقص الاطراف اقاويل اخر ذكرناها في سورة الرعد وهذا القول
هاهنا اقرب الى النظم وقيل ذكر نقص الاطراف تنبيه على ذهاب الكل قال ما لهم
في العصر ان ما نشراه مني فانك جني نشر وطي
اني كل يوم في انتقاص ولا بقى على النقصان شيء وقوله تعالى قل
انما انذركم بالوحي قل يا محمد للمستعجلين انما انذركم بالوحي بالعذاب بوحي الله لا من
قبل نفسي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون وحق عليهم ان يسمعوا انذارك
لكن لا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون وقد اصمهم الاغترار بالمهلة وقيل معناه
انما انذركم بالوحي اي ليس الي انزال ما استعجلتم به انما انا نذير بالوحي والله ينزل العذاب
متى شاء

لكنكم لصممكم معرضون عن التدبر وابن عامر ولا تُسمِع بالتاء مضمومة على خطاب
النبي عليه السلام الصمَّ بالنصب على انه مفعول اى لا تستطيع انت ان تسمع الصم
الدعا وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك اى شيء قليل وهو من قولهم نفح
الوردُ اذا فاح شيء من رائحته قال الشاعر وعمرة من سروات النسا
تنفح بالمسك اردانها ونفح لفلان من عطائه اى اعطاه شيئا منه قال ابو تمام
وا نفحه لنا من طيب خيمك نفحة ان كانت الاخلاق جا... تقول ولئن
اصابت هولا المستعجلين بالعذاب نفحة اى شيء قليل من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا
كنا ظالمين اى لاقروا على انفسهم بظلمهم عليها ولنادوا بالويل جزعا مما اصابهم
اخبر انه لا طاقة لهم باحتمال قليل العذاب فلهم بالكثير وقوله تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة اى ونحضر الموازين التى لا جور فيها مع كلها قسط اى عدل
لوزن الاعمال يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا بان ينقص شيء من عمله ولا يحمل عليه ذنب
غيره وان كان مثقال حبة من خردل وان كان عملها قدر خردل اتينا بها احضرنا تلك
الحبة فوزناها وحاسبنا عليها وكفى بنا حاسبين محصين متقنين مقادير ما
عملوه لا حاجة بنا الى غيرنا فى محاسبته يومئذ وقيل كفى بنا حاسبين فى الدنيا محصين
لاعمالهم ومعنى الجمع فى الموازين تعظيم شانها وان كان الميزان واحدا كقوله تعالى
يا ايها الرسل يعنى النبى عليه السلام ولان اعمال كل واحد توزن به فهو ميزان فى حقه وميزان
فى حق كل واحد فصار جمعا باضافته الى الجمع ولان الميزان مجموع اشيا بها كلها يقع الوزن

اردان اطراف الثياب

فكل شيء منه آلة وزن فكان ميزانا فكان بجملته موازين معنى ولان الموازين جوز ان
يكون جمع موزون فكان جمعا للموزونات لا للميزان والقسط نعت الموازين كقول
القائل جا الشتا وقميصى اخلاق مشرذم يضحك منه التواق اى كل طرف منه
خلق اى الميزان قال الفرا هو مصدر فصلح نعتا للجمع كالرضا والعدل وقال الفرا اليوم
القيامة فى معنى فى يوم القيامة وقيل معناه لاهل يوم القيامة ولاجل يوم القيامة ثم
القول بحقيقة الميزان يوم القيامة مذهب اهل السنة والجماعة لورود الاحاديث
الصحيحة فيه وقال الحسن للميزان لسان وكفتان يوزن به الاعمال فيجعل الحسنات فى احد
الكفتين صحف الحسنات وفى الاخرى صحف السيئات او كما شا الله وقال القشيرى يوزن
الاعمال بميزان الاخلاص فما فيه الريا لا يقبل ويوزن الاحوال بميزان الصدق فما فيه
اعجاب لا يقبل ويوزن الانفاس بميزان الصفا فما فيه الحظوظ لا يقبل وقد مر فى قوله
والوزن يومئذ الحق زوايد وفوايد وقوله تعالى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان
اقتص الله على نبيه عليه السلام اخبار كثير من الانبيا وما قاسوه من قومهم فى اقامته
الدين وما انعم الله به عليهم من حميد العاقبة تسلية بذلك وبشره وتعريف الكفار انهم
عليهم السلام كانوا بشرا عاشوا ما قدر لهم ثم قبضهم الله الى رحمته محمد عليه السلام
جدهم تعالى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضيا وذكرا على هذه الثلثة كلها هى
التورية هى فرقان تفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال وهى ضيا يهتدى به
الى الحق ويتوصل به الى سبيل النجاة وهى ذكر اى تعريف لما بالناس اليه حاجة ووعظ

وتنبيه وعطف بعض هذه الصفات على البعض كما تعطف في قوله وسيدا وحصورا
ونبيا وقيل الفرقان هو نصرهما على العدو والفرقان النصر قال تعالى يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان او فرق البحر قال تعالى واذ فرقنا بكم البحر والضيا اسم للتوريه
والذكر الوعظ وقوله للمتقين وفي الجمعة الضيا والذكر للكل لكن انتفع بذلك المتقون
فخصهم بالاضافة اليهم كما قال انما انت منذر من يخشيها وقوله تعالى الذين
يخشون ربهم بالغيب هو وصف المتقين قال نفطويه يخشون ربهم بالغيب اي
لم يروه وقيل يحذرون ما يحذرهم الله وبلغه الانسان الاشيا التي تكون في القيامة
وهي غيب وقيل بالغيب اي في السر حتى يغيب عنهم الناس يخافون الله ويخافون
مقامه وهم من الساعة مشفقون خائفون من قيام الساعة ومما يظهر فيه
من معاصيهم وتقصير طاعاتهم ٥ وهذا ذكر مبارك انزلناه وهذا القران المنزل عليك
ذكر مبارك من تذكر به اتصلت له البركات من الاهتدا الى المراشد والنجاة من
العقاب والوصول الى الثواب ٥ افانتم له منكرون قيل اي جاحدون انه منزل
من عند الله استفهام بمعنى التوبيخ وقيل منكرون اي مستنكرون نزوله على محمد
عليه السلام كما قال اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم وقال وقالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي لا معنى لانكاركم وقد انزلنا التوريه على
موسى وهارون وارسلنا رسلا الى قومهم على ما ذكره من بعد وقال العشري الخشية
بالغيب اطراق السريرة في اوان الحضور باستشعار الوجل من جريان سوء الادب

بلا كدورة

ر من ان يبدو من الخبث لغلبات التقدير مما يوجب حجبة العبد وقوله
اتينا ابراهيم رشده من قبل ولقد اعطينا ابراهيم الخليل هداه وقيل
وفقناه للحق وعصمناه من عبادة الاوثان من قبل اي من قبل الوحي اي دللناه
على معرفتنا بالايات حين جن عليه الليل فراى كوكبا ثم القمر ثم الشمس على ما مر
قصته وقيل يعني محاجته القوم قبل الوحي وقيل اي الفهم والعقل قبل البلوغ وقيل
اي من قبل موسى وهارون والرشد على قول هؤلا النبوة وكنا به عالمين بصلاحه
للنبوة اي علمنا انه لذلك اتيناه النبوة وهو كقوله ولقد اخترناهم على علم على
العالمين وقيل كنا عالمين بطاعته لنا ٥ اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل اي
الاصنام المصورة والتماثيل الناس التي انتم لها عاكفون اي على تعظيمها وعبادتها
مقيمون ٥ قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين كعبادتنا لها ٥ قال لقد كنتم انتم واباؤكم في
ضلال مبين اي ظاهر وقيل اي يظهر عن نفسه انه ضلال فهو لازم ومتعد ووجه
هذا الضلال انكم عبدتم خشبا وطينا وحجارة لا تعقل ولا تبصر ولا تنفع ولا
تدفع عن نفسها ٥ قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين اي محق انت في هذا القول
وجاد فيه ام لاعب مازح استعظاما منهم انكاره عليهم ٥ قال بل ربكم رب السموات
والارض اي لست بلاعب فيما قلت لكم بل انا جاد فيه محقق له لان هذه التماثيل ليست
بربكم اي مدبركم والقايم عليكم هو خالق السموات والارض ومدبرهما وممسكهما
...ام الدلايل على انها مصنوعة لصانع واحد قادر عليم لا تشبه المصنوعات

بوجه من الوجوه كاصنامكم هذه التي هي مصنوعة الذي فطرهن اي انشاهن من
غير شيء وانا على ذلكم من الشاهدين اي انا اشهد بان المستحق للعبادة والربوبية
هو خالق السموات والارض ۝ وتالله لاكيدن اصنامكم اي احلف بالله لاحتالن
في اهانة اصنامكم بالمكروه لم يرض بالمجادلة باللسان حتى قصد الفعل بما لا يفعله
الا من اخلص في الذب عن دين الله نيته ووطن على كل مكروه ينال له في الله نفسه
بعد ان تولوا مدبرين اي بعد غيبتكم عني وذلك لانتهاز الفرصة لما اراد وقيل انه
قال هذا سرا ولم يسمعه الجميع انما سمعه واحد منهم وهو الذي قال سمعنا فتى يذكرهم
وقيل ان القوم كانوا عزموا على الخروج الى عيد لهم فاحتال ابراهيم للتخلف
عنهم بقوله اني سقيم قال ابن عباس كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فاذا رجعوا من
عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فقالوا له يا ابراهيم
نحن خارجون غدا الى عيدنا افتصحبنا فنظر نظرة في النجوم اي في علم النجوم لانهم
كانوا يتعاطون بالنجوم فقال اني سقيم اي ساسقم وقيل اي نظر في نبات الارض والنجم
نبت ليس له ساق قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقال اني سقيم والانسان
لا يخلو عن سقم فتركوه فلما خرجوا الى عيدهم دخل بيت الصنم وبيده فاس وكان
في البيت تسعون صنما كلها من خشب وحديد ورصاص ونحاس وفضة وذهب
وكان في صدر البيت اكبرها من ذهب وفي عينيها جوهرتان تضيان بالليل فكسر
رؤسها ووضع الفاس على عاتق الكبير وخرج وقوله تعالى فجعلهم جذاذا قرا

الكسائي جذاذا بكسر الجيم والباقون بضمها قال الفراء بالضم مثل الرفات و
الحطام وبالكسر جمع جذيذ وهو من الجذ اي القطع قال تعالى عطاء غير مجذوذ
وقال الخليل هو القطع المستاصل الوحي وقال ابو عبيدة فجعلهم جذاذا اي
مستاصلين قال جرير بنو المهلب جذ الله دابرهم امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف
وهاهنا مضمر فتولوا عنه مدبرين فكاد اصنامهم فجعلها جذاذا اي فتاتا الا كبيرا
اي الاصنام كبيرا لهم لم يجذه لعلهم اليه الى الكبير يرجعون على عادتهم في الرجوع
من العيد للسجود له وقيل للاكل عنده وكانوا اذا خرجوا للعيد وضعوا بين اصنامهم
طعاما فاذا رجعوا اكلوا ذلك وقالوا قد تركت الاصنام عليه اي كان على رجاء ان يرجعوا
اليه فيتنبهوا على جهالته فيبحثوا عن السبب فيجد سبيلا الى تنبيههم على ضلالهم
واذا راوا كسرها وعجزها عن الدفع تنبهوا على جهلهم في عبادتها وقيل اليه يرجعون
الى دين الله وقيل الى فعل ابراهيم قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين وهاهنا
مضمر ايضا اي رجعوا اليها فراوا ما فعل بها فقالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن
الظالمين اي قد ظلم نفسه من فعل هذا وهو يعلم انا اذا علمنا به اهلكناه قالوا سمعنا
فتى يذكرهم اي قال الذين سمعوا منه قوله وتالله لاكيدن اصنامكم وقد قيل سمع ذلك واحد
واخبر هو وذكر جمعا لان الجمع رضوا بقوله فكانهم قالوا ذلك وهو كقول السلولي
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ويحتمل ان الواحد السامع اخبر بذلك
جمعا فقالوا ذلك باخباره ويحتمل ان واحدا غيره سمع منه هذه الكلمة واخر في موضع اخر

عيبا منه لها وآخر في موضعه فصار واجمعًا وقوله تعالى فتى يذكرهم اي يعيبهم وهو كقوله
اهذا الذي يذكر الهتكم اي واذا كان هو يعيبهم فالظاهر انه فعل بهم ذلك يقال له ابرهيم
اي اسمه هذا قالوا فأتوا به على اعين الناس اي احضروا ابراهيم واشهروه للناس لينظروا
اليه ومعنى اعين الناس اي بحيث يرونه ويشاهدونه لعلهم يشهدون قيل اي يؤدون
الشهادة عليه انه هو الفاعل ذلك فيكون لنا حجة في اخذه فهولاء الكفار لم يقتلوا عليه
في كسر ما يعتقدونه الهة لهم قبل طاعن الاحجة فكيف حال من يقال من الملوك دون التمام
على رجل لم يثبت ذلك عليه وقوله تعالى لعلهم يشهدون اي على كسره الاصنام
وقيل لعلهم يشهدون منه حين احضر طعنا في اصنامهم فيستدلون بذلك على انه فعل
ذلك او قد يعترف بذلك فيشهدون اي يصيرون شهداء عليه وقيل بل معناه
يشهدون ما يعاقبه به اي يحضرونه ويشاهدونه فكان له فيه تأويلات والاخير
قول ابن اسحاق قال يشهدون ما يصنع به قالوا ءانت فعلت هذا وها هنا مضمر ايضا
فاحضروه فقالوا له ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم يحتمل ان يكون هذا استخبارا
منه لانهم لم يتيقنوا به ويحتمل ان يكون استنكارا عليه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم
ان كانوا ينطقون اوهمهم ان كبير الاصنام كسر سايرها والفاس على عنقه دليله
وامرهم بسؤالهم ان كانوا ينطقون ليشهدوا له بما يدعي وهذا من معاريض الكلام ولا
كذب فيه وله ثلاثة اوجه احدها فيه تقديم وتاخير فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون
فاسئلوهم علق فعله بنطقهم يعني فان نطقوا فهو فاعل ذلك ومقتضاه ان لم ينطقوا
فليس هو بفاعل ذلك

والثاني بل فعله وها هنا وقف اي فعله من فعله عنى نفسه ثم قال كبيرهم هذا وها هنا
وقف وهو مبتدأ او خبر فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وهذا الكلام اخر تام والثالث بل
فعله كبيرهم هذا عنى به نفسه واضاف نفسه اليهم لاشتراكهم في الحضور فاسالوهم
ان كانوا ينطقون كلام اخر وانما اتى بهذا التعريض ليمهد الامر ليلزمهم به الحجة وكذلك قوله
اني سقيم كان من المعاريض ثم فهموا انه قام السقم فتركوه وهو اراد به انه سيسقم
في المستقبل ليتخلص عنهم ويمهد ذلك للكيد بالاصنام فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا
في انفسهم فيما قال لهم ليحصل الى عقولهم فقالوا انكم انتم الظالمون هذا الرجل في مسألته
ما تركوا مسألته واسالوا الهتكم فهي حاضرة بكم وقال ابن اسحاق رجعوا عنه فيما ادعوا
عليه من كسرهن الى انفسهم فيما بينهم فقالوا لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال وقيل
رجعوا الى انفسهم فلاموها فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون ابراهيم حين تزعمون
انه كسرها والفاس على عنق الصنم الاكبر فهو اولى ان يكون كسرها ثم نكسوا على رؤسهم
ظاهره ثم قلبوا على رؤسهم فصارت رؤسهم سفلا وارجلهم علوا وله معان احدها القهر
والغلبة والذل حيث لزمتهم الحجة والثاني انعكاس الامر عليهم ارادوا ان يحتجوا لانفسهم
فصار ذلك حجة ابراهيم عليهم قالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وهذا على قصدهم رد كلامه
وامره بالسؤال فصار ذلك اعترافا بعجزها فصار حجة ابراهيم عليهم والثالث التحير في التكلم
ما الهة بان يقال هذا كلام منكوس وقيل معنى قوله ثم نكسوا على رؤسهم ثم ردوا الى دروس
انوهم من الجهالة والضلالة والبطالة لقد علمت اي قالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون

قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اي جمادا لا ينطق ولا
ولا يبصر اف لكم كلمة توبيخ واستثقال وكراهية وقيل معناه قذرا لكم ولما تعبدون
من دون الله اي ابم وهم مكروه وهون عند العقلا افلا تعقلون ان عبادة من هذا
لا تجوز ثم قوله ينطقون في صفة الاصنام بالواو والنون لانهم وصفوا بصفة
العقلا وقوله تعالى قالوا حرقوه ولما لم يجدوا عليه حجة قالوا حرقوه بالنار قال
عمر اشار عليه به رجل من اكراد فارس اسمه هيبرز وانصروا الهتكم باهلاك من
يسبها ويعيبها ان كنتم فاعلين ناصرين الهتكم قلنا يا نار كوني بردا وههنا ايضا مضمر
وهو فاوقدوا له نارا فالقوه فيها فقلنا يا نار كوني بردا وقصة ذلك ان ابراهيم لما
بين لهم عيب اصنامهم قال له نمرود ارايت الهك ما هو صفه لي فقال ربي
الذي يحيي ويميت الى اخر تلك القصة ثم حبسه نمرود في السجن سبع سنين يدعو اهل
السجن الى الاسلام واسلم كثير منهم ثم اخرجه واتفق على تحريقه بالنار وبنوا له
بنيانا طويلا طوله ستون ذراعا ونادى نمرود في الناس بجمع الاحطاب فاجتمع
فاشتغل كل الناس بجمع الحطب وحمله على كل الدواب اربعين يوما فملاوا البنيان
منه وبلطوا جداره وشدوا ابوابه بالنحاس المذاب وقذفوا فيه النار فاشتعل
لهبها وسطع دخانها فلا اكل شي حتى غشي مدينتهم وما حولها واظلم عليهم
وسمع من النار امثال وقع الحديد على الحديد وتطاير شررها كالصخور وكان
يسمع وهجها على مسيرة ليلة ولم يقدر من البنيان احد الا احترق لحرها ثم

بنا شامخا ونصبوا فوقه منجنيقا ثم وضعوا ابراهيم في المنجنيق وقذفوا به في النار
فلما وقع فيها ابراهيم وهي كالجبال اطفاها الله فخمدت ونشفت نشيش النار
التي يصب فيها الما قال وهب فبلغني ان السما والجبال والبحار وما
فيها من الخلق ضجوا الى الله ضجة واحدة الا الثقلين فالوا ربنا ليس في ارضك احد
يعبدك ويوحدك غير ابراهيم يحرق بالنار من اجلك فاذن لنا في نصرته فاوحى
الله تعالى اليهما ان استغاث بشي منكم فانصروه واغيثوه وان استغاث
بشي من خلقي فليغثه ولينصره وان دعاني فانا وليه وناصره وكفى بي وليا وناصرا
امنعه منهم واحول بينهم وبينه وقال محمد بن اسحاق قيدوه ورموا به من العراده
من ضرب شاهق فاستقبله جبريل في الهوا فقال يا ابرهيم الك حاجة قال اما
اليك فلا فاتاه ميكائيل فقال ان اردت اخمدت النار فان خزائن المياه والامطار
بيدي قال لا اريد فاتاه شمشائيل وهو خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار
في الهوا فقال لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل فقال جبريل الا تسال
فاسال الله تعالى فقال حسبي سؤالي علمه بحالي وقيل كان من دعائه لا اله الا
انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك وقال وهب قال
يا احد يا صمد بك استعين وبك استغيث وعليك اتوكل حسبي الله لا اله الا هو ونعم
الوكيل يا رب انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ونجني من النار
فقال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فبردت يومئذ على اهل المشرق والمغرب

فلم ينضج بها كراع وقال كعب ما انتفع احد من اهل الارض يومئذ بنار ولا احترق من
النار سوى الا وثاق ابراهيم وقال وهب بقيت كذلك سبعة ايام وقال السدي
لما اشرف ابراهيم على النار صارت كالاكليل واخذت الملائكة بضبعي ابراهيم
فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس وكان ابراهيم في
ذلك الموضع سبعة ايام ولم يقدر احد ان يقرب من النار وما شكوا في موته واخبر
ثم جاؤوا يستطلعون فاذا هو قائم يصلي وقيل بقي فيها اربعين يوما وقال
وجعل الله ما حوله روضة خضراء وفرش له فيها ما اشتهى والبسه وبنى فوقه
قبة وجعل بينه وبين النار حجابا من ثلج وكانت النار توقد فوق ذلك وحول ذلك
حتى نظر الى ضوئها اهل الشام وذاب النحاس الذي شدت به الابواب واحترق
الجدار فصار رمادا وخرج منها ابراهيم سليما صحيحا فانطلق يمشي حتى بعد الى
امه وهي في مجمع واسلمت سارة يومئذ وهي اول من آمنت به وارسل الله ريحا
عاصفا فنسفت رماد تلك النار عن وجه الارض وذراه في وجوههم وعيونهم
وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى لابيه وقومه ما تعبدون وعن عائشة انها كانت
تامر بقتل الاوزاغ وتقول انهن كن ينفخن على ابراهيم عليه السلام وقوله
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما اي كوناها بردا وسلاما على ابراهيم كما قال كونوا قردة
خاسئين وقيل خاطبها وركب فيها تمييزا وامرها ان تسلم على ابراهيم وقال ابن عباس
لو لم يقل وسلاما لاهلكته النار ببردها وقوله تعالى واردوا به كيدا اي قوم نمرود

وقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات والقصة تذكر في سورة الحجرات ان شاء
الله وقوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم اي يتسترعون ويخرجون انفسهم
منكم اي من بينكم ايها المومنون لواذا اي ملاوذة وهي التستر بشيء مخافة ان
يراه احد وقيل نفارا وقيل تباعدا وقيل روغانا فليحذر الذين يخالفون عن
امره قيل عن زائدة وقيل معناه يعرضون عن امره وقيل اي يخالفونه بعد امره وعن بمعنى
بعد قال الشاعر ما زلت ارحل منهلا عن منهل حتى انخت بباب عبد الواحد
اي بعد منهل ان تصيبهم فتنة قيل عقوبة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في العقبى
وقيل فتنة اي كفر كما قال والفتنة اشد من القتل وقد علمت ان امر النبي عليه السلام
للفرض حتى كان خلافه كفرا وقوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض ملكا
وخلقا وتصرفا الا للتنبيه احذروا عقابه قد يعلم ما انتم عليه من المعصية والطاعة
ويوم يرجعون اليه قرا ابو عمرو وفي رواية علي ويعقوب الحضرمي بفتح اليا وكسر الجيم
على الفعل الظاهر والباقون بضم اليا وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله اي ويعلم يوم
يردون الى الجزاء به وهو يوم القيامة فينبئهم بما عملوا تعدد عليهم ذنوبهم تقريعا
ويعذبهم عليها عذابا وجيعا والله بكل شيء عليم من اعمالهم واعمال غيرهم جميعا

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الرحمن الذي له الملك

الجن يوم القيامه وكان يوما على الكافرين عسيرا الرحيم الذي جعل في السما
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ٥ روى ابي بن كعب عن النبي عليه السلام انه
قال من قرا سوره الفرقان بعثه الله تعالى وهو موقن ان الساعه اتيه لا ريب
فيها وادخل الجنه بغير نصب يعني الاعيا وسوره الفرقان مكية وهي سبع
وسبعون ايه وثمانمايه وتسعون كلمة وثلثة الاف وسبعمايه وستة وسبعون
حرفا ٥ وانتظام اول هذه السوره باخر تلك السوره انه قال في ختم تلك الا ان
لله ما في السموات والارض وقال في افتتاح هذه الذي له ملك السموات والارض
وانتظام السورتين ان تلك السورة في معرفه الله وصفاته وذكر الكفر وبطلانه
وبيان العباده والمعاملة والوعد والوعيد وهذه السوره كذلك الا ان ذكر
المعاملة في تلك السورة اكثر لانها مدنيه وبيان التوحيد في هذه السوره اكثر
لانها مكية قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان قيل عظم وقيل تعالى
وقيل كثر خيره وقيل دام بره وقيل تبارك اسمه ٥ الذي اوحى القران
الى عبده المصطفى محمد ٥ ليكون الله وقيل ليكون عبده وقيل ليكون الفرقان للعالمين
لاهل الدنيا كلها وقيل للقرون كلها الى يوم القيامه ٥ نذيرا مخوفا بالقيامة
وما فيها لمن خالفه ٥ الذي له ملك السموات والارض على الخلوص هو الذي خلقه
فلا شريك له فيها ٥ ولم يتخذ ولدا كما تقول اليهود عزير بن الله والنصارى المسيح
ابن الله ومشركوا العرب الملايكه بنات الله ٥ ولم يكن له شريك في الملك كما

يقوله المشركون ان الاصنام الهة ٥ وخلق كل شي وحده لا كما يقوله المجوس
والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن والمعتزله ان الافعال مخلوقه
العباد ٥ فقدره تقديرا فهياه على ما اراد لم يمتنع عليه شي ولم يتغير الى زيادة
او نقصان اي فوحدوه واطيعوه فهو المنفرد بالالوهية والربوبية والملك
والخلق والتقدير والتدبير ولا تكونوا كالمشركين وهم الذين ذكرهم من بعد وهو
قوله تعالى واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اي وجعل المشركون لانفسهم سوى
الله الهة من الاصنام يعظمونها ويعبدونها وهي جماد لا قدرة لها وجمع يخلقون
ويخلقون ويملكون بالواو والنون وهو فعل الجماد لانهم اعتقدوها عالمة قادرة
وقوله ولا يملكون لانفسهم ضرا اي يدفعونه عن انفسهم ولا نفعا يجرونه اليها
ولا يملكون اماته احد ولا ابقاه حيا ولا انشاره بعد موته والله تعالى يقدر على
ذلك كله وقيل وهو الصحيح دخل في هذا الملايكه والانبيا ولذلك جمع افعالهم
بالواو والنون ويدل عليه ما ذكر بعده ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله
فيقول اانتم اضللتم عبادي هولا وعلى هذا يكون قوله ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
اي لا يملكون ذلك بانفسهم بل بتمليك الله وقوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا
افك افتريه اي ما هذا الذي جا به محمد الذي يزعم انه من عند الله الا كذب اختلقه
واخترعه من عند نفسه ٥ واعانه عليه قوم اخرون قال مجاهد اي اليهود وقال الحسن

اي عبد حبشي كان لابن الحضرمي وكان كاهنا في الجاهلية وقيل اي اعانه
عليه قوم قرؤا الكتب المتقدمة واقاصيص الاولين وقال الله تعالى ردا عليهم
فقد جاؤا ظلما وزورا اي اتوا جورا وكذبا ووضعوا التكذيب غير موضعه
وقيل هو من كلام المشركين في صفة النبي عليه السلام والقوم الاخرين اي جاؤا
بكلام هو ظلم وزور والزور القول المايل عن القصد وقالوا اساطير الاولين
اي هو اقاصيص المتقدمين وما سطروه قاله النضر بن الحارث وهو عن
ابن عباس اكتتبها اي كتبها محمد من اليهود وغيرهم ويقال اكتتبها اي كتبها
من ذاته وقيل معناه طلب كتابتها من غيره فهي تملى عليه اي الاساطير بكرة
واصيلا اي طرفي النهار فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض رد عليهم قولهم واخبر ان الله انزله وهو الذي
يعلم سر اهل السموات والارض يعني ان القران لما كان مشتملا على علم كثير من
الغيوب التي يستحيل في مجرى العادات ان يعلمها محمد من غير تعليم دل ذلك
على انه من عند من يعلم الغيوب وهو الله تعالى ولو كان ماخوذا من اليهود لم
يزد على ما في كتبهم ولو اختلقه من عند نفسه لامكنهم مثله انه كان غفورا
رحيما يستر على عباده ذنوبهم ويرحمهم فلا يعاجلهم بالعقوبة ويعذر
اليهم باقامة البراهين ومواترة المرسلين وقيل عنوا بقولهم واعانه عليه
قوم اخرون عداس مولى حويطب بن عبد العزي ويسار مولى عامر بن الحضرمي

وجبر مولى عبد الله بن الحضرمي وابو فكيهة وقيل في قوله اساطير الاولين اي
احاديث رستم واسفنديار وقال ابن عباس نزلت في النضر بن الحارث ثماني ايات
فيها ذكر اساطير الاولين قام يوما وقص قصص رستم واسفنديار وملوك فارس
وقال ما محمد باحسن حديثا مني وما حديثه الا اساطير الاولين وقوله تعالى
وقالوا مال هذا الرسول اي وقال هولا المشركون ما لهذا الذي يزعم انه رسول
اطلقوا له الاسم اما استهزا او بناء على زعمه ياكل الطعام كما ياكل البشر ويخرج
منه ما يخرج من البشر انكروا ان يكون البشر رسولا كما قالوا ابعث الله بشرا رسولا
ويمشي في الاسواق كما يمشي الناس فاي فضل له علينا وقيل عنوا به طلب المعاش
لفقره لولا انزل اليه ملك اي هلا انزل على محمد ملك فيكون معه نذيرا اي نبيا معه
ينذر كما ينذر هو ويكون انذار الملك معه تصديقا له وشهادة على نبوته او
يلقى اليه كنز مال اي ينزل عليه من السما كنز فيقسمه بيننا وقيل اي او يلقى اليه كنز
من الارض فيستغني به فانه انما يفعل ما يفعل طلبا للدنيا والرياسة او يكون له جنة
اي بستان ياكل منها ويتسع بنعيمها يعنون لا ينبغي ان يكون الفقير نبيا وقرا حمزه
والكسائي وخلف ناكل بالنون اي نحن نتوسع في نعيمه وقال الظالمون اي هولا
المشركون ان تتبعون اي ما تتبعون ايها المومنون الا رجلا مسحورا اسحرته الشياطين
فهو لا يعقل ما يقول ولو كان عاقلا لم يدع انه رسول وهو ممن ياكل ويحدث ويتردد
في الطرق لا ملك له نصدقه ولا دنيا يتسع فيها وقيل في قوله مسحورا اي يخبله الشيطان

ملكا وكلام الشيطان وحيا انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال اى وصفوا لك
الاشباه من المفترى والملقى عليه والمسحور ٥ فضلوا اى تحيروا ٥ فلا يستطيعون
سبيلا اى فهم لا يجدون لقولهم نفاذا الى شىء يستقر عليه وقيل فلا يستطيعون
سبيلا الى ابانة ما يكون قدحا فيك وقوله تعالى ٥ تبارك الذى ان شاء جعل لك
خيرا من ذلك اى تعالى وتقدس الله الذى ان شاء جعل لك خيرا من الجنة الواحدة
التى قالوها والكنز الذى ذكروه ٥ جنات اى بساتين فى الدنيا كثيرة تجرى من تحتها
الانهار اى تجرى فى اصول اشجارها المياه من انهارها ويجعل لك قصورا تسكنها
وهى المساكن الكبار العالية كما اتى سليمان وغيره وهو قادر على ذلك لكن
لا موضع للتعظيم بالدنيا والتكثر بزهرتها والتقلل منها اليق برتبة النبوة
وقيل جعل لك جنات وقصورا فى الجنة وتعليق ذلك بالمشيئة لبيان انه تفضل
من الله تعالى لا واجب عليه وقيل معنى ان شاء اى اذ شاء كما قال ان كنتم مؤمنين
اى اذ كنتم ٥ بل كذبوا بالساعة فى اوله اضمار اى ما كذبوك لانك تاكل الطعام وتمشى
فى الاسواق وليس لك كنز وجنة ولم ينزل معك ملك لكنهم مكذبون بالقيامة
وما فيها من الجزاء فركنوا الى الدنيا واستثقلوا ما جئتهم به من الشرائع لتكذيبهم
بالثواب والعقاب ٥ واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اى وقد اعددنا لمن
جحد بها نارا تستعر فيهم وقال ابن عباس لما اجتمع الملأ من قريش فى الحجر
ثم ارسل الى رسول الله فقال انت ابن اخينا وابن عمنا ومن اشرافنا ولكن فقير عليك

وقد علمنا ان الله جليل غنى وكان حقك ان تغير من حالك ثم مع ذلك تمرض كما
نمرض وتصيبك اللأواء والمصايب كما تصيبنا وتاكل الطعام وتمشى فى الاسواق
كما ناكل ونمشى فنزلت الاية وقيل قال لولا انزل عليه ملك عبد الله بن ابى امية المخزومى
وقوله تعالى ٥ اذا راتهم من مكان بعيد قيل من مسيرة مائة سنة وقيل خمسمائة سنة
سمعوا لها تغيظا وزفيرا قيل اى اذا ظهرت لهم وقيل اى حاذتهم وقابلتهم
والعرب تقول اذا راك الجبل فخذ عن يمينك اى حاذاك ويقال دور بنى فلان
تتناظر ويقال ايضا تترآى اى تتحاذى وقيل هى مبالغة فى بيان هيبة ملك اى
كانهم اذا دنوا منها هى تريهم رؤية الغضبى التى تزفر غيظا عليهم سمعوا لها
اى للنار تغيظا وزفيرا عليهم اى صوت غليان وفوران والتهاب كالتهاب
الرجل المغتاظ وهى كما قال تكاد تميز من الغيظ اى تتقطع غيظا عليهم وقيل معناه
سمعوا فيها تغيظا وزفيرا للمعذبين كما قال لهم فيها زفير وشهيق واللام فى
تتقاربان اعلمت هذا الى الله ولله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة اى فى
يوم القيامة وعاد فى كذا ولكذا ٥ واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين قرنت
ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال وقيل اى قرن كل رجل بشيطانه ٥ دعوا هنالك
ثبورا اى نادوا واويلاه واثبوراه اى واهلاكاه قال ابن عباس الثبور الويل وقال
الضحاك الهلاك وقال المبرد الثبور هلاك على هلاك من قولك ثابر فلان على
كذا اى داوم ٥ لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والثبور مصدر

وهو جنس

فصلح للواحد والجمع اي يقول لهم الملايكة ذلك ولبئس هذا امرًا الهمر به لكن بيان
انهم وان اكثروا من ذلك لم يتخلصوا وقال عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو بن
العاص ان جهنم تضيق على الكافر كضيق الزج في الرمح ه قل اذلك خير اي قل
يا محمد اما سلف من ذكر النار خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون وعدها الله
الذين يتقون الشرك والمعاصي كانت لهم جزاءً على اعمالهم بوعد الله ومصيرًا
مرجعا يرجعون اليه ه لهم فيها ما يشاؤن مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
خالدين فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها كان على ربك وعدا مسؤلا اي كان
خلودهم فيها ومصيرهم اليها وعدًا على ربك اي وعدًا حقًا كما قال وعدًا عليه
حقًا مسؤلا اي كانوا يسألونه في الدنيا بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وقيل
هو سؤال الملايكة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقيل هو امر السؤال
اي وعدتكم ذلك وانا منجزه لا محالة فسالوني ذلك وقوله تعالى ه ويوم يحشرهم
اي واذكر يا محمد يوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله من الاصنام والملايكة وما
بمعنى من وهو كقوله فانكحوا ما طاب لكم فيقول انتم اضللتم عبادي هؤلاء المشركين
حتى عبدوكم ام هم ضلوا السبيل هذا الخطاب يكون للملايكة انتم زينتم لهم ذلك
بادخال الشبه وهو استفهام بمعنى التقريع قالوا سبحانك اي انت منزه عن
الشركا ما كان ينبغي لنا اي لا يجوز لنا ولا يصلح ان نتخذ من دونك من اوليا اي انا لم نامره
هؤلاء بعبادتنا فنكون بذلك قد اتخذناهم لنا اوليا لانهم اذا اتوا بامرنا

فقد والينا هم نحن وصار بعضنا اوليا بعض وتلخيصه ما كان لنا ان نتخذ من دونك
من يوالينا فيعبدنا دونك ومعناه التبري من الرضا بشرك هؤلاء والانتفاء منهم
وقوله تعالى ه ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا اي
ما عبدونا بامرنا لكن لما طال عمرهم وعمر ابايهم في الدنيا ممتعين بالجاه والمال
والصحة نسوا ذكرك فاشركوا بك وعبدوا غيرك وكانوا قوما بورا اي صاروا
قوما هلكى وقيل كانوا في سبق القضا كذلك والبور قيل هو جمع باير من البوار
وهو الهلاك وهو كقولهم هايد وهود وحايك وحوك وقيل هو لفظ يصلح
للواحد والجمع وهو في الاصل مصدر كالزور والثور قال ابن الزبعري
في الواحد يا رسول الاله ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور وقوله
فقد كذبوكم بما تقولون يحتمل انه كلام الله في خطاب المشركين يوم القيامة
اي كذبكم الملايكة ايها المشركون فيما كنتم تقولون انهم ارباب يريدون منكم
ان تعبدوهم فما تستطيعون اي فما تستطيع الملايكة وعزير وعيسى صرفا للعذاب
عنكم ولا نصرًا او لا منعًا لمن يعذبكم وقيل ثم خطاب الله للمشركين بقوله بما
تقولون بما قال فما تستطيعون صرفا للعذاب عن انفسهم ولا نصرًا اولا منعًا
لمن يعذبهم وقد ايسوا من شفاعة معبوديهم ونصرتهم ثم خاطب الكفار
في دار الدنيا فقال ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ويحتمل ان قوله فقد كذبوكم
خطاب من الله لرسوله وللمؤمنين يعني فقد كذبكم الكفار فيما تقولون من الحق

اي الكفار

في الايمان بالله وتوحيده وخلع الانداد فما تستطيعون صرفا للعذاب الذي
استحقوه بذلك عن انفسهم ولا نصرا لانفسهم من انفسهم ولا من بعضهم لبعض
في دفع ما نزل بهم ووجه اخر فقد كذبكم ايها المومنون هولا المشركون فما تستطيعون
لكم صرفا عن الحق الذي هداكم الله له ولا نصرا لانفسهم من عذاب نزل بهم وقوله
ومن يظلم منكم ايها المومنون اي يشرك بعد ايمانه نذقه عذابا كبيرا لا نجد له ناصرا
منه فاثبتوا على ايمانكم فانهم لا يستطيعون صرفكم عن الحق الذي اوضحه الله لكم ٥
وقوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق يقول وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الى الامم الا وهم كانوا بشرا
ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وذلك ادعى الى الموافقة واسمع لما يلقى اليه
للمناسبة وانهم بكسر الالف لانه موضع ابتدا تقديره الا هم ياكلون الطعام وليست
الكسرة للام لان دخولها وخروجها هاهنا سوا وهو كما يقال ما قدم علينا امير الا
انه مكرم لي بالكسرة وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون فتوجروا او لا تصبرون
فتعاقبوا فتنة اي محنة اي الدنيا دار ابتلا وامتحان فلا بد من المخالفة بين احوال
اهلها واحواج بعضهم الى بعض وتفضيل بعضهم على بعض ليشكر الفاضل ويصبر
المفضول من غني وفقير ورئيس ومرؤوس ثم كل بشر فالرسول ممتحن بالشكر
على ما اوتي من الرتبة وبالصبر على تحمل اعباء الرسالة والمرسل اليه ممتحن
بالانقياد له والطاعة لامره وقيل معناه امتحنا بعضكم ببعض فجعلت محمدا نبيا

وبعثته اليكم ولم اعطه الدنيا وجعلته يطلب المعاش في الاسواق اختبركم
في اجابتكم اياه الى ما دعاكم اليه لغير غرض من الدنيا ترجونه منه لاني لو اعطيته
الدنيا لتسارع كثير منكم الى اتباعه طمعا في دنياه ان ينال منها وقال مقاتل
نزلت الاية في ابي جهل والوليد بن العاص والنضر بن الحارث وذلك انهم لما راوا
ابا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلال بن حمامة وصهيب بن سنان وعامر
بن فهيره والنمر بن قاسط ومهجع مولى عمر وجبر غلام الحضرمي وذويهم
قالوا انسلم فنكون مثل هولا فانزل الله تعالى هذه الاية يخاطب هولا المذكورين
اتصبرون يعني على الشدة والفقر وكان ربك بصيرا بصبر من صبر وجزع
من جزع وهذا على ان جريج وعلى الاول وكان ربك بصيرا بمن يصلح للرسالة
وبما ينبغي ان يدبر كلا منهم من فقر وغنى وقيل وكان ربك بصيرا بمن يصلح ان
يكون فاضلا او مفضولا وقوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقانا اي الذين
لا يومنون بالبعث ولقا الله في الاخرة فلم يعملوا خيرا يرجون به اذا لقونا
يوم القيامة وقيل لا يخافون عقابنا قال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون
لله عظمة ٥ لولا انزل علينا الملائكة اي هلا انزل الله علينا الملائكة ويحتمل
ان يكون معناه هلا جعل الرسول من الملائكة دون البشر ويحتمل هلا انزلهم علينا
فيشهدوا ان محمدا محق في دعوى الرسالة او نرى ربنا عيانا فيخبرنا هو برسالته
لقد استكبروا في انفسهم اي لقد تعظموا في نفوسهم حتى تحكموا على الله هذا

ومعناه لقد ارسلنا الرسل ... ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق

التحكم وعتوا عتوًّا كبيرًا اى وتمردوا وغاية التمرد في ردّ حجج الله والعتو
بلوغ النهاية في ترك قبول الوعظ والحجة حتى يقع اليأس عن صلاحه قال تعالى
خبرًا وقد بلغت من الكبر عتيًّا اى حدّ الانطباع ومثلها الولادة يوم يرون الملائكة
لا بشرى يومئذ للمجرمين اى انهم لا يرون الملائكة في الدنيا وانما يرونهم في الآخرة حين
يبشرونهم بالعقاب ويقولون حجرًا محجورًا قيل هو يوم القيامة وقيل هو عند الموت
لا بشرى يومئذ للمجرمين اى لا خبر يسرّهم ويظهر استبشارهم في بشرة
وجوههم ويقولون اى يقول الملائكة لهم حجرًا محجورًا اى حرامًا محرمًا عليكم ان
يكون لكم البشرى انما البشرى للمومنين وكان كلاما مستعملا في اوائل العرب
ثم ترك يقوله المسؤول للسائل اذا اراد تخييبه حجرًا محجورًا اى سألت شيئا
ممنوعا وقيل المجرمون يقولون ذلك للملائكة وهي كلمة استعاذة وكان الرجل
اذا لقي من يخافه على نفسه قال حجرا محجورا اى حرامًا محرّمًا عليك التعرض لي
قال ذلك مجاهد وقتاده والحسن والخليل وعن مجاهد قال حجرا كلام المجرمين
ومحجورا كلام الله تعالى اى منع هذا الكلام ان ينفعهم وقوله تعالى وقدمنا الى



ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اى ابطلنا جميع اعمالهم لكفرهم وهذا الكلام
وهو لفظ القدوم مجاز اريد به المبالغة في احباطه فان الغائب منا اذا اقدم
والمشغول منا اذا تفرغ والمعرض منا اذا اقبل كان جدّا منه فيما قدم عليه
وتفرغ له واقبل عليه والله تعالى لا يغيب عن شيء ولا يشغله شيء عن شيء لكن

لما اراد اثبات ما ذكر على وجه المبالغة ذكر هذه الكلمات التي يفهم الناس
منها المبالغة في التوجه الى الشيء فقال سنفرغ لكم ايها الثقلان وقال
ثم استوى الى السماء وقال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء اى غبارا والهبوة
كذلك منثورا متفرقا فلا يمكن جمعه وهو استعارة عن جعله بحيث لا يتهيأ له
الاجتماع ولا يقع بها الانتفاع وهو كقوله كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
وقيل الهباء هو ما ترى اذا دخلت الشمس الكوة وهو كقوله فكانت هباء منبثا
اى منتشرا وقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا اى يستقرون
في الجنة بعد الفراغ من العرض والحساب واحسن مقيلا ظاهره موضع
القيلولة والنوم في الجنة ويراد به الاستراحة في ذلك الوقت وليس في الجنة
بكرة وعشي وظهيرة لكن يؤتون بالارزاق على مقادير الاوقات المعهودة في
الدنيا ويستريحون في مثل اوقات الدنيا وقيل ان اهل الجنة لا يمكثون في عرصات
القيامة الى وقت الدخول في الجنة الا مقدار اول النهار الى وقت القايلة في الدنيا
فهذا اشارة الى ذلك وقيل المقيل هو موضع التمكن قال القايل
ونضرب بالسيوف رؤس قوم ازلنا هامهن عن المقيل ثم قوله خير
مستقرا واحسن مقيلا ليس للتفضيل بعد الاشتراك في صفة الخيرية والحسن
وهو كقوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم وقوله اذلك خير ام جنة الخلد لكنه
على التوبيخ كالرجل يفسد فيعاتب عليه وآخر يصلح فيثاب عليه فقال للمفسد

اهنا الذي فعل فلان خبرام ما انت فيه وقوله تعالى ويوم تشقق السما
بالغمام وهو يوم القيامه وتشقق اصله تتشقق حذف احدى التاءين تخفيفا
والسما اي السموات بالغمام بل هو فوق السموات السبع وهو سحاب ابيض غلظه
كغلظ السموات السبع فيمسكه الله اليوم وثقله اثقل من ثقل السموات واذا
اراد ان تشقق الغمام السموات التي ثقله عليها فانشقت فذلك قوله بالغمام
اي بثقل الغمام فظهر الغمام ونزل الملائكه تنزيلا في الغمام تنزوله وذلك قوله
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام اي بظلل من الغمام فيه الملائكه ونزولهم
لمحاسبة الخلق وقيل وتنزل ملائكه السموات تنزيلا لزوال السموات فتزول
اماكن الملائكه فيصيرون في مكان اخر وقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن
اي الملك الحق يوم القيامه للرحمن على الخلوص لا يبقى مدعي ملك يومئذ قال تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ووصفه بالحق لان ملك الخلق مجاز ومستعار
وهو لله تعالى على الحقيقه لا يزول ملكه ولا يرد حكمه وكان يوما على الكافرين
عسيرا لما ينالهم من الاهوال والتشديد في السوال ثم الخزي والنكال
ثم النار والاغلال وقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه قيل هو في حق
كل مشرك يعض على يديه تحسرا وهو واحد بمعنى الجمع كما قال ويقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا وقال وكان الكافر على ربه ظهيرا يقول يا ليتني اتخذت مع
الرسول سبيلا اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وصلة بالايمان به وسلوك طريقه

يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا اي احدا خالف الرسول خليلا اي صديقا
ينادي على نفسه بالويل لعلمه بما وقع لمعاداة الرسول وموالاة من عاداه
وفلان عندهم كنايه عن واحد مجهول وهو مستعمل في كلامهم يقول الرجل للاخر
ما تصنع بصحبة فلان وفلان وقال ——— قائلهم
استغفر الله عن فلان وفلان وعن فلان لقد اضلني عن الذكر اي الايمان
بالقران قال تعالى وانزلنا اليك الذكر بعد اذ جاني من الله بانزال الله على رسوله
وتبليغه الينا وكان الشيطان للانسان خذولا اي يخذل اولياءه يوم
القيامه ويتبرا منهم قال تعالى اني بري منكم وقال وقال الشيطان لما قضي
الامر الايه وقال مجاهد فلانا خليلا اي الشيطان وقيل نزلت في معين واكثر القران
نزل في اسباب خاصه ثم يكون عام المعنى فيمن يتناوله اللفظ قال الضحاك
يعض الظالم على يديه اي على اطراف اصابعه فياكله حتى ينتهي الى مرفقه وما
يشعر وقال ابن السماك يفعل كذلك ابدا لا يفتر ياكلهما ثم يعيدهما الله
الى ان يجي وقت الحساب قال ابن عباس هي في عقبه بن ابي معيط ابن اميه بن عبد شمس
بن عبد مناف وكان رجلا يجالس النبي عليه السلام يستمع الى كلامه من غير ان
يومن به وكان ابي بن خلف صديقه فقال وجهي لوجهك حرام ان كلمتك او صادفتك
ما لم تبصق اليه فبزق في وجهه ففعل فانزل الله هذه الايه وقال مقاتل والسدي
كان عقبه رجلا يسافر كثيرا وكان اذا رجع من سفر اضاف اشراف قومه

ودعا رسول الله عليه السلام فلما قرب الطعام قال رسول الله ما انا
بآكل حتى تشهد شهادة الحق فشهد بلسانه وهو مضمر الكفر وكان ابي بن
خلف غائبا فلما رجع اخبر بالقصة فاتاه عقبة زائرا فقال له ابي صبوت
قال لا والله فقال قد انقطعت العصمة بيني وبينك ان لم تتفل في وجهه فتفل
فقتل رسول الله عليه السلام ابي ابن خلف يوم احد وذلك انه طعنه طعنة فرجع
الى مكة فمات منها ولم يقتل بيده غيره واما عقبة فقتله عاصم بن ثابت ابن الافلح
الانصاري يوم بدر صبرا وقال ابو روق حين عقبة البزاق فاتى رسول
الله عليه السلام فيما بين اصحابه فرمى بالبزاق فانصرف البزاق وصار قطعتين
على خديه فسفعتا خديه فكان فيهما اثره الى ان قتل وقوله تعالى ه وقال
الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا اي متروكا لا يسمعونه ولا
يتدبرونه ولا يعملون بما فيه ويقولون مرة هو سحر ومرة هو مفترى ومرة هو
اساطير الاولين يعني يقول الرسول ذلك يوم القيامة فيشهد عليهم بذلك
كما قال ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال يعني يقول كسائر ما ذكر من احوال
يوم القيامة واخراجه على صيغة الماضي لتحقق كونه يومئذ فلحق بالكائن
المتحقق وقوله تعالى ه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي وكما يعاديك
هؤلاء المشركون ويقولون فيك ما يقولون فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا مثل
اعدائك من الكافرين فصبروا فظفروا فاصبر انت تظفر ايضا وكفى بربك هاديا

وكفى بربك هاديا ونصيرا اي حسبك الله موفقا لك للحق فاكتف به وناصرا لك
على اعدائك وقوله تعالى ه وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة و
هذا طعن اخر منهم قالوا هلا انزل على محمد القران دفعة واحدة مجتمعا كله ه
كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه متفرقا وكذلك نزله لنجعله حفظا في
قلبك فيكون فؤادك ثابتا به غير مضطرب ولو انزل عليه جملة وهو امي لا يكتب
لتعذر عليه حفظه وقيل لان فيه ناسخا ومنسوخا فلم يستقم انزاله جملة وقد كان
النبي عليه السلام في دار المحنة وسكون قلب المحب المحجوب بان يتواصل اليه كتب
المحبوب فجعله متفرقا تثبيتا لقلبه وترويحا لروحه وتسكينا لشوقه وقوله
ورتلناه ترتيلا اي بيناه بعضه على اثر بعض واضمر بعد قوله كذلك فرقناه لكن قال
ورتلناه اي فرقناه تفريقا غير متباعد بل تابعناه ولم نقطعه قطعا بضعف
يملك قلبك قالوا ولما نزلت التورية جملة تركوها جملة ولما نزل القران مرتلا مفصلا
ثبت في القلوب مقررا محصلا وقوله تعالى ه ولا ياتونك بمثل اي لا ياتيك هؤلاء المشركون
بمثل اي بشيء يماثل ما كان من الامم السالفة من محاجة انبيائهم وتعنت رسلهم
الا جئناك بالحق اي اتيناك بما هو الحق ان تجابه فيه دون الباطل الذي لا حقيقة له ه
واحسن تفسيرا اي احسن بيانا مما عند هؤلاء السائلين لانهم لم يكونوا فيما يسالونه
يعرفون من تلك الامور مثل الذي كان الله يعرفه نبيه عليه السلام وكان التحريف
يدخل على اهل الكتاب وكان المشركون يرجعون اليهم وياخذون منهم لم يسالون

النبي عليه السلام وهو يخبرهم على الوجه كما اخبره الله به فكان احسن تفسيرًا
مما هم يذكرونه ٥ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل
سبيلا اي هولا المشركون الذين يعادونك ويتعنتونك يحشرون يوم القيامه
على وجوههم خزيا اي نكالا لهم فسئل النبي عليه السلام كيف يحشرون على الوجوه
فقال ان الذي مشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل يسحبون
على وجوههم الى النار كما ورد ذلك في ايه اخرى ٥ اولئك شر مكانا في الاخره فانهم
في النار واضل سبيلا عن الجنه وقيل اولئك شر منزلة في الدنيا واضل عن طريق الحق
كما قال يوسف انتم شر مكانا ومعنى كل الايه ولا ياتونك بمثل الا جئناك في جوابه
بالحق فانت منصور عليهم في الدنيا بالحجه الواضحه ثم هم محشورون على وجوههم
الى جهنم وذلك نصره لك في الاخره وخذلان لهم واخزالهم في الدارين جزا على
ضلالتهم وهم اسوا مكانا واضل سبيلا وليس هنا للتفضيل بل بنوب الشركة
في الطرفين بل طريقه ما قلنا في قوله خير مستقرا واحسن مقيلا وقوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب يقول لست اول نبي كذب بل قد اعطينا موسى التورية و
جعلنا معه اخاه هارون وزيرا وقد فسرناه في طه فقلنا لهما اذهبا الى القوم
الذين كذبوا باياتنا فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فدعواهم فعصوهما
فاهلكناهم اهلاكا بالغرق في اليم وقوم نوح اي ودمرنا قوم نوح لما كذبوا الرسل
اي نوحا ومن قبله من ادم وشيث وادريس واخبرهم نوح ان الله يبعث بعده رسلا

فكذبوهم ايضا كما كذبوه واراد به تكذيب نوح وحده ويطلق اسم الجمع على الواحد
يقال خرج فلان على البغال وان خرج على بغل واحد اغرقناهم اي بالطوفان و
جعلناهم للناس ايه اي لمن بعدهم علامة على قدرتنا وربوبيتنا وانتقامنا ممن كذب
رسلنا لان الطوفان عم الدنيا كلها فصار عبرة للكل واعتدنا للظالمين عذابا
اليما اي وكذلك هيانا لكل ظالم نفسه بالكفر بي وبرسلي ٥ وعادا وثمودا اي
ودمرنا عادا قوم هود وثمود قوم صالح واصحاب الرس قيل هم الذين بعث
اليهم صاحب يس حبيب النجار المذكور في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما
فعززنا بثالث قذفوه في بئر بانطاكيه ورشوه بالحجاره اي اثبتوه فيها بها كذلك
قال كعب الاحبار رواه عنه ابن عباس وقيل هم فرقه من ثمود وقيل هم باليمامه وقيل
كانوا بين المدينه ووادي القرى وقيل الرس البئر غير المطويه وقيل الرس ما ونخل
لبني اسد وقال عكرمه الرس بئر القوا فيها نبيهم وقال قتاده هي قريه باليمامه
يقال لها فلج وقال ابو عبيده هو المعدن وقوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا اي قال
ابراهيم القرن اربعون سنة وقال بعضهم سبعون سنة وقيل هم اهل عصر مقترنون
ومعناه واهما بين ذلك كثيرة وقال النبي عليه السلام كذب النسابون يقول الله تعالى
وقرونا بين ذلك كثيرا وقوله تعالى وكلا ضربنا له الامثال اي وصفنا له الاشباه
من الامم التي كانت قبلهم واهلكت بالتكذيب للانبيا فحذرنا كل امة ان ينزل بها ما
نزل بمن قبلها وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا وهذا كله تعريف للنبي عليه السلام

[illegible]

ان لانسا قبله قد لقوا من اممهم نحو ما يلقاه هو من قومه وان الله جاعل العاقبة
المحمودة له على من كذبه تطييبا لنفسه وتثبيتا لقلبه وقوله تعالى ولقد
اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء اى هولاء المشركون قد اتوا فى اسفارهم
على قرية قوم لوط وهى سدوم امطر اهلها الحجارة عقوبة لهم على معصيتهم نبيهم
لوطا عليه السلام وارتكابهم الفاحشة باتيان الذكران وغير ذلك افلم يكونوا
يرونها فيعتبروا بها اى وكان ينبغى لهم ان يؤمنوا عند مشاهدة تلك الايات بل كانوا
لا يرجون نشورا اى قد راوا هذه القرية وسمعوا خبرها ولكنهم كانوا لا يخافون
الاخرة ولا يرون ثوابا ولا عقابا فلكفرهم بالبعث اصروا على تكذيب محمد ولم
يعتبروا باولئك وقوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اى ما يتخذونك
الا سخرية لا يرونك اهلا للتعظيم ويقولون اهذا الذى بعث الله رسولا اى
بعثه الله رسولا الى خلقه نزلت فى ابى جهل كان اذا مر به النبى عليه السلام يقول
اهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا اى قد كاد يضلنا وقيل ما كاد الا يضلنا
عن الهتنا اى قارب ان يصرفنا عنها وعن عبادتها بالسحر الذى اتى به والخدع
الذى يزعم انها ايات من عند الله لولا ان صبرنا عليها اى لولا حبسنا انفسنا على
عبادتها وتركنا الاصغا الى ما يدعونا اليه محمد لقارب محمد ان يصرفنا عنها
الى الهه غيره ولعبادتهم الاصنام رشادا واعتقدوا صرفهم عنها ضلالا
فاوعدهم الله تعالى فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا

اى عن قريب يعلمون اذا راوا العذاب فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما من اضل سبيلا
اهم ام من كان يدعوهم الى تركها وقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه اى ما يهواه
نزلت فى الحارث بن قيس السهمى كان يتبع هواه يتخذ صنما فيعبده ثم يبصر م
به فيتخذه سواه فهذا كان دابه افانت تكون عليه وكيلا اى ارايت من عبد ما يهواه
من غير حجة ولا دليل افانت تكون عليه موكلا تصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه
انه ليس بمقدور للنبى عليه السلام بل الله هو المنفرد به اذا شا فعله لمن شا وانه
ليس عليه اكراههم على الاسلام بل اليه التبليغ لا غير وقوله تعالى ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون اى ام تتوهم ان اكثر هولا المشركين يعملون عمل من يسمع او يعقلون
اى عمل من يعقل وام لا تكون الا بعد الف الاستفهام وهو ثابت هاهنا تقديره اتعلم
انهم يسمعون او يعقلون ام تحسب ذلك منهم ان هم الا كالانعام اى لا تحسب ذلك
فما هم الا كالبهايم بل هم اضل سبيلا منها لان البهايم ان لم تعتقد صحة التوحيد والنبوة
لم تعتقد بطلانهما وهولا يعتقدون بطلانهما وقوله تعالى الم تر الى ربك كيف
مد الظل اى الم تعلم وهو استفهام بمعنى التقرير اى قد علمت ان ربك مد الظل اى
قد شاهدت الظل كيف مده الله اى بسطه فوق الارض وذلك من حين طلوع
الفجر الى طلوع الشمس فان الظل منبسط للارض من غير شمس ولا ليل وهذا قول
عامة المفسرين وهو كقوله فى صفة الجنة وظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة ولو شا
لجعله ساكنا اى مستقرا دايما لا تعقبه الشمس فتنسخه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا

ان الانبيا قبله قد لقوا من اممهم نحو ما يلقاه هو من قومه وان الله جاعل العاقبة
المحمودة له على من كذبه تطييبا لنفسه وتثبيتا لقلبه وقوله تعالى ولقد
اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء اي هولا المشركون قد اتوا اي في اسفارهم
على قرية قوم لوط وهي سدوم امطر اهلها الحجارة عقوبة لهم على معصيتهم نبيهم
لوطا عليه السلام وارتكابهم الفاحشة باتيان الذكران وغير ذلك افلم يكونوا
يرونها بعينهم وابها اي وكان ينبغي لهم ان يؤمنوا عند مشاهدة تلك الايات بل كانوا
لا يرجون نشورا اي قد راوا هذه القرية وسمعوا اخبارها ولكنهم كانوا لا يخافون
الاخرة ولا يرون ثوابا ولا عقابا فلكفرهم بالبعث اصروا على تكذيب محمد ولم
يعتبروا اناوليك وقوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك
الا سخرية لا يرونك اهلا للتعظيم ويقولون اهذا الذي بعث الله رسولا اي
بعثه الله رسولا الى خلقه نزلت في ابي جهل كان اذا مر بالنبي عليه السلام يقول
اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا اي قد كاد يضلنا وقيل ما كاد الا يضلنا
عن الهتنا اي قارب ان يصرفنا عنها وعن عبادتها بالسحر الذي اتى به والخدع
الذي يزعم انها ايات من عند الله لولا ان صبرنا عليها اي لولا حبسنا انفسنا على
عبادتها وتركنا الاصغا الى ما يدعونا اليه محمد لقارب محمد ان يصرفنا عنها
الى الهه عدوا عبادتهم الاصنام رشادا واعتقدوا صرفهم عنها ضلالا
فاذ علمهم الله تعالى فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا

اي عن قريب يعلمون اذا راوا العذاب في الدنيا او في الاخرة او فيهما من اضل سبيلا
اهم ام من كان يدعوهم الى تركها وقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هويه اي ما يهواه
نزلت في الحارث بن قيس السهمي كان يتبع الهواه يتخذ صنما فيعبده ثم يبصر ثم
به فيتخذه سواه فهذا كان دابه افانت تكون عليه وكيلا اي ارايت من عبد ما يهواه
من غير حجة ولا دليل افانت تكون عليه موكلا تصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه
انه ليس بمقدور للنبي عليه السلام بل الله هو المتفرد به اذا شا فعله لمن شا وانه
ليس عليه اكراههم على الاسلام بل اليه التبليغ لا غير وقوله تعالى ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون اي ام تتوهم ان اكثر هولا المشركين يعملون عمل من يسمع او يعقلون
اي عمل من يعقل وام لا تكون الا بعد الف الاستفهام وهو ثابت ها هنا تقديره اتعلم
انهم يسمعون او يعقلون ام تحسب ذلك منهم ان هم الا كالانعام اي لا تحسب ذلك
فما هم الا كالبهايم بل هم اضل سبيلا منها لان البهايم ان لم تعتقد صحة التوحيد والنبوة
لم تعتقد بطلانهما وهولا يعتقدون بطلانهما وقوله تعالى الم تر الى ربك كيف
مد الظل اي الم تعلم وهو استفهام بمعنى التقرير اي قد علمت ان ربك مد الظل اي
قد شاهدت الظل كيف مده الله اي بسطه فوق الارض وذلك من حين طلوع
الفجر الى طلوع الشمس فان الظل منبسط للارض من غير شمس ولا ليل وهذا قول
عامة المفسرين وهو كقوله في صفة الجنة وظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة ولو شا
لجعله ساكنا اي مستقرا دايما لا تعقبه الشمس فتنسخه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا

اى نسخناه بالشمس ثم جعلنا زوال الظل بالشمس دليلا على انه من خلقنا نوجده
اذا شئنا ونعدمه اذا شئنا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا اى قبضنا ذلك الظل
الممدود اى اخذناه الينا اى الى حيث اردنا قبضه من الارض قبضا يسيرا اى قليلا
قليلا شيئا بعد شىء بطلوع الشمس شيئا فشيئا وقيل قبضها بغروب الشمس لانها ما لم
تغرب فالظل فيه بقية وانما يتم زواله بمجى الليل وعلى هذا قوله قبضا يسيرا اى سهلا
علينا لا حونة فيه علينا كقوله ذلك حشر علينا يسير وقيل قبضا يسيرا اى سريعا
وقيل كالاول قليلا قليلا لانه يذهب شيئا فشيئا الى ان يجتمع كل الظلام وهذا
بيان القدرة ومن ايات الوحدانية والزام على اهل الشرك والضلالة وكذا ما بعده
وهو قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا اى سترا وغطاء للاشيا كلها بظلامه
تسكن الاشيا فيه والنوم سباتا اى راحة لابدانكم بانقطاعكم عن الاشتغال
والسبت القطع وجعل النهار نشورا اى حيوة من موت المنام لينتشر الناس فيه لمعاشهم
كما قال وجعلنا النهار معاشا وكان النبى عليه السلام اذا اصبح قال الحمد لله الذى احيانا
بعدما اماتنا واليه النشور وقال القشيرى روى ان النبى عليه السلام نزل فى
بعض اسفاره وقتا للقيلولة فى ظل شجرة وكان معه خلق كثير فمد الله ظل تلك الشجرة
حتى وسع جميعهم ونزلت الاية وكان ذلك من معجزاته وقال مد الظل على اوليائه
فقوم فى ظل الحماية واخرون فى ظل الرعاية واخرون فى ظل العناية واخرون فى ظل
الكفاية وقال فى قوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا قال هو وقت سكون لقوم ووقت

انزعاج لاخرين فارباب الغفلة يسكنون واصحاب المحبة يسهرون ان كانوا فى روح
الوصال لم يناموا لكمال انسهم وان كانوا فى الم الفراق لم يناموا لكمال وجدهم
وقوله تعالى وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته قرا حمزة والكسائى وخلف
وابو زيد عن المفضل وقال الكلبى هو الريح الطيبة ماخوذ من نشر المسك وقيل اى
حيوة وقرا عاصم غير ابى زيد بالباء مضمومة من البشارة وقرا الباقون نشرا بضم النون
والشين وهى جمع نشور اى ناشرات للغيم تنشره وتبسطه فى السماء بحركتها كما ينشر
الشىء المطوى وقرا ابن عامر بضم النون وسكون الشين فى معناه بين يدى رحمته اى امام
مطره وهو من بيان قدرته ونعمته ايضا وانزلنا من السماء ماء طهورا نقل الكلام من
المغايبة الى الاخبار عن نفسه بخطاب الملوك جمعا وهو من وجوه تصريف الكلام والطهور
مبالغة فى الطهارة وقيل هو ما يتطهر به كالوضوء ما يتوضأ به والسحور والفطور والو
قود
لنحيى به بلدة ميتا بانبات النبات واخراج الثمار ونسقيه مما خلقنا انعاما
واناسى كثيرا جمع انسى اى لنمكنهم من ان يشربوه ويسقوا به دوابهم وقوله تعالى ولقد
صرفناه بينهم قيل اى صرفنا الماء الطهور اى قسمناه بين العباد فجعلناه سنة لهولاء وسنة
لهولا ننقص حولا لقوم ونزداد لقوم ليذكروا قرا حمزة والكسائى وخلف ليذكروا
بالتخفيف والباقون بالتشديد اى ليتذكروا نعمتى فيشكروا الى ومعنى القرائتين الذكر و
باللسان
التذكر بالقلب وقيل الذكر الشكر باللسان والتذكر تكلف احضار الذكر بالقلب فابى
اكثر الناس الا كفورا اى كفرانا للنعم وانهم يضيفون النعمة والمطر الى الانوا فيقولون

نشرا بفتح النون وسكون الشين

مطرنا بنوء كذا قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الحسن ليذكروا اي
ليتذكروا ان المطر من الله الذي انزله فاحيا به الارض قادر على ان يحيي الموتى فابى اكثر
الناس الا كفورا كفرا بالبعث وعلى هذا تصريفه امطاره في كل البلاد مرة هاهنا
ومرة هاهنا ليشتركوا كلهم في التذكرة وعن ابن عباس قال ما من عام باقل مطرا من عام
ولكن الله تصرفه حيث شا وقرا هذه الايه وقيل ولقد صرفنا الذكر في القران في السور
كلها بين الناس ليذكروا اي ليتعظوا ويتنبهوا فابى اكثر الناس الا كفورا بالنعم وكفرا
بالمنعم وقوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قريه نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم
به جهادا كبيرا اي ولو شئنا لارسلنا في كل مصر نبيا ولكن لم نفعل وجعلناك نذيرا
للجميع فاشكر نعم الله عليك وجاهدهم به اي بالقران اي حاججهم وجادلهم به وقرعهم
بالعجز عنه وقيل جاهدهم بالسيف والصحيح الاول لان السوره مكيه وكان الامر بالقتال
بعد ذلك وقيل ولو شئنا لبعثنا في كل قريه نذيرا لكثرت الدلالات ولكن اكتفينا بك وحدك
الدلالات فلا تطع من كفر بك بل جاهدهم بالقران فقد لزمتهم الحجه كما قال اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وقيل ولو شئنا لبعثنا في كل قريه نذيرا لخفف
عنك بذلك المونه ولكنا حملناك ثقل الوحي الى كل القرى لينال بصبرك عليه ما اعد
الله لك من الكرامه والمثوبه فلا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من عبادة الاصنام و
جاهدهم بالقران جهادا كبيرا اي عظيما موقعه عند الله وعلى حسبه الثواب
عليه وقوله تعالى وهو الذي مرج البحرين وهو بيان قدرته ونعمه ايضا اي خلاهما

وارسلهما في الارض هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا
محجورا اي احد البحرين عذب اي طيب فرات اي شديد العذوبه والاخر ملح
فيه ملوحه اجاج مر وقيل اراد به الانهار العظام يعني ارسل في الارض المياه على
ضربين احدهما عذب والاخر ملح وكل واحد منهما بحر والفرات العذب كالنيل
والفرات والدجله وسيحان وجيحان ونحوها والملح الاجاج كالبحار المعروفه وجعل بينهما
برزخا اي حاجزا وحجرا محجورا اي احد البحرين حجرا كما يقال حد محدود وحرام محرم
وذلك هو الجزاير والبلاد فلا يختلط احدهما بالاخر لذلك فيفسد على الناس مياههم
واذا قامت الساعه زال الحاجز فاختلطت قال تعالى واذا البحار فجرت وهو قول
الحسن وقيل بحر الارض وبحر السما وقيل بحر السما وقيل بحر تحت الارض والبرزخ
الارض وقيل هو بحر واحد من البحار المعروفه يجتمع فيه الما العذب والما الملح في مكان
واحد ولا يختلطان فيفسد العذب بالملح وجعل بينهما برزخا حاجزا من القدره
قاله قتاده وقيل برزخا هو مده الدنيا فاذا قامت الساعه اختلط احدهما بالاخر
وذلك قوله واذا البحار فجرت وسياتي بيان ذلك في سوره الرحمن ان شا الله تعالى في
قوله مرج البحرين وقيل هما بحر الهند وبحر الروم وقيل بحر العراق وبحر الشام وقوله
وهو الذي خلق من الما بشرا وهذا ايضا بيان قدرته ونعمه من الما بشرا قيل خلق
ادم من الطين واصله الما فجعله نسبا ادم وصهرا حوا وقيل اي خلق من النطفه ولد
ادم فجعله نسبا اي قرابه وصهرا اي مصاهره وهي الوصله بالنكاح من غير الانساب

لان التقارب والتواصل يقع بها ومن بالمصاهرة لان التوادد والتوالد يكون
بهما وقيل فجعله نسبا لمن وُلِد منه ولمن يولد منه وصهرا لمن يتزوج به وقال قطرب
الصهر ابو زوج البنت وما كان من قبل زوج البنت فهم اصهار وما كان من قبل المراة
فهم الاحماء وكان ربك قديرا اي هو على كل شي وقوله تعالى ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي الله مالك الضر والنفع وهولا المشركون لجهلهم يعبدون
من دونه جمادا لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوا عبادته وكان الكافر على
ربه ظهيرا قال عطيه العوفي والشعبي ومجاهد نزلت في ابي جهل ابن هشام وقيل
هو اسم جنس يقع على كل كافر ظهيرا قال قتاده ومجاهد والحسن اي معينا للشيطان
والمظاهرة المعاونه ومعنى على ربه اي على معصية ربه ومخالفة ربه يعني ان الكافر
اذا اتى بالكفر والمعاصي كان تشجيعا للشيطان على الاصرار على الكفر والاستكبار
وقيل على ربه اي على اوليائه قال النبي عليه السلام يقول الله تعالى من اهان لي وليا
فقد بارزني بالمحاربة اي يعين الكافر الشيطان على معاداة اوليا الله وقيل يستظهر
الكافر بالاوثان وعبادتها وعبدتها على مغالبه رسول الله والمومنين وقيل الظهير
الهين الملقى خلف الظهر اي وكان الكافر على الله هينا حقيرا وقيل على ربه معناه
على ما يعتقده ربا وهو الصنم ومعنى وكان الكافر على ربه اي معبوده ظهيرا اي قويا
قادرا ويتصل باول الاية ان الصنم لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شي وعابد الصنم قادر
على الصنم يعمل به ما شا وينقله حيث شا وهو من جهلهم انهم يعبدون ما هو عاجز

وهم قادرون عليه وقوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا اي للموافقين ونذيرا
اي للمخالفين قل ما اسالكم عليه من اجر اي على التبليغ وقيل على التبشير الا من شا ان
يتخذ الى ربه سبيلا اي لكن من شا ان يتخذ ان يتخذ الى ربه قربه باجابتي فليفعل والا
استثنا منقطع بمعنى لكن الا لكن من شا وقيل هو استثنا حقيقي الا من يتخذ السبيل
الى ربه بالتوحيد فانه اجري اي ياجرني الله بدعوتي اياه واجابته اياي قال تعالى
ونكتب ما قدموا واثارهم وقيل اتخاذ السبيل الى الله هو الايمان به وقيل هي المودة
رسول الله لقرابته كما قال الا المودة في القربى وقيل اي لا اطالبكم بالاجر الا ان شا احدكم
ان يتقرب الى الله ببذل ما انفقه على الفقرا او في الجهاد وسبل الخير فان هذا مما
ارغبكم فيه اما لا اطالبكم به لاجلي وقوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت في التبليغ
فانه يعصمك ويحرسك وسبح بحمده اي نزه الله عما يصفه به هولا واحمده اي صفه
بصفاته الحميدة وقيل اي صل لله حامدا له فيهما وكفى به بذنوب عباده خبيرا
اي عالما بمعاصي هولا المشركين فهو يجزيهم عليها الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش قد فسرنا هذه الكلمات مرات وهذا كله صفه قوله و
توكل على الحي الذي الرحمن اي هو الرحمن او ثم استوى الرحمن على العرش او وكان ربك الرحمن
قديرا او هو خبر المبتدا والمبتدا قوله الذي خلق السموات والارض وقوله فاسأل
به خبيرا قيل فاسأل يا محمد الرحمن عن ذلك فانك تسأله خبيرا بما خلق وخبيرا مفعول
سل او به بمعنى عنه كما قال سأل سائل بعذاب واقع اي عن عذاب وخبير صفه الله تعالى
وهو معنى قول الحسين

ان سال به فانه خبير بالعباد وقيل معناه فاسأل بالله اى عن الله خبيرا اى عالما
من اهل الكتاب كما قال فاسألوا اهل الذكر وقيل اى فاسأل خبيرا اى عالما
وهو الله تعالى العالم بجلائل الحكم ومصالحكم وبه على هذا له معنيان احدهما انه صلة
خبيرا اى خبيرا به والثانى ان يكون بمعنى سل الله بالله كما تقول اعوذ بك منك واهرب
منك اليك وقوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن اى صلوا لله واخضعوا لامره
قالوا وما الرحمن اى لا نعرف الرحمن فنسجد له انسجد لما يأمرنا بالمغايبة فى قراءة
حمزة والكسائى اى لما يأمرنا به محمد من غير ان نعرفه الباقون بالتاء اى لما تأمرنا به يا محمد
استفهام بمعنى الاستنكار وزادهم نفورا اى زادهم هذا الامر شرودا عن الاسلام
قالوا لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنى مسيلمة فقد كان يسمى به وكانوا منكرين
له ايضا وقوله تعالى تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قيل قصورا وقيل هى التى
تبنى حول السور والحصون وقيل هى البروج الاثنا عشر المعروفة الحمل والثور
والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى
والدلو والحوت وجعل فيها سراجا اى فى جملتها شمسا فهى من البروج قال الله تعالى
وجعل الشمس سراجا وقمرا منيرا بالليل ومن قرأ سرجا فهى النجوم التى يهتدى
بها فهى كالمصابيح وقوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قيل اى مختلفين
يجئ هذا ويذهب ذاك ويجئ ذاك ويذهب هذا فلم يجعل واحدا منهما سرمدا نهارا لا ليل
له وليلا لا نهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون الانتشار فى المعاش

وقت معلوم وللقرار والاستراحة وقت معلوم وفيه تنبيه على قدرته ونعمته
وذلك قوله لمن اراد ان يذكر اى يتذكر بذلك او اراد شكورا والاد شكر الله تعالى بما
انعم عليه وقيل جعل الليل والنهار خلفة اى مختلفين فى اللون ليتميز احدهما من الاخر
كما قال فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا الاية قاله مجاهد
وقيل جعل الليل والنهار خلفة اى يخلف كل واحد منهما صاحبه فيكون خلفا عنه
ووحد لانه كالمصدر قال زهير

بها العين والارآم يمشين خلفة ... واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

كانه قال جعل كل واحد منهما خلفا عن الاخر فيما امر به فيهما حتى اذا فاته ما امر به
فى احدهما اتى به فى الاخر فيكون اخبارا عن توسعة الامر على عباده فى نوافل الطاعات
ياتى بما فاته فى الليل القصير فى النهار الطويل الذى بعده وكذا الاخر فاله الجنس وقيل
انما خلفه فى النقصان والزيادة فيتعاقبان حتى ينتهيا الى اجل مسمى وهو كقوله يولج
الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وقوله تعالى وعباد الرحمن ثم وصف اولياءه بعد
ما ذكر فى كل السورة اعداءه فقال وعباد الرحمن اى عباد الله الذين رضى الله بهم عبادا
وخصهم باضافتهم اليه بالعبودية تشريفا لهم ورفعا لاقدارهم كما يقال بيت الله
وناقة الله وشهر الله الذين يمشون على الارض هونا اى الذين اخرجوا المشى بين الناس
بما لا بد لهم من معاش وقضاء حق وحضور جماعة يمشون فى لين ووقار وسكون وتواضع
لا بمرح وتحريك اعطاف ودق اقدام على الارض فهذا مشى ممدوح وقد ذكر المشى
المذموم فى قوله ولا تمش فى الارض مرحا

ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك وقال ولا تمش في الارض مرحا انك
لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما والجاهلون الكفار والعصاة وسلاما اي سدادا من القول اي اذا خوطبوا
بما يكرهونه لم يجيبوهم بسفاهة ومشاتمة بل صانوا انفسهم عن ذلك واجابوهم
بالذي لم يسلمون به من اذاهم ومن معصية الله وقوله تعالى والذين يبيتون
لربهم سجدا اي يمضون لياليهم متهجدين لله قياما على ارجلهم في موضع القيام
وسجدا في موضع السجود ومع ذلك يخافون الله وذلك قوله والذين يقولون ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما قيل هلاكا وقيل دائما لازما وقال ابن عباس
اي شديدا انها ساءت مستقرا ومقاما اي ان جهنم بئس موضع قرار وموضع اقامة
والاستقرار اقل من الاقامة وجهنم مستقر للعصاة ومقام للكفار وقوله تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق فيه والاقتار
التقصير عن العدل فيه وقد قتر من حد دخل وضرب واقتر من باب ... ادخل
وهذا من صفات عباد الرحمن ايضا قال ابراهيم السرف مجاوزة الحد في النفقة
والاقتار التقصير عما لا بد منه وقال ابن عباس الاسراف الانفاق في معصية الله قل او كثر ٥
والاقتار منع حق الله من المال وكان بين ذلك اي بين ذينك قواما اي عدلا والقوام
بالفتح العدل والقوام بالكسر العماد يقال هذا قوام الامر ونظامه وملاكه وهذا
في المطعم والملبس وكل شيء وقيل اي لم يتكلفوا فوق الطاقة ولم يقصروا عن الحاجة

وقيل اذا تكلموا لم ياتوا بالفضول ولم يسكتوا عن الحق واذا عملوا لم ياتوا بالمعصية
ولم يتركوا الطاعة وقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر اي لا يشركون
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق وهي النفس المسلمة الا بالحق بقصاص او
رجم او قتل على ردة ٥ ولا يزنون قال ابن مسعود قال رجل يا رسول الله اي الذنب
اكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية
ان يأكل معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله والذين لا يدعون
مع الله الها آخر الآية وقال ... لعشرى من النفوس المحرمة نفسك المسلمة
وقتلها بغير حق تمكنك اياها من اتباع ما فيه هلاكها وان السفينة اذا لم
يتبعه مامور ٥ ثم قوله الا بالحق دليل جواز قتلها بحق وذلك بتنحيها بسكين المخالفات
وما قتلا حكما لا يقتل عدوك واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقوله تعالى
ومن يفعل ذلك اي هذه الاشياء الثلاثة يلق اثاما اي يلق جزاء اثمه وقيل الاثام
العقاب قال الشاعر جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام
اي عقاب وقال قتادة الاثام النكال وقال مجاهد واد في جهنم من قيح ودم فيه
حيات وعقارب كالبغال وقوله تعالى يضاعف له العذاب يوم القيامة
ويخلد فيه مهانا قرأ عاصم في رواية ابي بكر وحماد برفع الفاء من يضاعف ورفع الدال
من يخلد على الاستئناف وقرأ ابن عامر يضعف ويخلد ويعقوب ويزيد قرآه
كذلك وقرأ عاصم في رواية المفضل يضاعف ويخلد وقرأ الباقون يضاعف ويخلد

نجزيهما على جزا الشرط ومعنى يضاعف اي يعذب على مرور الايام في الآخرة
عذابا على عذاب وقال جرير يضاعف له العذاب لاجتماع هذه المعاصي الثلث
فيكون لكل معصية قسط ويخلد فيه اي يبقى في العذاب مهانا اي مذلا مستخفا
به كما قال اخسؤا فيها ولا تكلمون ٥ الا من تاب رجع عن ذلك وامن بالله
ورسوله وعمل عملا صالحا اي اتى بالطاعات وقيل لما نزل هذا قال اصحاب رسول الله
ما اشد الامر قد فعلنا هذا في الجاهلية فانزل الله تعالى الا من تاب وقيل نزلت في قوم
من المشركين عملوا هذه الاشيا ثم جنبوا عن الدخول في الاسلام خوفا ان لا يقبل منهم
وقيل وهو مروي عن ابن عباس نزلت في وحشي ابن حرب غلام مطعم بن عدي بن عبد
مناف وقيل غلام جبير بن مطعم وذلك انه كتب الى النبي عليه السلام انك تدعونا
الى دينك وتقول ومن يدع مع الله الها اخر ويقتل النفس التي حرم الله الا بالحق
ويزن فهو من اهل النار واني قد فعلت هذا كله فهل من توبة فنزل قوله ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فقال ان الله شرط المشية ولا ادري
ايشا الله مغفرتي اولا يشا فنزلت هذه الاية الا من تاب وامن وعمل صالحا
فقال لعلي لا اصل الى العمل الصالح فانزل الله قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فقال لا ارى في هذا
شرطا فجا واسلم وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال
الحسن اي في الدنيا يبدل الله العمل السيء العمل الصالح الشرك اخلاصا والكفر ايمانا

ويخرج

والزنا عفافا واحصانا وقال قتادة هو طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه
والخير يعمله بعد الشر وقال علي بن الحسين وابرهيم وابو مجلز هو في الآخرة يجعل
سيئاته حسنات قال سلمان يعطى رجل يوم القيامة صحيفة فيقرا اعلاها
فاذا سيئاته فاذا كان يسوءه نظر في اسفلها فاذا حسناته ثم نظر في اعلاها
فاذا هي قد بدلت حسنات وروي مثله عن ابن مسعود وعن ابي عثمان النهدي قال
ان المومن يعطى كتابه في ستر من الله فيقرا سيئاته فاذا قرا تغير لها لونه حتى يمر
بحسناته فيقراها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سيئاته قد بدلت حسنات فعند
ذلك يقول هاؤم اقرؤا كتابيه وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما لمن تاب واليه
اناب وقوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا الاولى هو قوله الا من
تاب وامن في حق المشرك وهذا في حق المومن المذنب يقول من تاب من ذنوبه واتبعه
عملا صالحا فانه افضل تاب الى الله فله ما للاول من المغفرة والرحمة وتبديل السيئات
حسنات وقيل خلاف ذلك قال عبد الرحمن بن زيد والذين لا يدعون مع الله الها اخر
الاية قال هذه صفة اصحاب رسول الله عليه السلام فقال المشركون والله ما كان هولا الذين
مع محمد الا معنا بالامس في هذا فانزل الله الا من تاب وامن ثم قال لهولا المشركين ومن تاب
اي منكم وعمل صالحا فان له مثل ما لهولا فانه يتوب الى الله متابا لم يحظر التوبة عنكم وقيل
فانه يتوب الى الله اي يرجع الى الله يوم القيامة والى ثوابه وقوله تعالى والذين لا يشهدون
الزور قال قتادة اي الكذب وقال الضحاك الشرك وقال الضحاك ايضا يعني اعياد المشركين

وقال محمد بن الحنفية الغناء واللهو وتشهد بمعنى تحضر ولذلك لم يقل لا يشهدون
بالزور لانه ليس لاداء الشهادة ومن حضر الزور يشهد به ايضا فيثبت مقتضاه
والزور تمويه الباطل بما يوهم انه حق والمراد من يفعل ذلك واذا مروا باللغو
مروا كراما اللغو الفعل الذي لا فائدة فيه اي اذا مروا بقوم يفعلون او يقولون
ما لا يفيد مروا مر الكرام الذين لا يرضون به ويكرهون انفسهم ان يدخلوا فيه او يخالطوا
باهله وقال قتادة اي لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وقال مجاهد اذا اوذوا
لم يؤذيهم صفحوا عنه وقال ابن جرير اي واذا مروا بالباطل فسمعوه او راوه مروا
كراما والكرم في بعض ذلك ان لا يسمعوه كالغناء وفي بعضه ان لا يجيبوا وهو اذا سمعوا قبيحا
وفي بعضه ان ينهوا عنه بان يروا منكرا وفي بعضه ان يضاربوا بالسيوف كقطع الطريق
ونحوه ويقال مات فلان كريما اي مدافعا عن نفسه واهله وقومه فلم يكن الكرم على وجه
واحد وقوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال
الفراء اي والذين اذا قرئ عليهم القران لم يقعدوا على حالهم الاولى كانهم لم يسمعوه ولم
يروا فاراده فذلك الخرور وقيل لم يخروا لم يلبثوا او لم يبقوا وقيل لم يقعوا وقال
القتبي اي لم يتغافلوا عنها كانهم صم عمي وقال الزجاج خروا سجدا وبكيا ولم يخروا
صما وعميانا وقيل لم يكونوا كالذي هو مستكبرا كان لم يسمعها بل كانوا كالذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه والذين اذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقوله تعالى
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا اي نسائنا وذرياتنا قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي

وعاصم في رواية ابي بكر وحماد على الواحد اي وولدنا وقرا الباقون وذرياتنا على الجمع
اي واولادنا قرة اعين وحد القرة لانها مصدر وهي برد دمعتها وذاك من السرور
وهذا الدعاء معناه ان ترينهم مؤمنين مطيعين فيه تتم السرور والراحة وهذا ان
كان من الذين لم يسلم ازواجهم واولادهم سوال الايمان وممن اسلم اهاليهم واولادهم
سوال الابقاء على ذلك قال جبير بن نفير جلسنا الى المقداد بن الاسود يوما فمر به
رجل فقال طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله والله لوددنا انا راينا ما رأيت
وشهدنا ما شهدت قال فاستغضب فجعلت اعجب وما قال الا خيرا ثم اقبل اليه فقال
ما يحمل الرجل على ان يتمنى محضرا غيبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه
والله لقد حضر رسول الله عليه السلام اقوام كبهم الله على مناخرهم في النار لم يجيبوه
ولم يصدقوه او لا تحمدون الله اذ اخرجكم لا تعرفون الا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم
فقد كفيتم البلاء بغيركم والله لقد بعث النبي عليه السلام على اشد حال بعث عليها
نبي من الانبياء في فترة وجاهلية ما يرون دينا افضل من عبادة الاوثان فجاء بفرقان
فرق بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده حتى ان كان الرجل ليرى والده او
ولده او اخاه كافرا وقد فتح الله قلبه للايمان يعلم ان هلك دخل النار فلا تقر عينه
وهو يعلم ان حبيبه في النار وانها التي قال الله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين وقوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما هو سوال
الرياسة في الدين على وفق السوال الاول والامام واحد لكنه جنس فصلح للجمع وهذه
درجة علية

قال الله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون
وقال لابراهيم اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين
وقال مجاهد اجعلنا ممن نأتم بمن قبلنا حتى يأتم بنا من بعدنا وقال ابو روق واجعلنا
للمتقين اماما في الجنة وقيل اي اجعلنا ائمة المتقين يوم الدين نتقدمهم في المضي الى
الجنة وقوله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا اي هؤلاء يجزون بافعالهم وافعالهم
الغرف في الجنة بما صبروا على هذه الاخلاق والغرفة جنس يصلح للجمع وقد قال
تعالى وهم في الغرفات آمنون وقال لهم غرف من فوقها غرف وقال القشيري اسكنهم
العليين عباده فعدد اعمالهم في ايات واستقل الكثير من نفسه فعد الجنة بما
فيها على كثرتها غرفة ٥ ويلقون فيها تحية وسلاما قرا حمزة والكسائي وخلف
وعاصم في رواية ابي بكر وحماد بفتح اليا وتخفيف القاف اي يرون فيها ويجدون فيها
وقرا الباقون يلقون بضم اليا وتشديد القاف اي يلقيهم الملائكة ذلك كما قال
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقيل يلقى بعضهم بعضا كما قال لا
يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما خالدين فيها اي في الغرفة حسنت
مستقرا ومقاما اي ما احسنهما موضع قرار واقامة كما قال في صفة اهل النار
ساءت مستقرا ومقاما وقوله تعالى قل ما يعبأ بكم ربي قال مجاهد وقال مجاهد
وابن زيد ما يصنع بكم ختم السورة بان عرف المشركين حكمة خلقهم وقيل ما يريد
بكم وقيل ما يبالي بكم وقيل اي خطر لكم لولا دعاؤكم اي دعاؤه اياكم الى التوحيد والطاعة

وقد دعاكم اليه على لسان محمد عليه السلام وقيل لولا عبادتكم اياه اي لو لم يكن هذا لما
يلزمكم فقد كذبتم رسولي الذي دعاكم فسوف يكون تكذيبكم عذابا لازما لكم وذلك
قوله تعالى فسوف يكون لزاما قيل كان ذلك يوم بدر وقيل هو عذاب الآخرة وقال
الضحاك ما يعبأ بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه الها آخر فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ٥

سورة الشعرا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي انزل آيات الكتاب المبين الرحمن الذي نصر المرسلين واهلك المكذبين
الرحيم الذي امر نبيه بخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين ٥ وروي عن ابي بن كعب رضي الله
عنه عن النبي عليه السلام انه قال من قرا طسم الشعرا كان له عشر حسنات بعدد
من صدق بموسى وكذب به وابراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب وبعدد من صدق
بمحمد وكذب به وهذه السورة مكية الا اربع ايات نزلت بالمدينة والشعرا يتبعهم الغاوون
الى آخر السورة نزلت في حسان وكعب وابن رواحة وهي مائتا آية وست وعشرون
وقيل سبع وعشرون وانتظام اول هذه السورة بآخر تلك السورة انه قال لولا دعاؤكم
وكان الدعاء بآيات الكتاب المبين وعلى لسان المصطفى فلم يجيبوا فشق عليه فقال لعلك
باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقال فقد كذبتم وقال ها هنا فقد كذبوا وقال فسوف
يكون لزاما وقال ها هنا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وانتظام السورتين ان
تلك السورة في بيان انزال الآيات الكتاب وارسال الرسول والدعاء الى التوحيد ووعد

ووعد المؤمنين ووعيد الجاحدين وكذلك هذه السورة وفيها بسط القول
بإرسال الرسل وتكذيب الأمم وعاقبة المرتابين قوله تعالى طسم قال ابن عباس
هو قسم أقسم الله به وقال قتادة هي فاتحة السورة وقال مجاهد هي اسم هذه السورة
وقال الحسن هي أسماء الله مقطعة الحروف وقال محمد بن كعب القرظي أقسم الله
بطوله وسنائه وملكه لأنه لا يعذب أحدا من هذه الأمة عاذ إليه بلا إله إلا الله
مخلصا من قلبه وروى عكرمة عن ابن عباس قال عجزت العلماء عن علم تفسيرها وقيل
طا شجرة طوبى سين سدرة المنتهى ميم محمد المصطفى أقسم الله بها وقيل طا طوبى
للمؤمنين سين سلامة على المؤمنين ميم مملكة المؤمنين وقيل طا طهارة أبدان
الصالحين سين سلامة قلوب الزاهدين ميم مشاهدة أرواح العارفين
وقيل طا طرب المشتاقين سين سرور العارفين ميم مناجاة المحبين وقيل
طا طول قيام المصطفى في خدمة رب العالمين سين سؤال عفو الأمة من رب
العالمين ميم مقامه المحمود في شفاعة الخلق من رب العالمين قوله تعالى
تلك آيات الكتاب المبين أي هذه آيات وقيل تلك الآيات التي تقدم نزولها آيات
الكتاب أي القرآن المبين أي المظهر دلائل وحدانيتنا وصدق رسالتك وما بالناس
إليه حاجة قوله تعالى لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين أي قاتل نفسك
وهو مثل لحرصه على إيمانهم وقيل لتأسفه على كفرهم قال تعالى في سورة الكهف
فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وقيل شفقة عليهم

وقيل غضبا لله وهو كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قوله تعالى إن نشأ
ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين أي صارت رقابهم لها خاضعة
ومنقادة وجمع بالياء والنون لأنه وصفها بالخضوع وهو صفة من يعقل وقيل الأعناق
الكبراء أو السادة يعني هم لا وجوه القوم وأعناق القوم يعني إذا أسلم القادة أسلم
الأتباع تبعا لهم وقيل الأعناق الطوائف وفي الخبر يخرج عنق من النار أي قطعة
وطائفة وقال الإمام أبو منصور رحمه الله معناه إن شاء إيمانهم نزل عليهم من السماء آية
فآمنوا والمعتزلة حملوا على مشيئة القهر وآية الاضطرار وهو باطل لأن الآية
لا تضطر إلى الإيمان بدون الاختيار قال الله تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية
ولأنهم يقولون يوم القيامة والله ربنا ما كنا مشركين ولا آية فوق رؤية أهوال القيامة
قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من وعظ في القرآن محدث في النزول والوصول
وقيل ذكر من شرف يحصل لهم لأنهم إذا تلوه وعملوا به صار لهم به ذكر في الناس إلا
كانوا عنه معرضين مولين على عادتهم فقد كذبوا أي أقاموا على التكذيب فسيأتيهم
أنباء ما كانوا به يستهزئون أي أخبار ما استهزؤوا به وهو القرآن وإتيان الخبر
عبارة عن حلول العقوبة تقول تفعل كذا وسيبلغك الخبر عن فعلك وقيل فسيأتيهم
وهم في النار أخبار الذين آمنوا بما كانوا هم يستهزئون به أي خبر كرامتهم في الجنة و
قيل إتيان الخبر وصول الوعيد عند الموت أو عند البعث أو قبل الوصول إلى العذاب
وقيل هو الإخبار بظهور هذا الدين وانتشار أحكام هذا القرآن الذي كانوا يستهزئون به

وقتل سبا ثيهم يوم بدر قال مقاتل نزل قوله لعلك باخع نفسك الا يات في ابي جهل
بن هشام وامية بن خلف وابي بن خلف اذوا رسول الله عليه السلام فضاق
باذاهم صدره فنزلت عدة ايات لعلك باخع نفسك فلعلك باخع نفسك فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ولقد نعلم انك يضيق صدرك وقوله تعالى
اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم اي صنف حسن وكون نفيس مما ياكله
الناس والانعام افلا يعلم هولا المكذبون بهذا الذكر ان ذلكم لم يخلق عبثا وانما
خلق لصلاح معاشهم قواما لهم مدة مقامهم في دار الامتحان ان في ذلك لاية اي ان
في انبات كل زوج كريم لعلامة لوجوب شكره عليكم واقراركم له بالوحدانية و
اخلاص العباده له وما كان اكثرهم مومنين وقد سبق في علمي وارادتي ان اكثر هولا
المشركين لا يومنون وان ربك لهو العزيز الرحيم المنيع الذي لا يغالب فليس لعجزه
وضعفه طالت مدة هولاء في الشرك والعتو الرحيم فلا يعجل بعقوبتهم اذ لا يخاف
الفوت ويقبل توبة من تاب منهم قبل الموت ومن رحمته ايضا ارسال الرسل
وانزال الكتب لارشادهم وتنبيههم على صلاحهم وفسادهم وقيل العزيز المنتقم
من اعدايه الرحيم المنعم على اوليايه وقوله تعالى واذ نادى ربك موسى اي واذكر
يا محمد لقومك اذ دعا ربك موسى يعرفه قصة موسى وما بعدها من قصص ساير
الانبيا ان الله واصل الحجج لعباده ودعاهم الى توحيده وطاعته والانبيا صبروا
على اذى الامم وكان النصر والفرج للموافقين والهلاك والعقوبة على المخالفين

فكذلك انت وقومك ان ايت القوم الظالمين اي قال له ذلك قوم فرعون بدلا
وترجمة عن الاول ذكر في بعض الايات الارسال الى فرعون وفي بعضها الى فرعون وملايه
وبين ها هنا انه كان مبعوثا الى كل قومه الا يتقون استفهام بمعنى التوبيخ وهي كلمة
استبطا وحث قال رب اني اخاف ان يكذبون اي لا يصدقوني فيردوا امري ويضيق
صدري بتكذيبهم ولا ينطلق لساني بضيق صدري فارسل الى هارون اجعله رسولا معي
عونا لي وشرحا لصدري واطلاقا للساني وتقوية لي على القيام بامرك على الوجه
وقيل يضيق صدري غضبا لك واذا اشتد الغضب ضاق الصدر ولم ينطلق
اللسان ولهم علي ذنب اي دعوى ذنب بقتل القبطي بالوكز دفعا عن السبطي فاخاف
ان يقتلون بذلك فما يكفي ولا كافي الا انت قال كلا اي قال الله لا يقدرون على قتلك
فاذهبا اي فاذهب انت واخوك فقد اجبتك الى ما سالت من ضمه اليك باياتنا
اي براهيننا وهي اليد والعصا وغير ذلك وباياتنا اي مع اياتنا كقولك دخل بسيفه
اي مع سيفه وقيل اي فاذهبا وانا امدكما باياتي اي حججي عند المحاجة انا معكم مستمعون
اي انا معك ومع هارون ومع فرعون وملايه سامع لما يجري بينكم لا يخفى علي شي من ذلك
والاستماع في غير هذا الاصغا للسماع ولا يجوز حمله ها هنا على ذلك فحمل على السماع
والافتعال بمعنى الفعل كثير يقال كتب واكتتب وسلب واستلب وخطف
واختطف ونهب وانتهب فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين انما وحد
لانه في معنى الرسالة وهي مصدر فلا تثنى قال ——— الشاعر شعر

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اى برساله
ان ارسل معنا بنى اسرايل اى بان اطلق بنى اسرايل عن الاستعباد وخلهم يذهبوا حيث
شاوا وهو كارسال الصيد واهل القيد ٥ قال الم نربك فينا وليدا اضمر ههنا فاتياه
فقالا له ذلك فقال الم نربك اى الیس قد اخذناك من اليم فاسترضعنا لك وغذوناك
فينا اى بيننا وفى منازلنا وليدا طفلا مولودا ولبثت فينا كذا لك من عمرك سنين
وفعلت فعلتك التى فعلت كناية عن قتل القبطى ٥ وانت من الكافرين من اهل كفران
نعمتى اذ قتلت رجلا من شيعتى وقيل اى وانت الان تكفر نعمتى وتدعونى الى طاعتك
وتدعى ان لك الها غيرى وتامرنى ان افسد على مملكتى بارسال بنى اسرايل معك قال
فعلتها اذا وانا من الضالين اى ضربته وانا من الجاهلين بما يؤول اليه الضرب لم اعلم
انه يصير قتلا والضال عن الشى هو الذاهب عن معرفته وقال نفطويه اردت امرا
فضللت عنه ٥ ففررت منكم لما خفتكم ان تقتلونى وذلك حين قال له مومن ال فرعون
ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الاية فخرج منها خائفا يترقب ٥ فوهب لى ربى
حكما اى نبوه لان صاحبها يحكم على الناس بشرايع الدين فيلزمهم طاعته وجعلنى
من المرسلين ارسلنى اليك والى قومك وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرايل
قال الفراء هذا اقرار من موسى لفرعون لمنته عليه بما رباه وقوله تعالى ان عبدت بنى
اسرايل اى استعبدتهم ولم تستعبدنى بل ربيتنى فذا ترك ذا دخلنى فى جمله اهلك
قال ومثاله ان يضرب الرجل احد عبديه ويترك الاخر فيقول المتروك نعمه على

ان ضربت فلانا وتركتنى ثم يحذف وتركتنى لان المعنى فاهم معروف ٥ ثم تفسير
هذا الكلام ان المنه تقتضى شكرا ومقابلة بالجميل فاذا نبهتك على رشدك و
خلصتك من عذاب ربك ودعوتك الى صلاح دينك ودنياك فقد شكرتك وقابلت
نعمتك بما لا شى اجمل منه وقيل هذا من موسى ابطال او يكون ما امتن به عليه نعمة
وفى اوله استفهام مضمر وتقديره او تلك نعمة تمنها على ان اتخذت بنى اسرايل عبيدا
وهم اهلى ورهطى ولو لم تتخذهم لكفلنى اهلى ولم يلقونى فى اليم فليس
هذا موضع امتنان منك ولا موضع اعتقاد منى لك به منة وقيل معناه انك احبطت
ما كان لك على من المنه حيث عبدت قومى ورهطى فهو كمن يمن على الرجل بشى يسير
بعد ان اساء اليه اشيا كثيره فيقول كيف تمن على بان وهبت لى درهما وقد
اخذت منى الوفا وقيل معناه انك تمن على بان استعبدت بنى اسرايل حتى
ربونى وهم قومى والحراص على تربيتى وذلك ان امه هى التى ارضعته والذين يربونه
من ذويها فهم من نساء بنى اسرايل دون نساء القبط فقال له اى منة لك على فى
التربيه وانما تولى ذلك منى من لو لم تكن انت لكان هو يربينى ثم ان فرعون صار مع موسى
الى المسايلة فى قوله انا رسول رب العالمين فقال له وما رب العالمين فقال اراد به
اى شى هو ومن اى الاجناس هو كانه ظن ان الذى يذكره موسى من احد اجناس الاجسام
فاعرض موسى عن الجواب من هذا الوجه وصار الى الدلاله على الله بافعاله التى
تشهد لذوى العقول على الصانع القادر العالم فقال رب السموات والارض

وما بينهما اي مدبر ذلك ومصرفه واليه ادعوا لا الى من حوله ماهيته ان كنتم موقنين
اي ان كان قصدكم ان تعرفوا رب العالمين حتى تفضوا الى اليقين فيه وقيل ان كنتم موقنين
بما تعاينونه فرب العالمين ربهما فوقع عند فرعون انه لم يجبه عما سأله واخبر
شيء لم يعرف حقيقته قال لمن حوله الا تستمعون متعجبا لهم من جواب موسى اي الا
تسمعون ما اسأله عنه وما يجيبني به فعاد موسى الى مثل قوله الاول قال ربكم ورب
آبائكم الاولين اي هو خالقكم ومصرفكم ومدبركم على ما يريد وخالق آبائكم الاولين
ومدبرهم ومصرفهم اي ليس الطريق الى معرفة ما سألتني عنه من الماهية اما الطريق
الى معرفته الاستدلال عليه بما قلت فلما رآه فرعون ثابتا على مثل جوابه الاول لا يجيبه
عن الماهية قال لمن حوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يستهزئ به المجنون
يقول ان هذا الذي يزعم انه رسول الله ارسله اليكم مجنون لا يعقل ما يقال له فهو يسأل
عن شيء ويجيب عن غيره فعاد موسى ثالثة الى مثل كلامه الاول في الدلالة على الله
بافعاله فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما اي رب العالمين هو الذي يطلع
الشمس ويغربها وهو خالقها ومصرفها على هذا الانتظام والاتساق الذي
ترون وتشاهدون ان كنتم تعقلون ما يقال لكم وكانت لكم عقول تفقهون بها على
الكلام والمقصود ورب العالمين هو المدلول عليه بهذه الاشياء لظهور آثار الصنعة
فيها وشهادتها ان لها صانعا قادرا عالما لا يشبهها فلما اوضح موسى عليه السلام
عما اراد ذكر مسايله موسى اذ لم يتهيا له ان يدفع ظهور آثار الصنعه فيما ذكر فاشتغل

بتوعده بالحبس فقال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين اي لاسجننك
مع من سجنتهم لسعيهم في افساد ملكي وتفريق شمل رعيتي وقيل لما قال موسى انا
رسول رب العالمين سأل فرعون عن مقدار ملك من ارسله على ما يسأل مثله عن الملوك
اذا وردت رسلهم فيقول هذا ما صاحبك اي ما مقدار ملكه وسلطانه فقال هو رب
السموات والارض وما بينهما فعجب جلساءه من جوابه وقال لهم الا تستمعون ما يقوله موسى
من سعة ملك من ارسله اي متى يكون هذا فاوضح موسى ذلك فقال ربكم ورب آبائكم الاو لين
وكان في هذا تضليل هولاء الذين يعبدون من دون الله فكان هذا اشنع عندهم من الاول
وابعد من وفاق فرعون فيما يدعي من الربوبية فقال هو مجنون اذ يزعم ان لهم الها غيري
فزاد موسى في بيانه فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فاعقلوا
وميزوا بين من يملك الدنيا كلها من شرقها الى غربها وبين من لا يعدو ملكه حدود
مصر فقال لئن اتخذت الها غيري اي اصررت على عبادة هذا لاجعلنك من اهل
السجن وكان اذا سجن احدا لم يخرجه من سجنه حتى يموت فيه قطعا لافساده قال
او لو جئتك بشيء مبين اي ارايت لو جئتك بشيء يبين لك صدق دعواي الرسالة وانه
ملك الملوك اتجعلني من المسجونين ان عبدت هذا الاله فلم يتهيا له دفعه فقال
فأت به ان كنت من الصادقين في دعواك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي
فتحولت عصاه ثعبانا ابان عن نفسه انه ثعبان وقال في آية اخرى كانها جان والجان
الى الصغر ما هي والوصف بينهما انه صار ثعبانا في خلقته جانا في خفته ونزع يده

اى اخرجها من كمه فاذا هى بيضاء كالثلج للناظرين لمن نظر اليها قال فرعون للملأ
اى للاشراف حوله ليلبس عليهم ان هذا لساحر عليم اى بالسحر ٥ يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره اى يلقى العداوة والفرقة بينكم ويستميل بعضكم ليحارب
به بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا تامرون تشيرون به فى امره من حبس او قتل او
غير ذلك قالوا ارجه اى اخره وقيل اى احبسه واخاه هارون كذلك ٥ وابعث
فى المداين اى امصار مملكته حاشرين رجالا يحشرون السحرة اى يجمعون ويحضرون
ياتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وههنا حضر فارسل فرعون
فى المداين حاشرين يجمعوا الميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة يوم عيد او يوم نيروز
كما مر مرات وقيل للناس هل انتم مجتمعون اى ان اصحاب فرعون قالوا للناس هل انتم
مجتمعون اى اجتمعوا فى هذا اليوم ٥ لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اى ان
الغلبة تكون لهم فاجتمعوا لنتبعهم اى لنكون فى جملتهم وعلى دينهم وهو دين فرعون
ولعل للتحقيق ههنا كما فى قوله واتقوا الله لعلكم ترحمون اى لترحموا ٥ فلما جاء السحرة اى
جاؤا فرعون ٥ قالوا لفرعون ان لنا لاجرا اى جزاء بالخير ٥ ان كنا نحن الغالبين لموسى
وهارون قال فرعون نعم لكم جزاء عندى ٥ وانكم اذا لمن المقربين اى وتكونون مع ذلك من
المقربين عندى فى المرتبة والجاه تكونون اول من دخل على واخر من خرج وقيل تدخلون
على من غير اذن وقيل تقبل شفاعتكم فيمن تشفعون لهم ٥ قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون اى ما تريدون ان تلقوه من الحبال والعصى مستعملون بطلانها وغلبة الحق

ما القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون قال القاسم بن ابى بزة كانوا
سبعين الف ساحر والقوا سبعين الف حبل وسبعين الف عصا فجعلت تسعى
فتعاظم ذلك عندهم فتوهموا انهم غلبوا موسى بكثرتها فقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون ٥ فالقى موسى عصاه بامر الله فاذا هى تلقف ما يافكون اى فصارت ثعبانا ما
جعلت تلتقم ما القوه يوهمون به الانقلاب زورا وبطلانا ٥ فالقى السحرة ساجدين
اى لسرعة ما سجدوا صاروا كانهم القوا ٥ قالوا امنا برب العالمين وكانوا حفظوا
الاسم حين قال انا رسول رب العالمين فقال فرعون يعنوننى فقالوا رب موسى
وهارون وفيه اقرار برسالتهما فلما راى فرعون ذلك تحير وقال امنتم له قبل ان اذن
اى اصدقتم موسى ٥ قبل ان اذن لكم بذلك ٥ انه لكبيركم لاستاذكم ٥ الذى علمكم السحر
وهذا تلبيس منه على العامة ثم قال فسوف تعلمون وهذا تهديد ٥ لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين اراد به ترهيب العامة لئلا يتبعوهم فى الايمان
قالوا لا ضير اى لا نعد ذلك ضررا علينا فانه تعب ساعة ثم نصير الى كرامة الله
وهو قوله تعالى فانا الى ربنا منقلبون وقيل هل هو الا ان تقتلنا فنقلبنا الى ربنا وقيل
انا وانت منقلبون الى ربنا فيجزى كلا على وفق عمله ٥ انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا
المتقدمة ان كنا اول المؤمنين به وبرسوله فى هذا الحفل وقد مرت القصة وفوايدها
مرات وقوله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى اخبر بما آل اليه امر فرعون
وقومه من الهلاك بالغرق وامر موسى وقومه من العلو والنصر فقال واوحينا الى موسى

ان اسر ببني اسرائيل ليلا وسماهم عباده لايمانهم بنبيه انكم متبعون اى يتبعكم
فرعون وقومه ليردوكم ويحاربوكم ان لم تنصرفوا وكان هذا بعد سنين من امر السحرة
فارسل فرعون اى ففعل ذلك موسى وخرجوا فاخبر فرعون بذلك فارسل فرعون
في المدائن اى امصار عمله حاشرين اى شرطا يحشرون اليه الاجناد للاجناد
ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال فرعون حين تبعهم بجنوده ونظر اليهم واستقلهم
وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا قال عبد الله ابن مسعود وفرعون في الف الف
والشرذمة العصبة الباقية من عصب كثيرة وقيل الطائفة وشرذمة كل شيء
بقيته القليلة قال الراجز

جاء الشتاء وقميصي اخلاق ... شراذم يضحك منه التواق

وانهم لنا لغائظون
فعلوا ما يغيظنا ويسخطنا وهو خروجهم من مصرنا وقيل بحملهم الحلي التي
استعاروها منا للعيد ه وانا لجميع حاذرون قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف
وابن عامر بالالف وقرأ الباقون حذرون بغير الف ومعنى وانا مجتمعون متفقو
الآراء قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وقال ام يقولون نحن جميع منتصر
حاذرون ياتوا السلاح وحذرون متيقظون متاهبون في قوم موسى لا سلاح
معهم ولم يتاهبوا للمقاومة منا شجع بذلك قومه وقال العبد حذرون على الموت
بالحرب ه فاخرجناهم من جنات وعيون اى فاخرجناهم من مصر فلم يرجعوا اليها
من جنات بساتين وعيون كثيرة المياه وكنوز من ذهب وفضة ومقام كريم

ومقام كريم قيل هو جمع مقامه وهي مقامات كانت تقوم بها اشرافهم ورؤساؤهم
في المحافل التي يجتمعون فيها الجلائل الامور كما كانت العرب تفتخر بذلك وقيل هي
منابر كانوا يذكرون عليها ملكهم فرعون ويثنون عليه وكان يكرمهم عليها ويعظمهم
وقال ابن عباس كان بمصر الف منبر يثنون عليها على فرعون وقيل في الدور الواسعة
وقيل هو المسكن الحسن الشريف ه كذلك اى كذلك كان الامر ه اخرجناهم عنها ولم
نعدهم اليها ه واورثناها بني اسرائيل اى وملكناها بعدهم قوم موسى قيل رجع بنو اسرائيل
الى ارض مصر فسكنوها وقيل ملكوها فنقلوا اما فيها وذهبوا بها الى الشام وسكنوا
الشام وقيل ملكوا بعد ذلك بلاد مصر وكنوزهم وهلاك فرعون بعد ذلك بزمان
في عصر داود وغيره ه فاتبعوهم اى فلحقوهم اى لحق فرعون وقومه قوم موسى وقيل
تبعه اى قفا اثره واتبعه اى لحقه مشرقين اى حال شروق الشمس وهو طلوعها
وقد روينا ان قوم فرعون استغلوا لمعرفة من كان فيهم من ابكارهم الى ان انبسطت
الشمس ومشرقين في الظاهر حال قوم فرعون وقيل هو حال قوم موسى وقيل في
معناه كان قوم فرعون في الضباب والظلمة وقوم موسى في ضياء الشمس فلحقوهم
فوجدوهم في ضياء الشمس ه فلما تراءى الجمعان اى تلاقيا فصار كل جمع يرى الجمع الآخر
قال اصحاب موسى انا لمدركون اى قرب قوم فرعون منا وحسبت يدركوننا خافوا ذلك
قال كلا اى قال موسى ليس كذلك نفي ادراكهم اياهم وجه حجتنا على نفاة رؤية الله
تعالى الذين يتعلقون بقوله لا تدركه الابصار ويتاولونه لا تراه فانه نفى الادراك

مع اثبات الرؤية بقوله فلما تراءى الجمعان فعلم انه ليس فيه بل الادراك هو الاحاطة
بجوانب الشيء وهم خافوا ذلك وموسى نفى ذلك وهو المنفي في قوله لا تدركه الابصار
دون الرؤية ان معي ربي اي ناصري على عدوي سيهدين اي سيعرفني الطريق الذي
في سلوكه نجاتي ونجاة من معي فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر هو بحر
القلزم فانفلق وههنا حذف اي فضرب فانفلق اي فانشق فصارت فيه طرق فكان كل
فرق من الماء كالطود كالجبل العظيم والفرق بالفتح مصدر قال تعالى واذ
فرقنا بكم البحر والفرق بالكسر الاسم كالقشر والقشر والقطف والقطف
اي ارتفع ما كان في كل طريق في الهواء فصار كالجبل وكانوا اثني عشر سبطا فصار اثني
عشر فرقا فسلك كل سبط فرقا فجاوزوه حتى اجتازوه وازلفنا اي قربنا
ثم اي هناك من البحر الاخرين اي قوم فرعون قد خلوه على ان يسلكوا فيه كما
سلك موسى وقومه فاطبق عليهم البحر وصار الافراق كلها شيئا واحدا
قال ابن عباس وقتاده وازلفنا اي قربنا قال تعالى وازلفت الجنة وقال ابو عبيده
اي جمعنا والمزدلفة مجمع وقال الحسن ازلفنا اي اهلكنا اي قربناهم الى الهلاك
وانجينا موسى ومن معه اي قومه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين قوم فرعون بعد اخراج
قوم موسى وفيه ابطال القول بتاثير الكواكب في الاجال وغيرها من الحوادث
فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوالعهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم قد فسرنا ذلك كله مرة وقوله تعالى واتل عليهم

نبا ابراهيم كان في عصر النبي عليه السلام اهل كتاب ومشركون فحاج اهل الكتاب
بقصة نبيهم موسى وحاج المشركين بقصة ابيهم ابراهيم ولذلك جمع بين القصتين واتل
عليهم اي واقرأ عليهم خبر ابراهيم اذ قال لابيه آزر وقومه ما تعبدون اي اي شيء تعبدون
قالوا نعبد اصناما اي تماثيل ممثلة فنظل لها عاكفين اي فنقيم على عبادتها وخدمتها
طول النهار هذا لظاهر الكلمة ويجوز ان يكون عبارة عن فنكون كما تستعمل كلمة اصبح
وامسى في معنى صار وكان فقال ابراهيم منبها لهم على ضلالتهم وجهالتهم
هل يسمعونكم اي هل يجيبونكم اذ تدعون قاله قتادة اي هل يسمعون الكلام اذا دعوتموهم
وقال عكرمة هل يسمعون اصواتكم وقال ابو عبيده هل يسمعون دعاءكم وقال قطرب
هو كقولك سمعته يشتم زيدا ونظيره قوله ما سمعوا انا سمعنا مناديا سمعنا
فتى يذكرهم ويستعمل باللام ايضا سمع الله لمن حمده ولمن يقال سمع منه او ينفعونكم
او يضرون ينفعونكم يرزقونكم على عبادتهم او يضرون يعاقبونكم على ترك العبادة
وجمع هذه الافعال بالواو والنون لانها صفات من يعقل قالوا بل اي لا تسمع ولا تبصر
ولا تنفع ولا تضر ولسنا نعبدها لشيء من ذلك ولكن وجدنا اباءنا كذلك يفعلون يعبدون
هذه الاصنام فقلدناهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو
لي اي كل ما تعبد هو انتم وعبده اباؤكم الاقدمون وهم الذين ماتوا في سالف الدهر والاقدم قدم
تفضيل القدم وهم الاجداد واباء الاجداد فاني اعاديهم اي اجتنب عبادتهم و
تعظيمهم الا رب العالمين فاني اعبده واعظمه ولا اعبد غيره ولا اعظم سواه

وذكر الاقدمين على معنى انه تقليد الاباحة وان كانوا اقدمونا ذكر اباكم الاقدمون
والعدو اسم للمعادي والمعادي جميعا ونظيره قوله فانهم عدو لي قول اليهود
لجبريل هو عدونا من الملائكة وقول الله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وقال تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وهو على المعادي والمعادي جميعا وقيل
معناه افعل بهم من الاستخفاف ما لو كانوا احياء عقلاء لعادوني وقيل اي لو عبدتهم
لكانوا اعدائي يوم القيامة كما قال واتخذوا من دون الله الهة الى قوله ويكونون عليهم
ضدا اي يتبرؤون من عبدتهم ويضللونهم وقال الضحاك الا رب العالمين اي اني
بريء من الالهة التي تعبدون كلها الا رب العالمين فاني لا اتبرأ منه وقيل هو استثناء
منقطع بمعنى لكن وقيل بل هو استثناء متصل وقد كان في ابائهم من يعبد الله فاستثنى
ذلك وقيل كان هؤلاء يعبدون الله ويعبدون الاصنام على الشركة فتبرأ من كل ما يعبدونه
واستثنى رب العالمين مما يعبدونه فصح الاستثناء وقيل انهم لم يعبدوا الله العبادة
المعروفة فقد قالوا انه خالقهم ورازقهم فكانوا مقرين بالعبودية من هذا الوجه
ولما كانت اثار العبودية عليهم ظاهرة فاستثنى من هذا الوجه الذي خلقني
اوجدني ولم اك شيئا فهو يهدين اي يرشدني ويوفقني لصواب القول والعمل والذي هو
يطعمني ويسقين اي يرزقني ما اتغذى به واقيم به بدني مدة حياتي واذا مرضت
فهو يشفين اضاف المرض الى نفسه لانه في موضع عد نعم الله عليه فكان الادب في
ان لا يضيف المكروه الى المنعم وقوله تعالى فهو يشفين ليس معناه انه يشفيني لا محالة

لكن معناه اذا مرضت ثم شفيت فالله هو الذي شفاني دون غيره من الالهة التي
تعبدونها انتم والذي يميتني ثم يحيين اي هو مالك اماتتي واحيائي بعد موتي والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين تلطف في سؤال المغفرة واحسن في الثناء على الله
ونبه المشركين على ضلالتهم في عبادة الاصنام وقال معبودي هو الذي ان اخطأت
كان هو الذي ارجو منه المغفرة لسعة رحمته فلا حاجة بي الى عبادة شيء من دونه
ارجو ان يشفع لي عنده يوم الدين اي يوم الحساب والجزاء ومنهم من حمل الخطيئة على
كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا هذه اختي ولم تكن هذه الكلمات خطيئات
وهي معاريض جائزة لكن معناه ما ذكرناه انه ليس لتحقيق الخطيئة لكن لرجاء المغفرة
منه لو وقع في الخطيئة ثم ما يقع من الانبياء مما يعاتبون عليه فهو زلة وليس بذنب
ولا معصية وقد عرف ذلك في موضعه وقوله تعالى رب هب لي حكما اي دوام
العلم والفهم فقد كان اعطاه الحكم وهو العلم والفهم فكان هذا سؤال الادامة
كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم وقيل هذا سؤال صواب الحكم الذي يحكم به وقبول
ذلك في قلوب الخلق والحقني بالصالحين اي الانبياء اي توفني على ما توفيتهم واجعل
لي لسان صدق في الاخرين اي وابق لي الثناء الحسن على السنة عباده الى اخر
الدهر ففعل الله ذلك فكل اهل الاديان يتولونه وينتسبون اليه وقيل معناه اي
اجعل في اخر الزمان من ذريتي من يقول بالحق ويقوم بالدين ويدعو الناس اليه وذلك
راجع الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى وجعلها كلمة باقية في
عقبه

وقوله واجعلني من ورثة جنة النعيم اي من الباقين فيها وقوله واغفر
لابي اي اجعله اهل المغفرة باعطا الاسلام انه كان من الضالين للجاهلين رجا اسلامه
وسال الله تعالى ان يعطيه ذلك وكان وعده من نفسه ذلك قال الله تعالى وما
كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الايه وقوله ولا تخزني يوم
يبعثون اي ولا تخجلني بتقصيري يوم القيامة وقيل لا تطالبني بصدق الخلة
واستجاب الله دعواته فقال اولئك الذين اتيناهم الحكم والنبوة وقال وانه
في الاخرة لمن الصالحين وقال وجعلنا لهم لسان صدق وقال ان الارض يرثها
عبادي الصالحون وقال يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه وقوله تعالى
يوم لا ينفع مال ولا بنون كما ينفع في الدنيا الا من اتى الله بقلب سليم استثنا
منقطع بمعنى لكن يعني لكن من اتى بذلك ينفعه بقلب سليم اي سالم عن الشرك
والنفاق والسليم المخلص والميت الكافر والمريض المنافق تشبيها بسلامة
البدن ومرضه وموته وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القلب
السليم المتبري من بغض اهل بيتي واصحابي وازواجي وقال الحسين ابن الفضل بقلب
سليم من افة المال والبنين وقال جنيد السليم في اللغة اللديغ وهو لا يستقر
فالقلب السليم الذي اقلقه الحب فلا يستقر وقال الاستاذ ابو القاسم بن حبيب
القلب السليم الذي سلم من ذكر غير الله وسلم لامر الله واسلم نفسه الى الله
وسالم ربه اي رضي بقضا الله واستسلم اي انقاد لحكم الله وقال مقاتل بن سليمان

سليم خالص من حب الدنيا وقيل هو السالم عن الهوى والبدعة وقيل هو السالم من
الذنب والزلة وقيل هو السالم من الحسد والخيانة وقيل هو الذي لا همة فيه الا الله
وقيل هو الذي لا يشك في الله ولا في الدين ولا في الرزق ولا في الوعد وقال ابو سليمان
الداراني هو الخالي عما سوى الله وقال الشيخ ابو القاسم الحكيم هو الذي لا يوذي
الخلق ولا يتاذى منهم ولا يتوقع المكافاة على احسانه اليهم وقيل السليم الذي لا تزيل
تغير الاحوال بغيته ولا يقطع جفا الخلق شفقته وقال القشيري ان ابراهيم
الخليل عليه السلام حقق مقام الخلة بان قال فانهم عدو لي جمع اباهم واخرجهم في اسم
واحد يطلق غالبا على الفرد تقليلا لهم ثم اعرض عن ذكرهم واشتغل بذكر الله
فقال الا رب العالمين ثم لما اخذ في وصفه كاد لا يسكت ومن امارة المحبة كثرة
ذكر المحبوب والاعراض عن ذكر غيره وقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين من صفات
قوله يوم يبعثون اي قربت لهم ليدخلوها وبرزت الجحيم اي اظهرت للغاوين اي للضالين
وقيل للخائبين من رحمة الله تظهر لهم قبل ان يدخلوها تعجيلا لافزاعهم والجائهم
كما قربت الجنة للمتقين تعجيلا لافراحهم وابتهاجهم وقيل لهم اي للغاوين اين ما كنتم
تعبدون من دون الله وهذا تعيير وتوبيخ هل ينصرونكم او ينتصرون اي هل يمنعونكم
عن العذاب وهل يمنعون بانفسهم وهو استفهام بمعنى النفي اي يدخلون النار معكم
تشديدا للعذاب عليهم فكبكبوا اي كبوا والقوا على رؤوسهم فيها اي في الجحيم هم اي المعبودون
والغاوون اي عابدوهم الضالون وجنود ابليس اجمعون اي اعوانه كلهم سوى هو

وقيل الغاوون الشياطين وجنود ابليس اتباعه من الانس وقيل جنود ابليس الذين
عصوا الله ودعوا الى معصيته قالوا وهم فيها يختصمون اى الاتباع والمتبوعون وهو
كقوله واذ يتحاجون في النار تالله ان كنا لفي ضلال مبين اى ما كان عبدة الاصنام والله
ما كنا الا في غواية ظاهرة اذ نسويكم ايها الاصنام برب العالمين في العبادة واعتقاد
الربوبية وما اضلنا الا المجرمون الذين دعونا الى ذلك فما لنا من شافعين من
الاباعد ولا صديق حميم من الاقارب يخلصنا فلو ان لنا كرة فيا ليت لنا رجعة
الى الدنيا فنكون من المؤمنين بالله ورسوله ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم قد فسرناه وقوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين
اى كذبت جماعة قوم نوح فلذلك انث وقوله المرسلين اى نوحا في الرسالة والدعا
الى توحيد الله وطاعته والى ذلك دعا من قبله من الرسل ومن بعده فكان تكذيبه
في ذلك تكذيبا للكل اذ قال لهم اى كذبوا اذ قال لهم اخوهم اى نسيبهم نوح الا
تتقون الله فتتركوا عبادة الاصنام استفهام بمعنى الامر انى لكم رسول امين اى
امين عليكم غير خاين لكم وقيل امين الله على وحيه فاتقوا الله واطيعون فيما امرتكم
به وما اسألكم عليه من اجر اى جزاء منكم على تبليغ الوحي ان اجري اى ثوابي
الا على رب العالمين اى من رب العالمين بوعده فاتقوا الله واطيعون كرر لتكرار
الداعي الاول فاتقوا الله واطيعون لاني رسول امين والثاني فاتقوا الله واطيعون
لاني لا اسألكم عليه من اجر وكل واحد منهما يقوي الصدق ويدعو الى التصديق

قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال مقاتل هي السفلة وقال عكرمة الحاكة
والاساكفة وقيل الحجامون وقيل ناقصوا العقل اى انصدقك فيما تدعونا اليه
وننقاد لك وانما اتبعك الاخساء منا والفقراء والضعفاء فنكون امثالهم اذا
امنا بك بل يكون لهم الفضل علينا ومما ينفر منه النفوس توهم الجهلة ان
اتباع هولاء الضعفاء مما يضعف امره ولم يعلموا ان الفضل لمن فضله الله في الدين
لا لمن له المال والرفعة في الدنيا قال وما علمي بما كانوا يعملون قيل وما حاجتي الى علم
ما كان هولاء يعملونه من الاعمال التي استرذلتموهم ان حسابهم اى ما حسابهم
الا على ربي لو تشعرون لو تعلمون انه كذلك وقيل قالوا انما اتبعوك ليكون ذلك
شرفا لهم ورفعة او اتبعوك طمعا في مال ينالونه منك لا تصديقا لك وايمانا بربك
وباطنهم بخلاف ظاهرهم فقال وما علمي بما يعملون في الباطن وكانوا زايدة كما في قوله كيف
نكلم من كان في المهد صبيا ان حسابهم الا على ربي وهو يجازيهم على حقيقة امرهم
وانما علي البنا على الظاهر وهم في الظاهر مؤمنون مصدقون وما انا بطارد
المؤمنين عن نفسي ان انا الا نذير مبين فاذا قبلوا ما انذرتهم لم يكن لي ان اطردهم
قالوا لئن لم تنته يا نوح اى عن ادعا الرسالة وعن سب الهتنا لتكونن من المرجومين
قيل اى من المشتومين وقيل اى من المقتولين بالحجارة او غيره بشتمهم او رجمهم
قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا اى فاقض بيني وبينهم قضاء اى
اهلكهم ونجني ومن معي من المؤمنين اى هو حكمك فاحكم بهذا الحكم الحق وهو استنجاز
الموعود

زيادة وعده هو الشتم

فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون اي السفينه المملوه وقال مجاهد المفروغ
منه تحميلا وقال الحسن الموقر وقال عطا المثقل وقال الرهبان انس اي المملو
والفلك يذكر ويونث ثم اغرقنا بعد اي بعد انجاينا نوحا والمومنين الباقين من
قومه بالطوفان ان في ذلك لايه وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قد فسرناه وقوله تعالى كذبت عاد المرسلين اي هودا ومن قبله ومن بعده من
الرسل اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اي الله اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قد فسرناه اتبنون
بكل ريع قال قتاده بكل طريق وقيل بكل سوق وقيل بكل مكان مرتفع ايه اي
علامه وقيل هي البنا العالي وقال مجاهد اي برج حمام تعبثون قال ابن عباس
تلعبون وتتخذون مصانع قال مجاهد اي حصونا مشيده وقال قتاده حياضا
والمصنعه الحوض والمصنعه البنا وقيل معناه اتجعلون بكل موضع عالي
مشرف علامة تبنونها لا تحتاجون اليها لسكناكم انما تريدون به المرايات
والمباهاة وذلك عبث وقيل كانوا يبنون بالطرق والمواضع المشرفه بروج
الحمام ليلعبوا بها فذلك عبثهم وقيل كانوا يجتمعون في ذلك للهو واللعب لعلكم
تخلدون اي تتخذون دورا او قصورا اتخاذ من يومل الخلود في الدنيا فتحكمونه
وتبرمونه وتحسنونه وتتقنونه واذا بطشتم اي اخذتم احدا لعقوبه بطشتم جبارين
قهارين بالسيف والسوط فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم اي

اي تابع عليكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف
عليكم ان دمتم على هذا عذاب يوم عظيم في الدنيا وهو يوم اهلاككم وفي عذاب
النار يوم القيامه وهو يوم عظيم قالوا سوا علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
فلسنا نصغي اليك ولا نقبل منك شيا ملون في النار بمثله فقال لهم فاصبروا
او لا تصبروا سوا عليكم وهم يقولون اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ان هذا الا
خلق الاولين قرا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وابو جعفر والكسائي بفتح الخا
اي اختلاق الاولين اي كذبهم قاله ابن مسعود وقيل هو من الخلق الذي هو التخليق
وهو معنى قول قتاده اي هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا ويموتون ولا بعث عليهم
ولا حساب وقرا الباقون بضم الخا ومعناه عادة الاولين اي اتخاذ البنيان
والبطش ونحو ذلك نفعله كما فعله الاولون وما نحن بمعذبين في الدنيا ولا بعد
البعث ولا بعث فكذبوه اي هودا فاهلكناهم اي بريح صرصر عاتيه سخرت
عليهم سبع ليال وثمانيه ايام ان في ذلك لايه وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم مر تفسيرها وقوله تعالى كذبت ثمود المرسلين اي صالحا
وسائر الانبيا اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قد فسرناه اتتركون
فيما ها هنا امنين اي اتظنون انكم تبقون في الدنيا في دياركم هذه امنين لا تخافون
عذابا ولا موتا في جنات وعيون في بساتين نزهة وعيون جاريه وزروع اي

وزروع ونخل طلعها هضيم قال ابن عباس اي نضيج قد اينع وبلغ وقال الضحاك
اي قد ضمر بركوب بعضه بعضا من قولهم هضيم الكشح اي لطيفه وعن الضحاك ايضا
في روايه هو الذي تكثر حمل الثمر حتى يهضم بعضه بعضا اي يتكسر وينقص وقال
مجاهد هضيم اي متهشم متفتت اذا مس وقال عكرمه اي لين رطب وقال
في ديوان الادب يقال للطلع هضيم ما لم يخرج من كفراه وتنحتون من
الجبال بيوتا فارهين قرا ابن عامر وعاصم غير ابي بكر وحمزه والكسائي وخلف
فارهين بالالف والباقون فرهين والفره والفارهه الناقد في الصنعه الحاذق
في الامر وعن ابن عباس هكذا قال فارهين حاذقين وفي روايه عنه اشرين بطرين
وقال الضحاك كيسين وقال ابن زيد فرهين قويين وقيل مرحين وقيل فرحين
وقد فرح وفره كما يقال مدح ومده اي فلا تظنوا ذلك فانكم لم تخلقوا للبقا
بل للابتلا والحساب في دار الجزا فاتقوا الله ان تعرضوا عن هذه النبيه و
اطيعون فيما ادعوكم اليه ولا تطيعوا امر المسرفين الذين اسرفوا على انفسهم في تمردهم
على الله وهم تسعه رهط الذين يفسدون في الارض بالكفر والظلم ولا يصلحون
بالايمان والعدل قالوا انما انت من المسحرين اي المسحورين سحرت فسد عقلك
فلا تدري ما تقول هذا قول مجاهد وقتاده وقيل من المسحرين اي المخلوقين قاله
ابن عباس وهو الذي له السحر بالفتح اي الرية وقيل اي المعللين بالطعام والشراب
قال لبيد فان تسالونا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر

وقال الفرا المسحر المجوف ما انت الا بشر مثلنا فات باية اي بعلامة على صدق
دعواك الرساله وعلى انك داعي الى الحق ان كنت من الصادقين فيما ادعى قال هذه
ناقة اخرجها الله لا من ناقة وهي ايه عظيمه لها شرب اي حظ من الما فلا تزاحموها
فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم هي فيه ولا تمسوها بسو فيقتل فياخذكم عذاب
يوم عظيم يوم نزول الهلاك بكم فعقروها اي فعرقبوها وقد عرقبها قدار
على ما ذكرنا القصه في سوره الاعراف وهم مجمعون له راضين به فاضيف اليهم
فاصبحوا نادمين اي فصاروا نادمين على عقرها وقيل على فوت ولدها لم يقتلوه
فاخذهم العذاب اي الصيحه بعد ما تمتعوا ثلاثة ايام ان في ذلك لايه وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم مر تفسيرها وقوله تعالى كذبت قوم
لوط اي جاعتهم المرسلين لوطا وساير الانبياء اذ قال لهم اخوهم اي نسيبهم لوط الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين مر تفسيرها اتاتون الذكران من العالمين استفهام بمعنى النفي بتوبيخ
اي اتواقعون الذكران من الناس وهي كنايه عن الفاحشه وتذرون اي تتركون ما
خلق لكم ربكم من ازواجكم اي زوجاتكم جمع زوج وهي الزوجه وهذا يحتمل وجهين احدهما
وتتركون النسا التي خلقن للتزوج فلا تتزوجوهن والثاني وتتركون زوجاتكم اللاتي
قد عقدتم عليهن فتاتون غيرهن ويحتمل وجها ثالثا وتتركون القبل من زوجاتكم الى
ادبار الرجال والنساء بل انتم قوم عادون اي ليس بكم قضاء وطر التلذذ فذلك حاصل بالنسا

بل انتم مجاوزون حدود الله متعدون امره قالوا لئن لم تنته يا لوط اي لئن لم تمتنع
عن هذا القول لتكونن من المخرجين اي لننفينك من ارضنا كما قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم ه قال اني لعملكم اي لاتيانكم الذكور وساير المعاصي من القالين اي المبغضين
وقد قلاه يقليه اي ابغضه وبين الكلمتين تجنيس وهو من انواع الكلام النفيس
رب نجني واهلي مما يعملون اي من عقاب ما يعملون ه وقيل اي نجني واهلي من ان اكون
على دينهم وعملهم اي اعصمني عن ذلك وقيل لما قالوا لتكونن من المخرجين اظهر انه لا يسوءه
مفارقتهم فقال اني لعملكم من القالين فلا اكره مفارقتكم ولا ارضى مجاورتكم ثم قال
رب نجني واهلي مما يعملون اي اخرجنا من جملتهم ونجنا من مجاورة من يعمل المعاصي فنجيناه
واهله اجمعين اجابة لدعوته واخرجناهم من جملتهم الا عجوزا وهي امراته في الغابرين
اي في الباقين في العذاب ولم تنج منه ه ثم دمرنا الآخرين اي بعد اخراجهم اهلكنا من
سوى لوط ومن نجا من اهله وعياله واولاده واهل بيته فجعلنا قريتهم عاليها سافلها
لمن فيها ه وامطرنا عليهم مطرا حجارة من سجيل ه فساء مطر المنذرين اي فبئس
المطر الذي اصاب المخوفين بالعذاب ان اصروا على كفرهم قال تعالى ولقد انذرهم
بطشتنا ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقوله تعالى
كذب اصحاب الايكة المرسلين اي سكان الغيضة وهم اهل مدين قاله ابن عباس وقال
الخليل الايكة غيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من الشجر وقيل بعث شعيب
الى قوم هم اصحاب بادية واصحاب قرى فاصحاب البادية هم اصحاب الايكة واهل مدين

هم اهل القرية وقيل اهل مدين هم قومه وعشيرته ولذلك قال اخاهم شعيبا
في الآية التي ذكر اصحاب مدين واهل الايكة غير قومه وعشيرته ولذلك لم يقل في
هذه الآية اذ قال لهم اخوهم بل قال اذ قال لهم شعيب وقد بعث الى كل واحد
منهما على الانفراد احدهما بعد الاخر وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا ندري
ذلك اذ قال لهم شعيب ه الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين بين ان جميع الانبياء كانوا على
طريق واحد في الدعوة الى الله وطاعته ومعاملة الخلق ه اوفوا الكيل ولا تكونوا
من المخسرين اي اتموا الكيل في قضاء حقوق الناس ولا تنقصوهم حقوقهم ه وزنوا
بالقسطاس المستقيم قال الحسن اي القبان وقيل الميزان وقال ابو عبيدة
اي بالعدل والسواء ه ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا ه ولا تعثوا في
الارض اي لا تبالغوا فيها في الافساد وهو الكفر والظلم واتقوا الذي خلقكم
والجبلة الاولين اي الخليقة الماضين واذا كان هو خالق انفسكم واعمالكم كان
عالما بكم قادرا عليكم فيجازيكم على وفق عملكم وقيل معناه ان الذي خلقكم
هو الذي خلق الاولين فقد رايتم عقوبته الاولين حين عصوا رسله وظلموا
عباده فاتقوه فانه خالقكم وقادر عليكم ايضا قالوا انما انت من المسحرين قد
سحرناه ه وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين اي وما نظنك الا
من الكاذبين في دعوى الرسالة ه فاسقط علينا كسفا جمع كسفة اي

قطعة قاله ابن عباس ان كنت من الصادقين وهذا قد يكون على معنى ان يفتح لهم
باباً من السماء فينظروا اليه كما كانوا يشاؤن ان يروا الله جهرة وهو كما قال ولو
فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا وما اشبهه
ويحتمل ان يكون على معنى التماس العذاب اظهاراً منهم للاستبصار في كذب الرسول
كما قال خبراً عن النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء اي نعلم الله ليس كذلك قال ربي اعلم بما تعملون من الشرك والمعاصي فهو
مجازيكم ٥ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة وهو العذاب الذي اهلكهم الله به
من ظلة اقامها فوق رؤسهم فالهبها عليهم فماتوا من حرها وقد اصابهم الحر
حتى اقلقهم واخرجهم من بيوتهم ورفعت لهم سحابة فانطلقوا اليها فلما استظلوا
بها ارسلت عليهم ولم تفلت منهم احد ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم وقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين اي ان القران
منزل رب العالمين وقد تقدم ذكره في اول السورة طسم تلك آيات الكتاب المبين
ما ياتيهم من ذكر والسورة كلها في معنى واحد فانه ذكر القران وتكذيب المشركين
الرسول عليه السلام فيه ووصل به تكذيب سائر الامم رسلهم ثم عاد الى ذكر القران
فقال وانه لتنزيل رب العالمين وهذا مصدر بمعنى المفعول كقولهم هذا الدرهم
ضرب الامير يقول وهو معنى اول السورة واخرها على التقدير وان هذا القران الذي
تتلوه على هؤلاء المشركين فيستهزؤن به ويعرضون عنه هو منزل رب العالمين

وما كان منه فحقيق بالاصغاء اليه والتدبر فيه ليس هو مما تقولته علينا ولا مما سولت
له الشياطين ولا هو شعر بل نزل به من عند الله جبريل وهو قوله نزل به الروح الامين
قرا ابن كثير ونافع وابو جعفر وابو عمرو وعاصم في رواية حفص وابي زيد عن المفضل بالتخفيف
الروح بالرفع على ان الفعل لجبريل يعني نزل جبريل ومعه القران او هو بالقران لان
الباء تستعمل للتعدية فيقال ذهب به اي اذهبه وتستعمل للقران يقال دخل بسيفه
وقرا الباقون بالتشديد الروح بالنصب اي نزل الله جبريل مع القران والروح
جبريل سمي به لما يجري على يده من الوحي الذي فيه حيوة من موت الجهالة والامين صفته
لانه امين الله على وحيه علم الله منه انه لا يغيره ولا يبدله وقوله على قلبك اي
لقنك حتى تلقنته وحفظته بقلبك فصار بقلبك وعاه فكانه نزل على قلبك ٥
وقوله تعالى لتكون من المنذرين اي لتنذر الناس به فتكون من المرسلين الذين كان
الانذار صفتهم بلسان عربي مبين اي بلغة العرب وهو مبين ما يراد به او هو حجة
ومبين للناس ما يحتاجون اليه من امور دينهم ودنياهم وانه لفي زبر الاولين اي لفي كتب
المرسلين الماضين المنزلة صلوات الله عليهم كما قال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم
وموسى اي معناه فيهما ودلت الاية على صحة قول ابي حنيفة ان القران لا يتبدل بتبدل اللسان
وان قراءة القران بالفارسية في الصلوة جائزة وان الله تعالى جعل ما في الصحف في زبر
الاولين قراناً وكان ذلك بمعناه لا بنظمه بالعربية وقوله تعالى اولم يكن لهم آية ان
يعلمه علماء بني اسرائيل وقراءة العامة اولم يكن لهم بالتذكير آية بالنصب على انه خبر كان

واسمها ان يعلمه لان ان مع الفعل مصدر وتقديره اولم يكن لهم علماء بني اسرائيل اية وقرا
ابن عامر اولم تكن لهم اية بالتاء اية بالرفع على انه اسم كان وعلى هذا ان يعلمه يجوز ان يكون
خبرا لكان ويجوز رفعا ترجمة لقوله اية ومعناه اولم يكن لهم في ان هذا القران من عند الله
ان يشهد بذلك علماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وسلمان ونحوهما وكانوا يرجعون في كثير
من الامور الدينية الى علماء اهل الكتاب فكان ذلك لازما وقيل ان قوله وانه لفي زبر الاولين
وقوله ان يعلمه علماء بني اسرائيل راجع الى بيان النبي عليه السلام في الكتب وقوله تعالى
ولو نزلناه اي القران على بعض الاعجمين والاعجم الذي لا يفصح عربيا كان او غيره وقيل هو
الذي في لسانه من العربية والعجم غير العرب نسبة وولادة والعجمي منسوب
الى العجم وهو الولادة والاعجمي منسوب الى انه من الاعجمين الذين لا يفصحون يقول
ولو نزلنا القران على بعض الاعاجم الذين لا يفصحون الكلام بلسان العربية وحملنا
القران بلسان ذلك الاعجم فقراه عليهم اي على العرب ما كانوا به مومنين لانهم لا يعرفون
وقيل معناه ولو نزلناه على رجل من العجم يحسن لسان العرب بالعربية لكانت العرب
لا يومن به ولا تتبعه لانفتهم من اتباع العجم اي فلم نجعله كذلك بل جعلناه من انفسهم
والقران بلسانهم ليفهموه ليكونوا اليه اسكن وبه اوثق ومع ذلك يعرضون عنه
فدل على عنادهم وقوله تعالى كذلك سلكناه اي ادخلنا الكفر وهو مدلول قوله
ما كانوا به مومنين في قلوب المجرمين اي المشركين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاقامة
عليه وهو حجتنا على المعتزلة في مسالة خلق افعال العباد خيرها وشرها وهو كقوله

ختم الله على قلوبهم طبع الله عليها بكفرهم ام على قلوب اقفالها فاصمهم واعمى ابصارهم
ونظايرها لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم اي الهلاك المستاصل الذي ينزل
بهم في الدنيا ويكون ذلك اوان ياس فلا ينفعهم وقيل هو عذاب يوم القيامة ويسالون الرجعة
حينئذ ويندمون ولا ينفعهم وقيل هو قيام الساعة ودليله ما بعده فياتيهم بغتة
اي فجاة وهو الساعة وهم لا يشعرون اي لا يعلمون فيقولوا هل نحن منظرون بنصب
فيقولوا وحذف النون منه عطفا على قوله حتى يروا فياتيهم اي يسالون الرجعة فلا
يجابون اليها افبعذابنا يستعجلون توبيخ لهم وانكار عليهم قولهم امطر علينا حجارة من
السما لن نومن لك حتى تسقط علينا كسفا من السما ونحو ذلك كيف سفههم في هذا
الاستعجال فقال افرايت ان متعناهم سنين وقيل هي سنو امده الدنيا وقيل هي سنو
مدة عمر كل واحد منهم ثم جاهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
معناه ان عمر الانسان في الدنيا انما يكون سنين وان تفاوتت فانما هي سنون معدودة فما
معنى الفرح بذلك وهو منقض عن قريب ثم وراه عذاب غير منقطع وما اهلكنا من
قرية الا لها منذرون ذكرى اي رسل مخوفون بعذابنا ان لم يومنوا ذكرى اي تذكرة وعظا
وما كنا ظالمين معذبين بغير ذنب وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وقد شرحنا تلك الاية في موضعها على الوجه وما تنزلت به الشياطين اي بالقران
كما يقول هولا انك كاهن والكاهن يلقي عليه الشيطان بل هو تنزيل رب العالمين
وما ينبغي لهم اي للشياطين ان ينزلوا به اي لم يجعلهم الله بهذا المحل فانهم انجاس

وانا جعل ذلك للملايكة الطهرة الكرام البررة وما يستطيعون اي الشياطين
انهم عن السمع لمعزولون اي ان الشياطين قد عزلوا عن الامكنة التي كانوا يستمعون
فيها من الملايكة اخبار السما ورجمهم بالكواكب قال تعالى خبرا عن الجن وانا كنا
نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا ٥ فلا تدع مع الله
الها اخر فتكون من المعذبين اي فينزل بك من العذاب ما نزل بهولا الذين قصصنا خبرهم
وانذر عشيرتك الاقربين اي ابدا بانذار رهطك الادنين ان لم يومنوا بك فتحسم
اطماعهم واطماع الابعدين في تركهم وقيامهم عليه وان هم اجابوك كانوا عدة لك
على غيرهم فكان اقوى لامرك واهيب لاعدايك فامتثل به قال ابو هريره لما
انزلت عليه هذه الاية دعا قريشا فعم وخص فقال يا معشر قريش انقذوا
انفسكم من النار يا معشر بني كعب يا معشر بني عبد مناف يا معشر بني هاشم يا معشر
بني عبد المطلب يقول لكل معشر انقذوا انفسكم من النار يا فاطمه بنت محمد انقذي
نفسك من النار فاني والله ما املك لكم من الله شيا وفي حديث عروه بن الزبير
يا صفيه عمة رسول الله يا فاطمه بنت محمد يا بني عبد المطلب لا املك لكم من الله
شيا سلوني من مالي ما شيتم وعن ابي هريره ايضا يا بني عبد المطلب يا بني عبد
مناف يا بني هاشم اشتروا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيا يا عايشه بنت
ابي بكر يا حفصه بنت عمر يا فاطمه بنت محمد يا صفيه عمة محمد اشترين انفسكن
من النار فاني لا اغني عنكن شيا وقال السدي قال يا بني هاشم يا بني المطلب

اني رسول الله الى الناس عامة واليكم خاصة وقال مقاتل قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعمه ابي طالب اتخذ دعوة وادع اناسا منهم ثم دخل عليهم فدعاهم الى دينه وقال
ابن عباس لما نزلت هذه الاية صعد رسول الله عليه السلام ابا قبيس فدعا احيا العرب
وقال يا ال غالب ويا ال مره ويا ال تميم حتى اجتمعوا فقال ما تقولون في قالوا امين
صدوق قال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني رسول
الله اليكم ادعوكم عن عباده الاوثان الى عبادته فقام ابو لهب فقال الهذا دعوتنا تبا لك
فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب وقوله تعالى ٥ واخفض جناحك لمن اتبعك من
المومنين قال ابن عباس الن جانبك لهم واراد به التواضع والعطف وقال محمد بن علي
اي حسن خلقك وقوله تعالى ٥ فان عصوك اي عشيرتك او المومنون فقل اني بري
مما تعملون ولم يقل منكم اي بري من اعمالكم لا ارضى بهذا وقيل اي لست علي من اعمالكم تبعة
انتم المواخذون بها وقيل اي بري منها لا املك لكم فيها شفاعة عند الله ولا دفعا لما
يحل بكم من العقوبه وتوكل على العزيز الرحيم اي فوض امرك في منابذة عشيرتك وغيرهم
ذلك الى الله المنيع الذي لا يغالب الرحيم الذي لا يخذل اوليايه وثق به ٥ الذي
يراك حين تقوم اي ويخرجك من فراشك او من مجلسك الى الصلوه للتلاوه كلامه وقيل جانه
وتقلبك في الساجدين وحين تنقلب بين المصلين في الجماعه انه هو السميع الذي
لا يخفى عليه الاصوات العليم الذي لا يعزب عنه الطويات وهذا تاويل الحسن
وجماعه وقيل اي يراك في تصرفاتك في حالاتك ومجالستك اهل الصلوه لست تعاشر

تعاشر السحرة والكهنة والشعرا قوم على مصاحبة هولا ومحابه اولىك
وقال عكرمة في الساجدين في اصلاب الرجال وعن ابن عباس وتقلبك في الساجدين
نبي بعد نبي وقال القشيري وتوكل على العزيز الرحيم اي اسقط الينا واعتصم بنا
وتوسل بنا الينا ولذ بنا واذا قلت فقل بنا واذا صلت فصل بنا وتحقق بانك
بنا ولنا وتوكل على العزيز تجد العز فان العزيز من وثق بالعزيز الرحيم الذي تقرب
من تقرب اليه وتجزل البر لمن توسل به اليه وقوله يراك حين تقوم اقطعه
بهذا عن شهود الخلق فانه من علم انه لمشهد من الحق انقطع بالكلية عن شهود الخلق
وقوله وتقلبك في الساجدين هون عليه معاناة مشاق العبادات حين اخبر برويته
له ولا مشقة على من يعلم انه بمراى من مولاه وقيل وتقلبك في الساجدين من
اصحابك فهم نجوم وانت بدر وهم بدور وانت شمس وهم شموس وانت للشموس شمس
وقوله تعالى هل انبئكم اي هل اخبركم ايها المشركون على من تنزل الشياطين تنزل
على كل افاك اثيم عصي مرتكب للاثام وهو الكاهن اي فكيف تنزل الشياطين بالكذب
على محمد وهو يشتم الافاكين والاثمين والشياطين ويذمهم ويلعنهم ويلعن من اتبعهم
والكاهن كان كذابا لخلطه الاكاذيب بما يلقي اليه الشيطان ولدعواه علم الغيب
يلقون السمع قال الكلبي يسمعون القول اي الشياطين يلقون اسماعهم اي للاستماع
من الملائكة ثم يخلطون به كذبا كثيرا فيخبرون به الكهان وقيل يلقون ما سمعوه من
الملائكة الى الكهان فعلى الاول السمع الاذن بمعنى الجمع وعلى الثاني السمع بمعنى المسموع

واكثرهم كاذبون بخلط الاكاذيب بذلك ○ والشعرا يتبعهم الغاوون فكيف يكون
محمد شاعرا وكيف يكون ما اتى به شعرا والشعرا اهل هزل وكذب واتباعهم غواة
ومحمد صلى الله عليه صاحب جد وصدق واصحابه مهتدون بهداه ○ الم تر انهم
اي الشعرا في كل واد اي في كل طريق من الكلام يهيمون يمضون على وجوههم جائرين
عن القصد من مدح بكذب وهجا باطل واخبار على غير تثبت ○ وانهم يقولون ما
لا يفعلون يكذبون في الوعد والوعيد والمدح والذم والتفاخر بالقبايل وهذا في
شعر الجاهلية عبد الله بن الزبعرى المخزومي وهبيرة بن ابي وهب ومسافع
بن عبد مناف وعمرو بن عبد الله ابو عزة وامية بن ابي الصلت كانوا يهجون النبي عليه
السلام ويذمون الاسلام ويحرضون على الشرك وعبادة الاصنام وقال عبد الله
بن رواحة لما نزلت هذه الاية لقد خشيت ان اموت على هذا فنزل قوله الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فاستثنى شعرا اهل الاسلام وهم حسان بن ثابت وكعب بن
مالك وعبد الله بن رواحة وجماعة من الصحابة كانوا ينشدون الاشعار ○ وذكروا
الله كثيرا في شعره ○ وانتصروا من بعد ما ظلموا اي اجابوا شعرا الجاهلية الذين
هجوهم بشعر قالوه في هجايهم فهولا مستثنون من اوليك الشعرا فان اوليك هايمون
في كل وادي ذامون للدين الحق وللرسول عليه السلام وللمومنين وهولا ليسوا بهايمين
بل يذمون الدين الباطل والمشركين وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر ان شاعرين
كافرين قالا في النبي عليه السلام وفي الاسلام اشعارا واتبعهما غواة من قومهما في ذلك

فاستاذن شعراء المسلمين رسول الله في جوابهم فاذن لهم فقالوا فنزلت الاية
فيهم قال وقوله الا الذين امنوا يجوز ان يكون مستثنا من الشعراء اي هولا ليسوا المذمومين
ويحتمل ان يكون مستثنا من قوله يتبعهم الغاوون اي المومنون لا يتبعون شعر الجاهلية
وسيعلم الذين ظلموا من الشعراء وغيرهم اي منقلب ينقلبون اي في الاخرة في منقلب
الظلمة وهي النار اي يعلمون علم العيان اذ تركوا النظر في الدنيا فلم يعلموا
علم الاستدلال او علموا علم الاستدلال في الدنيا وعاندوا فيعلمون علم العيان
في الاخرة

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الهادي بايات القران وانزالها الرحمن الذي يجيب المضطر اذا دعاه
في الشدايد واهوالها الرحيم الذي جعل لمن جا بالحسنة عشر امثالها وروي ابي
بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا طس كان له من الاجر عشر حسنات
عدد من كذب موسى وصدق به وسليمان وصالح ولوط ويخرج من قبره وهو ينادي
لا اله الا الله وسورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون اية وقيل اربع وقيل خمس
والاختلاف في اثنين اولوا باس شديد بقوارير وكلماتها الف ومايه واربعون
وخمسون وحروفها اربعة الاف وستماية وخمسة وتسعون وانتظام اول هذه
السورة باخر السورة التي قبلها انهما جميعا في بيان ان القران منزل من عند الله
معجزة لرسول الله هاديا للخلق الى الله وانتظام السورتين انهما جميعا في بيان

وحدانية الله وابطال الشرك بالله وذكر قصص الدعاة الى الله قوله تعالى
طس مر في الاقاويل فيه تلك ايات القران اي هذه ايات القران وكتاب مبين وهو القران
وانما جمع بينهما لاجتماع الوصفين له فانه يقرا ويكتب والواو ليست للمغايرة بل للدلالة
على الوصفين وقيل هو للمدح كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وانما عرف الاول ونكر
الثاني لان الاول كاسم العلم له والثاني كالصفة له ويجوز في صفة العلم التعريف والتنكير
زيد رجل عاقل وزيد الرجل العاقل وقال في سورة الحجر الر تلك ايات الكتاب وقران
مبين فعرف الكتاب ونكر القران وهاهنا على قلبه لان كل واحد من الاسمين جعل
اسما له مطلقا وفيه معنى الصفة فايهما جعل اسما والاخر صفة صح هدى وبشرى
قال الفرا يجوز ان يكون نصبا على القطع ورفعا على الاستيناف على تقدير هو هدى
وبشرى للمومنين الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون خصهم
باضافة الهدى والبشرى اليهم لحصول نفع ذلك لهم على ما مر شرحه في اول سورة
البقرة واذا ايقنوا بالاخرة كانوا مشفقين من التقصير كما قال والذين يوتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وكذا اذا ايقنوا بالجنة كانوا انشط
في الطاعة واحرص عليها كما قال ويدعوننا رغبا ورهبا قوله تعالى ان الذين لا
يومنون بالاخرة ذكر الذين لا يومنون بالاخرة بعدما ذكر المومنين بها وذكر صفتهم
فقال زينا لهم اعمالهم اي الاعمال التي يعملونها بما ركبنا فيهم من الشهوات والاماني
حتى راوا ذلك حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وهو كالختم والطبع

وفيه اثبات خلق الله تعالى افعال العباد وفي قوله في اول الاية لا يومنون وفي اخرها
يعمهون اثبات الافعال وثبت بذلك صحة مذهب اهل السنة والجماعة فهم
يعمهون اي يترددون في الضلالة متحيرين اولئك الذين لهم سوء العذاب مما كان
منهم من سيئ الاعمال وسوء العذاب اشتداده وامتداده وقيل هو قتلهم يوم بدر
وهم في الاخرة هم الاخسرون تكرار كلمة هم للتحقيق والتاكيد وكذلك في الاية الاولى
وهم بالاخرة هم يوقنون والاخسرون اي الخاسرون كما في قوله الله اكبر وهو اهون
عليه انه بمعنى الكبير والهين وقيل هو على حقيقته للتفضيل ومعناه هم الاخسرون
من الخاسرين في الدنيا اي الاعظمون هلاكا والابينون خسرانا لانهم خسروا
الجنة ونعيمها ومجاورة الانبياء والاولياء واكتسبوا سوء العذاب ومجاورة
الشياطين والكفار ممن اظهر عتوا منهم وقيل قد يكون في النار خاسرون وهذه
الطبقة اخسر منهم وقال القشيري زينا لهم اعمالهم اعشيناهم فهم لا يبصرون
وعميناهم عن سواء السبيل فهم عنه يعدلون اولئك الذين في ضلالهم يعمهون وفي
حيرتهم يترددون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهو ان يجد الالم ولا يعرف
المبتلي فيتسلى بمعرفته ويخف عنه البلاء لمشاهدته وهو للكفار وكذلك واما المو
فيخفف عنهم العذاب في الاخرة حسن رجائهم بالله ثم تضرعهم الى الله ثم فضل الله
معهم بالتخفيف ثم تغيبه اياهم عن الاحساس به حالة التعذيب وقوله تعالى
وانك لتلقى القران اي يلقنه وتعلمه من لدن حكيم اي من عند الله الذي هو مصيب
في افعاله

في خسارا

واقواله عليم بكل شيء واحواله وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله اي واذكر اذ
قال موسى لاهله لزوجته وولده ومن كان معه في سفره اذ خرج من مدين يقصد
الشام اني انست نارا اي ابصرت امكثوا اي امكثوا ههنا وانا اذهب اليها ساتيكم
منها بخبر اي بدلالة على الطريق كما قال او اجد على النار هدى وكان ضل الطريق مع
وجود البرد او اتيكم بشهاب قبس قرا عاصم وحمزة والكسائي وخلف ورويس عن
يعقوب بشهاب منونا غير مضاف والشهاب الشعلة والقبس ما قبس من نار
كبيرة على طرف خشبة والتنوين على ان الثاني بدل ويرجح على الاول وترك التنوين
على الاضافة وهو قد يكون اضافة الشيء الى نفسه كحبل الوريد وحب الحصيد وقد
يكون على ان الشهاب اللهب والقبس النار التي في الخشب فكان اضافة الشيء
الى غيره لعلكم تصطلون اي تستدفئون بالنار من البرد الذي اصابكم فلما جاءها اي
النار نودي ان بورك من في النار قال الفراء والكسائي تقول العرب باركك الله وبارك
فيك وبارك لك وبارك عليك قال الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشيا ... وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب

نودي اي جاءه النداء وهو الكلام المسموع والمنادي هو الله كما قال وناديناه من جانب
الطور الايمن ان بورك من في النار اي نودي بهذا الكلام بورك من في النار الملائكة
الذين احضرهم الله ذلك المكان اكراما لموسى كالملك منا اذا اراد اكرام رجل من اوليائه
او رسله في وحشة جليل الخطر اشهد ذلك الموضع خواصه وعظم حشمه ومن

ومن حولها الملائكة ايضا بارك الله عليهم اى تابع لهم الخيرات ليعلم انه هيئ في
ذلك المقام لامر عظيم احضره المقربين من الملائكة وكانه قال بركات الله على
من في النار ومن حولها على وجه الدعا وحقيقته راجعة الى الاخبار من الله تعالى
بفعله البركات بهم ولم يكن للنار تاثير فيهم كما في حرقه جهنم على ان هذه لم يكن لها
احراق ولذلك كانت تضطرم في الشجرة الخضرا وقيل دخل موسى في هذه البركة
معهم ايضا لانه كان ممن حولها وقيل يجوز ان يكون اراد بمن في النار من دنا منها وان
لم يكن فيها كما يقال وردنا البلد وصرنا في البلد اى قربنا منها ومن الملائكة ايضا
الذين يقربون بها حولها وقيل من في النار اى في طلب النار وهو موسى ومن حولها
الملائكة وقيل يجوز ان يكون من في معنى ما كما في قوله ومنهم من يمشي على بطنه ومعناه
بورك ما في النار وما حولها من امر الله اى ما دل الله بهذه النار عليه من الامر الذي
جعله علما لموسى على نبوته امر مبارك لان فيه حبوة من الجهل وهدى من الضلالة
وتخليصا للعباد المستضعفين وغيره من جلايل الامور وقوله تعالى وسبحان
الله رب العالمين اى والله منزه عن ان يكون له شريك او يوصف بما لا يليق به يا موسى
انه انا الله العزيز اى المنيع فلا اغالب الحكيم في افعالي واقوالي وبحكمتي اخترتك
لرسالتي وانه الها للعباد كما في قوله انه كان فريق من عبادي وقيل انه انا الله اى ان
المنادي لك انا الله والق عصاك اى اطرح العصا التي بيدك فلما راها تهتز
اى فالقاها فراها تتحرك كانها جان اى حية ولى مدبرا اى هرب خوفا من وثوب الحية

عليه ولم يعقب اى لم يرجع ولم يلتفت عقبه متوجها الى عصاه يا موسى لا تخف
اى قلنا له يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدي المرسلون اى عندي ومعناه حال
خطابي اياهم ولا يخافون ما دون الا من ظلم اى لكن من ظلم من المرسلين بخاتمة عنه ما
اذنبت له به ثم بدل حسنا اى اتبعه توبة وندما بعد سوء اى زلة فاني غفور
رحيم اقبل توبته واغفر زلته وارحمه فاحقق امنيته والاصح لكن على
هذا التاويل وجه اخر لا يخاف عند خطابي احد من رسلي الا من ظلم اى زل زلة
فانه يخاف ثم ههنا مضمر ومن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء اى تاب بعد زلته فاني
غفور رحيم له ووجه اخر لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم وتم هذا الكلام ثم
بدل حسنا اى ثم ان بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم له والمضمر فيه كلمة ان وقيل
معناه لا يخاف لدي المرسلون بل غيرهم الخائف الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء
فانه لا يخاف وقيل معناه لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم منهم ثم بدل حسنا بعد سوء
فانه مع ابداله الحسن بعد السوء خائف وانا غفور رحيم اؤمنه من خوفه وارحمه
واغفر له فالواو هو اشارة الى ان موسى انما خاف في الموضع الذي لا يخاف سائر الانبيا
لما سبق منه من قتل القبطي وان كان من غير قصد كما قال فوكزه موسى فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان الى قوله ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له فالواو لما خاف
موسى لزلة واحدة لم يقصدها ولحسن العذر عنها وعفا الله عنه ذلك وصيره ذلك
بعد سنين كثيرة حتى خاف في الحال الذي لا يخاف فيها سائر الرسل فما حال من عليه

معاصي كثيرة عمدًا في طول عمره كيف لا يخاف عند الموت وهو الحالة التي يخاف
فيها كل الخلق وقوله تعالى وادخل يدك في جيبك اي في جيب قميصك تخرج بيضاء
من غير سوء اي آفة من برص وغيره في تسع آيات اي هما معجزتان عصاك ويدك في
جملة تسع معجزات او تليها وقد عددناها في آخر سورة بني اسرائيل الى فرعون وقومه
اي مبعوث بهن انت الى فرعون واشراف قومه حذف ذلك لدلالة الكلام عليه
كما قال الشاعر رأتني بحبليها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق
اي رأتني مقبلا بحبليها انهم كانوا قوما فاسقين اي هم متقادموا الفسق وهو
الخروج عن طاعة الله وقوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا اي المعجزات التي آتيناها موسى
مبصرة اي واضحة بينة ومبصرة ذات ابصار اي فيها ابصار لمن نظر اليها قالوا
هذا سحر مبين اي قالوا المعجزة هذا تخييل لا حقيقة له ظاهر لمن تأمله وجحدوا
بها اي انكروها واستيقنتها انفسهم اي قد تيقنت بصحتها قلوبهم ظلما لانفسهم
ولآيات الله بوضعها غير موضعها وعلوا تكبرا من اتباع موسى وترأسا على
الناس فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي فانظر يا محمد نظر اعتبار بالقلب كيف
كان ختم امرهم في الدنيا الهلاك ثم لهم في الآخرة اشد العذاب وكذلك حال
قومك وقوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما اتبع قصة موسى قصة
داود وسليمان وفي الاولى البلاء والصبر وفي الثانية العطاء والشكر تنبيها لمحمد
صلى الله عليه وسلم على فضلهما ودعاء له اليهما واقتداء منه بهما قال تعالى اولئك الذين

هدى الله فبهداهم اقتده وقوله تعالى ولقد آتينا اي اعطينا داود وسليمان
علما اي بالدين والحكم وغير ذلك قال وعلمناه صنعة لبوس لكم وقال والنا له الحديد
ان اعمل سابغات وقال في سليمان وعلمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء وقال
فيهما جميعا ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقالا الحمد لله الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين بما آتانا ودلت الآية على خلق افعال العباد وعلى فساد
القول بالاصلح فان الحمد لا يجب على اداء ما عليه فدل على انه كان متفضلا بما اعطاهما
فاعلا ليس عليه وورث سليمان داود ملكه وعلمه وقال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير اي تفضل الله علي بزيادة على ما ورثته من ابي من النبوة والملك والعلم
بان علمني منطق الطير اي فهمني ما يقوله الطير واوتينا من كل شيء اي اعطانا
الله الكثير من خيرات الدنيا ونعيمها وهو للتكثير لا للاستيعاب كقوله تدمر
كل شيء بامر ربها واوتيت من كل شيء وقال الامام ابو منصور رحمه الله واوتينا من
كل شيء سألنا ان يؤتينا او اوتينا من كل شيء يؤتاه الانبياء والملوك مما يحتاجون اليه
ان هذا لهو الفضل المبين بين عن نفسه ولا يخفى على من تأمله هذه جملة له قدره
وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير اي جمع وسيق في مسير لسليمان
ما سخر له من جنود الجن والانس والطير فهو يسير فيهم كما يسير الملك في عسكره
قال محمد بن كعب القرظي كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس وخمسة
وعشرون للجن وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش فهم يوزعون

اي فعليهم وزعة يحبسون اولهم على اخرهم اذا تفرقوا حتى يجتمعوا في مسيرهم وذلك
احسن في الهيئة واهيب في الرؤية وقال ابو عوسجة يوزعون يساقون وقال القتبي
يوزعون اي يدفعون والوزع الكف والمنع والوزعة جمع وازع وهو الذي يكف الجيش
عن التفرق والانتشار ويكف العامة عن المظالم والاقتسار قال النبي عليه السلام
ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران حتى اذا اتوا على وادي النمل اي على واد
فيه نمل كثير وهذا كما يقال هذا بلد الابل اي الابل فيه كثيرة وكذا هذا بلد التمر وكانت
النمل يكون في غير ذلك الوادي ايضا لكن كانت به كثيرة قالت نملة يا ايها النبي اي سمع سليمان
نملة تقول يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم اي لا يدقنكم سليمان وجنوده اي جنود
سليمان وجنوده بارجلها ولا يكسرنكم بذلك وهم لا يشعرون اي لا يعلمون بمكانكم
قالت النملة ذلك على وجه العذر ووصف سليمان وجنوده بالعدل وقيل قوله وهم
لا يشعرون من قول الله تعالى ومعناه سمع سليمان وعلم ذلك وجنوده لا يشعرون بذلك
وهو قول ابن عباس وقيل والنمل لا يشعرون ان الجنود تمر في الهواء ام تنزل الى الارض فلذلك
جمع ادخلوا بالواو ومساكنكم بالميم وكذلك يحطمنكم وهو خطاب العقلاء وكانه بتهم
لانها وصفهم بصفات العقلاء فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا منها وسرورا بما
اعطاه الله من فهم كلامها وقال رب اوزعني اي الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي من النبوة والملك والعلم وغير ذلك وعلى والدي والانعام على الوالدين انعام
على الولد وان اعمل صالحا ترضاه في بقية عمري وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين

وادخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين وهم الانبيا ومن يتبعهم من اهل الجنة
وذلك برحمة الله وهو دعا بحسن العاقبة كدعا يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين
وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا
في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة
الاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة
وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلها الطير باجنحتها حتى لا تقع
عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن
الرواح الى الصباح وقال ابن عباس كانت النمل اذ ذاك كالذباب والكلاب وقال مجاهد
كانت نمل ذوات اجنحة وفي تفسير الشيخ ابي القاسم بن حبيب عن وهب قال
قرات في بعض الكتب ان سليمان ركب ذات يوم مركب الريح فلما قرب من وادي
النمل سمع قول النملة وكان يسمع قولها من ثلاثة اميال فامر الريح حتى وقفت فقال
للنملة ما قولك لا يحطمنكم وكيف يحطمكم وانا على الهوا فقالت اني لم ارد حطم الارجل
انما اردت حتى لا ينظروا الى ملكك فيتمنونه فيكون ذلك حطما لقلوبهم وودوا به
قالت خفت ان يشتغلوا بالنظر الى ذلك فيغفلوا عن تسبيح الرب ثم قالت يا سليمان
ما سالت ربك قال سالته ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قالت ثم اعطاك قال اعطاني
جانا جعل ملكي فيه قالت انه يقول لا تفخر به فانه حجر قالت وما اعطاك ايضا قال
اعطاني مركب الريح قالت ركبت مركبا غدوها شهر ورواحها شهر فان انت مركب

يوصلك في ساعة الى العرش قالت ان جندي اطوع من جندك قال
ولم قالت لانهم يريدون منك الرزق ويعصون ربهم وجندي مطيعون لله ولا يسالون
مني الرزق ثم قالت يا نبي الله اتدري لم صار اسم ابيك داود واسمك سليمان قال لا
قالت لان اباك داوى جرحه بود وانت سليم ان لك ان تلحق بابيك بعد ذلك
تبسم ضاحكا من قولها وفي رواية قالت له كما سخرت لك الريح فزوال الملك يدرك كزوال
الريح وعن ابي الصديق الناجي قال ركب سليمان يوما فعدل عن الطريق واخذ في
غيره فقيل له في ذلك قال جاءت خطافة فقالت اني اخرجت فراخي اعلمها الطيران
فان اخذت على طريقك حطمتهن فعدلت عنه لاجلهن وحكي ان الناس قحطوا
على عهد سليمان فجمع سليمان الناس فخرج بهم للاستسقا فلما رجعوا مروا على
نملة رافعة يديها تدعو الله وتقول اللهم لا تحبس عنا ارزاقنا بخطايا بني ادم فاوحى
الله تعالى الى سليمان اني قد استجبت لهذه النملة فامطر الناس فقالوا بدعوة نبي
الله سليمان فقال لهم سليمان انما ليست بدعوة سليمان ولكن الله تعالى استجاب
للنملة وقوله تعالى وتفقد الطير اي تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد وكان في
مسير لسليمان وظاهر نظم هذه الايات يدل على انه كان في مسيره الى وادي النمل
وقال الخليل التفقد طلب ما غاب قال ابن عباس كان سليمان يوضع له ستمائة
الف كرسي ثم يجي اشراف الناس حتى يجلسوا مما يليه ثم يجي اشراف الجن حتى يجلسوا
مما يلي الانس ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم ثم يسير في الغداة الواحدة

مسيرة شهر فبينا هو كذلك في مسيره اذ احتاج الى الما وهو في فلاة من الارض قال
فيدعو الهدهد فينقر الارض فيدلهم على موضع الما فتجي الشياطين الى ذلك المكان
فيسلخونه كما يسلخ الاهاب فيخرجون منه الما فقال لهم نافع بن الازرق قف
يا وقاف ارايت قولكم يجي الهدهد فينقر الارض فيبصر موضع الما كيف يبصر
هذا ولا يبصر الفخ يجي اليه حتى يقع في عنقه فقال ابن عباس ويحك ان القدر حال
دون البصر وقيل كان يرى الما في الارض كما يرى الما في الزجاج وقيل كان بعض جنوده
من الطير وغيرها فتفقد الغايب منهم والحاضر وانه كان نايبه من كل صنف واحد
نوبا فلم ير الهدهد وقيل كانت الطير تظله حتى تستره عن الشمس بتقارب اجسامها
واجنحتها فقال ان الشمس سقطت عليه من مكان الهدهد فنظر الى الطير فوقه
فلم يره فقال ما قال وقيل كان يسلم غدا كل واحد منهم بنفسه اليه فطلبه ليسلم
اليه غدا فلم يجده وقوله تعالى فقال مالي لا ارى الهدهد بدا اولا بنفسه ثم قال
ام كان من الغايبين قال الكسائي والاخفش اي بل كان وقيل ها هنا مضمر فيه الف
الاستفهام ثم عطف عليه ام وذلك انه اجاز بصري عنه بسبب ام كان من الغايبين
كقوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا والثاني ام صار كما قال فكان من المغرقين والثالث
ام كان قبل هذه الساعة غايبا فلغيبته لم اره الساعة وقوله تعالى لاعذبنه عذابا
شديدا قيل لانتفن ريشه ولاطرحنه في الشمس وهو قول ابن عباس ومقاتل بن سليمان
وقال مقاتل بن حيان لاطلينه بالقطران ولاشمسنه وقيل اي لامنعنه عن خدمتي

وقيل ايضا لافرقنه بينه وبين الفه وقيل اي لاغيبنه عن وطنه وقيل اي لاضمنه
الي خلاف جنسه وقوله او لاذبحنه لم يجعل لنفسه مخرجا مما توعده به تعالي او
لياتيني بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة له فيما غدر ظاهر في غيبته وقيل ان
جبريل عليه السلام قال له في كل شيء لم تقتله او لا تعفون عنه وهو الابن بالكرم
والاقرب الي التقوي هذا في حق طير غاب عن خدمة سليمان ساعة فكيف
بالعصاة الهراب من الباب وقوله تعالي ه فمكث غير بعيد اي لبث الهدهد زمانا
قليلا وقيل لبث سليمان وجاء الهدهد فقال احطت بما لم تحط به اي علمت ما لم تعلم
وقيل رايت ما لم تر وقيل ادركت ما لم تدرك وقيل شهدت ما لم تشهد ثم فسره فقال
وجئتك من سبا بنبا يقين اي بخبر متيقن والبا للتعدية وسبا ينون ويكون
مذكرا لانه اسم رجل هو اصل القبيلة او اسم للمكان ولا ينون ويكون مونثا ويكون اسما
للقبيلة او للعربية ه اني وجدت امراة تملكهم اي تملك اهل سبا ه واوتيت من
كل شيء اي مما يحتاج اليه الملوك من الرجال والاموال والالات وصنوف النعم ولها
عرش عظيم اي سرير عظيم تجلس عليه كما يجلس الملوك على الاسرة معظما
قال ابن عباس كان عرشها ثلثين ذراعا في ثلثين ذراعا طوله في الهوا ثلثون ذراعا
معمول من ذهب قوائمه من لولو وجوهر وقال مقاتل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا
وطوله في الهوا ثمانون ذراعا مكلل بالجواهر والدرر واليواقيت وعن وهب سنحكيه
علي ما بين من بعد ان شا الله تعالي قرا ابن كثير في رواية البزي وابو عمرو من سبا

غير مصروف والباقون مصروفا وقال الزجاج سبا مدينة تعرف بمارب
من اليمن بينها وبين صنعا مسيرة ثلاثة ايام فاذا صرف فعلي البلد واذا لم يصرف
فعلي المدينة ه وجدتها وقومها يسجدون للشمس اي يعبدونها من دون الله وزين
لهم الشيطان اعمالهم اي حبب اليهم كفرهم ومعاصيهم فصدهم عن السبيل اي
فعدل بهم عن الطريقة المستقيمة وهي التوحيد واخلاص العبادة لله واطلق
السبيل لان السبيل الذي لا يجوز سلوكها ممنوع منه فكانه ليس بسبيل فهم لا يهتدون
لذلك السبيل الرشد ه الا يسجدوا لله قرا الكسائي وابو جعفر وروليس عن يعقوب
بالتخفيف ومعناه الا وهو كلمة تنبيه ويسجدوا بمعني يا اسجدوا ويا ندا والمنادي
مضمر اي يا هولا اسجدوا لله قال ذو الرمة
الا يا اسلمي يا دار مي علي البلي ولا زال منهلا بجرعايك القطر
وقرا الباقون بالتشديد وله وجوه احدها وزين لهم الشيطان ان لا يسجدوا والثاني
وزين لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا والثالث فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا
والرابع فهم لا يهتدون ان يسجدوا ومعناه ان يسجدوا ولا زايدة كما في قوله ما منعك
ان لا تسجد اي ان تسجد والخامس فهم لا يهتدون لقبح ان لا يسجدوا لله كما في قوله يبين
الله لكم ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا علي الاضمار وقوله تعالي ه لله الذي يخرج الخب
في السموات والارض اي يظهر المخبو اي المستور المكنون الذي في السموات والارض
مصدر بمعني المفعول وخب السموات المطر وخب الارض الشجر والنبات

وقيل يدخل في ذلك معادن الارض وحقيقته ينزل من السما الغيث ويخرج من
الارض النبات بعد ان كانا مستورين غير ظاهرين اي خلق ذلك واوجده بعد ان
كان معدوما اقامة لاسباب معاش العباد وعمارة البلاد ٥ ويعلم ما تخفون وما
تعلنون قرا الكسائي وعاصم في رواية حفص بالخطاب بنا على قوله الا يسجدوا ا
والباقون بالمغايبة بنا على ان الباقي يسجدوا للمغايبة ٥ الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم هو المستحق للعبادة دون الشمس قال ابن زيد الى ها هنا كلام الهدهد
وقيل من قوله الا يسجدوا كلام سليمان بعد كلام الهدهد وقيل هو خطاب الله للمشركين
بعد تمام كلام الهدهد وهو كلام معترض ثم اتصل به قوله تعالى قال سننظر اصدقت
اي قال سليمان للهدهد سنتعرف حقيقة ما اخبرت به عن سبا وملكتها و
اهلها هل اخبرت بالصدق فتعذر بعذرك ام اخبرت بالكذب فتؤدب
على فعلك وذلك قوله اصدقت ام كنت من الكاذبين وكنت بمعنى انت وقيل معنى
ذلك ام كذبت على الماضي ٥ اذهب بكتابي هذا اي فكتب سليمان كتابا الى ملكة
سبا وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا وهو ما ذكر بعده فالقه اليهم اي اطرحه
اليهم لان الطاير لا يمكنه تبليغ الكتاب مناولة ٥ ثم تول عنهم اي تنح عنهم قليلا وخذ
وكن قريبا منهم بحيث تسمع كلامهم ماذا يجيبون وهو قوله فانظر ماذا يرجعون
اي يردون الجواب وقيل اي ثم تول عنهم اي اسرع الرجوع منهم الينا وعلى هذا فيه
تقديم وتاخير فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اسرع

الانصراف عنهم الينا وقيل فانظر اي فانتظر وقوله ماذا يرجعون اي يتراجعون
بينهم الكلام كما قال يرجع بعضهم الى بعض القول ثم ها هنا مضمر فذهب الهدهد
بالكتاب فالقاه اليهم قالت يا ايها الملا اي قالت ملكة سبا لاشراف قومها اني
القي الي كتاب كريم وهو هذا الكتاب خلت بوزرايها فقالت لهم اني القي الي كتاب
كريم اي شريف فاضل وقيل الكريم الحقيق بان يومل فيه كل خير وان اثار ذلك في
هذا الكتاب ولذلك قالت ما قالت وقيل سمته كريما لانه كان مختوما وقيل كان
مكتوبا بالذهب وقيل كان من ملك يطيعه الجن والانس والطير والوحش وقيل سمته
كريما لحسن ما فيه من افتتاحه ببسم الله الرحمن الرحيم والدعا فيه الى الاسلام
ومن وجازة الخطاب فيه مع ابانة على المراد وقيل لما وصل اليها الكتاب على خلاف
العادة مع طاير قد اختبر في البيوت والابواب توهمت انه من السما فسمته
كريما لذلك وقوله تعالى انه من سليمان قيل كان هذا عنوان الكتاب وانه
بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني
مسلمين هذا مضمونه وقيل انه من سليمان كان في اول السطر في الداخل وانما بدا
به لانه لا يامن ان تستخف به بلقيس فيقال لو استخفت به كان ما سمى لا باسم الله
وكان في ذلك تعظيما لاسم الله لا تقديما لاسمه وقوله الا تعلوا علي اي لا تتكبروا
علي ولا تخالفوني واتوني مسلمين خاضعين لله منقادين له متدينين بالدين الحق
ويحتمل مستسلمين منقادين لامري قال وهال ابن حبيبة في قوله وتفقد الطير

كانت غيبة الهدهد انه ذهب في طلب موضع الما فلقيه هدهد من ارض سبا
فقال له اي شي تطلب قال اطلب الما لسليمان نبي الله فاني مسخر له فساله عن
سليمان وجنوده فاخبره الهدهد بخبر سليمان وما سخر له من الريح والشياطين
والجن والانس والطير فاخبره عند ذلك هدهد سبا عن ملكة سبا وعن ملكها
وجنودها وكان الهدهد يومئذ مثل البطة العظيمة فانطلق الهدهد حتى اتى
ارض سبا فنظر الى بلقيس وملكها فمكث غير بعيد ثم رجع الى سليمان فقال
احطت بما لم تحط به وساق ما ذكرنا على نظم الايات وكان لملكة سبا اسمان
يلقمة بنت شراحيل وبلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملكا من ملوك اليمن
الى اربعين ابا كلهم ملوك وكانت هي امراة لها نسب في الجن وكان رغب شراحيل
عن ان يتزوج في الانس تعظما وزعم انه ليس له كفو لمكان ابائه الملوك فخطب الى
الجن فزوجوه ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وكان الجن اخوالها فلما
انقرض اباوها دعت الناس الى بيعتها واختلفوا في امرها فتركتهم فملكوا ملكا
فلعب بنسائهم فلما اكثر من ذلك عجزوا عنه ادركتها الغيرة والحمية فارسلت
اليه تخطبه على نفسها خديعة لتستمكن منه فتقتله فاجابها لم يمنعني ان ابتديك
بالخطبة الا الياس منك وكنت ابصر شرفك وموضعك ولكني خشيت ان تردني
فتسقطي قدري فارسلت اليه ما عندك رغبة وانك لكفو كريم فاذا اصبحت فاجمع
رجال قومك واخطبني اليهم فاني فاعلة ما يسرك فلما اصبح فعل ما امرته فقال

فقال له القوم ما هي فاعلة ما تريد فقال لهم انها ابتدأتني فخطبتها فقالوا انها فعلت
ما ذكر الملك والشيخ طالت علي الايمة وانقرض اهل بيتي واحببت الولد
والذرية ولم اجد احدا اشرف منه فقالوا قد رضينا فتزوجها فلما زفت اليه
خرجت في بشر كثير من خدم وحشم حتى ملاوا منزله من كثرتهم فلما خلا بها
سقته الخمر حتى اسكرته فقطعت راسه فلما انصرف حشمها ومن كان معها
خرجت في محارمهم لا يفطن لها ولا يظن الناس الا انها قد خلفت عند زوجها
فاصبح الملك قتيلا واصبح راسه منصوبا على باب دارها فلما نظر اليه الناس
عرفوا ان فعلتها كانت منها حيلة ومكيدة فاعجبهم ذلك فقالوا اليها وقالوا انا نعلم
اليوم لك مثلا انك عمدت الى ملك الارض الذي كان يبزنا وافسد نساءنا فقتلته
ها فقتلته ما هون امرك وقد عجز عنه جميع من ترين ولا احق بهذا الملك منك
للذي سلف من ابائك قالت لولا ما خشيت علي وعليكم من العار ما فعلت ذلك
ولا كان لي الى ما في يديه حاجة فملكوها عليهم فامرتهم ان يصنعوا لها منزلا
لم يصنع مثله لملك قط ووصفت لهم عمله فعمدوا الى تلعة مشرفة من
صفا صلد مغرز واعلى ظهره حسما به اسطوانه من رخام نقروا لها حتى
يستخرج الصفا طول كل اسطوانة ثلثون ذراعا وبين كل اسطوانتين خمسة
اذرع ثم جعلوا فوق الاسطوانة سطحا من الواح الرخام وصفوا بعضه الى
بعض حتى صارت كانها لوح واحد ثم بنوا في السطح بيوتا من رخام وقبابا من ذهب

وفضة مبوبة بابواب مرصعة بالجوهر الملون ثم احاطوا على السطح بحائط
باطنه من رخام وظاهره من نحاس وله اربع زوايا على كل زاوية قبة من ذهب
على قبتها ياقوتة حمرا تلتهب فاذا اطلعت الشمس سطع ضوء الياقوتة على
القبة فبرقت ثم جعل للقصر حصن وفرغ منه اربع مراقي عن يمين وشمال و
شرقي وغربي في كل مرقاة مائة درجة من فضة في اعلاها باب مفضض وفي
اسفلها باب من نحاس ثم جوف جوف الصفا فجعل جوفه خزاين وجوف
بعضها باسطوانات حتى افضى الى السطح وكان طريقا الى الخزاين التي تحت الصفا
ثم بني تحت كل اسطوانة مجلس من رخام للجواهر والفواد ولم يكن في الارض ملك
بعد سليمان وذي القرنين وفرعون موسى اكثر منها جندا جنودا كان لها اثنا عشر
قايدا يقود كل واحد منهم اثنا عشر الف مقاتل وكان تحت يدها اربعمائة ملك
من اشراف اليمن امرت كل واحد منهم على كورة معلومة وشرطت عليه اربعة
الاف مقاتل منهما احتاجت علما وغوا من عمل قصرها وهو عرشها العظيم
امرت بالمدينة والحيطان والارباض فبني ذلك كله حول قصرها حتى صارت
في وسط ذلك واشرف تلها على ما حوله حتى كان يرى من مسيرة يوم وكانت
تكلم الناس من ورا الحجاب لا يرى وجهها فاذا وقعت حرب حسرت لهم
عن ذراعيها قال وهب فلما جا الهدهد الى سليمان بخبرهم كتب اليها بسم الله
الرحمن الرحيم من سليمان بن داود نبي الله الى بلقيس اما بعد فان كنت من الانس

فقد عبدت لي وان كنت من الجن فقد سخرت لي فاقبلي الي انت وقومك
ولا تعلوا علي واتوني مسلمين فاخذ الهدهد الكتاب برجله فانطلق يهوي به
حتى انقض عليها من كوة البيت فوضع الكتاب في حجرها وهي قاعدة على عرشها
فمليت من ذلك عجبا ثم ارتفع الهدهد فوقع فوق الحايط فلما وجدت في الكتاب
اسم سليمان خرجت الى الهدهد فقالت من ارسلك الي فانطقه الله فقال ارسلني
اليك ملك الجن والانس والطير والريح والشياطين قالت ما اراك كذبت لولا انه
كما تقول ما طمع له بالرسالة ثم جمعت قوما من قوادها واهل مشورتها و
سفرت عن وجهها والهدهد مكانه فقالت لهم ما كنت لجيش ان فوق ملككم
ملكا حتى جاني رسول ملك الجن والانس والشياطين والطيور والريح قالوا لها
فاين رسوله الذي جاك قالت هو هذا واشارت الى الهدهد فقبلوا عليه
يكلمونه فلم يجبهم وقرات عليهم كتاب سليمان وسالتهم عن الراي وذلك قوله تعالى
يا ايها الملا افتوني في امري او اشيروا علي فما جدت بي من هذا الامر فاذا اصنع
ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون اي تحضروني انتم فاشاروا وكم وانصيه
على اتفاق منكم استعطفتهم وراعتهم واحترموها فقالوا وذلك قوله تعالى
قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد قادرون على القتال ان احتيج اليه لوفور
عددنا وعددنا والامر اليك في الانقياد لصاحب الكتاب او محاربته فانظري
ماذا تامرينه من الامرين ولا نتكلفك فالا تريدين ولا نخالفك فيما تامرين قالت

قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اى استولوا على مدينة بالقهر
افسدوها يسعوا فيها بالفساد والتخريب ليزول عز اهلها بها ه وجعلوا
اعزة اهلها اذلة بسلب نعمتهم واموالهم ولغوانهم وكذلك يفعلون اى سليمان
وقومه بكم ان دخلوا مدينتكم فكان اول الايه على عموم الملوك واخر الايه على خصوص
هولا وقيل هذا قول الله تعالى وكذلك يفعلون اى كذلك تفعل الملوك كما قالت هى ٥
وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون اى من راى ان لا نعجل بالقتال
الذى قد يكون علينا ولكن انعرف الحال فارسل هدية فانظر ما يكون منهم وبماذا
يرجع عنهم رسلى فان رجعوا برد الهدية فالقوم طالبوا دين لا يكفهم عنا الا
الاتباع ولا طاقة لنا بقتالهم وقال العلما ذكروا انها ارسلت واجلا ولذلك قال تعالى
فلما جا سليمان وقال ارجع اليهم وانما قالت المرسلون تعظيما للرسول او هذا
من متعارف اللسان يقول الملك ارسل الى فلان رسلا وهو يريد الواحد ويجمع
للتعظيم اولانه يكون معه اتباع ثم قال فلما جا وقال ارجع خطابا لراسهم واخبارا
عن كبيرهم قال وهب قالت لهم لا امن ان هو ظفر بكم ان يذلكم ويتعبدكم
ويبيح حصونه فراكم وحزبكم وساختبره ابعمل لله ام للدنيا قالوا بماذا قالت
اعرض عليه الدنيا فان قبلها فهو لها وان حقرها فهو لله ولا سبيل اليه وان
قبل الدنيا قاتلناه عن ملكنا فكتبت الى سليمان انى قد سمعت كتابك وانا ناظرة
فى امرك ومحمله اليك رسلى ليعلموا علمك واهدت اليه الف فرس عتق سابق

ليس منها الا ما احمر الجلبة ومع كلها على شبه واحده ليس منها الا ادهم ازرق
اغر محجل مع كل فرس عبد يسوقه وراس كل فرس حلمة من ذهب عذارها مفصص
بالجوهر مقودها سلسلة من حلق الذهب والفضة حلقة من ذهب وحلقة من
فضة وعليه سرج من حرير ملبس ارجوانا احمر مرصعا باللولو نصفها ذكور و
نصفها اناث واهدت له خمسمايه وصيف عربى وخمسمايه وصيفه فى يد كل وصيف
سوار من ذهب فيه ياقوته وفى عنق كل وصيفه طوق من ذهب فيه ياقوته وفى
اذنها قرطان فى كل قرط درة وعلى كل وصيف منطقة منظومه باللولو وعهدت
الى رسلها اذا هم عرضوا على سليمان هديتها ان يحملوا الوصفا على ذكور الخيل و
الجوارى على اناثها وقال زيد بن اسلم وجعلت مع هذا كله لبنا من ذهب فاخبر
سليمان بذلك فقال للشياطين موهوا لهم الارض ذهبا الا موضع لبنة فى الطريق
فلما قربوا من بلد سليمان ظنوا ان الارض مفروشه بلبن ذهب فراوا فى الطريق
موضع لبنة خاليا فقال رئيسهم حملنا ان هذا الى هذا الرجل لبنا من ذهب واذا
ارضه ذهب كلها الا موضع لبنة فسبيلنا ان نلقى هذه اللبنه فى هذا الموضع لا
تنسبونا الى السرقه وقال ابن عباس رضى الله عنهما انما وجهت غلمانا وجوارى وجعلت
الغلمان على زى الجوارى فى اللباس والشعر والجوارى على زى الغلمان فى اللباس والشعر
وقالت للغلمان اذا كلمكم فالينوا الكلام وقالت للجوارى اذا كلمكن فاغلظن
الكلام وبعثت حقة فيها جواهر واترت عليهم رجلا يقال له المنذر بن عمرو

وقال ابو القاسم بن حبيب رايت في بعض التفاسير كانت ثلاثة جواهر احدها
مثقوب والثاني غير مثقوب والثالث ثقبت نصفه ولم ينفذ وقالت ان كان نبيا
ميز بين الوصفا والوصايف واخبركم بما في الحقة وان كان غير نبي التبس امركم
عليه فميز بين الوصفا والوصايف بالوضوء وذلك انه امرهم ان يتوضؤوا فجعل
الغلمان يحدرون الما على اليد والرجل حدرا وجعل الجواري يصببن من اليد اليسرى
على اليد اليمنى فميز بذلك بينهم واخبرهم ان الجواهر ثلاثة احدها مثقوب والثاني
صحيح والثالث مثقوب النصف وقوله تعالى فلما جا سليمان اي جا الرسول
وقيل جا ما اهدت وقوله قال اتمدونن بمال استفهام بمعنى الانكار اي اتبعثون
الي مالا تقدرون به الزيادة في مالي ونعمتي فما اتاني الله اي فالذي اعطاني الله
من الملك والنبوة وسخر لي الطير والوحش والجن والانس والريح خير مما اتاكم
اي افضل واكثر مما اعطاكم فلا افرح به بل انتم بهديتكم تفرحون قيل بل انتم بهذا المال
الذي اهديتموه الي تفرحون اعظاما منكم له وقيل معناه بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون
لانكم اهل تفاخر وتكاثر بالدنيا ارجع اليهم ايها الرسول بهذه الهدية فلا حاجة
لي فيها ولا امتنع عن دعوتكم الى الاسلام فان لم ياتوني طايعين فلناتينهم بجنود لا
قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بها ولا يمكنهم دفعها ولنخرجنهم منها اي من قريتهم وقد سبق
ذكر القرية اذا دخلوا قرية اذلة اي سلبتهم العز بالاستيلا على اموالهم و
عنادهم وقهر انصارهم وقيل مغلولة ايديهم الى اعناقهم وهم صاغرون مهانون

قال يا ايها الملأ قال وهب يعني ملأ الجن ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني
مسلمين اي قبل ان يرجع اليهم رسلهم فينذرونهم فياتوني مسلمين فاذا اسلموا فليس
لي عليهم سبيل فالعجل لي حينئذ ان اخليهم من بلادهم قال ابن عباس قال سليمان هذا
حين جا الهدهد فاستحيى ذلك وجا آصف بالعرش ثم كتب اليها الكتاب ولو لا
ذلك لم يكتب اليها بقول الهدهد من غير ثبوت وقال وهب ابن منبه قال
ذلك عند مجي الرسل بالهدية وقيل قال ذلك حين لم يبق بينها وبين سليمان الا قدر
فرسخ وقيل انما طلب ذلك ليختبر عقلها اذا اتته ورأته اتثبته ام تنكره و
هذا عن ابن زيد وقيل فعل ذلك لتثبت عندها انه رسول وملكه سماوي
فتستبصر في دخولها بالاسلام وقوله تعالى قال عفريت من الجن قيل داهية
وقيل وهو قول الفرا هو القوي النافذ وقال القتيبي هو الشديد الوثيق وقيل
هو المارد قيل كان اسمه صخرا وقيل كان عمروا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
اي مجلس قضايك سماه مقاما لانه يقوم فيه بالقضا من الناس كالمقامات الذي
التي تكون للخطبا والرؤسا وقيل اي من مجلسك وسماه مقاما لان عاقبته بالقيام
عنه واني عليه لقوي اي قادر امين على ما فيه من ذهب وجوهر لا اخون ذلك
قال الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخيا وقيل اصف بن يوسف وقيل
ضبة والذي ضبة من العرب وقد ادعى بعض بني ضبة وكان آصف وزير
سليمان وعلم من الكتاب اي من الكتب المنزلة وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم

الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وكان مستجاب الدعوة وفي تفسير
الصنعاني الذي عنده علم من الكتاب جبريل صلوات الله عليه قال لما بعث رسل
اليها وعلمت انها لا بد لها من جنود سليمان اقبلت اليه فاعلمه جبريل واحب ان
يؤتى اليه بعرشها وقال عفريت من الجن ما قال قال جبريل انا اتيك به ما شرع من ذلك
تصفه جبريل بانه عنده علم الكتاب هو علم انزال الكتب على الانبيا وقيل هو علم الكتاب
الذي هو ام الكتاب قبل ان يرتد اليك طرفك قيل قبل ان يرجع اليك طرفك ببصرك كان
تفتح بصرك لتنظر الى الشي فتنظر اليه لم ترد بصرك عن النظر وقال ابو عبد الله الرازي
وهو معنى هذا اي اذا امددت طرفك ناظرا الى ان ترد جفنك رددته بين يديك
وقال قتاده والكلبي والفرا يريد قبل ان ياتيك الشي من مد بصرك ومجاوزه من قبل ان
يرجع اليك من نظر اليه منتهيا بصرك ٥ فلما راه مستقرا عنده قيل دعا الله اصف
فرفع سليمان طرفه ثم رده فاذا هو عنده وقال مجاهد دعا الله فاخرج له من تحت
الارض حتى وضع بين يديه وقال ابن عباس قال يا حي يا قيوم وقال عبد الله بن سلام قال
اللهم اني اسالك بانك انت الله لا اله الا انت الحي القيوم الطاهر المطهر نور السموات
والارض عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ٥ وروي عن جابر انه قال في الدعا يا الله
يا الهنا الله وقال عمرو ابن عوين دعا فقال يا ذا الجلال والاكرام والفضل العظيم والعز
الذي لا يرام وقيل قال اهيا شراهيا وكان ذلك كرامة اصف وكرامة الاوليا حق عند
اهل السنه والجماعه وهو في الحقيقة معجزه لذلك الرسول الذي هذا من امته وقال وهب

وقال وهب كان اصف من الجن وجميع عفاريت من الجن حتى اقتلعوا منزلها الاعلى
الذي فوق الاسطوانة بمساكنه وجميع ما فيه وهي فيه على فراشها لم تقدر ان تتحول عنها
حتى وضعت بين يدي سليمان وكان حليها وثيابها وطيبها مخزونا معها في منزلها فاتى
بذلك كله فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر اي ان ما فعله
ويوم القا الرعب في قلبها حتى اقبلت الى [illegible] في تلك الرواية ومن احضار عرشها
في هذه المدة من مسيرة شهرين على هذه الرواية من فضل ربي من افضاله علي من غير
استحقاق مني ليختبرني اشكر انعامه ام اكفر لم يفعل ذلك بي لاستعين به على معاصيه
ولا لافاخر به وقيل خطر بباله انه ظهر هذا لاصف ثم رد الخاطر وقال انه من فضل
الله علي حيث جعل في امتي من له هذه المنزله وهو كشكر الاب بما يظهر لابنه من كرامه
يتفرد بها ولا يكون ذلك للاب وقوله تعالى ومن شكر فانما يشكر لنفسه لان المزيد
يحصل له به وحق النعمه يقضا به ومن كفر النعمة فان ربي غني عن شكره كريم لا يعجل
بعقوبته من كفر النعمه وقوله تعالى قال نكروا لها عرشها اي غيروا والتنكير
التغيير والتنكير التغيير ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون اتعرف ذلك
وتعقل ام لا تعرفه ولا تعقله وقيل تهتدي الى الاسلام بهذه الايه وهي حملها اليها في
هذه المدة اليسيرة ام لا تهتدي اليه والتغيير يكون بالزيادة او النقصان او العكس
قال وهب قال للجن نكروا لها عرشها فنكس وبنت الشياطين فوقه قبابا
اخرى هي اعجب من تلك القباب وهو مقلوب قد جعل اسفله اعلاه وانما اراد

سليمان ان يعلمها صغر ملكها عند ملكه ونظم هذه الايات يضعف قول من
جعلوا عرشها وهي عليه لان التنكير والمجي والنظر اليه تخالف كونها عليه فلما جاءت
قيل اهكذا عرشك لما راته محمولا على الريح مقلوبا وهو في الهوا لا يقع على الارض
وقد صنع فيه ما هو اعجب واغرب انكرته فعند ذلك قالت كانه هو وقالوا ان
الشياطين خافت ان يتزوجها فيولد له منها ولد وهي جنية فيطلع الجن ولده منها
فيدوم له الملك ويبقون مسخرين لال سليمان ابدا فقالوا انها ضعيفة العقل
حمقا وان رجلها كرجل حمار فامر بتنكير عرشها ليمتحن عقلها فقال نكروا لها
عرشها ففعلوا وقالوا لها اهكذا عرشك قالت كانه هو ولم تعرف ولم تنكر وذلك
لما بعد عندها ان يكون هو هو لانها خلفته في منزلها ثم وكلت به من وكلت
فلم تقل هو هو ولما رات فيه من التغيير ولم تقطع ايضا على انه ليس هو لما رات فيه
من المشابه فقالت قولا بين النفي والاثبات تحرزا عن الكذب بالقطع على احدهما
من غير ثبت وامر بادخالها الصرح لتكشف عن ساقيها لما توهم انه لجة فيظهر
حالها ففعلت وانكشف عن احسن ساق وقدم من زال تلبيس الشياطين وقوله
واوتينا العلم من قبلها قيل اي قالت واوتينا العلم بالله من قبلها من قبل صحيه
سليمان وكنا مسلمين اسلمنا قبل ان نجي وقيل هذا قول سليمان على وجه الشكر
آتانا الله العلم به من قبل هذه المراة وكنا مسلمين منقادين لله وصدها اي
ومنعها المراة ما كانت تعبد من دون الله في موضع الرفع اي عبادتها الشمس

من دون الله عبادة الله وهو مفعول ثاني وقيل صدها عن العلم والاهتدا انها كانت
من قوم كافرين اي فانها كانت كذلك قيل هذه الاية قول سليمان وقيل هو قول الله تعالى
وقيل وصدها اي ومنعها سليمان وقيل اي ومنعها الله ما كانت تعبد من دون
الله اي عن عبادة غير الله فهو في موضع المفعول ه قيل لها ادخلي الصرح قال ابو
عبيدة وقطرب اي القصر وقال الزجاج اي عرصة الدار وقيل هو البنا الجن تفعه
فلما راته حسبته لجة هي معظم الما وقال وهب وامر سليمان الشياطين فصنعت
لها منزلا من قارورة بيضا تترجرج كانها الما وجعل فيها تماثيل سمك تسبح
فيها ومردت حتى اشتد بريقها فجعلت تنظر الى مثالها في الزجاجة كانها المراة
المصقلة وعليها حلة من حرير ابيض ملجمة بالذهب الاحمر فجعلت تنظر الى نفسها
ولباسها وكل شي عليها في عرض تلك القارورة ثم قيل لها ادخلي الصرح وهو
منزلك فظنت انها مخاضة من ما حين نظرت الى تماثيل السمك تسبح فيها فلما
كشفت عن ساقيها قيل لها انه ليس بما ولكنه صرح ممرد اي مملس من قوارير
فاسلمت عند ذلك وقالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب
العالمين ظلمت نفسي بالشرك وقيل ظننت ان سليمان يتكلف بها ليقتلها وقال
محمد بن كعب القرظي لما ابصرت بالصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به الا
الغرق فلما وقفت على الحقيقة قالت ظلمت نفسي بما اسات به الظن وقيل
امر سليمان بتنكير العرش واتخاذ الصرح كان لتنظر الى ذلك فتعلم فضل ملكه
على ملكها

وأن الله هو الذي سخرهم له وهيأ ذلك كله له وأن ذلك لا يكون إلا آية لنبوته و
رسالته فتهتدي بذلك إلى الإسلام ولذلك أسلمت وقيل كان هذا معارضة
لها إياها فيما فعلت من أمر الوصفاء والوصائف وتنكيرها إياه وكذا حال
الجواهر فيفعل بها كذلك فاهتدى هو إليها لنبوته ولم تهتد هي إليه فاستبان
لها حاله فأطاعته وأسلمت وقيل الحكمة في كتمان حال هذه الملكة على سليمان
مع قرب ولايتها منه ومع أن الدنيا كلها كانت مملكة له ليكون ذلك عند ظهوره
عذرا للهدهد عن خيانته وما ذكر سليمان في حقه لأعذبنه أو لأذبحنه كان
تأديبا وتهذيبا لا عقوبة وتعذيبا وذلك جائز كرياضة الدواب وضربها
عند الحران وضرب الكلاب ونحوها للتعليم وهو النفي عن اعتراض من
قال كيف استجاز ذلك مما لا يخاطب ولا يعاتب وقوله تعالى
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا وهذه قصة أخرى في معنى ما مضى أن
اعبدوا الله أي ليقول لهم وحدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون فصدقه
بعضهم وكذبه بعضهم فصاروا فريقين وقال يختصمون على الجمع لأن الفريقان
جمعان ومعناه يخاصم كل فريق الآخر في مخالفته ومحاجته في إثبات
قول نفسه وهو ما قال في سورة الأعراف قال الملأ الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا الآيات قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة وكان
من عادة الأمم المكذبة استعجال العذاب كقولهم فأتنا بما تعدنا ونحو ذلك

وما معناه لم تفعلون ما تستحقون به أن تعجلوا لها العذاب من الكفر والمعاصي
ولم يرد به السؤال لولا تستغفرون الله أي هلا تتوبون إلى الله من الكفر فيكون
ذلك سؤال المغفرة لعلكم ترحمون أي راجين رحمة الله قالوا اطيرنا بك وبمن معك
أي تشاءمنا بكم فلا نتبعكم لئلا يصيبنا المكاره وأنفسنا أهلكه وأولادنا وأهالينا
وأموالنا أي تشوه عن أيمانهم وقيل قحطوا فقالوا هذا بشؤمك قال طائركم عند الله
أي ما أصابكم من مكروه أو محبوب فمن الله لا مني وكان الكفار إذا أصابتهم شدة
في زمن النبي قالوا هذا من شؤمه وإذا أصابتهم نعمة قالوا هذا ما استحققناه كما
ذكر الله ذلك عن قوم موسى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه وقال المشركون لنبينا عليه السلام ما ذكر عنهم وإن
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل طائركم عند الله أي ما ينزل بكم من العذاب
في الآخرة إنما يصيبكم بتكذيبكم إياي في الدنيا وقيل طائركم عند الله أي جزاء تطيركم
من عند الله هو يجزيكم به بعذاب الدنيا والآخرة بل أنتم قوم تفتنون أي تمتحنون
مرة بالشدة ومرة بالرخاء وقيل أي بل الكفار يفتنونكم بالدعوة إلى الثبات على الكفر
والتطير وقيل أنتم تعذبون بذلك في الآخرة يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون
وقوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قال
ابن عباس كانوا من أولاد الأشراف وكانوا فساقا وقيل هم قدار بن سالف ومصدع بن
دهر وأسلم ودهمي ودهيم ودعمي ودعيم وقبال وصداف عقروا الناقة

يوم الاربعا فاهلكهم الله يوم السبت قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله
ثم لنقولن قرا حمزه والكسائي وخلف بتا الخطاب على الجمع اي قال بعضهم لبعض
على الامر اي احلفوا لنا تبيتنه ليلا فنقتلوه ولتقولن لوليه اي لاوليايه وهو
حسن فصيح للجمع وهو كقوله فقد جعلنا لوليه سلطانا وقرا الباقون بالنون
اخبارا عن انفسهم اي احلفوا فقولوا كذا ويجوز ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا
ويكون تفسيرا لقوله قالوا او يكون بمعنى الحال اي متقاسمين ما شهدنا
مهلك اهله قرا عاصم في روايه ابي بكر عنه البرجمي وحماد والمفضل مهلك
بفتح الميم واللام ومعناه الهلاك او موضع الهلاك وفي رواية حفص عن عاصم بفتح
الميم وكسر اللام وهو كذلك وقرا الباقون بضم الميم وفتح اللام وهو الاهلاك
او موضع الاهلاك وانا لصادقون فيما قلناه ومكروا مكرا قصدوا قتل صالح
واهله في خفية ومكرنا مكرا جازيناهم جزا مكرهم واهلكناهم في خفيه
وهم لا يشعرون حين قصدوا ذلك انه يعود قصدهم عليهم فانظر يا محمد
كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم قرا حمزه والكسائي وعاصم وخلف وسهل
ورويس عن يعقوب انا بالفتح اي كان عاقبة مكرهم تدميرهم وقرا الباقون
على الاستيناف وتمام الاول دمرناهم اي اهلكناهم اي التسعة و
قومهم اجمعين اي سائر قوم صالح واختلفت الاثار في كيفية هلاكهم قال
ابن عباس ارسل الله ملايكه ليلا فامتلات بهم دار صالح فاتى التسعة الدار

شاهرين سيوفهم ليقتلوا صالحا فرمتهم الملايكه بالحجارة من حيث لا يرون
الملايكة فقتلتهم وقيل خرجوا نهارا من المدينه يظهرون انهم مسافرون
وعادوا ليلا خفية ونقبوا الجدران ليدخلوا داره فيقتلوه فرماهم الملايكه
من السطح فقتلوهم وقال مقاتل نزلوا في سفح من الجبل ينتظر بعضهم بعضا لياتوا
دار صالح فجثم عليهم الجبل فاهلكهم وقال السدي خرجوا لياتوا دار صالح
فنزلوا خربة من الارض ليتمكنوا فيه فانهارت عليهم وقال قتاده خرجوا مسرعين
الى صالح فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم وفيهم يقول الشاعر
كما بتسعة رهط في مساكنهم   قد نكل الله اذ اغواهم رجل
بذعا قذارا فلما ان هم عقروا   لربهم ناقة والذين ما قبلوا
اتاهم ربهم من حيث ما علموا   لنجزيهم فاراهم غب ما عملوا
وقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي خالية وقيل ساقطة وهي نصب
على القطع لانه نعت نكرة لاسم معرفه بما ظلموا اي بظلمهم ان في ذلك لايه
لقوم يعلمون بما فعلوا فيعرفون فيتعظون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
ممتازا بين المسيئين وقوله تعالى ولوطا عطفا على صالحا اي وارسلنا لوطا الى
قومه اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اي الفعله القبيحة وهي اتيان الذكور
وانتم تبصرون اي ترون قبحها بقلوبكم وهو العلم وقيل يبصر بعضكم بعضا
على ذلك وقيل تبصرون اثار من قبلكم وتعلمون صدقي ولا تنتهون تنهيه انكم لتاتون

ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ و
كذلك الاول وهو قوله اتاتون الفاحشة بل انتم قوم تجهلون اى ليس ذلك منكم لوجود
الشهوة فى الرجال فى عدمها فى النسا بل لفرط جهالتكم تفعلون ذلك ٥ فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم اى لوطا ومتبعيه ٥ انهم اناس يتطهرون
قيل ارادوا به الاستهزا كما فى قوله انك لانت الحليم الرشيد وقيل اى يتطهرون
عند انفسهم وفى زعمهم وقيل اى يتنزهون عن مثل عملنا ونحن لغوينا ٥
فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين قرا عاصم فى رواية ابى بكر وحماد
بالتخفيف والباقون بالتشديد وهما بمعنى واحد قال تعالى فقدرنا فنعم القادرون
من الغابرين اى الباقين فى الهلاك وامطرنا عليهم مطرا حجارة من سجيل
من السما فسا مطر المنذرين وقوله تعالى ٥ قل الحمد لله اى قل يا محمد الشكر
لله على اهلاك الاعدا وانجا الاوليا وقيل اى على بيان ايات الوحدانية وابطال
الكفر والنكر وسلام على عباده الذين اصطفى اى الانبيا والمومنين وقيل اصحاب
رسول الله وعلى هذا امره بالحمد على اعطا الرسالة والسلام على الصحابة
ثم علمه محاجة المشركين فقال الله خير اما تشركون استفهام للتقرير اى
الله القادر على الاهلاك والانجا وعلى كل شى خير ام الاصنام التى لا تقدر التى
تشركونها بالله وهى عاجزة جماد اى بل الله هو المستحق للعبادة دونها ٥ امن
خلق السموات والارض وانزل لكم من السما ما له وجهان احدها انه اسو الى

على معنى التقرير كما فى قوله ولئن سالتهم من خلقهم فانهم اذا سئلوا عن هذا
اعترفوا فلزمهم وجوب العبادة له دون غيره والثانى باضمار اخر الاية الاولى
اما تشركون خير امن خلق السموات والارض فانبتنا به حدائق صرف الكلام
عن المغايبة وهو قوله وانزل الى الاخبار عن نفسه وهو قوله فانبتنا وهو من
اقسام البلاغة ٥ حدائق بساتين ٥ ذات بهجة اى حسن وزينة ٥ ما كان لكم
ان تنبتوا شجرها اى ليس من صفتكم القدرة على انباتها وقيل ما امكنكم ان تنبتوها
الا لما انزلنا الما لعظا جوابكم ءاله مع الله استفهام بمعنى النفى اى لا اله
مع الله وهو المتفرد بالالوهية والربوبية وكمال القدرة ٥ بل هم قوم يعدلون
اى الكفار يميلون عن الحق وقيل اى يعدلون بالله غيره اى يسوون الاصنام به
بالاشراك امن جعل الارض قرارا مستقرا للخلق وله وجهان كالاول وجعل
خلالها انهارا اى اوساطها ٥ وجعل لها رواسى اى جبالا ثوابت لتسكنها
عن الاضطراب وجعل بين البحرين حاجزا العذب والملح حاجزا مانعا من
الاختلاط وقد فسرناه فى سورة الفرقان ٥ ءاله مع الله تفعل كذلك وهو بمعنى
النفى بل اكثرهم لا يعلمون الكناية عن قوم النبى عليه السلام واقلهم علموا و
امنوا واكثرهم لم يعلموا لترك التامل فى الدلائل فاصروا على الكفر ٥ امن يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء له وجهان ايضا كما مر ٥ ويجعلكم خلفا الارض
اى ساكنيها بعد ذهاب السلف وكانوا مقرين بذلك كله فكانوا اذا اضطروا

واصابهم سوء لا يفزعون في ازالة ذلك الا اليه وقال القشيري الاجابة بالقول
وكشف السوء بالطول الاجابة بالكلام والكشف بالانعام وما دام العبد يتوهم
من نفسه شيئا من الحول والقوة او سببا يعتمد عليه او يستند اليه فليس بمضطر
الى ان يرى نفسه كالغريق في البحر والضال في المتاهة والميت في يد الغاسل
ولا يرى لنفسه استحقاقا للاجابة ٥ االه مع الله نسرناه قليلا ما تذكرون اي
ما تتعظون لمواعظ الله ٥ امن يهديكم اي يرشدكم في ظلمات البر والبحر للطرق
الى المقاصد وله وجهان كامر ومعناه هو الذي يهديكم اليها بالنجوم والعلامات
المجعولة لها والاستدلال بالدلايل ٥ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته بينا
معناه والقراات فيه في سورة الفرقان ٥ االه مع الله تعالى الله عما يشركون وهذا
ظاهر ٥ امن يبدؤ الخلق وكانوا مقرين بان الله هو الذي يبدؤ الخلق واما قوله
ثم يعيده فهم وان جحدوه فهم محجوجون بالنشاة الاولى يلزمهم الاقرار والخلق بمعنى
المخلوق وهو واحد فلذلك قال ثم يعيده ومن يرزقكم من السما اي المطر والارض
اي من الارض اي بالنبات ٥ االه مع الله نسرناه قل هاتوا برهانكم حجتكم على ما تقولون
من ان الاصنام شركا لله ان كنتم صادقين في هذه الدعوى فانا قد اقمنا البرهان
على قدرة الله وربوبيته والوهيته ووحدانيته وقل لهم ان قالوا انه يفعل
ذلك معه غيره هاتوا حجتكم على ذلك ولا يجدون فيلزمهم الانقياد للحق ٥ قوله
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله سال هولا المشركون رسول الله عن القيامة

متى هو وكان يتوعدهم بذلك فقال الله تعالى له قل يا محمد لا يعلم ملايكة السما ولا
الجن والانس في الارض غيبا وهو مما استاثر الله بعلمه وهذا من الغيب ٥ وما
يشعرون اي ما يعلم اهل السما والارض ايان يبعثون متى يحشرون بل ادارك
علمهم في الاخرة قرا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وابو جعفر والمفضل
عن عاصم بل ادرك والباقون ادارك ومعناه تدارك ادغمت التاء في الدال
وسكنت فادخلت في اولها الالف ليبتدا بها من قرا ادرك فمعناه عند بعضهم
بلغ علمهم في الاخرة اي خطر على قلوبهم ان البعث كاين ثم التبس وفنه بل هم
في شك منها انه يكون او لا يكون بل هم منها عمون جاهلون لا يعلمون كونها ولا
يعتقدون بذلك وقيل هذه الصفات الثلاث لفرق ثلاث منهم فرقة علمت
بها وفرقة شكت وفرقة انكرت ٥ ومن قرا ادارك فمعناه تتابع واجتمع ثم
له وجوه احدها تتابع زعمهم الذي هو علم عندهم في الاخرة انها لا تكون وهذا
في جواب القول بل هم في شك منها انها تكون او لا تكون بعد التامل بعد
التامل بل هم منها عمون باقون على الجهالة غير متمعنين النظر حتى يعرفوا
كونها وقيل اداراك علمهم اي تتابع علم المومنين على كونها بل هم اي المنافقون
في شك منها بل هم اي المشركون منها عمون وقيل ادارك ماض بمعنى المستقبل
كسا ير ما ذكر من احوال القيامة اذ قال الله يا عيسى ابن مريم وعرضوا على ربك
ويحشرناهم ونفخ في الصور اي تدارك علمهم في الاخرة يعني يتتابع يومئذ

علمهم ويحتج على التيقن بها وهم في شك وعمى في الدنيا وهو كقوله اسمع بهم
وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال بعيد وبعضهم قالوا الف الاستفهام
في اوله مقدره فيكون بمعنى النفي مع ان ظاهره اثبات والفاظ السلف على
هذه الاقاويل دالة وقال السدي بل ادرك علمهم في الاخرة اي ما عمي علمهم من
ذلك في الدنيا علموا في الاخرة وقال مجاهد بل ادرك علمهم في الاخرة وقال القتيبي
علمهم في الاخرة ظن بل هم في شك يقولون تارة يكون وتارة لا يكون وقوله تعالى
وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون اي من القبور احيا لقد
وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل اي قبل هذا ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين
اي اكاذيب سطرها الاولون قل يا محمد لهؤلا المشركين سيروا في الارض اي
في البلاد فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اي المكذبين ولا تحزن عليهم يا محمد
ان يهلكوا فانهم مستحقون لذلك ولا تكن في ضيق اي لا يضيقن عليك امرك
مما يمكرون اي من مكرهم اي لا تظن ظفرهم بك فان الله ناصرك ومهلكهم
ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم عنه
يخاطبون به النبي واصحابه قل يا محمد عسى ان يكون ردف لكم اي دنا منكم فهو
اتيكم من وراكم وهذا فعل يتعدى باللام وبغير اللام وما ردف الشي وقد قرب
منه بعض الذي تستعجلون من العذاب في الدنيا الاسر والقتل وقيل الجوع
وقيل عذاب القبر وباقيه في الاخرة من عذاب النار وان ربك لذو فضل على

اذا ابا تبرها وقال في رواية لم يدرك علمهم في الاخرة

الناس على الكفار بتاخير العذاب عنهم وقيل ببعث الرسول ولكن اكثرهم
لا يشكرون لا يودون شكر نعمه بالايمان وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي تسر
وتكتم وما يعلنون اي تظهرون بالقول والفعل فليس تاخير العذاب لخفا ما يخفيهم دنه
ويظهرونه وما من غايبة اي خصلة غايبة عن رويتكم او علمكم في السما والارض
الا في كتاب مبين اي هي مثبتة في اللوح المحفوظ وقيل معلومة عند الله محفوظة
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون قال ابن
عباس اختلفوا فصاروا احزابا فنزل القران ببيان ذلك واختلفوا ايضا في النسخ
في صفة عيسى وفي تعين المبشر به في الكتاب انه نبي اخر الزمان واشيا كثيرة
وانما قال اكثر الذي هم فيه يختلفون لانه بقي اختلاف كثير لم يبينه الله وانما بين
كثيرا من ذلك وهذا الحث للمشركين على اتباع القران فانه لما كان فيه بيان لاهل
الكتاب وانهم يرجعون اليهم في كثير من اموركم فلم تركتم اسم هذا الكتاب وهو منزل
على نبيكم شانا لكم وانه اي القران لهدى اي ارشاد ورحمة للمومنين بما اتبعوه
ان ربك يقضي بينهم بما اختلفوا فيه بحكمه الحق في الاخرة لمجازاة كل احد على وفق
عمله انه هو العزيز فلا يعارض حكمه العليم فلا يخفى عليه المطيع من العاصي
وقيل يقضي بينهم في الدنيا بحكمه فيما جروه انه هو العزيز فلا ترد باسه عمن
خالف حكمه العليم فلا يخفى عليه الصواب فتوكل على الله يا محمد فانه ناصرك
على من خالفك انك على الحق المبين اي الظاهر لمن نظر اليه بعين قلبه انك لا تسمع

اي ليس في طاقتك ادخال الايمان في قلب من لا يتدبر القرآن ٥ ولا تسمع الصم الدعاء
اذا ولوا مدبرين اي الذين تصاموا عن سماع الحق وولوا عنه ٥ وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم وقرا حمزه تهدي العمي خطابا له بالفعل والعمي نصب
لانه مفعول ان تسمع اي ما تسمع الا من يومن بآياتنا تصدق بها فهم مسلمون
منقادون للحق فالميت هو الكافر والاصم والاعمى هو المعرض عن رويه الحق
وسماعه وليس في وسع النبي عليه السلام هداية الكافر وهو اثبات فعل
الاهتداء له والله تعالى هو معطي الاهتداء وموصل العبد الى سماع الحق
ورويته وانما يعطيه من علم منه اختيار الحق واما من علم منه اختياره
الباطل فانه يخذله ويدعه وما اختاره وقوله تعالى واذا وقع القول
عليهم اي وجب العقاب عليهم ونزل العذاب الموعود ومعناه قربت قيام
الساعه وظهرت الامارات التي لا ينفع معها الايمان كما قال يوم ياتي بعض آيات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت ٥ اخرجنا لهم دابة من الارض علما
من اعلام الساعه تكلمهم اي تجرحهم وتقول ان الناس على قراءة الكسر ومن
فتح فعلى وقوع الفعل عليه ٥ كانوا باياتنا لا يوقنون اي الكفار الذين حق عليهم
القول كانوا بآياتنا لا يصدقون ويشكون فقد اتى ما ازال الشكوك عنهم واشرفوا
على العقاب الذي كانوا يوعدون وقال مقاتل من الارض اي من ارض مكة وهي
دابة لها زغب وريش وجناح وقال قتاده تخرج من وادي من اودية تهامه

وقال علي تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون اليها فلا تخرج الا ثلثها وقال
مقاتل ابن حيان لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان السماء وقال الحسن لا يتم
خروجها الا بعد ثلاثة ايام والناس ينظرون وفي تفسير سير الشمس وقال
السدي ثم تعود الى ما كانت عليه قبل خروجها وقال عبد الله بن عمرو ولو شئت
لنبعلت نعلي هذه ثم مشيت لاريتكم الموضع الذي تخرج منه الدابة وهي يومئذ
بمكه وقيل تخرج من بين الصفا والمروه وقال وهب تخرج ومعها عصا موسى وخاتم
سليمان فتمسح وجه المومن بعصا موسى فيبيض ويختم بين عيني الكافر بخاتم
سليمان فيسود وجهه فلا يبقى الا مسود الوجه ومبيضه وقال ابن عباس
تنكت في وجه الكافر فيسود وجهه وفي وجه المومن فيبيض وجهه ولا يكون
حينئذ الا كافر ومومن فيقول المومن يا كافر اقضني حقي ويقول الكافر للمومن
يا مومن اقضني حقي وقال النبي عليه السلام لها ثلث خرجات تخرج اولا من
اقصى اليمن فيفشو ذكرها في اهل البوادي ولا يدخل ذكرها مكه ثم تكمن دهرا
طويلا ثم تخرج في البادية فيفشو ذكرها ~~في اهل البوادي ولا يدخل ذكرها~~ مكة ثم تكمن
دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها عند الله يعني المسجد
الحرام فما يهولهم الا خروجها من بين الركن الاسود حذاء دار بني مخزوم عن يمين
الخارج من المسجد فيتفرق الناس فقوم يهربون وقوم يقفون للنظارة قال
ابو الجوزاء سالت عبد الله بن عباس تكلمهم اي تكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المومن

وتكلم الكافر وقال كعب صورتها صورة حمار وقال وهب وجهها وجه رجل و
وساير خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران
لا يوقنون وقوله تعالى ويوم نحشر من كل امة فوجا ثم ذكر قيام الساعة بعد
هذه الاعلام فقال واذكر يوم نجمع من كل امة من امم الانبيا زمرة ممن يكذب
بآياتنا المنزلة على انبيائنا وبالآيات الدالة على وحدانيتنا في الافاق فهم
يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب
وهي تفارق قوله ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا اي
اجتمعوا وتلاحقوا قال اكذبتم بآياتي اي قال الله موبخا الذين كذبتم بآياتي المنزلة
على رسلي ولم تحيطوا بها علما الالف المذكورة في الاول مقدرة في الثاني
منقولة عن الاول معنى كذبتم بآياتي الم تحيطوا بها علما انها من عندي وهو كقوله
افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الالف مقدرة في الثاني منقولة عن الاول
معنى ام ماذا كنتم تعملون في تكذيب آياتي وقيل معناه ام علمتم ما عملتم من الكفر
والمعاصي ووقع القول عليهم اي حق وعيد العذاب عليهم بما ظلموا اي اشركوا
فهم لا ينطقون لا يؤذن لهم في التكلم بالعذر الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه والنهار مبصرا وهذه آية ظاهرة لانه ليس لهم جحدها والتكذيب بها ولكنهم
كذبوا بآياتي وهي بهذه الحالة ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لمن كان همه الايمان
وقيل الم يروا اي الم تعلموا العلم الذي يقوم مقام العيان انا جعلنا لهم الليل والنهار
قواما لمعاشهم في

قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولابد عند
ذلكم من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى وفي ذلك صحة
البعث ويوم ينفخ في الصور قيل النفخة الاولى ففزع من في السموات ومن في الارض
وقيل الموتون منه كما قال فصعق من في السموات ومن في الارض وفي تفسير ابن
حبيب ينفخ ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع ثم بعده باربعين يوما نفخة الصعق
ثم نفخة البعث وقال ففزع بعد قوله ينفخ والاول مستقبل وهذا ماض لان تقديره
واذا نفخ في الصور الا من شاء الله قيل هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم وقيل هم
جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل هو ادريس النبي عليه السلام وقيل هم
الحور العين في الجنة وخزنتها وخزنة اهل النار في النار وقيل ويوم ينفخ في الصور
هو يوم القيامة وهي النفخة الثانية وقوله ففزع هو هيبتهم من اهوالها كما قال تذهل
كل مرضعة عما ارضعت الا انه الا من شاء الله هم المؤمنون المطيعون كما قال
في آخر هذه السورة من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون وقيل
هم الشهداء وفي بلاغات الامام ابي منصور رحمه الله عن النبي عليه السلام ما اعطي
احد بعد النبوة افضل من الشهادة لا يسمع الشهيد الفزع يوم القيامة الا كرجل
قال لصاحبه اسمع فلا يسمع كما ذكر الصلوة وقوله تعالى وكل اتوه داخرين و
قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص والمفضل مقصورا على انه فعل والباقون ممدودا على انه
نعت الفاعل واما الجمع لانه اراد به الجميع وقال في كهيعص وكلهم آتيه على الافراد

انه قال

لانه اراد به كل واحد منهم فان الكلمة عامة عموم الانفراد داخرين اى
صاغرين منقادين والمعاد راجع صنعه ه وترى الجبال تحسبها جامدة اى واقفة
في مرأى العين لكثرتها وهي تمر مر السحاب تسير سيرها حين قال تعالى
فعل يستفهادي نسفا وقال ويوم نسير الجبال وكل كبير متكاثف اذا تحرك
لم تتبين حركته قال الشاعر يصف جيشا

بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج

وقوله تعالى صنع الله الذي اي هذا من صنع الله وهو ما حرك من الجبال اتقن
كل شيء اي احكم يقول هو الذي خلق الاشيا فاحكم خلقها على ما ينبغي ويبقيها
الى الوقت الذي يشاء تغنيها ويزيلها عن حالها ثم يفعل في كل حين بكل شيء ما
يشاء انه خبير بما تفعلون اي عالم بما تفعله من في السموات ومن في الارض وقوله تعالى
من جاء بالحسنة اي جا يوم القيامة بالحسنة قال اكثر المفسرين الحسنة هاهنا كلمة
الاخلاص والسيئة ضدها وهو الشرك لانه قال في حقها فكبت وجوههم في النار
فله خير منها قال مقاتل في الاية تقديم وتاخير فله منها خير اي لا يريد به التفضيل
فلا شيء افضل من الايمان لكن اراد به له منها نفع وخير اي ثواب وكرامة بخلاف قوله
من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا به
هناك معناه فله افضل منها اي التضعيف بالعشر والزيادة كما قال فله عشر امثالها
وقيل الحسنة عامة للحسنات وراسها كلمة الاخلاص اي من جا بالايمان والاعمال الصالحة

فله من ثواب الله افضل من عمله فان الثواب فعل الله والايمان والعمل الصالح فعل العبد
وهو سبحانه يثيب العبد بافضل من عمله تفضلا منه وقوله تعالى وهم من فزع
يومئذ امنون قرا حمزة والكسائي وخلف وعاصم من فزع بالتنوين يومئذ بفتح
الميم وزاد فيه نافع عن اسماعيل وابو جعفر الباقون بغير التنوين وخفض الميم
من يومئذ على الاضافة وهذا الوعد في حق المؤمن المطيع على الاطلاق وفي حق
المؤمن العاصي هو الامن من الفزع الاكبر وهو نداء القطيعة والاخبار بالخلود
في النار ه ومن جا بالسيئة اي بالشرك فكبت وجوههم في النار وهو كقوله يوم يسحبون
في النار على وجوههم ه هل تجزون الا ما كنتم تعملون اي يقول لهم الملائكة يومئذ هذا
وقيل هو خطاب الله لهم في الدنيا اي هل تجزون يوم القيامة الا على وفق عملكم انما امرت ان
اعبد رب هذه البلدة اي مالك هذه البلدة وهي مكة التي بها تفخر العرب على ساير
الناس وبها يسمون اهل الله وسكان بيته فانتم اولى بموافقتي على ذلك الذي
صفة الرب حرمها جعل لها حرمة ه وله كل شيء هو مالك كل شيء غير البلدة فانه
مالك الدنيا والاخرة ورب العالمين وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين له
والمذعنين بدينه الحق ه وان اتلو القران لتعرف الحلال والحرام وساير الاحكام وما
تقتضيه الاسلام واعمل فمن ذلك فمن اهتدى الى الحق فانما يهتدي لنفسه فله نفعه
ومن ضل عن الحق فقل انما انا من المنذرين ما علي الا الانذار وليس الي الاكراه
على الحق واجباره وقل الحمد لله على هدايتنا ونشكره على الاتي على الجوع في الكل

سيريكم اياته في المستقبل معما اريكم منها في الماضي وقيل هذه الايات التي هي
اشراط الساعة وقيل اي سيريكم اعلامه الدالة على سخطه عليكم فتعرفونها
وتعلمون صدق ما كنت اعدكم منها ه وما ربك بغافل عما تعملون قرا نافع
وابو جعفر وابن عامر ويعقوب وحفص عن عاصم بتا المخاطبة وهي لاهل مكه
والباقون بيا المغايبه

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي من على الذين استضعفوا في الارض فجعلهم ايمة الرحمن الذي
جعل للعرب حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي بصلاته ونعمة الرحيم الذي
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة وما كان يرجوا ان يلقى اليه الكتاب
الا رحمة ه وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال من قرا
طسم القصص كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق موسى وكذب
به ولا يبقى ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا
بان كل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ه وسورة القصص مكية الا
قوله ان الذي فرض عليك القران الاية فانها جحفية ليست بمكية ولا مدنية
وهي ثمان وثمانون اية والف واربعمائة وثلاثون كلمة وخمسة الاف وثمانمائة حرف
وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه ختم اخر تلك السورة باستحقاقه

الحمد بالقدرة والعلم واثنى على نفسه في اول هذه السورة بالطول والسنا والملك
وانتظام السورتين انهما جميعا في الاحتجاج على المشركين والوعظ لهم
وبيان وحدانية الله وحسن العاقبة للمؤمنين ووقوع الهلاك للكافرين
وايضاح ذلك بقصص الماضين ثم هذه السورة فيها قصص موسى وفرعون
وهامان وفرعون وفصل قصة قارون بقصة موسى الله مع قومه واذيته لموسى
لما بغى وهو ممن عليه انعم الله تعالى منه فكذا العرب مع قومهم واذيتهم
من رسول الله اذا كذبوه واذوه استحقوا ذلك وقيل مدار هذه
السورة على الحث على الاصلاح في الارض وترك العلو والفساد فيها
فانه قال في اولها ان فرعون علا في الارض الى قوله كان من المفسدين وقال
في اخرها تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا
فسادا قوله تعالى طسم فسرناه تلك ايات الكتاب المبين كذلك نتلو
عليك اي نقرا عليك جبريل بامرنا ووحينا من نبا موسى وفرعون اي من
خبرهما ومن للتبعيض فان المذكور هاهنا بعض خبرهما وقوله بالحق
اي بالصدق لقوم يؤمنون اي من اجلهم ليعلموه وينتفعوا به وقيل لقوم
يؤمنون اي لقوم همتهم الايمان والتصديق بما يتضح بيانه ليتدبروه فيعلموه
وعلى الاول بشارة وتعزية للذين قد امنوا اذا تاملوا في هذه القصة وعلى
الثاني تنبيه للذين همتهم ذلك في المستقبل ليتضح لهم الحجة وقوله تعالى

ان فرعون علا في الارض وهذا ابتدا القصة اى ان فرعون علا في زمانه في ارض مصر
لان ملكه لم يعد مصر اى ارتفع وغلب من تحت يده بكثرة امواله واتباعه و
جعل اهلها شيعًا اى فرقا يستضعف طائفة منهم اى يستذل أو يحقرونه
ويكرم طائفة يذبح ابناءهم اى الصغار من الذكور ويستحيى نساءهم اى يستبقى
الصغاير من اناثهم وقيل اى يسترق وقيل اى يامر بتفتيش حيا النسا اى
فروجهن هل بهن ولد وقد اوضحنا الكلمتين في سورة البقرة وقيل يذبح
ويستحيى تفسير الاستضعاف فليس بينهما حرف عطف وقيل بل الاستضعاف
الاستعباد والاستسخار والاستعمال في الاعمال الشاقة القذرة وهو في
حق كل بنى اسرائيل منه ويذبح ويستحيى فعلان اخوان منه بالصغار والصغاير
منهم وقيل طائفة منهم كل بنى اسرائيل والطائفة الاخرى هم القبط وكان
الاكرام لهم وقيل بل الطائفتان من بنى اسرائيل انه كان من المفسدين اى في الارض
باظهار الكفر والمعاصى واستعباد الاحرار وقتل الابنا والتجبر ونريد ان
نمن اى كان فرعون يفعل بهم ذلك ونحن نريد ان نتفضل على بنى اسرائيل المستضعفين
في الارض اى في بلاد مصر ونجعلهم ائمة اى قادة في الخير ودعاة الى الدين
نقتدا بهم ونجعلهم الوارثين ونورثهم ارض مصر وقد قال واورثناها بنى
اسرائيل ونمكن لهم في الارض اى ونجعلهم مقتدرين على الارض وعلى اهلها حتى
يستولوا عليها ومن ارض الشام ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا

يحذرون اى ما يخافونه من بنى اسرائيل من سلبهم ملكهم واستيلائهم على بلادهم
على ما قال كهنتهم ومنجموهم انه يصير كذلك حتى دعاهم ذلك الى قتل ابنائهم
واستحيا نسائهم على ما مر بيانه في سورة البقرة وسورة الاعراف وقوله تعالى
واوحينا الى ام موسى قيل كان اسمها يوخابذ بنت لاوى بن يعقوب بن اسحاق
بن ابراهيم ان ارضعيه اى الهمناها وقذفنا في قلبها وهو قول الحسن وقتادة
وليس فيه اوحى رسالة وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويجوز ان يكون برسالة
رسول اليها الخبر كما انه ولا يكون هي رسولا كارسال جبريل الى مريم ولم تصر مريم
بذلك رسولا ان ارضعيه اى اسقيه اللبن فاذا خفت عليه ان يعلم به فيقتل
فالقيه في اليم اى فاطرحيه في النيل وهو بحر مصر وبين كيفية الالقا في سورة
طه اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم ولا تخافي عليه الضيعة والهلاك
ولا تحزني ولا تهتمي لفراقه انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اى فانا نرده
اليك سالما ونبلغه مبلغا يصلح للرسالة ونجعله رسولا الى فرعون وقومه فيكون
بئسا عليهم فانهم لم ينقادوا له اهلكتهم وبين الرسالة عليه في السورة ه ثم
فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لى وعدو له وقوله تعالى فالتقطه آل فرعون
وهاهنا مضمر فارضعته وخافت عليه فالقته في اليم فالتقطه آل فرعون اى
اخذوه وقد وجدوه من غير طلب هو معنى الالتقاط وكذلك اخذ اللقطة
واللقيط ليكون لهم عدوا وحزنا قال الكوفيون هى لام كى وقال البصريون

فى لام الصيرورة وقيل لام العاقبة اى صار في العاقبة كذلك وحقيقته كان
في علم الله ذلك فالتقطوه فكان لهم عدوا وحزنا عدوا لمخالفتهم في
الدين وحزنا لما جرى من المكاره بسببه عليهم اجمعين وهو كالتعليل
لدوا للموت وابنوا للخراب ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين اى آثمين بالكفر والمعاصي فعوقبوا على ذلك بما جرى عليهم
بسببه وقال وهب لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها جميع الناس
فلم يطلع على حملها احد وكان فرعون بعث القوابل يفتشن النساء ولم
ينتفخ بطن ام موسى ولم يتغير لونها وكن لا يتعرضن لها فولدته ليلا ولا
رقيب عليها فلم يطلع عليها احد الا ابنتها مريم وكانت اسن من هارون
وهارون اكبر من موسى بثلث سنين وكانت مريم تحت كالب
بن يوقنا واوحى الله تعالى اليها ان ارضعيه الاية فكتمته امه ثلاثة
اشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليها وعليه
عملت له تابوتا على عمل سفن البحر خمسه اشبار في خمسه اشبار فاقبل
التابوت يطفو على الماء فالقى البحر التابوت في الساحل في جوف الليل
فلما اصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطئ النيل فبصر بالتابوت فقال
لمن حوله من خدمه ايتوني بهذا التابوت فاتوه به وقال مقاتل كانت امه
تتبع التابوت وترمقه ببصرها وتخاف عليه الغرق وكان الماء رفعه

مرة وتخفضه اخرى وان جوارى فرعون خرجن يستقين من النهر فراين
تابوتا تجري به الماء فاخذنه وقال كعب كان فرعون وامراته قاعدين على شط
بركته في الباغ فاذا هما بالتابوت فامر باخذه ففتح راسه فاذا هما بغلام
كاحسن ما يكون واتمه فلما رآه لم تتمالك آسية حبا له وقال وهب
لما نظر اليه فرعون قال عبراني من الاعداء وغاظه ذلك وقال كيف اخطا
هذا الغلام الذبح وكانت امراته آسية بنت مزاحم من بني اسرائيل وهي من
خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم
فقالت لفرعون ان هذا الولد اكبر من ابن سنة وانما امرت تذبح الولدان هذه
السنة فدعه يكن قرة عين لي ولك فذلك قوله وقالت امراة فرعون قرة عين
لي ولك اى هو قرة عين لي ولك روي فلما له ولعلها رأت من فرعون ما وقع عندها
ان قلبه صار كذلك فقالت ذلك اى نرجو ان يكون لنا كالولد تقر به اعيننا لا تقتلوه
اى لا تذبحوا كما تذبحون ابناء بني اسرائيل عسى ان ينفعنا كما ينفع الخادم او نتخذه
ولدا اى نتبناه ولم يكن لفرعون ابن وهم لا يشعرون ما بينا لهم من المكروه
من جهة موسى وقيل لا يشعرون بكرامته على الله وقيل وهم لا يشعرون انه من
بني اسرائيل فقد قالت آسية انما جاء التابوت من غير مصر فليس هو من بني
اسرائيل وقيل وهم لا يشعرون اى بنو اسرائيل لا يعلمون ان آل فرعون التقطوه
وقيل هو تمام كلام آسية اى نتخذه ولدا والناس لا يشعرون انه ملتقط بل

ما يظنون انه مولودنا قال وهب فوقعه فرعون واستحياه والقى الله
عليه محبته ورأفته وقال لاسيه عسى ان ينفعك واما انا فلا اريد نفعه
قال ابن عباس لو ان فرعون قال في موسى كما قالت اسيه لنفعه الله به ولكنه
ابى ذلك للشقاء الذي كتبه الله عليه وقوله تعالى واصبح فؤاد ام موسى
فارغا قيل خاليا عن الصبر كما قال وافئدتهم هواء وقيل فارغا عن كل شيء الا همه
موسى وقيل فرغ قلبها حين علمت انه حي بيد فرعون لا يقتلونه ان كادت
لتبدي به اي ما كادت الا تبدي به اي قربت ان تظهر ذلك وتبدي به بمعنى
تبديه كما قال تلقون اليهم بالمودة اي المودة والباء صلة زائدة وقيل اي لتبدي
القول به اي عجزت عن الاحتمال وقاربت من الاظهار وقيل لفراغ قلبها
وزوال خوفها ارادت ان تظهر وقيل فارغا من وعد الله انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين وكادت تبدي هذه البشارة وقيل كادت تبدي انه ابنها حين
اخذتها لولا ان ربطنا على قلبها اي شددنا قلبها وثبتناه بالصبر
وحفظناها عن الاظهار وفيه دليل خلق الله تعالى افعال العباد لتكون من
المؤمنين اي المصدقين بوعدنا وقالت اي ام موسى لاخته اي لاخت موسى
وهي مريم وقيل كلثوم قصيه اي اتبعي اثره وامشي خلف التابوت على
الشط فبصرت به اي راته عن جنب اي بعد وهم لا يشعرون اي ال فرعون
لا يعلمون ان اخته تقصه وقيل راها ولم يعلموا انها اخته وانها تعرف امره

وقال وهب لما سمعت بان ال فرعون التقطوا التابوت قالت لاخته
قصيه تنكري واذهبي مع الناس فانظري ماذا يفعلون به فخرجت تقصه
ودخلت مع القوابل على اسيه فلما رات وجدهم لموسى وحبهم اياه ورقتهم
عليه وقد دعوا بالمراضع وكان لا يقبل الرضاع ولا يسكن بكاؤه ولا ينام
حتى شق ذلك على فرعون واحزنه وذلك لسبب ما اراد الله لموسى وذلك
قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه من ان يرتضع والمراد بهذا التحريم
نهي وتكليف والمراضع يصلح جمع مرضعة ومرضع بضم الميم وهي المرأة ويحتمل
ان يكون جمع مرضع بفتح الميم وهو الثدي من قبل ان نأتيه امه وقيل من قبل مجيء
اخته وقيل اي قبل وجوده بالقضاء السابق فقالت هل ادلكم على اهل بيت
يكفلونه لكم وهم له ناصحون اي هل لكم حاجة الى ان ارشدكم الى اهل بيت يكفلون
موسى يضمنون امساكه ويضمونه الى انفسهم للتربية والارضاع لكم اي
من اجلكم وبسببكم وهم له اي للصبي ناصحون لا يمنعونه ما ينفعه في تربيته
وغذائه لا يخونونكم فيه وقال وهب قالت لهم هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم وهم له ناصحون ينصحون الملك في كفالته ويحرصون على مسرته قالت لها
اسيه نعم قالت ان حيه امرأة عمران قد ولدت غلاما وامر الملك بذبحه وهي
غزيرة اللبن طيبة النفس بان ترضع لكم هذا الغلام فاخرنها على ابنها فقد قتلتهم
على ام موسى فبعث اليها فرعون فلما دخلت عليه ناولها الابن فسكن بكاؤه

اي رتل

فلما وضعته في حجرها وجد ريحها التقف ثديها فرضع حتى روي
ونام فمكث موسى عند امه بعد ما كفلته حتى فطمته ثم ردته اليه
وقوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها فالحبيب لا تقر عينه الا
بلقا المحبوب ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم عيان فقد كانت
علمت ذلك علم خبر وهو ما قال لها انا رادوه اليك ولكن اكثر الناس لا
يعلمون اي الكفار يتوهمون خلف الوعد وقال وهب وكان من لطف
الله تعالى ان عطف الله فرعون على موسى فبينا موسى في حجر فرعون وآسيه
يربيانه بايديهما وقد اتخذاه ولدا فاكرماه ونعماه فبينا هو يلعب بين
يدي فرعون يوما وبيده قضيب خفيف صغير يلعب به اذ رفع القضيب
فضرب راس فرعون فغضب فرعون وتطير من ضربه وقال لامراته الا ترين
الى هذا الغلام كيف تناولني بالقضيب وقد كنت قلت لكم انه من الاعدا
فاراد قتله فقالت امراة فرعون ايها الملك لا تغضب ولا يشقن عليك
هذا فانه صبي صغير لا يعقل شيا وليس ينبغي للملك ان يغضب من مثل هذا
فجربه ان شئت واجعل في هذا الطست جمرة وذهبا فانظر على ايهما
يقبض فامر فرعون بجمرة وذهب فوضعها في طست بين يدي موسى فلما مد
موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها الى الجمره
فقبض عليها موسى فالقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها فقالت

آسيه لفرعون الم اقل لك انه لا يعقل شيا فكف عنه فرعون وصدقها
وترك قتله فقال ابن العقده التي كانت في لسانه اثر تلك الجمرة وهي التي قال
موسى واحلل عقدة من لساني وقوله تعالى ولما بلغ اشده اي شدة بدنه و
قوته واستوى اي تناهى شبابه وتم خلقه وقيل الاشد جمع شد مثل العقد
كالبحر والابحر وقيل جمع شد بالضم كالنعم والانعم وقيل جمع شدة كالنعمة
والانعم وقيل لا واحد له من لفظه استعماله وقال ابن عباس بلغ اشده اي بلغ مبلغ
الرجال وقيل هو اتساع عشره سنه وقيل ثماني عشره سنه وقال قتادة بلغ اشده
ثلثا وثلاثين سنه واستوى اي بلغ اربعين سنه وقيل بلوغ الاشد من ثماني عشرة
الى ثلثين ثم منها الى الاربعين الاستوا وقالوا خرج موسى من مصر الى مدين وهو ابن
اثنتي عشره سنه وكان عند شعيب ثماني وعشرين سنه وخرج باهله الى
مصر وهو ابن اربعين سنه حين اوحي اليه وقد راى النار من جانب الطور اتيناه حكما
وعلما قال محمد بن اسحق فقها في دينه وعلما بشرايع دينه فكانت له من بني اسرايل
شيعه يستمعون منه ويقتدون به ويطيعونه فلما عرف ذلك راى ان مفارقه
فرعون وقومه حق عليه في دينه فتكلم وعابهم على ذلك حتى ذكر ذلك منه فاخافوه
وخاف حتى كان لا يدخل مدينة فرعون الا خايفا مستخفيا وكذلك نجزي المحسنين
اي وكذلك نجزي من انبيائنا من كان احسن عمله لنا وصبر على طاعتنا كما فعل موسى
من مفارقتهم وعيبه لهم فعل ذلك فاتيناه ما اتيناه جزاء على احسانه ٥ ٥

وقوله تعالى ودخل المدينة اى ودخل موسى مدينة فرعون على حين غفلة
من اهلها قال اكثر المفسرين نصف النهار وقت القايلة وخلوة الطريق وقيل
بين المغرب والعشا وقيل كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد
فيها رجلين يقتتلان يعنى يتشاجران هذا من شيعته اى احدهما من شيعة
موسى اى متابعيه وهم بنوا اسرايل وهذا من عدوه اى والاخر من اعدايه وهم
قوم فرعون قال مجاهد هذا اسبطى وهذا قبطى وقال ابن اسحق هذا مسلم وهذا
كافر وقيل كان القبطى قد تسخر الاسرايلى وقيل كانا كافرين لكن احدهما اسرايلى
فكان من شيعة موسى بذلك لا بالدين قاله قتاده وقيل يقتتلان يختصمان فى الدين احدهما
اسرايلى يدين بالتوحيد والنبوة والثانى لا يدين بهما فاستغاثه الذى من شيعته
اى ساله الاسرايلى ان يغيثه بالخلاص من يدى القبطى فوكزه موسى اى
لكزه موسى فى صدره بجمع كفه وهو غير عامد لقتله فقضى عليه اى فقتله
وفرغ منه قال هذا من عمل الشيطان اى قال موسى لما اغرانى بهذا الفعل
الشيطان وهيج غضبى حتى ضربت هذا انه عدو اى ان الشيطان عدو مضل
قاصد الى الاضلال والافساد مبين ظاهر ثم استغفر منه فقال رب انى ظلمت
نفسى بفعل صار مثلا فاغفر لى ذنبى فاستجاب له ربه فغفر له زلته انه هو
الغفور الرحيم قال رب بما انعمت على بالمغفرة فلن اكون ظهيرا اى معينا
للمجرمين للمذنبين واذا لم يكن معينا للمذنب لا يذنب بنفسه وقيل اى بما انعمت على

من القوة وكانت له قوة اربعين رجلا قال لا اصرف هذه القوة الى عون
المجرمين وقيل بما انعمت على من كل النعم وقلت [illegible] بما انعمت فكن من الشاكرين
مستكرين لك ان لا اعين المجرمين وقيل اراد به ان لا اعين بعد هذا اسرايليا
ايضا وكانوا يومئذ كفارا ومعنى من شيعته اى نسبا لا دينا وهو قول قتاده
كما مر وقيل رب بما انعمت على هو يا سبب وقيل هو يا قسم وقوله تعالى
فلن اكون قيل هو وعد من نفسه وقيل هو دعا وسوال من ربه وقوله ظهيرا
للمجرمين قيل اى للمشركين وقيل هو عام فى كل الخطايا فاصبح فى المدينة خايفا
على نفسه من ان يعلم بما جرى على يديه يترقب اى ينتظر ويتوقع مكروها
يقع به وقيل ينظر هل علم به احد فاذا الذى استنصره بالامس اى ذلك
الاسرايلى يستصرخه اى يستغيثه على قبطى اخر يشاجره قال له موسى
انك لغوى مبين اى ضال عن الرشد ظاهر الغى تبين عن نفسك فقد قاتلت
بالامس رجلا منهم فتفعل اليوم كذلك واوقعتنى انت فيما اوقعتنى وهذا
لا يفعله رشيد وتدبيره لانك بذلك تستدعى البلا الى نفسك والى من يريد
نصرتك فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما اى فلما اراد موسى ان يبطش
بالقبطى الذى هو عدو لموسى وللاسرايلى حيث عليه ليمنعه من اخذ
الاسرايلى ويسخره قال يا موسى اى قال الاسرايلى لموسى وتوهم انه انما اراد
اخذه لا اخذ القبطى اذ قال له انك لغوى مبين ورأى ندمه على ما كان منه بالامس

من قتل القبطي ثم رآه قصد نحوه ونحو صاحبه ظن انه انما يقصده قال اتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس اي القبطي ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض
اي ما تريد الا ان تكون قتالا وقيل متجبرا وما تريد ان تكون من المصلحين في
الارض وقيل اي ممن اصلح بين متشاجرين فانما يدفع احدهما عن الاخر لا ان يقتل
احدهما وكان قتل امر القبطي بالامس قد شاع لكن خفي قاتله فلما سمع القبطي
في اليوم الثاني ذلك من السبطي لموسى علم ان موسى هو قاتل القبطي بالامس فذهب
واخبر فرعون فطلبوه ليقتلوه وهذا عن ابن عباس وجماعة وقال الحسن قوله
اتريد ان تقتلني هو قول القبطي وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال محمد [بن]
اسحاق هو حزبيل ابن صبور ابن عم فرعون وهو مؤمن من آل فرعون يسعى
اي يسرع قال يا موسى ان الملأ اي اشراف القوم يأتمرون بك اي يتشاورون
فيك ليقتلوك بالقبطي الذي قتلته فاخرج اني لك من الناصحين
فخرج منها خائفا على نفسه منهم وقال ابن عباس اي خائفا ان يضل الطريق يترقب
اي ينتظر هل يلحقه طلب فيؤخذ ثم التجأ الى الله تعالى قال رب نجني من القوم
الظالمين اي احفظني ولا يلحقني الطلب فانهم ظالمون بقتلي وقال الامام
ابو منصور رحمه الله دل هذا على صحة قول ابي حنيفة ان القتل بالمثقل لا يوجب القصاص
فان موسى جعلهم ظالمين بطلب القصاص بقتله بالوكزة والوكزة من موسى
وله قوة اربعين رجلا كانت مفضية الى القتل ولم تكن موجبة للقصاص حتى
موسى عليه السلام

وفي تفسير مالك بن سليمان الهروي ان الرجلين المقتتلين كان احدهما السامري
واسمه ميخا والاخر طباخ فرعون واسمه فليثون يسخر السامري لحمل الحطب
الى المطبخ وكذلك قال وهب في المبتدا قال فخرج موسى من مصر لا يدري الى اي
وجه يسلك خائفا ليس معه زاد ولا حمولة ولا صاحب ولما توجه تلقاء مدين قال
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي ارجو ان يرشدني الى وسط الطريق فسار من
مصر الى مدين ثمان ليال قد تفطرت قدماه دما وقرح شدقاه من اكل ورق الشجر
ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون قيل كان قصده مدين وهو
لا يعرف جهتها متوجها متحيرا على رجاء ان يصل اليها وقيل لم يقصد مدين لكن
اخذ طريقا يرجو ان يؤديه الى مأمن ولما وصل الى ماء مدين وهو بئر لهم وجد عليه
امة من الناس اي جماعة يسقون مواشيهم ووجد من دونهم اي اسفل من الجماعة
امرأتين تذودان قال السدي اي تحبسان غنمهما وقال قتادة اي تطردان
الناس عن شائهما وقد ذاد يذود ذودا اذا ذاد اي حبس ابله او غنمه او نحو
ذلك عن الشيء ليمنعها منه قال الشاعر شعر

عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن ذيادي الطير عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها حمراء تبري اللحم عن عراقها

قال ما خطبكما اي ما شأنكما واقفتين لا تسقيان كسائر الناس قالتا لا نسقي
اي نحن لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء قال ابن عباس لا قوة لنا على الاستقاء انما

وانا اسظر نسول الما في الحوض وكذا قال ابن اسحاق وقتاده وقيل كان تاخيرهما
لمنع الناس وقيل الحيا يمنعهما عن مزاحمة الناس ولتجنبهما عن مخالطة الناس وقرا
ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر حتى يَصْدُرَ بفتح اليا وضم الدال اي يرجع وهو لازم
وقرا الباقون بضم اليا وكسر الدال من الاصدار وهو متعد والرعاء جمع راعي
كالقيام جمع قائم والرعاء هم الذين يرعون المواشي والرعاة هم الذين يرعون
الناس وهم الولاة ومعنى الاول حتى ينصرف الراعون بصدورهم عن ورود
ومعنى الثاني حتى يردوا واما شيئهم اصدارا عن ايراده وابونا شيخ كبير
لا يستطيع حضور الما فيسقي غنمه بنفسه وليس له عون غيرنا فسقى
لهما اي فسقى موسى غنمهما لاجلهما قبل صدور الرعا ثم تولى الى الظل اي توجه
الى ظل شجرة وقيل كانت سمرة وقيل كانت ظل حايط وذلك ان البير كانت
في الشمس ودل انه لا باس بالجلوس تحت الظله فقال رب اني لما انزلت الي من
خير فقير اي بادرنا الى ما تنزل الي من رزق محتاج قال ابن عباس سال ما يشبع
به جوعته وقد كان جائعا ثمانية ايام واللام بمعنى الى كما قال اوحى لها اي اليها وقوله
هداه الله لكذا اي الى كذا وقيل معناه معما انزلت الى اي اعطيتني من الخير اي
من كل خير فقير الى خير اخر وهو الطعام وقيل سال خبز الشعير شكرا الله
لما سلف في المؤتنفه والشيخ الكبير هو شعيب بن نويب بن مدين بن
ابراهيم وسميت تلك الولاية مدين باسم جدته مدين ابن ابراهيم وكان لابراهيم

اسماعيل واسحاق ومدين ومداين والبهما نسبت البلدتان مدين ومداين هذا
قول ابن عباس والضحاك ومجاهد والسدي انه شعيب وقال وهب بن منبه و
سعيد بن جبير هو يثرون ابن اخي شعيب وكان شعيب مات قبل ذلك بعدما
كف بصره ودفن بين المقام وزمزم وقال محمد بن اسحاق المراتان كبراهما
صفوره والاخرى ليا وقيل الكبرى صفورا والصغرى صفيرا وقال
وهب الكبرى صفورا والصغرى جنونا وقوله تعالى فسقى لهما قال شريح
رفع لهما حجرا لا يقدر على رفعه الا عشرة رجال وقيل اربعون رجلا وقال مجاهد
مائة رجل وكان الدلو لا ينزعها الا اربعون رجلا فرفع الحجر بنفسه ونزع الدلو
بنفسه وكان له قوة اربعين رجلا وقال محمد بن اسحاق زحم القوم حتى نحاهم عن
راس البير ثم سقى لهما وقال القشيري لما احتمل موسى بنفسه قوة مائة نفر خاف
العجب على نفسه فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فاري فقره وفاقته اي
وان تعاطيت ما تعاطيت بما لي من القوة فاني فقير اليك والى رحمتك اي لم اعمل
الا بقوتك ولما سقى موسى غنمهما قبل سقي الناس اسرعتا الرجوع الى ابيهما
فقال ما لكما اسرعتما الرجوع فحكتا الرجوع له ذلك فامر احديهما ان تدعوه
ليجزيه اجر ما سقى لهما فجاءته احديهما تمشي على استحيا قال ابن عباس اي مستترة
بكم درعها وقيل جاءت الكبرى ساترة وجهها وقال سعيد بن المسيب كانت
جنية لم تكن خراجة ولاجة وقيل فجاءته احديهما تمشي هاهنا وقف بهم قال
على استحيا قالت

فكان الحياء في الكلام قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي ليعطيك
ثواب ما عملت لنا وفيه دليل على ان المكافاة على الصنيعة لازمة ويستحب
للمصطنع ان لا يطلب مكافاة ولا يقبل ليبقى له الفضل ولو قبل عند الحاجة
فلا باس فان موسى عليه السلام قبل ذلك لحاجته ٥ فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قال ابن عباس اي ليس لفرعون سلطان بارضنا
وهو اجابة لدعوته رب نجني من القوم الظالمين قال وهب ولما ورد ماء مدين
وجد عليه امة من الناس يسقون اهل شاء ونعم ووجد من دونهم امراتين
تذودان غنمهما عن الماء فرق لهما موسى حين نظر اليهما وراهما ضعيفتين لا تصلان
الى الماء لكثرة من عليه من الناس فقال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
وابونا شيخ كبير لا يقدر على ان يلي سقي ماشيته بنفسه لضعفه وكبر
سنه ويقال انه كان ضرير البصر فنحن ننتظر الرعاء فاذا فرغوا من سقي مواشيهم
تقدمنا فسقينا مواشينا ثم انصرفنا الى ابينا فلما سمع موسى مقالتهما رق
لهما فاخذ دلوهما ثم تقدم فزاحم القوم حتى افرجوا له فرجة فسقى لهما ماشيتهما
وكان رجلا قويا كاقوى الرجال فلما فرغ من سقيها تولى الى ظل السمرة فقال
رب اني لما انزلت الي من خير فقير وامنيته يومه شبعة من طعام وكان على
راس البئر صخرة لا يزيلها الا من ثلثين رجلا فرفعها وحده فانصرفتا الى ابيهما
في ساعة لم تكونا تنصرفان اليه فيها فسالهما فاخبرتاه الخبر وكيف سقى لهما موسى

موسى وكيف زاحم الرجال علي كلما فقال شعيب لصفورا ابنته وهي احداهما
انطلقي فاتي بهذا الرجل فجاءته تمشي على استحياء فوجدته قاعدا في الظل فقالت
ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فقام موسى معها وقال لها امشي امامي
وانا خلفك الى اهلك فجاءت الريح فوصفته ثيابها وموسى منكس لا ينظر اليها
فخشي ان يحين منه نظرة فقال لها امشي خلفي فانا لا انظر في ظهور النساء وهذا
يوم ريح فنعتت له الطريق ومشت خلفه فلما دخل على شعيب ساله عن حاله
فاخبره موسى خبره فقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين وقوله تعالى قالت
احديهما يا ابت استاجره اي لرعي اغنامنا وسقيها والقيام بمصالحها ان خير
من استاجرت القوي الامين اي خير من استاجرته وهذا القوي الامين روي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قال يا بنية ما امانته وما قوته قالت اما قوته فرفع
الحجر ولا يطيقه الا جماعة واما امانته فانه قال لي امشي خلفي وصفي لي الطريق
فاني اكره ان تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك فزاده فيه رغبة قال
اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج يعني على ان تاجرني
نفسك فتكون اجيري ثماني سنين في رعي غنمي والحجة السنة لان في كل سنة حجة فسموها
بها النفقة اياها تعظيما لها فان اتممت عشرا فمن عندك اي فان زدت على
الثمان فاتممت السنين عشرا فذلك تطوع من عندك لا يلزمك ذلك في عقد الاجارة
وما اريد ان اشق عليك اي احمل عليك ما يشتد عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين

ای من یفی بالشرط فلا تعدی ولا تطالب بما وراء الشرط ومن ذلک فعل فهو صالح
قال ذلک بینی وبینک ای هذا شرط ثبتا علی کل واحد منا الوفا به لصاحبه ایما
الاجلین قضیت ای ای المدتین وفیتک العمل فیهما فلا عدوان علی فلیس لک
ان تلزمنی اکثر منه متعدیا علی وقیل ذلک بینی وبینک ای ما ذکرت من الاجلین
فهو امر بینی وبینک افعل منه ما احببت لا شرط علی فیه والله علی ما نقول
وکیل ای ما نعقد علیه حفیظ وقال وهب رعی موسی لشعیب ثمانی حجج فادخل
علیه السنه ووفق الیه امره ثم رعی موسی ایضا بعد ذلک سنتین فاتمها عشرا
وقضی اوفی الاجلین واتمهما وعن وهب قال لما قضی الاجل انکحه کبراهما وعن
النبی علیه السلام انه سئل ای الاجلین قضی موسی وای الابنتین تزوج قال تزوج
صغراهما وقضی اوفاهما وقد اختبره شعیب فیهما فقال الخیار التی مدحتنی
ملکه ثمن مدح الله تعالی بکل حال وقال عبد الله بن مسعود افرس الناس
ثلاثه ابنه شعیب فی قولها یا ابت استاجره الایه والذی تفرس فی یوسف
عسی ان ینفعنا وابو بکر حین تفرس فی عمر فاستخلفه وروی ان شعیبا قال
لموسی علیهما السلام حین جن اللیل ادخل ذلک البیت فاخرج عصا من
تلک العصی فدخل فاخرج عصا کان آدم اخرجها من الجنه فلما نظر شعیب الیها
ضن بها فقال الاخرج غیرها فاخرجها بعد ما القاها فی العصی حتی فعل ذلک
سبع مرات فعلم شعیب ان لموسی شانا فلما اصبح قال له سق هذه الاغنام الی

مفرق الطریق ثم خذ عن یمینک ولیس بها عشب کثیر ولا تاخذ عن یسارک و
فیها عشب کثیر لکن فیها تنین فلعل المواشی فساق موسی المواشی الی
مفرق الطریق فاخذن نحو الیسار ولم یقدر علی ضبطهن وانتشرن فی الکلا
ونام موسی فخرج التنین فقامت العصا فصارت شعبتاها حدیدا وحاربت
التنین حتی قتلته وعادت الی موسی فلما انتبه موسی رای العصا مخضوبه بالدم
والتنین مقتولا فارتاح لذلک وعاد الی شعیب بمس الاغنام فاذا هی امتلات
فساله عن القصه فاخبره بها ففرح بذلک شعیب واراد ان یجزی موسی علیها
فقال له کل ما ولدت الاغنام فی هذه السنه من اولاد سود فهو لک فکانت الاولاد
فی تلک السنه کلها سودا اجمارها کلها وفی السنه الثانیه شرط ذلک فی البیض
فولدت کلها بیضا اجمارها وفی السنه الثالثه قال کل ولد له لونان سواد
وبیاض فهو لک فکان الکل کذلک فجازها کلها وعلم شعیب ان له عند الله منزله
وقوله تعالی فلما قضی موسی الاجل قال عشر سنین وسار باهله خرج باذن شعیب
مع امراته واولاده وعبیده یرید مصر واخاه واخته وقرابته وهم بها انس من جانب
الطور نارا ای ابصره قال لاهله امکثوا ای البثوا مکانکم انی انست نارا لعلی اتیکم
منها بخبر ای الدلاله علی الطریق او جذوه من النار ای قطعه غلیظه من الحطب فیها
النار وفیها ثلاث لغات فتح الجیم وضمها وکسرها والفتح قراه عاصم والضم
قراه حمزه وخلف والکسر قراه الباقین وقال قتاده الجذوه الشعله من النار

لعلكم تصطلون اي تستدفئون بها وكانت ليلة شاتية ذات برد ومطر
فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي اي جانبه الايمن نعت للشاطئ وهو عن يمين
المتوجه اليه في البقعة المباركة اي القطعة المفرزة من ذلك الوادي
والمباركة صفتها على ما مر في قوله نودي ان بورك من في النار والوادي هو الوادي
المقدس طوى من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك
فلما راها اي فالقاها وهذا مضمر فلما راها تهتز اي تتحرك كانها جان اي حية
خفيفة في سعيها وهي ثعبان عظيم في جثتها ولى مدبرا ولم يعقب اي لم
يرجع يا موسى اقبل ولا تخف اي قيل له يا موسى لا تخف من الذي تهرب منه انك
من الامنين مما تخاف اسلك يدك اي ادخلها في جيبك اي في جيب قميصك
تخرج بيضاء متلالئة لها شعاع من غير سوء اي من افة من البرص ونحوه
واضمم اليك جناحك اي يدك واليدان للادمي كالجناحين للطير وقيل كان
بسطها اتقاء عن الحية فقيل له ضمها واخفها وقال الضحاك والفراء جناحك
اي عصاك وقيل اي اضمم يدك الى صدرك تسكينا للقلب وقيل اي تعظيما للرب
فانه من الخشوع والتواضع وقوله تعالى من الرهب قرا ابن كثير وابو عمرو
ونافع وابو جعفر وسهل ويعقوب والخزاز عن هبيرة عن حفص من الرهب
بفتح الراء والهاء وروى حفص غير الخزاز عن عاصم بفتح الراء وجزم الهاء وقرا
الباقون بضم الراء وجزم الهاء وهي لغات في الرعب وقيل هو متصل بقوله انك من الامنين

وقال الرهب الكم بلغة بني حنيفة حكاه مقاتل بن سليمان فذانك قرا ابو عمرو ويعقوب
وابن كثير بالتشديد وذلك للتاكيد والباقون بالتخفيف برهانان اي حجتان من ربك
على صدق نبوتك الى فرعون وملائه اي على ارسالك الى فرعون واشراف قومه
انهم كانوا قوما فاسقين متمادين في الفسق وهو الخروج عن طاعة الله قال
رب اني قتلت منهم نفسا اي القبطي الذي مر ذكره فاخاف ان يقتلون به وهو
خوف الطبع واخي هارون هو افصح مني لسانا اي ابين كلاما فارسله معي اي فاجعله
رسولا اليهم معي ردءا اي عونا على تبليغ الرسالة يصدقني قرا عاصم وحمزة
برفع القاف على الصفة وقرا الباقون بالجزم على الجزاء اني اخاف ان يكذبون
فاذا كان معي اخي قمنا بمحاجتهم قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به
وهو مجاز ونجعل لكما سلطانا اي حجة وقيل قوة وقدرة ومنعة فلا يصلون
اليكما اي فلا يصيبونكما بمكروه باياتنا قيل هو متصل بقوله ونجعل لكما سلطانا
باياتنا وقيل هو متاخر وتقديره انتما ومن اتبعكما الغالبون باياتنا وهي المعجزات
ويجوز ان تكون باياتنا مقررة في موضعها فلا يصلون اليكما بسبب اياتنا وكان له
ثلاثة اوجه وقد مر في القصة مرات فلما جاءهم موسى باياتنا اي معجزاتنا بينات
اي واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي مختلق لا حقيقة له وما سمعنا
بهذا في ابائنا الاولين ما دعوتنا الى التوحيد وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون اجمل الكلام تلطفا في الخطاب

ومعناه ما جئتكم به حق وهدى وليس بسحر وربي عالم بذلك وانتم ظالمون و
حسن العاقبة لي في الدنيا والاخرة ولمن اتبعني لا لكم ه وقال فرعون يا ايها الملا ما
علمت لكم من اله غيري فلا تسمعوا لقول موسى ولا تجيبوه الى التوحيد قال ابن عباس
كان بين قوله انا ربكم الاعلى وبين قوله ما علمت لكم من اله غيري اربعون سنة وقال
الحسن لقد املى الله لفرعون بعد هاتين الكلمتين اربعين سنة وقيل في قوله فاخذه
الله نكال الاخرة والاولى اي الكلمة الاخرة والكلمة الاولى وهما هاتان ه فاوقد
لي يا هامان هو وزيره على الطين اي فاطبخه واجعله آجراً اي قال قتادة هو اول
طبخ الآجر وبنى به ه فاجعل لي صرحاً اي اتخذ منه قصراً عالياً ه لعلي اطلع الى
اله موسى اي واجعل لي مراقي ارقاها فارى اله موسى او قال فاصل الى اله موسى
ظن اللعين ان موسى يقول ان الله في السما لاظهاره نزول الوحي عليه من السما
فقال اصعد وانظر اليه وقد ناقض اللعين في كلامه من وجوه قال اولا ما علمت
لكم من اله غيري ثم اقر فقال الى اله موسى ثم ذكر من نفسه الظن فقال واني لاظنه
من الكاذبين اي اظن موسى يكذب في دعواه ان له الهاً ارسله الينا رسولاً يدعونا انه
الى توحيده وعبادته وقوله تعالى ه واستكبر هو وجنوده اي تعظموا عن الاستسلام
والاسلام هو وجنوده في الارض اي في ارض مصر ه بغير الحق اي بالباطل ه وظنوا
انهم الينا اي الى حسابنا وجزائنا لا يرجعون يوم القيامة وليس هذا بعذر لهم بل
ذم لهم بالجهل وترك التامل في الآيات حتى تعلموا ه فاخذناه وجنوده اي عاقبناهم

فنبذناهم في اليم اي فالقيناهم في البحر واغرقناهم على ما مرت قصته فانظر
يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين فليحذر قومك ان يجري عليهم مثل ذلك ه و
جعلناهم ائمة اي قادة في الشر والضلالة يقتدى بهم فيها امثالهم ه يدعون
الى النار وفيه دلالة خلق الله تعالى افعال العباد ودلالة الارادة ه ويوم القيامة
لا ينصرون اي لا يمنع العذاب عنهم مانع ه واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي الزمناهم
طرداً وتبعيداً عن كل خير وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم ه
ويوم القيامة هم من المقبوحين قال الكيسائي اي من المهلكين وقال الخليل قبحه
الله اي نحاه من كل خير وقيل من المشوهين والتشويه تقبيح الخلقة وقوله
ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اي بعد ان
قد مضت اهلكناها بكفرها ه بصائر للناس اي حججاً للناس وهم بنو اسرائيل
والتورية جعلت بصائر لهم يبصرون بها الرشد وهدى الى الحق ورحمة
لمن اتبعها وعمل بها ه لعلهم يتذكرون اي ليتعظوا بها ه وما كنت يا محمد بجانب
الغربي اي بجانب الجبل الغربي وقيل اي الوادي الغربي وقيل هو اضافة الشي الى
نفسه فان الغربي هو الجانب وهو كقوله ولدار الاخرة ه اذ قضينا الى موسى
الامر اي كلمناه وقربناه نجيا واتممنا تعريفه وامرناه به ه وما كنت من الشاهدين
اي من الحاضرين ذلك ه ولكنا انشانا قروناً اي لم تكن هناك ولا حضرت ما جرى
من الامر فيكون اخبارك قومك به عن مشاهدة ه ولكنا انشانا بعد موسى قروناً

فتطاول عليهم العمر وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى والشرايع تندرس
ولحق كثيرا منها التحريف ثم ما هنا مضمر وارسلناك مجددا لها مبينا ما وقع
التحريف فيه رحمة وهدى وتبصيرا له لعلهم يتذكرون كما فعلنا ذلك لموسى
ومنهم من قال وما كنت من الشاهدين عليه لان الحضور مستفاد بقوله
وما كنت بجانب الغربي ومنهم من حقق الاول وقال وما كنت بجانب الغربي
عبارة عن الوجود وما كنت من الشاهدين عبارة عن الشهود فلم يتكرر ثم
اخباره عن ذلك ولم يشهده دليل على صحة دعواه الرسالة كما عرفه وما
كنت ثاويا اي ولم تكن ايضا مقيما في اهل مدين اي لم تكن انت الرسول الى اهلها
تتلو عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فارسلنا فيهم شعيبا وارسلناك
في اخر الزمان لتكون خاتم الانبياء وقال الفراء معناه وما كنت ثاويا في مدين مع موسى
مقيما تراه وتسمعه وما انت تتلو عليهم اياتنا فهو منقطع عن الاول اثباتا
للحال لا نفيا في الماضي وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي وما كنت ايضا بجانب
الطور اذ نادينا موسى اذ جاء لميقاتنا مع السبعين وكلمناه واعطيناه الالواح
ولكن رحمة من ربك اي ولكن عرفناك ذلك رحمة منا اظهارا لنبوتك لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وهم العرب لعلهم يتذكرون يتعظون وقد
روي في قوله اذ نادينا انه قوله فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة الايات
وقال ابو زرعة اذ نادينا قال نودوا ان يا امة محمد اعطيتكم قبل ان تسألوني

واستجبت لكم قبل ان تدعوني وقال مقاتل ابن حيان اي نادينا امتك وهم في اصلاب
ابائهم وقال وهب قال موسى يا رب ارني محمدا قال انك لن تصل اليه وان شئت نا ديت
امته فاسمعتك صوتهم وقيل في قوله ولكنا انشانا قرونا معناه ان قومك يا محمد
حدثوا في الدنيا بعد موسى وسائر الانبياء بدهر طويل فلم يعرفوا ارسال الرسل
فانكروا وقيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليه السلام خمسمائة وخمسين
سنة وقوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين اي انا لو عاجلناهم بالعقوبة
بما ارتكبوه من المعاصي لقالوا هلا ارسلت الينا رسولا فكنا نؤمن به ونتبع القران
الذي نزلته ونصدق به لما ارسلنا اليهم هذا الجواب محذوف لدلالة ظاهر
الكلام عليه وقوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا النبي المرسل وهو محمد عليه
السلام والكتاب المنزل وهو القران تحكموا على الله فقالوا لولا اوتي اي محمد
مثل ما اوتي موسى من الايات كفلق البحر ونحوه وقيل اي هلا انزل عليه القران
جملة واحدة كالتورية اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل اي اوليس هؤلاء المشركون
كافرين بما اوتي موسى من قبل محمد وقبل ان يعد هذا القول قالوا سحران تظاهرا قرا
عاصم وحمزة والكسائي وخلف سحران يعني اي التورية والقران سحران تعاونا
على خديعة الناس وصرفهم عن دين ابائهم وقرا الباقون ساحران تظاهرا
اي موسى ومحمد خادعان الناس تعاونا على ذلك اي فما معنى قولهم لولا اوتي

مثل ما أوتي موسى وهم لموسى كافرون ككفرهم لمحمد وقالوا إنا بكلٍّ كافرون أي
بكلٍّ من السحرين أو الساحرين وقيل هذا إشارة إلى من كفر بموسى من القوم الذين بعث
إليهم والمعنى أن نزول التوراة على موسى جملة واحدة لأنه كثير من أولئك من الكفرة
حتى قالوا موسى وهارون ساحران تظاهرا أو كلاهما سحران تظاهرا أي كفر
مشركي العرب كذلك قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم
صادقين أي فإذ كنتم كذبتم يا معشر العرب بهذين الكتابين فأتوا بكتاب
من عند الله هو أهدى منهما فيكون ذلك عذرًا لكم في الكفر بهما إن كنتم صادقين
في أنهما سحران لا هداية فيهما ويلزمني بذلك أيضًا اتباع ذلك لأنه أهدى وترك
ما أنزله الله عليّ وعلى موسى وهذا دليل على أن أولى القراءتين سحران تظاهرا
فإن لم يستجيبوا لك أي فإن لم يجيبوك إلى الإيمان بالكتاب مع عجزهم عن الإتيان
بأهدى منهما فاعلم أنما يتبعون أهواءهم وليس بهم طلب الحق وتعرّفه واتباعه
ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله استفهام بمعنى النفي أي لا أضل منه
إن الله لا يهدي القوم الظالمين وهم هؤلاء ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون
أي ولقد تابعنا والتوصيل تكثير الوصل وتكريره أي أتبعنا لهم الوعد والوعيد
والأخبار عن الأمم السالفة بعضه بعضًا ليتذكروا أي فعلنا ذلك لينفعهم
لا ليزداد شيء في ملكنا وقوله تعالى لهم أي لمشركي العرب وقال نفطويه وصّلنا
أي أنزلناه شيئًا بعد شيء ليكونوا له أدعى وهو جواب قولهم لولا أوتي مثل ما أوتي موسى

ولقد وصّلنا

من التوراة جملة وقال ابن عباس وصّلنا بيّنا وقال قطرب أتممنا وقال الفراء
أنزلناه يتبع بعضه بعضًا وقال ابن زيد القول أي الخبر عن أمر الدنيا والآخرة
وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب أي التوراة وهم بنو إسرائيل من قبله أي من
قبل القرآن وقيل قبل محمد هم به أي بالقرآن يؤمنون أي يصدقون وهم عبد الله
بن سلام وأصحابه ومن آمن من أهل الكتاب وقيل هم أربعون نفرًا اثنان وثلاثون
منهم جاءوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة فآمنوا وثمانية نفر من الشام
بحيرا وأبرهة والأشرف وتمام وإدريس وأيمن ونافع وتميم وهؤلاء
حجة على من خالفهم ممن كانوا يرجعون إليهم ويعتمدون على قولهم وفي تكذيبهم
إياهم بيان أنهم معاندون وإذا يتلى عليهم أي القرآن قالوا آمنا به أي صدقناه
إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أي من قبل مجيء محمد ونزول القرآن عليه مسلمين
دائنين بدين الإسلام منقادين له عالمين بصحته لما كان من ذكره في كتابهم
أولئك يؤتون أجرهم مرتين أي هؤلاء الذين كانوا آمنوا بالكتاب الأول والرسول
الأول ثم آمنوا بك وبكتابك يعطون ثوابهم مرتين بما صبروا أي ثبتوا على الحق
فلم يبدلوه ويدرءون بالحسنة السيئة أي يدفعون ما يأتيهم من مخالفيهم في الدين من
مكروه وشتم وسخرية بالحسنة أي الاحتمال والصبر والقول الجميل ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الطاعات ولا يبخلون ثقة بوعد الخلف والثواب كالمشركين
وإذا سمعوا اللغو أي الباطل من المشركين أعرضوا عنه ولم يصغوا إليه

ولم يجيبوا عنه وقالوا لنا اعمالنا رضينا بما نحن عليه من الدين ولكم اعمالكم
رضيتم بها سلام عليكم اي امان منا لكم ان نقابل لغوكم بمثله لا نبتغي الجاهلين
لا نرضى بمجاورة الجاهلين ومعاشرتهم والتخلق باخلاقهم انك لا تهدي من
احببت اي لا تجري اهتداء الناس على محبتك ولكن الله يهدي من يشاء خلق فعل
الاهتداء فيمن يشاء وهو اعلم بالمهتدين اي سبق علمه بمن يختار الهداية
فيهديه والاية عامة الصيغة وقيل انها نزلت في ابي طالب على الخصوص قال ابن
عباس كان النبي عليه السلام حريصا على اسلامه لتكفله اياه في صباه وذبه
عنه في كبره حتى قال ابو طالب لقريش حين هموا بقتله شعر

كذبتم وبيت الله لا تقتلونه ولما نطاعن حوله ونقاتل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وكان يقول لقريش صدقوا ابن اخي وآمنوا به ترشدوا وتفلحوا وكان النبي
عليه السلام يقول له انا مرهم بالنصيحة لانفسهم وتتركها لنفسك وجاءه
عند موته فقال ابو طالب ما تريد يا ابن اخي قال اريد ان تشهد شهادة الحق
اشفع لك بها عند الله وكان عنده ابو جهل وجماعة من كفار قريش فقالوا له يا ابا
طالب اترغب عن ملة عبد المطلب اترغب عن ملة ابائك فما زالوا به حتى كان
اخر ما قال يا ابن اخي اني لاعلم انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت
ولولا ذلك لاقررت عينك به ولكني اموت على ملة اشياخي عبد المطلب وهاشم
وعبد مناف وقصي

وقام عليه السلام من عنده باكيا ونزلت هذه الاية وقال ابن عباس انك لا تهدي
من احببت اي لا تقدر ان تنور قلب من احببت ولكن الله يفعل ذلك وفيه دليل على
انك سبحانه الخالق للهداية لا شريك له في الهداية وقوله تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا اي وقال المشركون يا محمد ان نتبع الهدى فنكون معك او نتبع الهدى الذي
معك وهو القرآن يجتمع العرب على محاربتنا ليخرجونا من ارضنا والتخطف الاستلاب
بسرعة وهو تعلل فاسد منهم تعلقوا به عند عجزهم عن معارضة حقه ورده اولم
نمكن لهم حرما آمنا او لم نجعل مكانهم في حرم امن اي مأمون فيه وآمن في معنى ذي امن
لا يتشبثون فيه ولا يغار عليهم ولا يتعرض لهم بمكروه لان هذا الحرم في موضع لا ضرع
فيه ولا زرع يجبى اليه ثمرات كل شيء اي يجمع ويجلب اليه ثمرات كل بلد وقيل يحمل
اليه من كل شيء ارفعه وانفعه كما يقال ثمرة الكلام رزقا من لدنا اي عطية من عندنا تفضلا
منا اي فمن تعالى ذلكم وحال كفركم فهو قادر على ان يفعل اي يحفظكم حال اسلامكم
ولكن اكثرهم لا يعلمون لا يتاملون فيعلموا هذا وقيل نزلت في شان الحارث بن عامر
بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله انا لنعلم انك صادق ولكن العرب هم كثرة ونحن
في حسبهم اكلة راس فان آمنا بك اذونا واخرجونا فنزلت الاية وكم اهلكنا من
قرية اي من اهل بلدة بطرت معيشتها اي طغت في معيشتها واغفلت شكرها فتلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا اي فتلك منازلهم خالية البلاد باقية الاثار
تشاهدونها في الاسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم قد خربت بعدهم

فلم يسكنها احد لخرابها الا قليلا منها لم تخرب وقال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر
ومارة الطريق يوما او ساعة وقيل لم يسكنها الا الخطاف والهامة وكنا نحن
الوارثين اي صار امر تلك البلاد واهلها الينا وزال عنها سلطانهم اي انا قادر
على ان افعل بكم كذلك ولا ينفعكم تحرزكم من ان يتخطفوكم وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا اي لم يكن الله ليهلك البلاد التي حول
مكة حتى يبعث في امها وهي مكة لانها ام القرى لانها اصل البلاد فانها اول ما خلق
منها وقيل لان الارض دحيت من تحتها رسولا وهو محمد يتلو عليهم اياتنا اي القران
اي ما كنت لاهل العرب مع كفرهم حتى الزم الحجة عليهم بالرسول والكتاب وقيل هي عامة
اي لم يكن الله ليهلك القرى فيما مضى حتى يبعث في سرة تلك البلاد اي معظمها نبيا
يعلم بهم من سواهم وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي ما اهلكناهم بالانتقام
الا واهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم بعد الاعذار اليهم
وما اوتيتم من شيء اي وما اعطيتم في الدنيا من شيء من الاموال ونحوها فتمتعتم
به على الضعفة وتركتم به الايمان فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء تتمتعون به
في الحيوة القريبة التي تنقضي قريبا وينقضي المتاع بانقضاء الحيوة وهو زينة من زين
الدنيا وما عند الله اي ما اعده للمومنين خير من متاع الدنيا وابقى افلا تعقلون افليست
لكم عقول تعلمون بها الاولى بالاختيار افمن وعدناه وعدا حسنا وهو الجنة وما فيها
من الثواب فهو لاقيه اي رائيه لوثوقه بوعدنا واجتهد في طاعتنا فصيرناه اليها

كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا فاغتر به واشتغل به عن طاعتنا واستعان بما
اعطيناه على مخالفتنا انقطع ذلك ثم هو يوم القيامة من المحضرين للعرض والحساب
والعقاب اي ليسوا سواء وما ينبغي لمن عقل ان يشتغل بمتاع الدنيا ويفارق العقبى
قال ابن عباس افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه اي مدركه ومصيبه هو النبي عليه
السلام وقال السدي بلغني عن ابن عباس انه قال نزلت في عمار بن ياسر وقال محمد بن كعب
نزلت في علي وحمزة كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا يعني ابا جهل وقيل الوليد بن المغيرة
قوله تعالى ويوم يناديهم يخاطبهم وهو عطف على قوله ثم هو يوم القيامة فيقول اين
شركائي الذين كنتم تزعمون اي اين الذين كنتم تدعون انهم شركائي فينصرونكم و
يشفعوا لكم ويجازوكم على عبادتكم اياهم قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم
العذاب الذي اوعد الله به ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء الذين اغويناهم اي
دعوناهم الى الشرك واتبعونا اغويناهم كما غوينا اي ما دعوناهم الا الى ما كنا عليه
نحن من الكفر تبرأنا اليك من ان يكونوا لنا اولياء او نحن نكون لهم اولياء او من ان نغويهم
ما كانوا ايانا يعبدون ما كانوا يعبدوننا وقيل ادعوا شركاءكم اي قيل للاتباع
ادعوا شركاءكم اي استنصروهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم بالنصرة
ثم لهذه الجملة وجهان احدهما ان الذين حق عليهم القول هم الشركاء المعبودون وهم
الشياطين واذا قيل للمشركين اين شركائي الذين تزعمون قال الشياطين ربنا اغوينا
هؤلاء المشركين كما غوينا لم نامرهم بعبادتنا فلا نصرة لهم عندنا ما كانوا ايانا يعبدون

فتصدوا اتباع اهوائهم لا عبادتنا وقيل ما كانوا ايانا يعبدون ما اكرهناهم عليها
لكن بالوسوسة كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم والثاني قال الذين
حق عليهم القول اي الدعاة الى الشرك وشركائ غيرهم ومن الاصنام فقال لهم
ان شركائ اي ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي الاصنام فيقول الشياطين
عند هذا خوفا على انفسهم ان يزاد في عذابهم يلعنوا بهم ربنا هؤلاء الذين اغوينا اما
ما امرناهم بعبادتنا وما عبدونا ومثل هذا ما يقول من يكون منه سبب في جناية
غيرهم فيقول اما انا فلم اجز هذه الجناية ولا امرت بها انما كان مني كذا اسفا قال
ان نزل به جزا تلك الجناية وقوله تعالى ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
قيل ما هنا مضمر وهو ودوا لو كانوا مهتدين الى الاسلام في الدنيا وقيل الاضمار
في اخره لو انهم كانوا يهتدون لخرجوا من العذاب الذي رأوا وقيل الضمير في
اخره لو كانوا يهتدون لما رأوا ذلك العذاب وقوله تعالى ويوم يناديهم
عطف ايضا على الاول فيقول ماذا اجبتم المرسلين الذين ارسلوا اليكم فعميت عليهم
الانباء يومئذ اي خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون اذ لم يكن عندهم
جواب يعذرون به فهم لا يتساءلون اي فلا يسال بعضهم بعضا عن الحجة التي يحتج
بها اذ يعلم انه لا يجد ذلك عند احد وقيل فهم لا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا
عن حاله لانه مشغول بامر نفسه وقال مجاهد اي لا يتساءلون بالانساب اي لا يمكنه
ان يقول لاخر انصرني لقرابتك مني فاما من تاب اي من شركه وامن بربه وعمل صالحا

من عنده وعمل صالحا في دينه فعسى ان يكون من المفلحين وعسى من الله ايجاب
لانه اطماع واطماع الكريم انجاز وهذا ترغيب للكفار في الاسلام وبشارة
للمسلمين على الاسلام وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة اما قوله
يخلق ما يشاء فهو على العموم ودل على خلق الاعيان والافعال كلها فكان حجة
لنا على المعتزلة ثم قوله ما كان لهم الخيرة اي ليس الاختيار اليهم وهو رد على
الذين قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وعلى الذين اتخذوا
الاصنام شركا وشفعا فيقول ليس لهم ان يختاروا اشيا من ذلك للعبادة
وللشفاعة وقيل هو بمعنى قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا
ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي الامر ملزم ولا اختيار للمامور ان يفعله او لا يفعله
ومنهم من وقف عند قوله وربك يخلق ما يشاء ثم يقول ويختار ما كان لهم الخيرة ويكون
ما اسما اي ويختار للعباد ما هو مختار في نفسه حسن مرضي وقوله تعالى سبحان
الله وتعالى عما يشركون يعني تنزه الله وتقدس عن اشراك المشركين وربك يعلم ما تكن
صدورهم اي تسر وما يعلنون من القول والفعل وهو وعد ووعيد وهو الله لا اله
الا هو له الحمد في الاولى والاخرة اي المحمود وحده في الدارين اليه مرجع شكر كل شاكر
ومدح كل مادح لان احسان المحسنين بتوفيقه فهو المنعم على الحقيقة دون خلقه
وله الحكم وحده لا يشرك في حكمه احدا واليه ترجعون في الاخرة فيجازي كلا على وفق
عمله وقوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة اي قل يا محمد

لهؤلاء المشركين ارايتم ان جعل الله عليكم الليل دائما لا نهار بعده من اله غير الله هل
اله غير الله ياتيكم بضياء بنهار مضيء فاذ كنتم مقرين انه لا يقدر على ذلك غيره فلم تشركون
به افلا تسمعون اصم انتم فان يعلمكم هذا فعل من لا يسمع قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار
سرمدا الى يوم القيامة اى دائما من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه من تعب
اشغالكم بالنهار افلا تبصرون اعمى انتم لا تبصرون الليل والنهار وما فيهما فتعتبروا
بذلك ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اى في الليل ولتبتغوا من
فضله اى في النهار ولعلكم تشكرون ولتشكروا الله على هذه النعمة وقوله
ويوم يناديهم عاد الكلام الى التخويف بيوم القيامة فيقول اين شركاى
الذين كنتم تزعمون فسرناه ومعنى التكرار والله اعلم انه يامرهم بدعائهم
اولا فيدعون فلا يستجيبون فيظهر حبوط عملهم وخيبة املهم ثم يخاطبهم
به فيسكتون وهو توبيخ لهم وزيادة في حزنهم ونزعنا من كل امة شهيدا اى
واخرجنا من كل امة نبيا شاهدا عليهم بما اجابوا به رسلهم كما قال فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال وجيء بالنبيين والشهداء
فقلنا هاتوا برهانكم اى هلموا ايها المشركون حجتكم على كفركم فعلموا ان الحق
لله اى ان الحق هو ما كان الله ارسل به انبياءه اليهم وان الصدق هو ما كان اخبرهم
به وقيل ان الحق اى الالهية لله وحده وضل عنهم ذهب عنهم باطلا ما كانوا
يفترون شركهم الذي كانوا يفترونه على الله وقوله تعالى ان قارون كان من قوم

موسى هو قارون ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
وكان ابن عم موسى فانه موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن
ابراهيم وانتظام هذه القصة بما قبلها ظاهر في اول هذه السورة ووجه اخر ان
هذا متصل بقوله وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها ووجه اخر ان اغلب
من كان يخالف نبينا هم الاغنياء الذين بطروا بغناهم وكذلك في عصر كل نبي ومنهم
قارون في زمن موسى فبغى عليهم اى طلب الفضل عليهم وان يكون فوقهم وقيل بغى
عليهم بكبره وقيل بكفره وقيل كان غلاما لفرعون فبغى على الناس باخذ اموالهم حتى
صار اغنام وقيل استخف بالفقرا وازدرى بالناس ومنع الحقوق المالية وقيل زاد
في ثيابه قدرا من الطول واتيناه من الكنوز اى واعطيناه من كنوز الاموال
ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة قيل هو جمع مفتح بفتح الميم وهو بيت المال
او الصندوق الذي فيه المال وهو موضع الفتح وقيل هو المفتح بكسر الميم اى المفتاح
الذي يفتح به بيت المال او الصندوق لتنوء تعالى ناء ينوء نوءا اى حمل على ثقل
ونهض به على مشقة وهو لازم وصار ها هنا متعديا بالباء التي في قوله بالعصبة
والعصبة جماعة وهي من عشرة الى اربعين وقال الفراء العصبة ها هنا اربعون رجلا
ثم جعل المفاتح جمع مفتح بالفتح فمعناه واعطيناه من الاموال ما كانت خزائنه
وصناديقه التي فيها امواله ما يبلغ مقداره ان العصبة وهي الجماعة الاقوياء اذا حملوها
عجزوا عن حملها فاما انهم لثقلها كالرجل الذي يحمل الشيء فيعجز عن حمله فيميل جنبه

وكان قارون من قوم موسى عم متمكنين في بلد بمنزلة السيارة ينتقلون من بلد
الى بلد فكانت اموالهم في صناديق ونحوها تحمل من مكان الى مكان ومن جعلها
من المفتح الذي هو المفتاح قال كانت اقفال خزاينه ومفاتيحها التي تفتح بها بيوت
امواله وصناديقه في الكثرة بحيث تعجز عن حملها الجماعة الكثيرة وقال
مجاهد كانت مفاتيحه من جلود الابل كل مفتاح على قدر اصبع وكل مفتاح يفتح
له خزينة وعن خيثمة قال كان تحمل مفاتيح خزاين قارون ستون بغلا محجلا
اذ قال له قومه لا تفرح قال مجاهد اي لا تبطر وهو سوء احتمال الغنى والطغيان
بالدنيا ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتيك الله الدار الاخرة اي اكتسب بها ثواب
الاخرة دون التجمل والتكثر بالدنيا والتكبر على اهلها به ولا تنس نصيبك
من الدنيا اي خذ منه هذا من دنياك ما لا بد لك منه في معاشك فانك غير ملوم
على ذلك وقيل خذ نصيبك في الدنيا من العمل الصالح الذي يوصلك الى ثواب الاخرة
فهو نصيب المومن من الدنيا واحسن من مالك الى عباد الله كما احسن الله اليك
فيما وسع عليك وبسطه لك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين
وهذا ظاهر قال انما اوتيته على علم عندي قال اي انما اعطيت هذا المال لفضل علي
غيري بعلمي وكان علمه حفظ التورية وكان من السبعين الذين اختارهم موسى
للميقات وكان احد علما المذكورين يومئذ وقيل اي اتاني الله على علم منه لفضلي
ورضا منه عني ورؤيته استحقاقي لذلك وقوله عندي اي عندي هو كذلك على علم

هو علم الله على هذا القول وقيل اي اوتيته على علم عندي هو علم الكيميا
وبه اكتسبته لنبيّ هو من انعام الله علي بل هو كسبي وكفر بهذا قال سعيد بن
المسيب كان موسى يعلم الكيميا فعلّم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلّم
كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما
الى علمه وكان ياخذ الرصاص فيجعله فضة وياخذ النحاس فيجعله ذهبا
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون الماضية من هو اشد منه قوة اي
بالانصار والاعوان والالات المحصنة واكثر جمعا للاموال او قوما مثل المودود
ولو كان اعطاك لك للفضل والعلم والاستحقاق لم يعطهم ذلك ولان ذلك لم يدفع
عنهم باس الله فكذا قارون ه ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون اي والله عالم بهم فلا
يحتاج الى السوال عنهم فيهلكهم في الدنيا ويعاقبهم بالنار في الاخرة وقيل لا يسالون
عن ذنوبهم يوم القيامة بل يدخلون النار بغير حساب وقيل الملائكة لا تسالهم عن
ذنوبهم بل يعرفونهم بسيماهم كما قال فيومئذ لا يسال ثم قال يعرف المجرمون بسيماهم
وقيل معناه ولا يسال عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة فخرج على قومه
في زينته التي يعظم بها من اللباس والمركب والخدم ونحوهم قال عباس خرج على بغلة
شهبا عليها سرج من ذهب وقطيفة ارجوان وقال وهب خرج في اربعة
الاف غلام على بغال شهب ثيابهم الارجوان وقال كعب خرج في ثلثمائة غلام
عن يمينه وثلثمائة جارية عن يساره عليهم الوان الثياب وقال الحسن في زينته اي الحمرة / والصفرة

قال الذين يريدون الحيوة الدنيا اي يريدون زينة الحيوة الدنيا الفانية ولا يرغبون
في الحيوة الباقية في الجنان العالية وقال قتادة يعني ناسا من اهل التوحيد ما لو اعبطه
وتمنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون من الاموال لننفقها في طاعة الله انه لذو حظ عظيم
اي حظ نصيب وافر معه على ما يربح من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم بالله وبدينه واقسامه
واحكامه ويلكم اي قالوا للاولين الذين تمنوا ذلك ثواب الله خير وابقى لانه افضل من اعراض
الدنيا لمن امن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون اي لا يلقى هذه الكلمة ولا يوفق
للعمل بها الا الصابرون عن الدنيا الحابسون انفسهم على طاعة الله تعالى اي لا
يلقيها الله الا هو اوقال مجاهد لا يلقى الجنة وثوابها اي لا يوتيها الا الصابرون على
طاعة الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض اي غيبناه في الارض يغوص فيها ويسوخ
وجعلنا بداره كذلك فما كان له من فئة اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعون عنه
عذاب الله وما كان من المنتصرين بنفسه وقوته وقيل وبداره وباهل داره وقيل
بعين داره لانه كان زينتها بصحائف الذهب وقيل اي بما فيها من الكنوز والاموال ولما
خسف بقارون قال المنافقون من بني اسرائيل دعا موسى على قارون فخسف به لميراثه
موسى خر انه دعا موسى على ماله فخسف الله بداره وبصامت ماله بعد ثلثة ايام وقال ابن
عباس لما اتى موسى بتوبة بالزكوة جمعهم قارون وقال هذا جاءكم بالصلوة وباشيا فحملتموها
افتحملون ان تعطوه من اموالكم فقالوا ما نحتمل ان نعطيه اموالنا فما ترى قال ارى ان
ارسل الى بغي من بني اسرائيل فنرسلها اليه وتامر بان ترميه بانه ارادها على نفسها ففعلوا

ورمت موسى على رؤوس الناس انه ارادها على نفسها فدعا الله عليهم فامر الله الارض
ان تطيعه وقال السدي كانت امراة من بني اسرائيل تسمى سبرتا ارسل اليها قارون
فقال لها انك تمنين بالدرهم والدينار والثوب فهل لك ان اعطيك الف دينار على ان
اذا ارسلت اليك تخبرين ان موسى زنى بك قالت نعم فوزن لها الف دينار فلما
اصبحوا واجتمع بنو اسرائيل قال قارون يا موسى كيف انزل الله في الزنا قال الرجم قال
انظر ما قبلك ودعا سبرتا فلما جاءت قال يا سبرتا اخبري بني اسرائيل ما صنع بك
موسى قالت دعاني قارون واعطاني الف دينار وهذا خاتمه عليها على ان افتري
على نبي الله موسى واعوذ بالله من ذلك فغضب موسى فدعا الله عليه وفي حديث
وهب قال كان قارون حسد الموسى كما نال السامري فدعا مومسة وبين يديه طست
من ذهب مملوء دنانير وقال لها هل لك في هذا كله فقالت كيف قال تقومين غدا
وانا مع موسى على المنبر فتقولين للناس ان موسى دعاني البارحة لفسق بي حتى
تذهب بابه وجاهه ولك هذا كله فكانت الليلة مجمعة على ذلك فلما اصبحت ادركتها
رحمة الله فقامت وبنو اسرائيل حضور فقالت يا موسى احذر هذا فانه دعاني امس
وذكرت القصة فقام قارون مستترا واتى جبريل موسى وقال ان الله تعالى جعل
الارض مطيعة لك فقال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الى العقاب فجعلوا يقولون يا موسى
ثم يا موسى ثم قال خذيهم فاخذتهم الى ركبهم فقالوا يا موسى يا موسى فقال خذيهم فاخذتهم
الى حجزهم ثم كذلك الى اعناقهم ثم غيبتهم فيها فاوحى الله تعالى الى موسى سالك عبادي

وتضرعوا اليك فلم تجبهم اما وعزتي وجلالي لو انهم دعوني لاجبتهم وقوله تعالى واصبح
الذين تمنوا مكانه بالامس اي وصار الذين يتمنون ان يكون لهم من الاموال ما له
يقولون متندمين على ما كان منهم ويكان الله قيل ويكان كلمة واحدة معناها
اما ترى اما تعلم وقيل هما كلمتان وي كلمة تعجب ويك بمعنى ويلك بحذف اللام قال عنترة
ولقد شفى نفسي وابرا سقمها قول الفوارس ويك عنتر اقدم وهذا الحذف
للتخفيف لكثرة الاستعمال وقيل وي كلمة تعجب بها وبعدها كان التي هي
للتشبيه وهي هاهنا بمعنى الظن والحسبان قال الله تعالى ويكان الله
يبسط الرزق اي صاروا يقول بعضهم لبعض الم تعلموا ان الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر لا لكرامة من يبسط عليه ولا لهوان من يقدر عليه اي يضيق لولا
ان من الله علينا فصرف عنا ما كنا نتمناه بالامس لخسف بنا كما خسف به
ويكانه لا يفلح الكافرون الم تروا انه لا يفلح من كفر بالله وقوله بالامس
معناه الوقت المتقدم لا الامس بعينه وقال مقاتل قال بعض بني اسرائيل انما اهلك
موسى قارون طمعا في ماله وداره فخسف الله بماله وبداره بعد بلائه ايام فهو يتجلجل
يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل حتى اذا بلغ قعر الارض السفلى نفخ اسرافيل
في الصور وقوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
اي تعظما على الناس ولا فسادا في الارض كما علا فرعون وافسد في الارض وكذا
قارون والعاقبة المحمودة الجميلة للمتقين من جاء بالحسنة قال ابن عباس بالتوحيد

فله خير منها اي فله منها خير اي ثواب وقيل من جاء بالايمان والطاعة فله عند
الله من الثواب ما هو اكثر وافضل من عمله لان ثواب الله يفضل عمل العامل ومن
جاء بالسيئة اي بالشرك والمعاصي فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون
اي لا يجزى المسيء الا جزاء عمله السيء لا يزاد عليه وانما اعيد ذكر الفاعل في قوله
فلا يجزى الذين عملوا السيئات تنبيها على المعنى الموجب للتمييز بين الفريقين
وقوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن ختم السورة ببشارة نبيه
عليه السلام برده الى مكة ظاهرا قاهرا للاعداء المشركين هؤلاء الذين
جاحتهم وهذه السورة ووصلها بمواعظ تتصل بعضها فقال ان الذي فرض
عليك القرآن قال محمد بن كعب اي فرض عليك تبليغه وقال ابن عباس اي انزله
عليك شيئا بعد شيء واوجب عليك العمل بما فيه من شرايع الهدى ومحاسن الاخلاق
وقال عطا ما اعطاك لرادك الى معاد اي لراجعك الى وطنك مكة مفتوحا عليك
عاليا اليد على اهله وكان كما ذكر فدل على صدق دعواه النبوة وقال مقاتل خرج
النبي عليه السلام من مكة ومعه ابو بكر رضي الله عنه متوجها الى المدينة فعدل عن
الطريق مخافة الطلب فلما امن عاد الى الطريق فنزل الجحفة واشتاق الى مولده
ومولد ابائه فاتاه جبريل فقال له اتشتاق الى مولدك ومولد ابائك ومسقط
راسك قال نعم قال فان الله تعالى انزل عليك ان الذي فرض عليك القرآن لرادك
الى معاد يعني الى مكة ظاهرا امنا من غير خوف وقال الحسن يعني القيامة لانها مرجع الخلق

وقال الزهري يعني الجنة قال والاه كان عليه السلام فيهما في صلب ادم وايضا ليلة
المعراج ويجوز ان يسمى معاداً لمن عنده كان فيها مره كما قال في الكفار ثم ان مرجعهم
لالى الجحيم وقال ابو سعيد الخدري يعني الموت واليه يعود الخلق قال تعالى وفيها
نعيدكم ۵ قل ربي اعلم من جا بالهدى يصلح من ان النصب بكونه مفعولا والرفع بكونه
مبتدا على الاستفهام ومن هو في ضلال مبين فيفتح على المهتدي ويقهر الضال فيدخل
المهتدي الجنة والضال النار فيثيب المهتدي ويعاقب الضال فيسعد المهتدي
ويشقى الضال على اختلافهم في تفسير المعاده وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب
اي يوحى اليك القران الا رحمة من ربك لكن الله رحمك وانعم عليك به فلا تكونن
ظهيرا عونا للكافرين ۵ ولا يصدنك عن ايات الله هو على الجمع اي لا يشغلك هولا عن اتباع
القران بعد اذ انزلت اليك اي الايات وادع هولا وغيرهم الى ربك ولا تكونن من
المشركين ۵ ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو لا يحملنك شوقك الى وطنك على مداهنة
هولا وموافقتهم في شي ليمكنك المقام فيها فاني معيدك اليها غالبا عليهم ۵ كل شي هالك
الا وجهه اي الا هو يقال اكرم الله وجهك اي اكرمك وقيل معناه كل عمل باطل
الا ما اريد به وجهه اي رضاه له الحكم واليه ترجعون هذا ظاهر ۵

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي هو غني عن العالمين الرحمن الذي وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات

الجنة ونعم اجر العاملين الرحيم الذي يهدي المجاهدين في سبله وان الله لمع المحسنين
وروي ابي بن كعب عن النبي عليه السلام انه قال من قرا سورة العنكبوت كان له من
الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين والمنافقين وهذه السورة مكية الا اوله في قصة
سعد ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله فانهما نزلتا
بالمدينة وهي تسع وستون اية وتسعمائة وسبعون كلمة واربعة الاف ومائتان وتسع
وتسعون حرفا قوله تعالى الم قد ذكر الاقاويل فيه في اول سورة البقرة ومنها ان معناه انا الله
اعلم وهو وصف الله بكمال العلم وختم تلك السورة بذكر نفاذ الحكم وذلك وجه النظم
وانتظام السورتين انهما جميعا في بيان وحدانية الله ودلايلها ومدح المومنين وموا عيدهم
وذم الكفار ووعيدهم وقوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم
لا يفتنون اي اظن الناس وهم الذين شكوا اذى المشركين ان نقتصر منهم على ان
يقولوا امنا بالله وبرسوله ويتركون ان يختبروا بالامر بالهجرة بدارهم وجهاد عدوهم
والصبر على اذاهم ويدخل في ذلك المصايب والامراض والشدايد وهو استفهام
بمعنى الانكار اي لا يكون هذا ولا بد من ان يمتحنوا بانواع المحن في الدين فيطلعوا
على الامتحان ويظهر بذلك صدق من صدق منهم وكذب من كذب وقال ابن عباس لما
نزل قوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية اغتم رسول الله
تعالى ان يبعث عليهم عذابا من فوقهم كما بعث على قوم لوط لم يبق منهم احد ولا خسف
بهم كما خسف بقارون لم يبق منهم احد وان يلبسهم شيعا واذاق بعضهم باس بعض

وتسعا

كيف يكون حالهم فاتاه جبريل عليه السلام وقال له ان الله تعالى يقول قد ارسلنا
قبلك رسلا الى قومهم فصدقهم مصدقون وكذبهم مكذبون فسمينا المصدقين منهم
مومنين وسمينا المكذبين منهم كفارا ثم لم يمنعنا بعد قبض الانبيا ان
نبتليهم لنتبين الصادق منهم من الكاذب وانزل الله هذه الايه وقال الشعبي نزلت
في اناس من المومنين من اهل مكه كتب اليهم اصحاب رسول الله عليه السلام من المدينه
لا يقبل منكم ايمانكم الا ان تهاجروا فهاجروا فخرجوا مهاجرين فتبعهم المشركون
فردوهم فانزل الله هذه الايه فوجهوا اليهم الايه فقالوا نخرج ثانيا فان خرجوا على
اثرنا قاتلناهم فخرجوا فتبعهم المشركون فمنهم من قتل ومنهم من نجا وفيهم نزلت ان ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الايه وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن
الخطاب اول قتيل في الاسلام جزع عليه ابواه فنزلت وقال ابن جريج نزلت في عمار
بن ياسر حين عذبه الكفار ولقد فتنا الذين من قبلهم من الامم لم يكتف منهم بقولهم امنا
بل ابتليناهم فكذا هولاء فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اي
فليفتننهم الله ليظهر صدق الصادق وكذب الكاذب بالفعل وتركا الفعل
وقيل ليعلمن الله ذلك موجودا بعد وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد وقد
اوضحنا ذلك في سورة البقره وال عمران ثم هذا الصدق وهذا الكذب يجوز ان يكونا
في القول بان كانوا وعدوا من انفسهم الصبر فصبر بعضهم فصار صادقا في وعده ولم
يصبر بعضهم فصار كاذبا فيه ويجوز ان يكون في معنى تحقيق الايمان والوفا بشرط

كما يقال صدق فلان القتال وكما قال ليس لوقعتها كاذبه اي خلاف ٥ ام حسب
الذين يعملون السيئات اي المعاصي بجوارحهم عند الفتنه واضمارهم النفاق والشك
وغير ذلك ان يسبقونا اي يعجزونا ويفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم ولذلك لا يصبرون
ولا يهاجرون ولا يجاهدون ٥ ساما يحكمون بهذا الحسبان وقيل الاول في المومنين وهذا
في الكافرين اي احسب الذين قالوا امنا ان نكتفي منهم بالايمان بدون الامتحان ام حسب
الكفار ان يعجزونا فتركوا الاجل ذلك الايمان اي فالحسبانان باطلان وقيل نزلت الايه
في بني عبد شمس شيبه وعتبه والوليد بن عتبه وحنظله بن سفيان وعبيده بن سعيد
بن العاص وعقبه بن ابي معيط والعاص بن وايل هولا الذين بارزوا عليا وحمزه وعبيده
بن الحارث رضي الله عنهم ٥ من كان يرجو لقا الله اي يومل ان يلقى الله فيثيبه على عمله
وقيل اي يخاف ان يلقاه فيحاسبه على عمله والرجا يحتملهما فان اجل الله لات لا محاله
وهو قريب وهو اسم للموت وللقيامه ايضا قال الله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده
وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم اي فليحمله هذا على صالح الاعمال وليجتنب سيئ الاعمال
وهو حث على الصبر على اذى المشركين والجهاد مع اعدا الله لاعلا الدين ومن جاهد
فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين اي جاهد عدو الله وجاهد نفسه وجاهد
الشيطان فنفع ذلك يرجع اليه لا اجله اليه لله تعالى وهو غني عن الخلايق كلهم
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا
يعملون اي ان المومنين اذا عملوا الصالحات من الصبر على الفتنه ومجاهدة العدو وتحمل
الاذى وغير ذلك

ليمحون الله معاصيه التي سلفت ولنجزينه على احسن اعماله ثم يلحق سائره
له وقيل اي من امن من الكفار وعمل صالحا في الاسلام يغفر الله له ما كان من سيئاته
في كفره ونجزيه في الاسلام على الصالح عمله وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه
حسنا ثم ذكر بعض ما يفتتن به الانسان في ايمانه وهو ان يامره ابواه بالشرك و
المعصية فلا يحتمل قبله معصيتهما مع وجوب برهما شرعا وعقلا واخبر انه لا
طاعة لهما في ذلك فقال ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي امرناه ان يفعل بهما
حسنا وان جاهداك اي قالا لك ما اوحينا الى رسولنا وانزلنا عليه ان يامره به وان
استفرغا مجهودهما لك لتشرك بي ما ليس لك به علم انه لي شريك فلا تطعهما
في ذلك الي مرجعكم في القيامة فانبئكم بما كنتم تعملون اخبركم باعمالكم واجازيكم
عليها الولد المومن المطيع على ايمانه وطاعته والوالدين الكافرين العاصين
على كفرهما ومعاصيهما نزلت الاية في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة بنت سفيان
ابن امية بن عبد شمس وكانت مشركة واسلم ابنها سعد فحلفت لا تاكل ولا تشرب
ولا تستظلها ظل حتى يرجع سعد عن دينه فابى عليها فلم تزل كذلك حتى غشي عليها
فاتاها بنوها فسقوها حتى افاقت فانزل الله هذه الاية يامر سعدا
بالاحسان اليها وان لا يطيعها في الشرك والذين امنوا وعملوا الصالحات
مل اي والذين امنوا بعد كفرهم واصلحوا بعد افسادهم لندخلنهم في
الصالحين اي لننقلنهم ذلك منهم ولنجعلنهم من جملة المومنين المصلحين وقيل

اي ولندخلن المومنين المطيعين الجنة مع عبادي الصالحين ومن الناس من يقول
امنا بالله وهذا صفة المنافق الذي يفتتن في دينه يقول بلسانه امنت بالله وصدقت
بوعده ووعيده فاذا اوذي في الله اي ناله مكروه بسبب دين الله جعل فتنة الناس
كعذاب الله اي جعل ايذاء الناس في خوفه وترك الدين لاجله كعذاب الله الذي هو باق
لا ينقطع اي يترك الاسلام اذا خاف ايذاء الكفار اياه كما يترك المعصية اذا
خاف لذلك عذاب الله وسمي الاذى فتنة لانه محنة تستدعي احتمالها وهذا تعجب
من الله فعل هذا المنافق وذم له بسوء الاختيار ولئن جاء نصر من ربك اي للمسلمين
وظفر وغنيمة ليقولن انا كنا معكم اي في الدين فاشركونا فيما اصبتم اوليس الله
باعلم بما في صدور العالمين اي بما في قلوب الخلق من الايمان والكفر والاخلاص والنفاق
فكيف يتوهم هذا المنافق انه يخفى على المسلمين ولا يخبرهم الله به وهو عالم به وهذا
تهديد لهم وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين اي وليميزن الله الفريقين
وليظهرن اخلاص المخلصين ونفاق المنافقين وليميزن بين الفريقين ليعرفهم المومنون
ويجازيهم على حسب استحقاقهم قال عكرمة كان ناس بمكة قد شهدوا ان لا اله الا الله
فلما خرج المشركون الى بدر اخرجوهم معهم فقتلوا فنزلت الاية الذين توفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم الى قوله عفوا غفورا وكتب بها المسلمون الذين بالمدينة الى المسلمين
الذين بمكة فخرج ناس من المسلمين حتى اذا كانوا ببعض الطريق طلبهم المشركون
فادركوهم فمنهم من اعطى الفتنة طائعا فانزل الله ومن الناس من يقول امنا بالله

الايه وكتب بها المسلمون الذين بالمدينه الى المسلمين الذين بمكة فقال رجل من
بني ضمرة لاهله وكان مريضا اخرجوني الى الروحا فاخرجوه حتى اذا كان ببعض
الطريق مات فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الايه ونزل في اوليك
الذين كانوا اعطوا الفتنه ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الايه ثم في
اول الايه من يقول على التوحيد وكذلك فاذا اوذي حمل ثم قال ليقولن على الجمع
لان من اسم جنس يجوز توحيده للفظه وجمعه لمعناه وقيل نزلت في عياش ابن ابي
ربيعه اخي ابي جهل لامه وذلك انه اسلم وهاجر الى المدينه قبل هجرة رسول الله
فحلفت امه ان لا تقوم من الشمس ولا تغتسل راسها حتى يعود عياش كافرا
وهي بنت مخرمه ابن ابي جندل بن نهشل المخزومي فخرج اخوه ابو جهل والحارث
ابنا هشام على اثره الى المدينه فلم يزالا يفتلان منه في الغارب والسنام
حتى رداه فاوثقاه وضربه كل واحد منهما مايه جلده وقالا له انت تزعم ان في
دينك بر الوالدين وان ربك بمكه والمدينه واحد وجعاه والى امه الى ان
كفر ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك بدهر وحسن اسلامه وقوله تعالى
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم صيغة امر
ومعناه جزا الامر جعل جواب الامر على صيغة الامر للمقابله وهذا ايضا مما نفتن
به المومن عن دينه من الخديعه التي قد تنفق مثلها على الضعفه تقول فقال
مشركوا مكه للمومنين اتبعوا ديننا ونحن نحمل عنكم في الاخره اثامكم ان كان اتباعكم

ايانا اثما وكانت القيامه حقا وما هم بحاملين من خطاياهم من شي اي لا يحمل هولا
القايلون من اثام هولا المقول لهم شيا لانه لا تزر وازره وزر اخرى انهم لكاذبون
في قولهم انا نحمل خطاياكم وليحملن اثقالهم اوزار انفسهم بضلالهم واثقالا مع اثقالهم
اي اوزار المضلين باضلالهم وليسالن يوم القيامه اي هولا الخادعون عما كانوا
يفترون اي يكذبون بهذا الوعد وهو حمل الخطايا عنهم فكان هذا الخداع منهم
داخلا في اوزارهم التي يحملونها ويعاقبون عليها وقيل عما كانوا يفترون من الشرك
بالله والكذب على كتاب الله ورسول الله وقيل نزلت الايه في ابي سفيان بن حرب
واميه بن خلف الجمحي قالا لعمر بن الخطاب وخباب بن الارت اتبعوا سبيلنا
الايه وقال محمد بن الحنفيه كان ابو جهل وصناديد قريش يتلقون العرب و
يصدون الناس عن اتباع رسول الله ويقولون لهم لا تغتروا بالحمد ولا تدخلوا
في دينه وعلينا اوزاركم وقال النبي عليه السلام ما من عبد يدعو الى حق الا اعطاه
الله مثل اجر من اجابه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا وما من عبد يدعو الى شر
فيتبع عليه الا جعل الله عليه مثل اوزار الذين اتبعوه لا ينقص ذلك من اوزارهم شيا
ذلك بان الله يقول وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله تعالى ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه ثم ذكر بعض قصص الانبيا وتحملهم اذى القوم وجهادهم اياهم في الدعوة
الى الحق بقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنه الا خمسين عاما اي
مكث في قومه يدعوهم الى الله تسعمايه وخمسين سنه قال الواقدي كان عمره هذا

وهو غلط هذا احدى مقامه فيهم من وقت الوحي الى وقت هلاكهم بالطوفان
وقال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وكذا كان بعث كل نبي الا عيسى وعاش
بعد الطوفان ستين عاما فذلك الف وخمسون وقال وهب كان عمر نوح الف
واربعمائة سنة فاخذهم الطوفان اي الماء الكثير وهم ظالمون اي مشركون فانجيناه
اي انجينا نوحا واصحاب السفينة اي والذين حملهم نوح في السفينة وجعلناها
اي السفينة اية للعالمين علامة لهم دالة على صدق قول الانبيا ونجاة من امن
بهم وهلاك من كذبهم وقال قتادة ابقاها الله اية حتى على الجودي وقيل
وجعلناها اي العقوبة بالطوفان عبرة للعالمين يعتبرون بها وقوله تعالى
وابراهيم عطف على قوله نوحا اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون اي انفع لكم واصلح ان كنتم من اهل العلم بالامور والتفكر
في بواديها وعواقبها ٥ انما تعبدون من دون الله اوثانا اي اصناما من خشب
وحجر وتخلقون افكا اي وتفتعلون كذبا اي تسمونها الهة كذبا وقيل
تخلقون تنحتون ما تكذبون فيه بتسميته الها وقال ابن عباس وتصنعون كذبا
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون ان يرزقوكم
وجمع الواو والنون فعل الاوثان لانه وصفها بصفات العقلاء فابتغوا عند
الله الرزق اي فاطلبوا الرزق من عند الله ثم بين طريق الطلب واعبدوه اي في
الحال واشكروا له اي لما مضى من انعامه اليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم

من السكر والكفران والعادة والطغيان وهو وعد ووعيد وان تكذبوا
فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين قيل من هاهنا الى قوله
فما كان جواب قومه كلام معترض وهو خطاب من الله لمشركي العرب ومعناه
على الوصل لما قال ابراهيم هذا كذبوه وكذلك قوم نوح كذبوا نوحا فان تكذبوا
يا معشر العرب فقد كذب امم من قبلكم انبياءهم فاضر ذلك الانبيا بل ضر المكذبين
فاهلكهم الله وانجى الانبيا والمومنين وليس على الرسول الا التبليغ الظاهر
اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق استفهام بمعنى الاثبات اي قد راوا ذلك
وعلموه وقوله تعالى ثم يعيده ليس هذا مما يقع عليه رؤيتهم لكنه اخبار و
دليل نبوته ابراهيم ان ذلك على الله يسير غير متعذر انما امره اذا اراد شيا
ان يقول له كن فيكون واكد هذا بما بعده وهو قوله قل سيروا في الارض
فانظروا كيف بدا الخلق على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف طبايعهم والوان
السنتهم وصناعاتهم فتستدلوا بذلك على انه لم يخلقهم كذلك عبثا بل
ليمتحنهم فلا بد من دار للجزا والحساب ثم الله ينشئ النشاة الاخرة قرا ابن كثير
وابو عمرو النشاءة بالمد والباقون بالقصر وهما كالرافة والراءفة اي كما انشاها
ابتداء في الدنيا مختلف الاحوال والاعمال فكذلك يعيدهم في الاخرة مختلفين
في الجزا اختلافهم في الاعمال ان الله على كل شي قدير من الابدا والاعادة وكل
شي يعذب من يشا ويرحم من يشا في النشاة الاخرة واليه تقلبون اي والى

حوابه تردون وترجعون ه وما انتم بمعجزين اى بفايتين في الارض ولا في السما قال
الفرا ولا من في السما فاضمر كلمه من وهو جايز بالـ جسان
فمن يهجوا رسول الله منكم وينصره ويمدح له سوا اى ومن ينصره ومن يخذله
وقيل هو خطاب لاهل السما والارض جميعا وما انتم يا اهل الارض والسما بمعجزين
فاشين في الارض ولا في السما وقيل وما انتم يا اهل الارض بمعجزين الله هربا في الارض
ولا في السما لو صعدتم الى السما ولا ينفعكم الهرب اليها فيكون في معنى قوله يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
لا تنفذون الا بسلطان وما لكم من دون الله من ولى يتولى اموركم ولا نصير يمنعكم
من عذاب الله ينزل بكم فالجوا اليه فافزعوا واياه فاعبدوه والذين كفروا
بايات الله ولقايه اى بالقران والبعث والحساب اوليك يئسوا من رحمتي
اى فاوليك القانطون من رحمتي واوليك لهم عذاب اليم وهو تفسير
قوله نعذب من يشا واذا كان الياس من الرحمة لهولا كانت الرحمه للمؤمنين
المخالفين لهولا ثم عاد الكلام الى قصه ابراهيم وجواب قومه له وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اى الا قولهم بالرفع اسما لكان ونصب جواب خبر الكان و
قرا سالم الافطس جواب قومه بالرفع اسما لكان وعلى هذا تكون الا ان قالوا
نصبا خبرا لكان ونظيره ثم كان عاقبة الذين اساوا السوى وما كان
قولهم الا ان قالوا ربنا على قراتين على الوجهين وقوله اقتلوه او حرقوه

فيما الزمهم الحجة اعرضوا عنها وعارضوه بقصد الاهلاك فقال بعضهم لبعض
اقتلوه بالسيف ونحوه او حرقوه بالنار فانجاه الله من النار اى من اذيتها وبرود هما
بعد القايهم اياه فيها ان في ذلك لايات لقوم يومنون اى لعلامات للمؤمنين على
ان العاقبه المحموده لاهل الايمان وقوله تعالى وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا
موده بينكم في الحيوه الدنيا اى لتتوادوا بينكم على عبادتها وتجانبوا وتواصلوا
عليها وفي قوله موده بينكم فيه اربع قراات قرا ابن كثير واهل البصره والكسائي وابو
زيد عن المفضل موده بينكم بالرفع والاضافه وقرا حمزه وعاصم في روايه حفص مودةَ
بينكم نصبا وقرا الباقون غير منون مضافا وقرا الشموني والبرجمي عن ابي بكر
موده مرفوعا منونا بينكم نصبا وقرا الباقون مودةً بينكم منونا منصوبا فمن ترك
التنوين فقد اضاف ولذلك خفض بينكم ومن نون بعد ترك الاضافه نصب بينكم
على الظرف ومن رفع موده فله وجهان احدهما ان تكون ان ما مفصولا وتقديره
ان الذين اتخذتموهم اوثانا مودة بينكم على خبر ان والثاني ان يكون انما موصولا ويكون
حرفا واحدا ويتم الكلام عند قوله اوثانا ثم قوله مودة بينكم بضمير قبلها هي اى
هي موده بينكم ومن نصب موده فلوقوع الاتخاذ عليها وعلى الاوثان لانه فعل يطلب
اسمين يقول اتخذتموها لتتوادوا عليها وهي في الدنيا ثم يوم القيامه يكفر بعضكم ببعض
اى يتبرا ويلعن بعضكم بعضا كما قال كلما دخلت امة لعنت اختها ومأويكم النار وبيد
وما لكم من ناصرين حينئذ فامن له لوط اى صدقه لوط بعد هذا التنبيه وانا مع الحج

من بين القوم الكثير وقال اني مهاجر الى ربي قيل هو قول لوط وقيل قول ابراهيم و
الروايه انهما معا هاجرا من ارض السواد الى الشام ومعناه اني تارك وطني وبلدي
ومفارق من خالفني من اهلي تقربا منى الى ربي وقيل لما صدقه لوط من بين قومه
لم يستقم له المقام بينهم فقال اني مهاجر الى حيث امرني ربي من المواضع التي امن فيها
انه هو العزيز اي المنيع الذي من لجا اليه منعه من اعدائه الحكيم الذي يمتحن اولياءه
باعدائه ثم يجعل العاقبه المحموده لاوليائه وقال محمد بن اسحاق خرج ابراهيم ولوط
مهاجرين وقد تزوج ابراهيم ساره بنت عمه فرارا بدينهم والتماسا التمكن من عباده
ربهم حتى نزلوا حران فمكثوا بها مده ثم خرجوا الى مصر ثم الى الشام فنزل ابراهيم
فلسطين من قرى الشام ونزل لوط المؤتفكه على مسيره يوم وليله منها فبعثه
الله نبيا اليهم وقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته
النبوه والكتاب اي في اعقابه ونسله لان موسى وداود وعيسى وغيرهم من انبيا بني
اسرائيل كلهم من ذريه يعقوب ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل وهو ابن ابراهيم
ولهم النبوه والكتاب ووحد الكتاب لانه مصدر كالنبوه يصلح للجمع واتيناه اجره
في الدنيا اي ثواب قيامه باداء الرساله وصبره على اذى القوم ومهاجرته الى ربه
ما اتيناه في الدنيا من كثره الاولاد وكون الانبيا فيهم والزام الناس اتباع
ملته وابقا ذكره على السنه الاخرين وانه في الاخره لمن الصالحين قال الحسن اي لمن اهل
الجنه قال الله تعالى وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين وقيل في جنتنا وقوله ولوطا

حران اسم بلد من بلاد الشام

عطف القصا على قوله نوحا وبين صبره على اذى قومه اذ قال لقومه انكم لتاتون
الفاحشه اي الفعله القبيحه المتناهيه القبح وهو اتيان الذكور ه انكم ائنكم
قرا ابن كثير ونافع عن قالون وسهل ويعقوب غير زيد بغير استفهام في الاول
وبالاستفهام في الثاني بغير مد انكم ائنكم قرا ابو جعفر وقالون وزيد بالمد في الثانيه
وقرا ابو عمرو بالاستفهام مع المد في الموضعين ائنكم ائنكم قرا الشامي وهو ابن عامر
وحفص عن عاصم بغير استفهام في الاول وبالاستفهام في الثاني وهشام عن ابن
عامر يدخل بين الهمزتين مده وقرا الباقون بالاستفهام في الحرفين وهو استفهام
بمعنى التوبيخ والانكار ما سبقكم بها من احد من العالمين لم يعملها احد من الناس قبلكم
ائنكم لتاتون الرجال اي تواقعونهم وهو تفسير تلك الفاحشه وتقطعون السبيل
قيل اي تقطعون طرق الناس وتاخذون اموالهم وكانوا يفعلون وقيل كانوا ياتون
الفاحشه لمن مر بهم من الغربا فكانوا لذلك لا يمرون بهم فتقطع الطريق بذلك
وقيل كانوا يحذفون الماره بالحصا فكان الناس لا يشعرون من المحرومين وقال
الفرا وتقطعون سبيل الولد لتعطيلكم النسا وتاتون في ناديكم المنكر قال السدي
كانوا يحذفون بالحصا من مر بهم وقال مجاهد كانوا ياتون الذكران مجاهره وقال
ابن عباس هو الضراط وقيل هو كل فعل قبيح تجاهر به اهل المجون والذين لا حيا
لهم وعن ابن عباس انه قال هو الحذف بالحصى والرمي بالبندق وفرقعه الاصابع
ومضغ العلك وحل الازرار والازار وفحش المزاح ه فما كان جواب قومه الا

الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وهو غاية وقاحتهم وعنادهم
قال رب انصرني على القوم المفسدين سال الله تعالى ان ينتقم منهم اداهم عنه وان ينزل
العذاب عليهم واستجاب الله تعالى ذلك له بما ذكر بعده ولما جاءت رسلنا اي
الملائكة المرسلون جبريل وجماعة من الملائكة ابراهيم بالبشرى باسحاق ويعقوب
بعده منه قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية وهي قرية قوم لوط اي نهلكهم بقدر امرنا
الله بذلك ان اهلها كانوا ظالمين اي هم متمادين في الكفر والمعصية قال ان فيها
لوطا اي قال ابراهيم اتهلكونهم وفيهم لوط قالوا نحن اعلم بمن فيها اي ليس يخفى علينا
ذلك ان فيها لوطا والمؤمنين معه اعلمنا الله بذلك قبلنا العلم به حقيقته وغيرنا
من البشر من علمهم كذلك فانما يبنى على الظاهر دون الحقيقة فنحن اعلم منه لننجينه
واهله اي لنامرن لوطا ان يخرج هو ومن معه المؤمنين من القرية بامر الله ايانا بذلك
فيخرج فينجو بذلك فلا يحل بهم ما يحل بقومه الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين في
الهلاك وقال ابو عبيدة بمعنى من الذين طالت اعمارهم فبقيت بعد موت الاتراب
ثم اهلكت ولما ان جاءت رسلنا لوطا لما جاؤه الملائكة لوطا سيء بهم ساءه
مجيئهم اي حزنه وضاق بهم ذرعا قال في ديوان الادب الذرع قدر الرجل الذي
يبلغه وضاق بهم ذرعا اي ضاق قلبه ولم يحتمل ذلك وسعه وذلك لانه لم يعلم انهم
ملائكة وظن انهم غرباء ضافوه وخاف عليهم من قومه ما كان يكون منهم بالغرباء من
الفاحشة قالوا لا تخف ولا تحزن لا تخف علينا وصولهم الينا ولا تحزن ولا تهتم

من ظهور رجال يجيئونك بسببنا من الفضيحة واظهروا انهم ملائكة ارسلوا لانجائه
واهلاك قومه كما ذكر في سورة اخرى انا منجوك اي انا ننجيك وننجي اهلك ونصبه
بهذا الفعل ولم يخفض عطفا على الكاف المخفوض منه بالاضافة لان المكني المخفوض
لا يحسن العطف عليه الا باعادة الخافض على ما مر في قوله تساءلون به والارحام
الا امراتك كانت من الغابرين اي الباقين في الهلاك انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا من السماء اي عذابا وهو امطار الحجارة بما كانوا يفسقون اي
بفسقهم المتقادم ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون قال قتادة هي الحجارة
التي امطرت عليهم من اخذ من المدينة الى الشام راها في قرية سدوم وقيل هو
عفا اثارهم مع ظهور هلاكهم يقول ولقد ابقينا في قرية قوم لوط علامة واضحة
على قدرتنا وعلى انتقامنا من اعدائنا او لمانا لقوم يعقلون الايات فيتدبرونها
وقوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله نوحا فقال يا قوم اعبدوا الله
اي وحدوه واطيعوه وارجوا اليوم الاخر اي صدقوا به ومعناه انهم كانوا لا يصدقون
به فلا يرجون كونه فكانه قال وارجوا كونه وقيل معناه واعملوا الصالحات راجين
ثوابه في الاخرة وقيل اي خافوا عذاب الله يوم القيامة على المعاصي فلا تعصوه و
الرجا يقع على الامل والخوف جميعا على ما مر ولا تعثوا في الارض اي ولا تبالغوا
في الافساد في الارض بالكفر والمعاصي من نقص الكيل والوزن وغير ذلك فكذبوه
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة التي اصابتهم يوم الظلة رجفت بهم الارض مع اخذ الحجر

فهلكوا فاصبحوا في دارهم اي بلادهم جاثمين ميتين لاصقين بالارض وقال ابو عبيده
وقتاده ساقطين بعضهم على بعض وقيل جاثمين على الركب وعادا وثمود قيل
هو عطف على الهاء والميم في قوله فاخذتهم وقيل اضمر قوله واهلكنا وقيل اي واذكر
عادا وثمود وقال الكسائي يرجع هذا الى اول السوره ولقد فتنا الذين من قبلهم
وفتنا عادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم كيف خربها الله واخلاها عن
اهلها كانكم وانكم لتمرون عليهم وزين لهم الشيطان اعمالهم الكفر والمعاصي بالوسوسه
فصدهم عن السبيل اي صرفهم بالدعوة عن الطريق المستقيم وهو الدين الحق وكانوا
مستبصرين قال قتاده اي بصارا وذوي بصاير في دينهم عند انفسهم لعجبهم بضلالتهم
وقال مجاهد اي وكانوا ذوي بصاير لمكنهم تمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يعقلوا
ولم يستعملوا بصايرهم وقارون وفرعون وهامان عطف على قوله وعادا وثمود
وقيل فصدهم وصد قارون وكذا ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض
بالترؤس على اهلها واستعباد ضعفايها وما كانوا سابقين اي فايتين اخذنا
فكلا اخذنا بذنبه اي باخذنا كلا من هولا بكفره ومعصيته فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا حجاره كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كقوم صالح ومنهم من خسفنا
به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا بالطوفان كقوم نوح وبالبحر كفرعون
وقومه وما كان الله ليظلمهم اي ليعاقبهم من غير ذنب ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالمعاصي المفضية لهم الى الهلاك وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله

اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا اي مثل من اشرك بالله الاوثان وتولاها في
ضعف احتيالهم وسوء اختيارهم كمثل العنكبوت حيث اتخذت لنفسها
بيتا وان ذلك البيت لا يكن من حر ولا برد ولا يقي ما يتقي البيوت فكذلك
اوثانهم لا تنفعهم ولا تغني عنهم في الدارين وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت لو كانوا يعلمون اي واعتمادهم على الاوثان اضعف شي لو كانوا
يرجعون الى العلم والعنكبوت مؤنثه في الاية وقد ذكرها بعض الشعرا فقال شعر
على هطالهم منهم بيوت كان العنكبوت هو ابتناها ان الله يعلم
ما يدعون من دونه من شي قرا اهل البصره وعاصم غير الاعشى يدعون بالمغايبة
والباقون بالمخاطبه اي ان الله يعلم ما يعبدون من دونه من صنم او ملك او جن او
شيطان وهو العزيز المنيع الذي لا شريك له الحكيم في ترك المعاجلة بالعقوبه
وتلك الامثال نضربها للناس اي هذا المثل وساير الامثال نبينها للناس
تنبيها وتذكيرا وما يعقلها الا العالمون اي وما يفهمها وما يعرف حقها نفعها
الا اولوا العلم الذين يضعون الاشيا مواضعها فاما من الف الجهل وترك التدبر
فما ينتفع بها انتفاع من يعقل فان قيل لم قال وما يعقلها الا العالمون والعقل
يسبق العلم قلنا لان العقل آلة تستدرك بها معاني الاشيا بالتامل فيها ولا يمكن
التامل فيها والوصول اليها وطريقها الا بالعلم ودلت الاية على فضل العلم على العقل
ولا عالم منا الا وهو عاقل واما العاقل فقد يكون غير عالم خلق الله السموات والارض بالحق

اي لم نخلقها باطلا ولا جزافا بل الحكمة بالغة وهي الامتحان ثم يقتضي ذلك
دار اخرى للحساب والجزاء على الاعمال ان في ذلك لاية لدلالة على قدرة الله
وربوبيته وحكمته للمومنين والدلالة للكل لكن انتفع بها المومنون فاضيفت
اليهم وقيل لاية للمومنين اي لحجة للمومنين على الكافرين في التوحيد والايمان
الاسلام وقوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى
بقراءة كلامه ولتقف على امر الله تعالى به ونهيه عنه فيه وعلى ما يعامل به الكفار
وقيل اي اتل على الكفار وانذرهم به وادعهم اليه واقم الصلوة اذا رغبت
من انذارهم وقيل اي دم على تلاوة الكتاب واقامة الصلوات ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر اي ان الصلوة تشتمل على قراءة القران وفيه الوعظ والوعيد
والوعد وذلك يمنعه عن الفحشاء اي الفعلة القبيحة والمنكر اي ما ينكره
العقل والشرع والنهي يكون بالقول ولكن هذا مجاز عن المنع ولان الصلوة
يشغل المصلي عن ذلك كله فان المصلي مناجي ربه فاذا اراد ان يعطي الصلوة
حقها وجب عليه ان يقبل عليها بقلبه ويشعر قلبه الخشية لله والمراقبة
له وذلك يمنعه عن المعاصي بعدها قال ابو هريرة قيل للنبي عليه السلام ان فلانا
يصلي الليل كله فاذا اصبح سرق قال سينهاه ما تقول وقال ابن عون
ان الصلوة تنهى قال اذا كنت في صلوة فانت في معروف وطاعة وقد حجزتك
عن الفحشاء والمنكر وقال ابن عباس اقامة الصلوة اتمام وضوها وقيامها وركوعها
وسجودها وقراءتها ومراعات السنن

ومراعاة السنن فيها فمن كان هكذا مواظبا على هذا يرجو انها تنهه عن الفحشاء
الزنا والقبيح من الاعمال وعن المنكر الظلم والبغي وقال ابن مسعود قال النبي
عليه السلام لا صلوة لمن لم يطع الصلوة ومن انتهى عن الفحشاء والمنكر فقد اطاع الصلوة
وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام انما صلوة لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر
لم يزده من الله الا بعدا وقال بعض اهل المعرفة معناه ان الصلوة الخالصة لله تعالى تنهى
عن الرياء والعجب ولذكر الله اكبر قيل ولذكر الله بتلاوة القران والاذكار في
الصلوة اكبر من كل شيء وقيل ولذكر الله في الصلوة بالقران افضل من ذكره بغيره
وقال ابن عباس هو قوله فاذكروني اذكركم ولذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقال عبد الله بن
ربيعة قال لي ابن عباس ارايت قول الله تعالى ولذكر الله اكبر فقلت ذكر الله بالقران وبالصلوة
وبالتسبيح والتكبير حسن وافضل من ذلك كله اذا ذكر الرجل ربه عند المعصية
فانحجز عنها قال لقد قلت قولا عجبا وما هو كما قلت ولكن ذكركم الله اياكم افضل اكبر
من ذكركم اياه وقيل يتصل هذا بقوله تنهى عن الفحشاء والمنكر اي ولذكر الله بعلمه عند
الهم بالفحشاء والمنكر والكف عن ذلك اكبر من كل عمل وقيل ولذكر الله في الصلوة
اكبر من افعالها والله يعلم ما تصنعون اي تعلمون من الصلوة والذكر وغير ذلك
والتعظيم فيها وترك التعظيم وهو حث على الطاعات والاخلاص فيها ونهي
عن المعاصي والرياء في الطاعات وقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
امره بمحاربة المشركين بالسيف ومجادلة اهل الكتاب بالاحسن فقال ولا تخاصموا اهل الكتاب

في الدين الا بالحجة التي هي احسن من غيرها وهي الدعا الى الله باياته والتنبيه
على حججه على سبيل النصح والرفق وتصوير الحق باحسن الصور على وجه يرجوا به
ميلهم الى الاسلام قال ابن عباس نزلت الاية في وفد نجران السيد والعاقب ودونهم
وقد ذكرنا ذلك في سورة ال عمران الا الذين ظلموا منهم اي الذين اصروا على
كفرهم واستنكفوا من اعطا الجزيه فجادلوهم بالسيف وهو الجدال بغير الاحسن
حتى يسلموا او يعطوا الجزيه وقد يحتاج هولا الى المغالظة والتشديد فيلون جدالا
بغير الاحسن حتى يسلموا او يعطوا الجزيه وقولوا امنا بالذي انزل الينا وهو القران
وانزل اليكم التورية والانجيل وهو بيان المجادلة بالاحسن اي قولوا لهم كلما كلموكم بشا
وسلم كتابنا حكم علينا فقد امنا بالكتابين والهنا والهكم واحد ونحن له
مسلمون منقادون فقد اتفقنا على الله الذي نستحق ان نعبد ونطاع وعلى
الكتاب الذي انزل اليكم فقد رضينا بحكمه فرضوا بحكم كتابنا فلم يبق الا الرجوع
الى نصية الكتاب فعلموا انه رجع اليه فيما اختلفنا من نبوة نبينا محمد عليه السلام وهو
موصوف في كتابكم بصفات لا توجد الا في محمد عليه السلام فما بقي بعد هذا الا العناد
والمجادلة على هذا الوجه مجادلة بالاحسن وقيل معناه ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالجميل الا الذين ظلموا منهم الا من ظلم رجلا فيحق له قتله فانه يوخذ بذلك
الحق ولو باغلاظ له في القول وقيل معناه ما روي في الخبر عن النبي عليه السلام انه
قال اذا احدثكم اهل الكتاب عن كتابهم فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا

بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقوله تعالى وكذلك انزلنا اليك الكتاب
اي وكما انزلنا الكتب على الانبيا المتقدمين فكذلك انزلنا اليك القران ولم نتركك ان يحاجهم
به فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به اي فالذين اتيناهم الكتاب من قبلك من بني اسرائيل
يؤمنون بهذا الكتاب لانهم بالاسا الذين يبشرونهم بك وبانك والكتاب المنزل
عليك ومن هؤلاء من يؤمن به اي ومن اهل عصرك من بني اسرائيل من يؤمن به كعبد الله بن سلام
واصحابه وما يجحد باياتنا القران الا الكافرون بالله وكتبه ورسله فلا يضيقن صدرك
بكفر هولا بعد امن بك وبكتابك اولئك وما كنت تتلوا من قبله من كتاب بين لك على
صحة كتابنا به ويقول وما كنت تقرا من قبل هذا الكتاب المنزل عليك كتابا من
الكتب المتقدمة فيكون قد وقفت بذلك على قصص الاولين ولا تخطه بيمينك اي
وكنت لا تكتب كتابا بيمينك فيكون قد وجدت كتابا من الكتب المتقدمة فحفظت فيه
وحفظت القصص منه بل كنت اميا في بلاد اميين لا تقرا ولا تكتب اذا لارتاب
المبطلون اي ولو كنت تتلو كتابا وتخطه لشكوا اذا واذ لم يكن كذلك فلا وجه
للارتياب في ان ما يتلوه عليهم هو وحي من السما والمبطلون الكفار وقيل اهل الكتاب
وقيل معناه لو كنت تقرا الكتب لقالوا اخذ القصص منها ولو كنت تخط بيمينك لقالوا
نظمته والفته من عندك وقالوا انه الخطوا القراة كان معجزة له وهما من الفضل لغيره
وقد اكرمه الله تعالى بذلك في اخر عمره روى مجاهد عن عون بن عبد الله ما مات
رسول الله عليه السلام حتى كتب وقرا وقوله تعالى بل هو ايات بينات اي القران

وقيل للرد ما سبق وتقديره ليس هذا القران كما يقوله المبطلون انه سحر وشعر وكهانة
بل هو ايات بينات اى دلايل واضحات وحجج نيرات يعرف بها دين الله واحكامه
في صدور الذين اوتوا العلم اى هى كذلك في صدور وقلوب اصحابك العلما يحفظونها
ويعتقدونها حق وصفه بغير هذه الصفة فهو من اهل الجهل فلا تبال بقوله وقيل بل
هو اى بل محمد صلى الله عليه وسلم ايات بينات اى رسول حق ظاهر بالدلايل وجمع الايات
لوجوه احدها انه علم على اشيا كثيرة من امور الدين فهو ابه واجد لذا انه ايات
لدلالته وهو كقوله فيه ايات بينات مقام ابراهيم على قول من جعل مقام ابراهيم
تفسيرا لها وترجمة عنها وقيل كل صفة منه كانت اية وكانت صفاته ايات
وقيل كان من اول ما نشا الى اخر امره ايات لما ذكر من النور في وجه ابيه ما دام في
صلبه ثم في وجه امه اذ وقع في رحمها ثم من ضيا الليلة التي ولد فيها ثم من ظلل السحاب
الذي اظله وامثالها وهي كثيرة في صدور الذين اوتوا العلم اى اوتوا منافع العلم
فهم الذين يعتقدونه ويصدقونه وقيل الذين اوتوا العلم اهل الكتاب وجدوه في
كتبهم وعلموه وما يجحد باياتنا الا الظالمون انفسهم وقيل الواضعون الكذب
في غير موضعه وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه كايات الانبيا موسى وعيسى وغيرهما
من فلق البحر واحيا الموتى واخراج الناقة من الصخر قل انما الايات عند الله اى هو ياتي
بها على ما يعلمه صلاحا لكل نبي ولكل قوم لا املكها انا شيا منها وانما انا نذير
مبين مخوف بالقران ان ياتيكم عذاب اذا اصررتم على شرككم وعنادكم اولم يكفهم

استفهام بمعنى الاثبات اى لقد كفاهم انا انزلنا عليك الكتاب وهو معجز فهو
اية كافية تتلى عليهم بلسانهم وقد تحديتهم ان ياتوا بسورة مثله فعجزوا وقرا ابن كثير
وعاصم في رواية ابي بكر وحماد وحمزة والكسائي عن قتيبة وخلف لنفسه اية
من ربه وقرا الباقون ايات لانهم كانوا يقترحون ايات كما قال وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الايات ومن وحد فهو للجنس مودى معنى الجمع وهو
كقوله فليأتنا باية كما ارسل الاولون ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون اى
ان في الكتاب المنزل عليك لرحمة وموعظة لمن همته الايمان باقامة دلالته
وقيل هو متصل بقوله ولا تجادلوا على تاويل من قال لا تصدقوهم ولا تكذبوهم بما يخبرون
به من كتابهم ثم قال اولم يكفهم ما في القران وروي ان بعض الصحابة كان في يده ورق
فيه شي مكتوب من كتبهم فقال النبي عليه السلام ما هذا قال كتبته من كتابهم لازداد
علما الى علمي فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال امتهوكون انتم كما تهوكت
اليهود والنصارى كفى بقوم حمقا وضلالا ان رغبوا عما اتاهم به نبيهم الى
غيره فانزل الله هذه الاية قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا شاهدا يصدقني فيما ادعيه
من الرسالة وانزال القران على يعلم ما في السموات والارض لا يخفى عليه شي منهما
وهذا وعيد لهم ثم بعض والذين امنوا بالباطل بالجبت والطاغوت وكفروا بالله
واشركوا به اولئك هم الخاسرون قيل الهالكون وقيل المغبونون حرموا الجنة
واستحقوا الخلود في النار ويستعجلونك بالعذاب ولما قال وانما انا نذير مبين اى بالعذاب

قالوا متى هذا الوعد وقال النضر بن الحارث ان كان هذا هو الحق من عندك
الآية فنزل هذا ويستعجلونك بالعذاب ونزل سأل سائل بعذاب واقع ونزل وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا ونزل ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ولولا اجل مسمى لجاءهم
العذاب اي ان لكل عذاب يرسله الله بالعصاة اجلا معلوما عنده لا يتقدم قبله
ولا يتاخر بعده وليأتينهم اي العذاب بغتة اي فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه
يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين عجب من جهلهم في استعجال
العذاب وقد اعد الله لهم جهنم وهي قد احاطت بهم اي هم في المعنى كالمحصور فيها
لا يجد مخرجا وما اي ستحيط بهم في الآخرة لا محالة والمعنى لا استعجالهم في الدنيا
يوم يغشاهم العذاب اي محيطة بهم في يوم يأتيهم ويغطيهم العذاب من فوقهم ومن
تحت ارجلهم من كل جهاتهم وهي كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون وقرأ نافع واهل الكوفة بالياء ردا على قوله
قل كفى بالله وكفروا بالله اي يقول لهم الملائكة بامر الله هذا جزاء اعمالكم فذوقوه
اي فعاسوه وقرأ الباقون بالنون ردا على قوله انا ارسلنا وقوله تعالى يا عبادي
الذين آمنوا ان ارضي واسعة اي يا عبادي الذين آمنوا بي وبرسولي وخالفوا عشائرهم
وقومهم وخافوا الفتنة منهم وان لا يصبروا على اذاهم ان ارضي واسعة اي بلادي و
المواضع التي خلقتها للمعاش خلق كثيرة لا تضيق عنكم فهاجروا اليها
واياي فاعبدون لا ما يدعوكم اليه المشركون ولا يشق عليكم احتمال الغربة

لاجلي فان حياة الدنيا منقضية والبلايا منتهية ومرجعكم الي وذلك قوله كل
نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون وقيل ان ارضي يعني ارض الجنة واسعة فاعبدون
حتى اورثكم ذلك وقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا
قرأ حمزة والكسائي وخلف بالثاء المعجمة فوقها ثلاث من الثواء بمعنى الاقامة والاثواء تعديته
وقرأ الباقون بالباء لنبوئنهم وهي الانزال من الجنة غرفا وهي اعالي المنازل بها تجري
من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها وقصورها المياه في الانهار وهي انزه ما يكون
خالدين فيها الموقنون فيها ولا يخرجون منها نعم اجر العاملين ثم وصفهم فقال الذين
صبروا اي ثبتوا على الايمان مع الفتنة وتحملوا اذى الكفار ومفارقة الديار وعلى
ربهم يتوكلون اي يعتمدون في ارزاقهم وجهاد اعدائهم وكفاية امورهم وكاين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم اي وكم من ذات حياة يدب على وجه الارض
ليس معها رزقها مدخرا امور رزقها الله كما يرزقكم وهو السميع الذي لا يخفى عليه الاصوات
العليم الذي احاط علمه بالخفيات نزلت في الذين امروا بالهجرة من المستضعفين فقالوا
كيف نهاجر الى المدينة وليس لنا بها دار ولا عقار ولا احد يؤوينا ويطعمنا ويسقينا
فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس لا يخبأ القوت الا الانسان والفارة والنملة ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اي ولئن سألت هؤلاء
المشركين من خالق السموات والارض على كبرهما وسعتهما وكثرة عجائبهما
ومطلق الله بهما من قرار هذا العالم على كثرتهم ومن الذي صير الشمس والقمر مسخرين

عما خلقهما له من منافع العباد وما علق بهما من اسباب المعاش لاقروا ان فاعل ذلك كله
الله وحده لا شريك له فانى يؤفكون اى فانى يصرفون والى اين يذهبون عن الاخلاص
لهم مع اقرارهم بهذا كله ومن اين يجوز مع هذا ان يكون من عبد خالق هذه الاشيا يعاقبه
الله تعالى بالتقتير عليه ومن اشرك به غيره يثيبه الله تعالى بالتوسيع عليه الله
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له اى ان الله اى المستحق بالعبادة وحده هو
الموسع للرزق على من يشا وهو المضيق عليه له والمعطى بقدر الكفاية ان الله بكل
شى عليم هو العالم بمصلحة كل عبد فيعطى كلا ما فيه صلاحه قال النبى عليه السلام
يقول الله تعالى ان من عبادى من لا تصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك انى ادبر
امور عبادى بعلمى ثم من تمام معنى الاية ان الله هو يبسط الرزق ويقدره فلا يحملنكم
خوف الفقر والضيق فى الغربة على ترك الهجرة فان الله هو رازقكم ان كنتم ولئن
سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله اى فاذ
كانوا مقرين بان فاعل ذلك هو الله وهو القادر عليه وعلى كل شى افلا نقدر
على اغنا المومنين قل الحمد لله على ما اوضح من الحجة وبصر من العماية وانقذ من
الجهالة بل اكثرهم لا يعقلون اى لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما يريهم من الايات
ونقيم من الدلالات فصاروا بذلك كمن لا يعقل ما يقال له ولا ما يقول وقيل لا يعقلون
ما يلزمهم بهذا الاقرار وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اى انما يعجب الله تعالى
هولا الاغنيا من السعة فى دنياهم وليس هى فى سرعة انقضائه الا كاللهو وهو الشى

الذى يتلذذ به الانسان فيلهيه ويفرحه ساعة ثم ينقضى وكاللعب الذى لا حقيقة
له وان الدار الاخرة لهى الحيوان اى والدار الاخرة التى هى للثواب والعقاب لهى الحيوة
اى فيها الحيوة الباقية التى هى الحيوة فى الحقيقة لانها حيوة لا تنقص بانقضايها بالموت
لو كانوا يعلمون لو كان هولا المشركون المغترون بالدنيا يعرفون حقايق الاشيا
فاذا ركبوا فى الفلك اى لامر من امور المعاش فاصابتهم شدة يخافون فيها الهلاك
من الغرق دعوا الله وحده مخلصين له الدين لا يدعون فى تلك الحالة ان شيا يفرج
عنهم ذلك غير الله وحده فلما نجاهم الى البر فاذا خلصهم من البحر الى البر وامنوا
اذا هم يشركون اى عادوا الى الشرك بالله ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا قرا
ابن كثير عن البزى من طريق الهاشمى وقالون عن نافع وحمزة والكسائى وخلف
والشمونى وابن جمى والحزاز عن هبيرة بسكون اللام فى وليتمتعوا على الامر
وعلى هذا ليكفروا يكون على صيغة الامر وهو للتهديد كما قال اعملوا ما
شئتم وقال فمن شا فليكفر يدل على انه للتهديد قوله فسوف يعلمون حتى فى الاخرة
اذا عوقبوا على ذلك وقرا الباقون بكسر اللام وعلى هذه القراة يجوز ان يكون على صيغة
الامر وتاويله ما مر ويجوز ان يكون بمعنى كى ويتصل بقوله اذا هم يشركون كى يكفروا
بنعمتنا ويتمتعوا بالدنيا وسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تعذيبهم وتدميرهم
اولم يروا استفهام بمعنى التقرير انا جعلنا اى لهم حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم
اى وساير اهل بلاد العرب يستلبون بالغارة والسبى نعاما منى على اهل الحرم فقد

فقد خلصتهم في البر كما خلصتهم في البحر فكيف صاروا يشركون بي في البر ولا
يشركون بي في البحر وبعزتي لي مخلصين أفبالباطل يؤمنون بما يعبدونه من دون الله
وبنعمت الله يكفرون بمحمد الرسول والكتاب استفهام بمعنى التوبيخ ومن أظلم
ممن افترى على الله كذبا أي لا أظلم منه أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى
للكافرين استفهام بمعنى الإثبات والذين جاهدوا الأعداء وقيل الشيطان
وقيل أنفسهم فينا أي لأجلنا وفي طلب رضانا لنهدينهم لنثبتنهم على الحق وقيل
لنوفقنهم سبلنا وسبيل الله واحد وجمع لذكر المجاهدين فصار السبيل جمعا
لاجتماع السالكين وقال الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم
إلى ما لم يعلموا وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم
سبل الجنة وقال الواسطي والذين جاهدوا بأنفسنا لنهدينهم إلينا وإن الله لمع
المحسنين أي حافظهم وناصرهم

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي يفرح المؤمنون بنصرته الرحمن الذي بسط الرزق لمن يشاء ويقدر
بقدرته الرحيم الذي أحيى الأرض بعد موتها بآثار رحمته وروي أبي بن كعب عن النبي
عليه السلام أنه قال من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل
ملك يسبح لله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته وهذه السورة

مكية وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون بالاختلاف في بضع سنين و
كلماتها ثمانمائة وخمس عشرة وحروفها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعة وتسعون
ونظم أول هذه السورة بآخر تلك السورة أنه قال في ختم تلك وإن الله لمع المحسنين
وقال في أول هذه الم أي أنا الله أعلم بالمحسنين وعن المحسنين وانتظام السورتين
أن كل واحدة منهما مكية متضمنة ذكر التوحيد ومحاجة المشركين وبيان عاقبة
المؤمنين والكافرين قوله تعالى الم مر التأويل في أول سورة البقرة غلبت
الروم في أدنى الأرض أي غلبت فارس الروم في أقرب أرض الشام إلى حدود
أرض فارس وقال مقاتل وهو قول ابن عباس هي أرض الأردن وفلسطين وقال مجاهد
هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وقال عكرمة هي أذرعات وكسكر
وقال مقاتل كان ذلك في ريف الشام وهم من بعد غلبهم أي والروم بعد أن صاروا مغلو بين
وهو إضافة المصدر إلى المفعول سيغلبون أي سيصيرون غالبين لغالبيهم
وهم فارس في بضع سنين قال الفراء يقال غلب غلبة وسقطت التاء هاهنا للإ ضافة
كما في قوله وإقام الصلاة وقال الزجاج الغلب مصدر كالغلبة كالجلب والجلبة
والبضع القطعة من العدد ويستعمل في الثلاث إلى العشر قاله الخليل والقتبي
وقال الحسن لما نزلت الم غلبت الروم قال كفار قريش والله لا يكون هذا أبدا
أن يظهر الروم على أهل فارس أهل البأس والشدة والعدة فأنزل الله تعالى في
بضع سنين أي يظهر أهل الروم على أهل فارس فقال كفار قريش إن كنتم

صادقين فراهنوا فتراهنوا على خمس قلايص وجعلوا بينهم من الاجل خمس سنين
ولما قامر المسلمين ابا بكر الصديق رضي الله عنه وهو لو قامر المشركين ابي بن خلف
فمضت خمس سنين ولم يظهر اهل الروم على اهل فارس فقال المشركون اعطونا
القمار واشتد ذلك على المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله عليه السلام
فقال لهم ان الله عز وجل قال في بضع سنين والبضع ما بين الثلث الى العشر فزايدوهم
في القلايص وزايدوهم في الاجل فزادوهم في الاجل خمس سنين وفي القلايص خمسا
فلما كانت السنة السابعة ظهر اهل الروم على اهل فارس فانزل الله ويومئذ
يفرح المومنون بنصر الله بنصر من يشا فظهر اهل الروم على اهل فارس قال
فقدم رسول الله عليه السلام المدينة ولم يقبضوا القمار فانزل الله تعالى تحريم
الخمر والقمار في قوله انما الخمر والميسر وقال ابو سعيد الخدري التقينا مع رسول
الله عليه السلام ومشركوا العرب والتقت الروم وفارس في ذلك اليوم فنصرنا
الله على مشركي العرب ونصر الله اهل الكتاب على المجوس فذلك قوله ويومئذ
يفرح المومنون وقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اي الامر في غلبة فارس
للروم وغلبة الروم لفارس لله عز وجل لو شا ان يهلك الفريقين معا او احدهما
لفعل واستغلبة فارس للروم على ما توهمه المشركون من ان محمدا لا كتاب له
ولا نبوة ولا بينة هو الحق ودين لا نبوة وكتاب باطل وما غلبت الفارس
الروم فكذلك تغلب مشركوا فارس المشركين بل كلا الفريقين مبطل ولو شا الله

لبينة احتج بها على الاخر فلله الامر من قبل غلبة فارس للروم ومن بعد ذلك وقيل اي
من قبل كل شي ومن بعد كل شي وقوله تعالى ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله
اي ويوم غلبت الروم فارسا يفرح المومنون لا بنصرة النصارى ولكن بتحقيق الله
وعده دالا على صدق نبيه فيما اخبرهم به وقيل بل بنصر الله المسلمين على المشركين
على ما روينا انه كان ذلك في ذلك اليوم وقيل كان ذلك عام الحديبية وقوله وهو
العزيز اي المنيع سلطانه لا يغلب على امره ولا يحرك في حلقه الا ما يريده الرحيم
فلا يعاجل العصاة بالعقوبة وعد الله لا يخلف الله وعده نصب على المصدر كانه
قال وعد الله ذلك وعدا وهو لا يخلف وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي
المشركون جهال لا يعلمون ان محمدا وساير الانبيا لم يويدوا بالمعجزات الا لتدل
ذلك على صدقهم فلا يكذبون فيما يخبرون فاذا كذبوا محمدا فيما اخبر
عن غلبة الروم فارسا فلجهلهم كذبوه يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا اي همتهم
دنياهم يصرفون فيها تفكرهم وتدبيرهم وتعلمهم الى امورها فيعلمونها وهم عن الاخرة
هم غافلون لا يتفكرون فيها وما يكون لهم فيها من الحساب والعقاب وقيل يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا اي انما يعلمون ما يشاهدونه ولا يعرفون ما ورا ذلك
من امور الاخرة وفي الاية نفي العلم عنهم بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
واثبات العلم لهم بقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ولا تناقض فيه لان الاول نفي
العلم بامور الدين والثاني ثبوت العلم بامور الدنيا ولان الاول نفي الاسماع بالعلم

بما ينبغي والثاني صرف العلم الى ما لا ينبغي ومن العلم القاصر ان يعلم الانسان امور
شتى ابه في صيفة وامور صيفة في شتائه وهو لا يتيقن بوصوله الى ذلك الوقت ويقصر
في الدنيا في اصلاح امور معاده ولا بد له منها اولم يتفكروا في انفسهم من كلمة
استبطا ومعناها هلا تفكروا لم اخروا التفكر وتركوه وقوله تعالى
في انفسهم قال اي في خلق انفسهم كما قال وفي انفسكم افلا تبصرون وقال سنريهم اياتنا
في الافاق وفي انفسهم اي لو تفكروا في خلق انفسهم افادهم ذلك علما في الاخرة وزوال
الغفلة وانقطع الكلام ثم قوله ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق كلام
مبتدا ومنهم من هو متصل بالاول والتفكر واقع على ما ومعنى الكل على هذا القول
اولم يخلوا انفسهم يتفكروا في الخلوة التي يمكن معها الانسان من عقله ان ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق فاضمار ان الخفيفة ويكون التفكر واقعا على
هذا واضمار ان في الوصل جائز كما في قوله في هذه السورة ومن اياته يريكم البرق اي ان
يريكم البرق فقد صرح بان في هذه الاية في قوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا ويكون معنى هذه الاية على هذا الوجه اولم يتفكروا في خلق السموات والارض
ان الله لم يخلقهما عبثا ولا جزافا ولكن ليعتبر بها عباده ويستدلوا بها على
وحدانيته وكمال قدرته وانه انما خلقهما لمنافع عباده بلاغا لهم في دار التكليف
ليحاسبهم في دار الجزاء وهو معنى قوله الا بالحق اي للحق وهو هذا واجل مسمى اي وليوم
القيامة الذي يحاسبهم فيه ويجازيهم على اعمالهم فيه وقد جعله اجلا لذلك ثم

هذا التفكر عن الغفلة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اي تركوا
هذا التفكر فغفلوا او كفروا بالبعث والجزاء ومن قوله واجل مسمى اي خلقهما
والوقت الذي كان يتم الخلقهما فيه وارادة اي لم يخلقهما على سهو وغفلة ومجازفة
بل على مقدار معلوم ووقت معلوم وقيل واجل مسمى اي وقت موقت اذا بلغت
ذلك الوقت افناها وبدل الارض غير الارض وغير السموات وقوله اولم يسيروا
في الارض وهذا تنبيه اخر عن الغفلة اولم يسيروا في الارض في اسفارهم للتجارات
وغيرها فينظروا الى اثار القوم الذين كانوا قبلهم فعصوا الله وكذبوا انبياءه
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وهم هولاء كانوا اشد منهم قوة اي من مشركي
قريش واثاروا الارض للزراعات وعمروها بانواع الابنية اكثر مما عمروها اي
مشركوا قريش فلم يغن عنهم شيء من اموالهم وحصونهم مما نزل بهم فكيف يمتنع هولاء من
مثل ذلك وجاءتهم رسلهم بالبينات نزل بهم هذا بعد ان جاءتهم رسل الله اليهم بالحجج
الواضحة فما كان الله ليظلمهم ليعذبهم من غير ذنب ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بمعاصيهم فعوقبوا لذلك ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بايات
الله وردوا البينات السوأى اي العقوبة الغليظة التي تسوء صاحبها ويحتمل
ان يكون ذلك في الدنيا والاخرة في الدنيا الدمار وفي الاخرة عذاب النار وقيل السوأى
تانيث الاسوأ اي اسوأ العقوبات وقيل السوأى اسم لجهنم كالحسنى اسم للجنة
قال تعالى للذين احسنوا الحسنى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون

اي بان كذبوا بها واستهزؤا بها ووجه آخر ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى
اي عملوا الفعلة السوآى وهي بمعنى السيئة ويكون مفعولا باساؤا ان كذبوا
ويكون هذا اسم كان وان مع الفعل مصدر وهو بمعنى التكذيب اي كان
عاقبة اساءتهم التكذيب بايات الله اي الغاهم شوم معصيتهم في الكفر وهو
كقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الاية وقوله تعالى الله يبدؤ الخلق ثم يعيده
ثم اليه ترجعون قرا ابو عمرو وعن عباس وابو بكر وسهل ويحيى عن ابي بكر وحماد
عن عاصم بيا المغايبه والباقون بتا المخاطبه قيل يبدؤ الخلق اي المخلوق من الما
ثم يعيده من التراب وقيل الى التراب وكان خلقه من التراب ويوم تقوم الساعه
يبلس المجرمون اي يقنط المشركون من رحمة الله ومن شفاعة الشفعا وقال
سعيد بن جبير يبلس ويبهت وقال الاخفش يندم وقيل تنقطع حجتهم ولم يكن لهم
من شركائهم اي ولا يكون لهم من اصنامهم التي جعلوها شركا لله شفعا
يشفعون لهم الى الله وكانوا بشركائهم كافرين اي ويكونون عن اصنام
متبرئين حين راوها لا تشفع وقيل اي الملايكه والجن والشياطين يتبرؤن
من المشركين وهو كقوله يكفر بعضكم ببعض اي يتبرا بعضكم من بعض ويوم
تقوم الساعه يومئذ يتفرقون قيل فريق في الجنه وفريق في السعير وقيل يتفرقون
في الهتهم فلا يجتمعون يتناصرون وهو تاكيد للاية التي قبلها وقيل يتفرقون
في الاحوال والمحال على ما فسر بعدها فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات

فهم في روضة يحبرون اي يصار بهم الى الجنه فيكونون منعما في رياض يحبرون
اي يسرون والحبرة السرور وقيل اي ينعمون وقال وكيع هو بالسماع والحبر
والحبار الاثر والحبور سرور يظهر اثره في الوجه وقال ابو بكر بن عياش اي يتوجون
على رؤسهم من قولهم ذهب حبره وسبره اي هيأته وجماله وقال كيسان
اي يزينون ويحلون والحبر المزين واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقا
الاخرة فاولئك في العذاب محضرون اي احضر واجهم لبعد توانيهما وقوله تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون يعني صلوا لله مصدر بمعنى الامر كقوله
فضرب الرقاب والتسبيح الصلوه قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين اي المصلين
وهي راس الاعمال الصالحه التي ذكرت في الايه المتقدمه حين تمسون اي مسا وهي
صلوة المغرب وقيل صلوه المغرب والعشا وحين تصبحون اي ص [illegible] الفجر
وعشيا صلوه العصر وحين تظهرون هو صلوه الظهر وقد اظهر اي دخل
في وقت الظهيره قال امرؤ القيس تقطع غيطانا كان متونها
اذا اظهرت تكسى ملاء منشرا وله الحمد في السموات والارض اي وهو
المحمود عند جميع خلقه من سكان سمواته وارضه يحمدونه على نعمه ويثنون عليه
بصفاته وقيل يحمده الملائكه في السموات والمؤمنون في الارض وقوله تعالى
يخرج الحي من الميت اي البشر من النطفه والطير من البيضه والشجرة من الحبة والمؤمن
من الكافر والعالم من الجاهل ويخرج الميت من الحي النطفة من البشر والبيضة من الطير

والحي من الميت من الشجر والكافر من المؤمن والجاهل من العالم ويحيي الارض الميتة
اليابسة بعد موتها بالنبات في الربيع وكذلك تخرجون اي يخرجكم الله من
قبوركم دل بهذا على البعث بعد الموت وقوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب
عدد في هذه الايات بعض الايات المنبهة على كمال قدرته الداله على وحدانيته
المبطله قول من اشرك به شيا من خليقته فقال ومن اياته اي ومن علامات ربوبيته
ووحدانيته ان خلقكم من تراب اي خلق اباكم كما قال واذ قتلتم نفسا اي قتل اباوكم
ولان الولد فرع الوالد فكان مخلوقا مما خلق اصله ثم اذا انتم بشر تنتشرون
اي ادميون عقلا ناطقون تتصرفون فيما فيه قوام معاشكم فلم يكن الله ليخلقكم
هكذا عبثا بل يتعبدكم بشكره ثم يجزي المحسن باحسانه والمسيء على
اساءته واذ تفرد بخلقكم فهو المنفرد باستحقاق العبادة له ومن اياته ان
خلق لكم من انفسكم ازواجا اي نساء تزدوجون معها لتسكنوا اليها اي
لتكون نساؤكم سكنا لكم تطمئنون الى معاشرتهن وقضاء اللذات منهن
وجعل بينكم موده اي في الشباب وحال قيام الشهوة ورحمة اي في حالة الكبر
وتمام الصحبة بود كل واحد من الزوجين صاحبه حال شبابهما ويرحمه
ويعطف عليه حال كبرهما وقوله من انفسكم اي من نطفة الرجال وقيل اي
حوا خلقت من نفس ادم والاولاد راجعون الى الاصل ان في ذلك لايات لقوم
يتفكرون لانه اذا تفكر بالعقل السليم تبين له بذلك انه لم يكن كذلك

الا لقوام الدنيا بوقوع التناسل فيهما الى الاجل المعلوم وان ذلك انما هو
لان الدنيا دار عمل وامتحان ولابد بعدها من دار حساب وجزا وفي ذلك اثبات
البعث ويتدرج بذلك الى اثبات الانبيا والشرايع ومن اياته خلق السموات
والارض وكانت العرب مقرين بان الله هو المنفرد بخلقهما ومن قدر على خلقهما
على ما فيهما من عجايب الصنعه وبدايع الخلقة لم يعجزه البعث بعد الموت ولم يجز
ان يشرك به من لا يمكنه خلق مثلهما ثم في ذلك دلالة ان لهما صانعا ومدبرا
لما فيهما من اثار الصنعة وعلامات الحدوث واذا استحال ان يكون خلقهما احد
من البشر واستحال ان يكونا بانفسهما من غير صانع دل على ان لهما خالقا وهو
حجه كل ملحد ومشرك وقوله تعالى واختلاف السنتكم والوانكم فالالسنة
اللغات والاصوات والالوان الصور والهيات وذلك ان الدلالة فان
الاصل واحد وهو التراب والما وفي الحال لحم ودم وعظم وعصب وعرق وجلد ويختلف
النغمات واللغات وتتفاوت الالوان والكيفيات بحيث لا يشبه وجه وجها
على اتحاد الصورة ولا يشبه نغمة نغمة على اتحاد الالة فدل ذلك على كمال قدرته
ونفاذ مشيته وفيه اثبات خلق الافعال والاقوال والحكمه في اثبات هذا الاختلاف
وقوع التعارف وتميز الاشخاص ليتم اسباب التعامل في الدنيا ان في ذلك لايات
للعالمين قرا عاصم في روايه حفص بكسر اللام اي فتح لقوم يعلمون اي يرجعون الى
علم وادراك حقايق الامور ولا يقصرون هممهم على علم ظاهر من الحيوه الدنيا

وقرا الباقون بفتح اللام اي حجج واعلام على الحق للخلق كلهم جنهم
وانسهم وملائكتهم وشياطينهم لان كلا منهم متعبد ٥ ومن اياته منامكم
بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله اي ومن اعلام وحدانيته وكمال قدرته و
مجازاة العباد في اخرته نومكم الذي هو راحة لابدانكم وجمام من اشغالكم
ليدوم لكم به البقاء في الدنيا الى اجالكم بالليل والنهار ايضا على حسب الحاجة
فاذا انتبهتم من منامكم انتشرتم لمعاشكم تطلبون من فضل الله وهو القوت
وغيره الذي به قوام الحيوة ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي يصغون الى هذا
التذكير ويتدبرون فيه ٥ ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السما
ما يحيي به الارض بعد موتها يعني ان يريكم يقول ومن اعلامه ما ينزل من المطر من
السما ليخرج به النبات من الارض متاعا لكم ولانعامكم لحاجتكم الى ذلك في
طعمكم ومقامكم ويتقدم قبل المطر البرق بشارة به وفيه طمع في الغيث وخوف
من الصواعق ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يتفكرون بعقولهم في جميع ما ذكرنا
من وجوه الدلالة بهذه الايات وقوله تعالى ٥ ومن اياته ان تقوم السما والارض
بامره قال الفراء اي يقوما قائمتين بامره بلا عمد اي ثابتتين تماما لمنافع الخلق وقيل
ان تقوم اي تقف وتسكن باقامته وقيل بامره اي امرهما الله بذلك وقيل اي بامره
بالعدل وفي الخبر بالعدل قامت السموات والارض ثم اذا دعاكم دعوة من
الارض اذا انتم تخرجون اي وهو القادر على ان يخرجكم من الارض احيا للحساب

بعد الموت لا تمتنعون عليه اذا دعاكم كما لم تمتنع السموات والارض من القيام
بامره وقيل معناه اذا دعاكم دعوة وانتم في الارض اموات اذا انتم تخرجون
احيا كما يقول الرجل لاخر ادعوك من البستان فلم تخرج اي وانت في البستان
وقيل هو مؤخر وتقديره اذا انتم تخرجون من الارض وقيل اذا دعاكم توسع ومعناه
اذا اخرجكم لانهم ليسوا هنالك بمحل يدعون ويؤمرون وينهون وقيل هو
النفخة الاخرى قال تعالى واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون
الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج وقوله تعالى ٥ وله من في السموات والارض كل له
قانتون اي مطيعون قال ابن عباس مطيعون في الحيوة والنشور والموت عاصون
في العادة ويتصل بقوله اذا دعاكم دعوة من الارض وقيل كل له قانتون اي مطيعون
باقرارهم بانه ربهم وخالقهم قاله قتادة وهذا في مشركي العرب فاما من انكر الصانع
فقنوته لله شهادة خلقته على ان الله خلقه وقيل هو في حق اهل السما على العموم
وفي حق اهل الارض على الخصوص وقيل كل له قانتون يوم القيامة فقد ذكره بعد قوله
اذا انتم تخرجون وقال مقاتل بن حيان اذا دعاكم دعوة يعني نفخة اسرافيل للبعث
بقوله في الصور ايتها الاجساد البالية والعظام النخرة والعروق المتمزقة واللحوم
المتفرقة قوموا الى محاسبة رب العزة وقوله تعالى ٥ وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده
وهو اهون عليه اي هين عليه اي يسير قال الشاعر
تمنى رجال ان اموت وان امت ... فتلك سبيل لست فيها باوحد اي بواحد

وقال الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه اعز واطول
اي عزيزة طويلة وقيل الاعادة ايسر من البداية في تعارفكم فيما تبتدئون فعله و
يعيدونه وقيل اي فيما تتصورون في انفسكم من ابتداء الشيء من غير شيء ثم اعادته
بعد ان بلي وتفرقت اجزاؤه وقيل الهون عليه مما تتوهمون كقولك للرجل تريد
ان تصف له سهولة الامر وخفته عليك هو اهون علي من ذاك ثم تجدد من
ذاك وقيل وهو اهون عليه اي على المخلوق من الابتداء لانه في الابتداء الخلق نطفة
ثم علقة ثم تمر عليه التارات ثم يولد ويكون طفلاً ثم بعد الرضاع فطيماً ثم غلاماً
ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً فاما الاعادة فانه يبعث بشراً عاقلاً فهذا اهون عليه
في التعارف وقيل تعالى وله المثل الاعلى اي الوصف الارفع قال تعالى مثل الجنة
اي صفتها قال قتادة وله المثل الاعلى في السموات والارض قول لا اله الا الله وحده
لا شريك له وهو العزيز في انتقامه من اعدائه الحكيم في تدبيره لخلقه وقوله
ضرب لكم مثلاً من انفسكم اي بين الله لكم معاشر المشركين مثلاً من انفسكم لتقريب
الامر من افهامكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء اي هل لكم معاشر الاحرار
من عبيدكم شركاء مما رزقناكم من الاموال فانتم فيه سواء اي فانتم معاشر المالكين
والمملوكين في ذلك الرزق سواء يحكم مماليككم في اموالكم كحكمكم وتصرفون
فيه تصرفكم تخافونهم كخيفتكم انفسكم وتخافون انتم معاشر السادة عبيدكم
فيه وتتوقفون ان تامروا فيه بامر دون امرهم ولا تمضون فيه حكماً دون اذنهم خوفاً

من لائمة تلحقكم من جهتهم كخيفتكم انفسكم اي كما تخاف بعض الاحرار
بعضاً بما هو مشترك بينهم وقيل تخافونهم ان يرثوكم بعد موتكم وهو استفهام

بمعنى التقرير اي فاذا لم يكن هذا ممكناً فيما بينكم بل لا يستحق العبد شركة مع سيده
فيما يملكه فكيف استجزتم هذا المعنى في حق الله فاشركتم به عبيده وكيف
رضيتم له بما لا ترضونه لانفسكم وفي ذلك تسفيه لاحلامهم وتعييب من
فعلهم وقال قتادة كما لا يرضى الانسان ان يكون عبده مشاركاً له في فراشه
وزوجته كذلك لا يرضى ربه ان يعدل به احد من خلقه وقال ابو مجلز تخافونهم
في الاموال المال ان يقاسموكم اياه كما تخافون الشريك من نظرائكم وقيل معناه
هل تنبسط ايديهم في اموالكم وتخافون منهم اتلافها او انفاقها كما تنبسط
ايديكم فيما تملكون وتخافون من جهتكم اتلافها وانفاقها كذلك نفصل الايات
لقوم يعقلون اي كما بينا لكم هذا المثل وفصلنا لكم الحجج كذلك نفصل الايات
لقوم يرجعون الى عقل يتدبرون فيها بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم
بل لرد ما قبله وتقديره ليس لاصرار هؤلاء المشركين لانقطاع الحجج وتاخر الارشاد
بل يتبعون ما تميل اليه نفوسهم اتباعاً لسلفهم بغير علم اتاهم من الله وبغير معرفة
منهم بصواب ما هم عليه فمن يهدي من اضل الله استفهام بمعنى النفي اي فلا هادي
لمن اضله الله وما لهم من ناصرين جمع لان من للجنس فوحد اما التوحيد للفظ وجمع
في اخره لمعناه ومعناه فلا مانع لهم من العذاب يوم القيامة كما لا هادي لهم في الدنيا

وقوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا الخطاب للنبي عليه السلام والمعنى لامته اي قد
بان لكم بطلان الشرك بما اوضحنا لكم من الايات فلا تلتفتوا الى اهله واقيموا
وجوهكم للدين الحق مستقيمين عليه اي اقبلوا بقلوبكم الى ذلك واعرضوا عن غيره من
الاديان كمن قصد موضعا يقيم وجهه الى سمته عالما انه لو انحرف عنه ضل
عن مقصده فطرة الله التي فطر الناس عليها اي خلقهم نصب على الاغراء اي الزموا
هذا الدين الحق فانه فطرة الله التي فطر الناس عليها اي خلقهم عليها اي على خلقة
تشهد على ان لها صانعا وتدل على التوحيد وقيل اي فطر الناس لها وهو قوله وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون واللام وعلى معنا فان يقول لما على هذا بعثتك
وما لهذا بعثتك لا تبديل لخلق الله اي لا ينبغي لاحد تبديل هذه الخلقة وتغييرها
عن هذه الدلالة باقامة حجة على ضدها انما يورد الناس الشبهة على الحجج
ليستزلوا بها الناس ممن لا علم له ببطلانها وقيل معناه خلق الله العباد
ليامرهم بالاسلام فلم يمكن تبديل ذلك وجعلهم لغير ذلك ذلك الدين القيم اي
المستقيم وهو ما ذكره فاقم وجهك للدين حنيفا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اي ولكن الجهل غالب على كثير من الناس لتقليدهم الاسلاف وتركهم التامل وقيل
اي ولكن قريشا لا علم لهم فلذلك ضلوا عن هذا الدين ولو كانوا علماء لم يدينوا
بغيره وقوله تعالى منيبين اليه اي اقم وجهك للدين انت وامتك راجعين الى الله بالاعمالكم
مقبلين عليه باعمالكم وهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن

انما قال من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر
ولعن من علم الاسلام ثم تركه

لان امر النبي عليه السلام امر لامته واتقوه اي اتقوا الله واحذروا مخالفته الامر
والنهي واقيموا الصلوة اي ادوها لاوقاتها ولا تكونوا من المشركين اي انيبوا وحده
وانيبوا اليه وحده واقيموا له الصلوة وحده ولا تكونوا ممن يشرك به غيره في العبادة
وقيل هذا متصل بما قبله واقيموا الصلوة ولا تتركوها فتشركوا فان تركها يفضي الى
الكفر قال محمد بن اسلم الطوسي بلغني عن النبي عليه السلام انه قال اذا روي لكم
عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فان وافق كتاب الله فاقبلوه وان خالفه
فردوه فطلبت صحة الحديث الاول في القران بلغني سنة حتى وجدته في هذه الاية وصف
هولا المشركين بعد امر الدين فقال فرقوا دينهم اي عبدوا اصناما متفرقة كل قوم تعبد
صنما غير صنم الاخرين واختار قوم اليهودية وقوم النصرانية وقوم المجوسية وكلا
وكذا وقرئ فارقوا دينهم اتبعوا الاهوا على غير علم فاختلفوا وكانوا شيعا اي
صاروا فرقا كل فرقة تشايعهم وافقها على هواها كل حزب بما لديهم فرحون
مسرورون لتوهمهم انه على حق وان ما خالفه باطل وليس كذلك بل كلهم على باطل و
قال ابو العالية ومقاتل فطرة الله التي فطر الناس عليها يعني اخذ الميثاق عليهم حين
اخرجهم من صلب ابيهم ادم وقال لهم الست بربكم قالوا بلى وروى ابو هريرة عن النبي عليه
السلام انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما
تنتج البهيمة بهيمة هل تحسون فيها من جدعاء قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله
التي فطر الناس عليها وقوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه اي واذا

اى واذا اصاب هولا المشركين بلا من مرض ونحوه استغاثوا بالله فى كشف ما نزل
بهم مقبلين بالدعا اليه وحده دون الاصنام لعلمهم انه لا فرج عندها ثم اذا اذاقهم
منه رحمة اى ثم اذا اعطاهم من ذلك الضر عافية اذا فريق منهم بربهم يشركون
اى وجد فريقا منهم يشركون به فى العباده ليكفروا بما اتيناهم اى يفعلون ذلك
ليكونوا كفارا بما انعم عليهم من كشف الضر وابداله بالعافيه ويجحدوا ذلك
فتمتعوا اى يا معاشر المشركين فسوف تعلمون عاقبة امركم من
عقوبة الله ام انزلنا عليهم سلطانا اى انزلنا استفهام بمعنى النفى او قدرها هنا
الف الاستفهام ثم عطف عليه بام تقول ام جعلتنا هذه الحجة جاتهم من السما
انزلها الله عليهم فهم لذلك معذورون فى الشرك فى الرخا مع اخلاصهم
فى الشدة اى فليس كذلك انما الشرك هوى لا حجة عليه والسلطان الحجة
وذاك قد يكون بكتاب من السما وقد يكون برسول وقد يكون بغيرهما فهو يتكلم
بما كانوا به يشركون اى فهذا السلطان يوضح عذرهم فى الاشراك بالله و
يامرهم بذلك فان كان السلطان رسولا فكلامه حقيقة وان كان كتابا فكلامه
ذكر على التوسع والمجاز لانه للابانة كالكلام قال ابو العتاهيه

وعظتك اجداث صمت ونعتك ازمنة خفت
وتكلمت عن اوجه تبلى وعن صور سبتت
وارتك قبرك فى القبور وانت حى لم تمت

واذا اذقنا الناس رحمة خصبا وسعة برحمة منا فرحوا بها اى اظهروا بها
سرورا وان تصبهم سيئة اى امر يسوؤهم من قحط ومجاعة بما قدمت ايديهم
اى بسبب معاصيهم وقيد باليد لان اكثر العمل واظهره باليدين اذا هم يقنطون
اى وجدتهم يجزعون فعل الايسين عن رحمة الله ييأسون ولم تدخل الفا فى قوله اذا هم
لما قلنا ان تقديره وجدتهم واذا كان الجواب بالفعل لم يحتج الى الفا وقوله تعالى
اولم يروا ان الله يبسط الرزق اى قدرا اى هولا ان الله يبسط الرزق اى يمد لمن
يشا ويقدر اى يضيق وتبين بهذا ان يزعجهم التضييق فى الرزق الى القنوط من
رحمة الله ان فى ذلك لايات لقوم يومنون اى لعلامات لاهل الايمان على ان التضييق
فى الرزق والتوسعة فيه على ما سبق من علمه وارادته وقوله تعالى فات ذا القربى
حقه والمسكين وابن السبيل اى واعط قريبك حقه من البر والصلة والمواساة
واعط المعتر والغريب حقهم وليس فقرهم وغناك الا لان الله يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر اى ليس فقر الفقير لهوانه على الله ولا غنى الغنى لكرامته عليه
لكنه امتحن عباده بالفقر والغنى واتهم حقوقهم مما الله قبلك فانه وان كان
قتر عليهم فقد اوجب مقدار كفايتهم عليك ذلك خير وهو ابنا هولا حقوقهم
خير لكم من تخلك مما لك للذين يريدون وجه الله اى يطلبون به التقرب الى الله
ونيل ثوابه واولئك هم المفلحون اى الفائزون ببقا الابد وترك الطلب ٥ وما
اتيتم من ربا ليربوا فى اموال الناس فلا يربوا عند الله اى وما اعطيتم اجدادكم طلب

الازدياد به ليربوا من اموالهم في اموالكم وهوان يكون العطا طلبا للمكافاة و
الاستكثار فانه لا يزداد عند الله اى لا نضاعف لكم اجره ولانكم قد بلغتم اجر ذلك
في الدنيا باعطايكم اياه طلبا للمكافاة في الدنيا فلا مكافاة لكم عند الله
وما اتيتم من زكوة اى وما اعطيتم من شي تلتمسون به الطهرة من الذنوب والجزا
في الاخرة لا في الدنيا وهو قوله يريدون وجه الله اى التقرب الى الله فاولئك هم
المضعفون اى الواجدون الضعف اى الاضعاف بالواحد العشرة الى سبعمايه
ضعف وقال ابن عباس هو هبة الرجل يهب الشي يريد ان يثاب افضل منه فذلك
الذى لا يربو عند الله لا يوجر فيه صاحبه ولا اثم عليه وما اتيتم من زكوة قال هي
الصدقه تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وقوله تعالى الله الذى
خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم رجع الكلام الى محاجة المشركين يقول هذه
قدرة الله لا يعجزه شي فهو الخالق وحده والرازق وحده والمميت وحده والمحيي
وحده هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شي اى هل ممن جعلتموهم شركا
لله من يفعل شيا من ذلك اى فاذ كانوا لا يفعلون شيا من ذلك فكيف اشركتموهم
في سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزه الله وتقدس عن ان يكون له شريك
وهو امر يتنزهه معنى وقوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي
الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قال الفرا اى اجدب البر وانقطعت
مادة البحر بذنوبهم كل ذلك ليذوقوا الشده بذنوبهم في العاجل ويتصل هذا

بقوله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر وبقوله ثم رزقكم وضيق الرزق يكون
بشوم المعصيه قال تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين الايه وسعة الرزق
بالايمان والطاعه قال تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السما والارض وعلى هذا الفساد معنى عقوبة الفساد كجزا السيئة سميت سيه
وقيل ظهر الفساد اى غلب اهل الفساد كما قال واسئل القريه اى اهل القريه و كم
من قريه اى اهل قريه بما كسبت ايدى اى بسبب معاصي الناس وهو كقول النبى عليه
السلام اذا غضب الله تعالى على قوم سلط الله عليهم شرارهم في البر والبحر قيل
هما على ظاهرهما والبر المفازه والبحر موضع الما الكثير وقال مجاهد
ظهر الفساد في البر والبحر اما في البر فهو قتل ابن ادم اخاه واما في البحر فهو جلندا
الملك الذى كان ياخذ كل سفينه غصبا وقيل البر بلاد ليس فيها ما جاري
والبحر بلاد فيها مياه جاريه وقوله تعالى ليذيقهم بعض الذى عملوا اى ليعاقبهم
في الدنيا على بعض ما عملوا فيها من انتهاك المحارم وكمال الجزا يكون في دار الاخره لعلهم
يرجعون اى ليرجع من سوى هولا المعذبين اتعاظا لمن عذب من جنسهم وقيل في
ظهر اثر الفساد وهو عقوبة اهل الفساد في البر باهلاك اهل القرى وفي البحر بتغريق
فرعون وقومه ولذلك قال بعده قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبه
الذين من قبل كان اكثرهم مشركين اى قل لاهل مكه سافروا فانظروا الى بلاد عاد
وثمود وقوم لوط ونحوها كيف اهلكناهم وخربنا ديارهم وقوله تعالى

وقال عطا البر البادية الاعراب والبحر القرى

فاقم وجهك للدين القيم يقول قد بلغ الاعذار مبلغه فلا تهتمن اعراضهم و لا
واقصد انت الطريق الذى يسلك بك الى الدين المستقيم وهو ما تقدم ذكره
فطرة الله التى فطر الناس عليها ذلك الدين القيم من قبل ان ياتى يوم لا مرد
له من الله اى لا يرده الله واذا لم يرده فهو لم يستطع احد رده فهو ات لا محاله
وهو يوم القيامه فاستعد واله يومئذ يصدعون اى يتفرقون واصله يتصدعون
وهو كقوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا الايه وبينه ههنا انفا تعالى من كفر
فعليه كفره اى ضرر كفره وعقوبه كفره فى دار الجزا ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون اى يوطئون مقار انفسهم فى القبور وفى الجنه وقوله تعالى ليجزى الذين
امنوا وعملوا الصالحات يتصل بقوله يومئذ يصدعون ليجزى كما قال يصدر
الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يقول انهم يتفرقون فى المنازل ليتميز الكافر من
المومن ليجزى الذين امنوا بالله وحده وعملوا الصالحات له وحده من فضله اى
بفضله انه لا يحب الكافرين فيلحقهم بالمومنين بل يبغضهم فيميز بينهم وبينهم
فيعاقب الكافرين عذابا غير منقطع وذلك عدل منه ويثيب المومنين
ثوابا غير منقطع وذلك فضل منه وقوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات
وليذيقكم من رحمته ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ثم عاد الكلام الى
ذكر الايات يقول ومن الاعلام الداله على قدرته ارسال الرياح مبشرات بالمطر
لانها تتقدمه وتتطلع فيه على العادة يرسلها ليبشر بها وليذيقكم من رحمته

اى يرزقكم من نعمته التى يرحمكم بها ولتجرى الفلك فى البحار بامر الله بهذه الرياح
ولتطلبوا من فضله بالتجارة فى البحار والجهاد فيهما فاصل لكم هذه النعم لتشكروا
له عليها فتستحقوا نعم الاخره بشكركم على نعم الدنيا واذا كان يفعل ذلك
ليستاد بهم شكره فلا بد من التمييز بين من اطاعه بذلك وبين من عصاه و
واذا لم يتميز فى الدنيا وقع ذلك فى دار الجزى وفى ذلك اثبات البعث وقوله
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم للدعا الى الايمان وشكر النعم فجاؤهم
بالبينات بالحجج الواضحات فامن بهم البعض وكفر بهم البعض فانتقمنا من الذين
اجرموا اى كفروا بالاهلاك فى الدنيا وكان حقا علينا نصر المومنين اى ونصرنا
المومنين بهم بان نجيناهم من العذاب ومنعناهم من الكفار اذ كنا وعدناهم ذلك
وكان حقا علينا بوعدنا الذى لا خلف فيه ان ننصر المومنين ففعلنا ذلك
بالاولين وكذلك نفعل بالاخرين وفيه تسلية النبى عليه السلام والمومنين و
قوله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا ثم عاد الكلام الى ذكر اياته يقول
الله الذى يرسل الرياح فتبعث الرياح سحابا اى تنشئه عند مجى الريح السحاب
اضاف الفعل اليها بطريق التسبيب فيبسطه فى السما كيف يشا اى فيبسطه
الله فى السما فى اى موضع يشا وعلى اى قدر يشا فيكون المطر وذلك المنع
على ذلك القدر ويجعله كسفا اى ويجعل الله السحاب قطعا يركب
بعضه على بعض حتى يكثف قرا ابن عامر فى رواية ابن ذكوان وابو جعفر بساكن

ساكن السين وقرا الباقون بفتح السين والواحده كِسفة والجمع كِسَف بفتح
السين وتسكينها فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي وسط السحاب
مع كثافته وغلظه وقيل يبسطه في السما مره ويجعله كسفا مره اي يجعله
مره منبسطا فياخذ وجه السما ويجعله قطعا متفرقه غير منبسطه مرة
وقيل فيه تقديم وتاخير يجعله كسفا اي قطعا متراكمه ثم يبسطه في
السما كيف يشا وقوله تعالى فاذا اصاب به من يشا من عباده اذا هم يستبشرون
اي فاذا اصاب بالودق من يشا من عباده ان يصيبه به استبشروا به اي فرحوا
فرحا يظهر ذلك في بشرات وجوههم طمعا في الخصب ثم ذم هذا الموقف انهم
يشركون به غيره ممن لا يقدر على ذلك وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من
قبله لمبلسين اي وما كانوا من قبل ان ينزل عليهم الودق من قبل ظهور السحاب
الا مكتئبين باحتباسه عنهم اكتئابا لا اثر من السرور يظهر ذلك
في وجوههم فانظر الى آثار رحمة الله قرا ابن عامر وحمزه والكسائي وخلف وعاصم
في روايه حفص والمفضل الى آثار على الجمع والباقون الى اثر على التوحيد والمعنى
واحد لان المراد ما اثر المطر وهو يودي معنى الجمع فانظر الى آثار رحمه الله
كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شي قدير اي
فانظروا بعقولكم الى ما اثره المطر من انبات العشب واصناف النبات كيف
حييت الارض بذلك بعد ان كانت ميته اي كيف اهتزت بعد ان كانت ها.

فاستدلوا بذلك على ان الذي يقدر على احيايها يقدر على احيا الموتى ايضا لانه قادر
على كل شي ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون اي ولئن ارسلنا على
ذلك ريحا مفسده فراوا ما اثر المطر من الزرع قد اصفر بتلك الريح المفسدة
لظلوا من بعد استبشارهم يكفرون بربهم وهو تعجب من جهلهم وخفة عقولهم في
عبادتهم لله على شك كما قال ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان
به وان اصابته فتنه انقلب على وجهه ولما كانوا اذا استبطاوا المطر سالوا
الله فاذا احتبس عنهم كفروا بالله تعالى فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا
اذا ولوا مدبرين يقول بعد ما اقام الحجج وامتنع المشركون عن الايمان فانك يا محمد لا يمكنك
ان تسمع من لا ريب فيه من الاموات وهولا الكفار بمنزله الاموات كما قال اموات
غير احيا ولا تسمع الصم الدعا اي ولا تهيا لك اسماع الصم ما تدعوهم اليه اذا اعرضوا
عنك وتباعدوا عن التسمع منك وهولا الكفار كذلك وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم اي ولا تهيا لك يا محمد ان تهدي الاعمى الى طريق قد ضل عنه باشاره منك
اليه مع ذهاب بصره ان تسمع الا من يومن باياتنا اي ما تسمع مواعظ الله الا المومنين
الذين فتح الله اسماعهم المصدقين بايات الله فهم مسلمون اي خاضعون منقادون
لاعلام الله وقوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوه ثم جعل
من بعد قوه ضعفا وشيبه قرا حمزه وعاصم عن المفضل بفتح الضاد في جميعهن
والباقون بالضم وهو اختيار خلف وحفص وعن عاصم في روايه ضم الاولين وفتح الثالثة

وقيل الضعف بالضم ما كان اصلا وبالفتح ما كان عارضا يقول الله الذي
خلقكم من نطفة ضعيفة كما قال من ماء مهين وقيل اي خلقكم على صفة ضعف
في الاول وهي حالة الصغر والطفولية ثم جعل من بعد ضعف قوة اي حالة الشباب
وبلوغ الاشد ثم جعل من بعد قوة ضعفا وهي حالة الهرم وشيبة اي بياض شعر
قال الله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق يعود في ضعفه وانقطاعه عن التصرف الى
مثل ما كان عليه في حال طفوليته فمن قدر على هذا قدر على احياء الموتى وكما يرد الى
في اخر حيوته الى اول خلقه بغير بعيد ان يرد بعد موته الى ما كان عليه في اول امره
يخلق ما يشاء من صغر وكبر وضعف وقوة وشباب وشيبة وهو العليم بمصالح
خلقه وبلوغ من بلغ منهم الشباب والكهولة والهرم ومن انقطع منهم قبل ذلك
والعليم بوقت البعث القدير على كل شيء ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة اي يحلف هولاء المشركون المنكرون للبعث انهم ما لبثوا
في الدنيا الا ساعة من نهار وقيل اي ما لبثوا في قبورهم الا ساعة اي يستقلون
مدة كونهم في القبور او كونهم في الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم في الاخرة
وشدة العذاب فيها وقال الامام ابو منصور رحمه يقولون لم نلبث في الدنيا الا
ساعة كيف عملنا فيها المعاصي وهذا انكار منهم للذنوب كذلك كانوا
يوفكون اي يصرفون في الدنيا عن الصدق الى الكذب وكانوا يحلفون على الكذب
ويقولون ما هي الا حيوتنا الدنيا ولا بعث ولا حساب ولا اخرة وكذلك قالوا في الاخرة

ما لبثنا في الدنيا او في قبورنا الا ساعة وقيل اقسموا عليه لانه كان عندهم كذلك
وكانوا عند انفسهم صادقين وذلك انهم في الاخرة لا يتعمدون الكذب ومعنى قوله
كذلك كانوا يوفكون اي يصرفون عن الثواب فيقولون يوم القيامة ما لا يعلمون
كما كانوا يقولون في الدنيا ما لا يعلمون فالتشبيه من هذا الوجه لا في تعمد الكذب
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اي قال المؤمنون
بالبعث العالمون به للكفار لقد لبثتم الى يوم البعث كما اخبر الله تعالى به في
كتابه بقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فقد لبثتم مدة طويلة الى حين
يوم البعث فهذا يوم البعث كما اخبر الله تعالى ولكنكم كنتم لا تعلمون اي لا ترجعون
الى العلم ولا تتدبرون فكنتم تكذبون بالبعث لذلك وقيل في كتاب الله اي في علم
الله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي كفروا عذرهم ولا هم يستعتبون
اي لا يطلب منهم الاعتاب وهو الارضا لانه لا يقبل فلا يطالب ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل اي من البينة على التوحيد وعلى البعث وغير ذلك ولئن
جئتهم باية او معجزة او اية من القرآن ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون
اتون بالباطل لا تزيدون على الدعوى بعد اقامة البرهان منكم كذلك يطبع الله
على قلوب الذين لا يعلمون فسرنا الطبع والختم في اول سورة البقرة ومعناه ههنا
كذلك يخذل الله الذين لم ينظروا في اسباب العلم فلم يعلموا وهذا في حق من علم الله
منهم اختيار الضلال ودل ذلك على خلق الافعال فاصبر ان وعد الله حق ك

اي فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرك حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون اي
ولا يحملنك هولاء الذين لا يوقنون بالاخرة على الخفة والعجلة في الدعا عليهم بالعذاب
وقيل اي ولا يستفزنك هولاء ولا يغضبنك فتمتنع عن تبليغ الرسالة اليهم لذلك

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اتى لقمان الحكمة الرحيم الذي اسبغ علينا النعمة الرحيم الذي
ينزل الغيث ويكشف الغمة وروي ابي عن النبي عليه السلام انه قال من قرا سورة لقمان
كان له لقمان يوم القيامة رفيقا واعطي عشر حسنات بعدد من عمل بالمعروف وعمل
بالمنكر وهذه السورة مكية الا ايتان نزلتا بالمدينة ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
الى قوله سميع بصير وهي ثلاث وثلثون اية وكلماتها خمسمائة وسبع واربعون وحروفها
الفان ومائة وعشرون حرفا وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه ختم تلك
بذم الكفار انهم لا يوقنون وافتتح هذه بمدح المومنين انهم بالاخرة يوقنون و
انتظام السورتين انهما مكيتان وكل واحدة منهما في بيان وحدانية الله وبيان
حقية الكتاب والرسول ومدح المومنين وبيان حسن عاقبتهم وذم الكافرين
وبيان سوء خاتمتهم وقوله تعالى الم قد بيناها وقوله تلك ايات الكتاب الحكيم اي
هذه ايات القران المحكم من قوله احكم وقيل اي ذي الحكمة وقيل اي الحاكم ومعناه انه فيه بيان

الاحكام هدى ورحمة للمحسنين قرا حمزة وابو عمرو عن قتيبة بالرفع على الاستيناف
اي هو هدى ورحمة وقرا الباقون بالنصب على القطع لانه نكرة جعل نعتا للمعرفة
ومعناه هذه الايات يهتدى بها الى سبيل الحق ويرحم الله بها عباده بان اودعها ما
بهم اليه حاجة في دينهم ومصالح دنياهم فصارت لذلك للمحسنين يحسنون العمل لله
وخصهم بالاضافة لاختصاصهم بالانتفاع بها الذين يقيمون الصلوة ويوتون
الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون صفات المحسنين اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون وعدلهم اي هم على الرشاد في الدنيا ولهم الفوز في العقبى وقوله تعالى
ومن الناس من يشتري لهو الحديث اي ومن الناس من يختار على هذا الكتاب الذي مرت
صفته ومدح متبعيه ووعدهم عليه في الدارين حديثا يلهيه اي يلذه ويعبد به
كاحاديث ملوك فارس والروم ووقائع الزمان يتله ويدعوا نظراه الى التلهي به
ليضل عن سبيل الله اي عن دينه الحق وقيل سبيل الله هاهنا هو القران وذكر الله وهذا
عن ابن عباس بغير علم اي جهلا منه وقلة تمييز بين ما يفيد نفعا في مصالح الدارين وبين
ما يفيد وزرا وخسارا في الدارين وقيل بغير علم اي جهلا منه بما عليه من الوزر في الاخرة
وقيل بغير علم صفة المفعول بالاضلال اي يضل به من قلده توهما انه على علم ويتخذها
هزوا عطف على ليضل اي وليتخذ سبيل الله هزوا اي يسخر به ليسخر منه ومن اعتقده
ويقول هولا يضيعون ايامهم ويتحملون اثقال شرايع على امر مظنون مشكوك فيه
لا ثمرة له على نصبه اولئك لهم عذاب مهين اي هذه الطبقة لهم السبي والقتل

في الدنيا وقيل لهم العذاب المذل المخزي في الاخره واذا تتلى عليه اياتنا اي القران
ولى اي اعرض عن الاستماع اليه مستكبرا اي متعظما مترفعا عن استماعه واتباعه
كان لم يسمعها اي يعرض عنها كاعراض من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا وكالاعراض
من في اذنيه ثقل وصمم فبشره بعذاب اليم اي وجيع وجمع حتم الاثنين لان
من جنس اريد به الجمع فوحد في الابتدا اللفظ وجمع في الاخره لمعناه وقيل المراد
بالشرا هو الشرا المعروف وهذا المذكور في الاية هو الحارث ابن علقمه من
بني الدار وهو الذي قتل ببدر وكان يتجر ويخرج الى فارس فيرجع بكتب الاعاجم
ويقول العرب يحدثكم محمد احاديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث كسرى وبهرام
وقال مقاتل كان يحدث قريشا بحديث رستم واسفنديار وكانوا يستملحون
حديثه [illegible] عن النبي عليه السلام وقيل اللهو في هذه الاية هو الغنا وما يحل
به من الملاهي وكان منهم من يشتري القينة تلهيه وتغنيه فينقطع بذلك البه
ويجلس الاستماع اليه ويستكبر عن استماع مواعظ الله وهو قول ابن عباس ومجاهد
وروى ابو امامه عن النبي عليه السلام انه قال لا يحل بيع المغنيات ولا التجارة
بهن وثمنهن حرام وانما نزلت هذه الاية في هذا ومن الناس من يشتري لهو الحديث
والذي نفسي بيده لا يرفع رجل عقيرته بالغنا الا اكتنفه شيطان من هذا الجانب
وشيطان من هذا الجانب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت
وقال قتاده هو كل لهو ولعب وقال عطا هو الترهات وفضول الكلام

وقيل لهو الحديث هو الشرك لانه يلهي عن الطاعات لله بجحود صاحبه بيوم الحساب
وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم هو مقابلة وعيد اولئك
بالعذاب الاليم خالدين فيها اي في جنات النعيم لا يخرجون منها ولا يموتون فيها وعد
الله حقا اي وعد الله ذلك وعدا حقا وهو العزيز المنيع الذي لا يغالب فيما
يفعل باوليائه واعدائه الحكيم فيما يفعل من التمييز بينهم وبينهم خلق السموات وما فيهما
بغير عمد ترونها انما بغير عمد وقيل جعل لها عمدا ولكنكم لا ترونها وهي القدره
والقى في الارض رواسي اي وخلق فيها جبالا ثوابت ان تميد بكم اي لئلا تضطرب
بكم كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا وبث فيها اي نشر فيها من كل دابه
من انواع الحيوانات التي تدب على وجه الارض وهذا كله على المغايبه ثم قال وانزلنا
من السما ما وهذا اخبار عن نفسه بخطاب الملوك على الجمع وهو من تلوين الخطاب
وهو احد انواع البلاغة فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي من كل صنف من النبات
حسن مونق هذا خلق الله اي مخلوق الله فاروني معاشر المشركين ماذا خلق الذين
من دونه من الاصنام والملائكه والشياطين ويستحقوا بذلك العبادة بل الظالمون
في ضلال مبين وبل رد لما قبله صريحا او تقديرا وتقديره هاهنا ليس اشراكهم بالله
لان ما اشركوا به خلق شيا بل هم واضعون العبادة عن موضعها على سبيل ضلال
عن الحق ظاهر وجهل بين وقوله تعالى ولقد اتينا لقمان الحكمه ذكر قصه لقمان
وامره ابنه بتجنب الشرك وملازمة الاخلاص وغير ذلك من الامور التي كان

مشركوا قريش تحا العونما لان امر لقمان كان مشهورا عند اهل الكتاب
وكان مشركوا العرب يرجعون اليهم وكان تصديق اهل الكتاب بقصته
حجة على المشركين واختلف في لقمان هل كان نبيا ام لا قال الواقدي كان عبدا
حبشيا مجدعا مصككا الركبتين مشقق القدمين قاضيا في بني اسرائيل
وقال مجاهد كان عبدا نوبيا غليظ الشفتين ذا مشافر وقال وهب هو
ابن اخت ايوب وقال محمد بن اسحاق هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو
آزر والد ابراهيم وقال قتاده كان رجلا حكيما من غير نبوة وقال عكرمة كان نبيا وتفرد
بهذا القول وقال مجاهد الحكمة هي العقل والاصابة في القول والعمل وقال
وهب هي العلم والفهم والفطنة من غير نبوة قال وكان عبدا لرجل من بني اسرائيل
فاعتقه واعطاه مالا فبارك الله له فيه وكان لا يأتيه سائل الا اعطاه
ولا ينزل به ضيف الا اضافه وكان في زمان داود قد نور الله قلبه بالايمان واطلق
لسانه بالحكمة عمر عمرا طويلا نعث الله طوايف من الملائكة حين انتصف النهار
وهدأت العيون للقايلة فدخلوا عليه بيته يسمع كلامهم ولا يرى صورهم
فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا انا رسل ربك ليجعلك خليفة في الارض
تحكم بين الناس بالحق قال لقمان ان خيرني ربي على ذلك سمعت له وخضعت
لطاعته ورجوت ان يعينني ويسددني عليه وان اعفاني قبلت العافية ولم
اتعرض للفتنة لان الحكم بين الناس اشد المنازل واكثرها مواقع الفتن

والحاكم اذا حكم بالحق خذل واذا حكم بالحق اعين وفيه خطر عظيم ومن
اخطا الحق اخطا طريق الجنة ومن يكن في الدنيا حقيرا خاملا كان اهون
عليه يوم المعاد يوم تبلى السراير ويوم تجزى كل نفس بما كسبت فعجب الملايكة
من حكمته ورضي الله قوله فلما امسى لقمان وجنه الليل واخذ مضجعه غشاه
الله النعاس وانزل عليه الحكمة فصبها عليه صبا وحشا بها جوفه واظهرها
على لسانه فاستيقظ وهو احكم اهل زمانه فلا يلقى احدا الا وعظه وذكره
واتى الله داود الخلافة وبينا لقمان يوما يعظ الناس وهم مجتمعون عليه اذ مر
عليه عظيم من عظماء بني اسرائيل فاقبل ونظر في وجهه فاذا رجل اسود فتحول
حتى اتاه من خلفه فاخذ برقبته فغمزها ثم قال انت لقمان فقال انا لقمان قال
انت راعي بني فلان قال نعم قال فما الذي بلغك ما ارى قال صدق الحديث
واداء الامانة وتركي ما لا يعنيني قال صدقت وقد وعظ ابنه فيما ان بعشرة
الاف حكمة وقيل انه لما فرغ منها لقمان خرجت روح ابنه لما اثقله من حملها
وقوله تعالى ان اشكر لله اي وقلنا له اشكر لله وقيل ان اشكر ترجمة لقوله
الحكمة وهو بيان ان راس الحكمة للمخلوقين شكرهم نعم الله ومن يشكر فانما
يشكر لنفسه اي نفعه يعود اليه بتمام النعمة ودوامها وزيادتها والثواب
على شكرها ومن كفر النعمة فان الله غني عن شكر عباده لا يتكثر بشكرهم
ولا يتعزز بطاعتهم حميد على انعامه لان اثار انعامه ظاهرة على كافة بريته

واذ قال لقمان لابنه اي واذكر يا محمد اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني تصغير
على جهة الشفقة واللطف لا تشرك بالله اي لا تجعل له شريكا في العبادة
ان الشرك لظلم عظيم من المشرك على نفسه عظيم لانه يورده عذابا لا ينقطع
ولا يفتر ولانه وضع العبادة غير موضعها وهو عظيم اي شنيع منكر في العقول
ووصينا الانسان قيل هو عطف على قوله ولقد اتينا لقمان الحكمة ووصينا الانسان
وقيل هذا كلام معترض في قصة لقمان الى قوله بما كنتم تعملون ثم عاد الكلام الى
قصته وقيل هو متصل كله وها هنا مضمر وقلنا له اي للقمان ووصينا الانسان
بوالديه قيل اي ببر والديه وقد صرح به في اية اخرى بوالديه حسنا وبوالديه
احسانا ثم نبه على المعنى الموجب لبرهما فقال حملته امه وهنا على وهن
اي ضعفا على ضعف اي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف لان الحمل في البداية
خفيف ثم يثقل شيئا فشيئا وقيل معناه ان المراة ضعيفة في الخلقة ثم يضعفها الحمل
لثقله وفصاله في عامين اي فطامه عن الرضاع لتمام عامين اي انتهاء رضعه
وتربيته في هذه المدة وهذا مما يوجب لها حقا ويلزمه لها شكرا ان اشكر
لي ولوالديك قيل هو متصل بقوله ووصينا الانسان بوالديه ان اشكر لي ولوالديك
اشكر لي على الايجاد ولهما على التربية الى المصير وهو ترغيب وترهيب وان
جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما اي اني وان كنت عظمت
عليك حقهما فلم يبلغ من حقهما عليك ان يجوز لك طاعتهما فيما يامرانك به من

الاشراك بي وان احسنا اليك في ذلك وهذا كله تعريف لهولاء المشركين
بشدة الامر في الشرك وانه لا يباح بحال وانتظمت هذه الاية بما قبلها في هذا المعنى
فانه قال هناك لا تشرك بالله وها هنا قال وان جاهداك على ان تشرك بي
فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا اي في امور الدنيا بالمعروف فيما تحلهما وهو الطاعة
لهما فيما لا يفسد عليك دينك واتبع سبيل من اناب الي اي واتبع ايها الانسان طريق
من اقبل علي بتوبته وعبادته ثم الي مرجعكم اي رجوع جميعكم في الاخرة فانبئكم
بما كنتم تعملون اي اخبركم باعمالكم واجازيكم عليها وقيل نزلت الاية في سعد
بن ابي وقاص وذلك ان امه حمنة بنت سفيان بن ابي امية بن عبد شمس
نذرت ان لا تاكل ولا تشرب او يكفر سعد باساف ونايلة وهما صنمان كانا
على الصفا والمروة وقال سعد نزلت في ثلاث ايات هذه الاية واية الوصية
واية تحريم الخمر وقد ذكرناها مبسوطة في قوله انما الخمر والميسر الاية وقوله
يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل قرا نافع وحده مثقال رفعا وعلى هذا قوله
انها تكون الكناية عمادا كما في قوله انه من يات ربه مجرما وتانيثه ردا الى القصة
او الحادثة او الواقعة وان تك مثقال حبة بالرفع يكون رفعا بكان وهو تام
لا خبر له وتانيثه مع ان المثقال مذكر لما انه مضاف الى الحبة ومثقال حبة هي الحبة
حقيقة فهو كقول الشاعر طول الليالي اسرعت في نقضي لان طول الليالي
هو الليالي حقيقة وقرا الباقون مثقال حبة بالنصب وعلى هذا تكون قوله انها

كناية عن الفعلة بحجوها اي ان كانت فعلة الانسان مقدار خردلة في الثقل والوزن
من خير او شر فتكن في صخرة مثل في جبل وقيل في حجر او في السموات او في الارض من سعتهما
يات بها الله اي يحضرها الله صاحبها كما قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء حتى يوفيه جزاءها ان خيرا وان شرا ان الله لطيف اي
عالم بكل دقيق وجليل من الاشياء خبير اي عالم بالاشيا على حقايقها وبواطنها
لا تقدر ما تعلمه للعادم ظواهرها وقال ابو معاذ هذا في الرزق اي ان كان
للانسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها الى
من هو رزقه كانه قال لا تهتم للرزق اهتماما يشغلك عن اداء امر الله تعالى
يا بني اقم الصلوة اي حافظ عليها لاركانها وسننها وادابها وامر بالمعروف
ما عرف حسنه عقلا وشرعا وانه عن المنكر ما انكره العقل والشرع
واصبر على ما اصابك اي من اذى من امرته ونهيته روى ابو هريرة عن النبي عليه
السلام انه قال يا ابا هريرة مر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك
ان ذلك من عزم الامور قال قلت يا رسول الله امر بالمعروف وانهى عن المنكر
واوذى قال نعم كما اوذيت لا نبيا ليس احد يامر بالمعروف وينهى عن المنكر الا
سيوذى في الدنيا وقيل هو مبتدا اي واصبر على ما اصابك من شدايد الابتلاء
الله تعالى مثل الامراض والفقر وهوان لا تجزع ويعلم ان الله تعالى ان يفعل به ذلك
تاديبا او تمحيصا او لتثيبه عليه في الاخرة ان ذلك من عزم الامور اي هذ

الاشيا مما عزم الله به على عباده اي امرهم به امرا حتما معلمهم الشان عليه
واعتقاد وجوبه وقيل من عزم الامور من الامور التي تدل على ان صاحبه ثابت
في دينه قوي النية في طاعة ربه عالم بصحة ما يوتى به مستبصر في امره وفلان
من اولي العزم هو هذا ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله معرضا عن الناس تكبرا
واستخفافا لمن يقبل عليك بكلمك بل اقبل عليه بوجهك متواضعا وقري
ولا تصاعر وهو قراة ابي عمرو ونافع وحمزة والكسائي وخلف وهما لغتان في
معنى واحد وهو من الصعر وهو دا ياخذ البعير في عنقه فيميله والتصعير
والمصاعرة كالتضعيف والمضاعفة ولا تمش في الارض مرحا اي بطرا واشرا
ان الله لا يحب كل مختال فخور والاختيال مشية المتكبر والفخر ذكر المناقب
للتطاول بها على السامع واقصد في مشيك هو المشي في لين وتواضع كما قال يمشون
على الارض هونا واغضض من صوتك اي واخفض صوتك اذا تكلمت ولا تفرط
في رفعه كفعل المتعظم ان انكر الاصوات واسمعها عند السامعين لصوت
الحمير جمع حمار ولو كان في ارتفاع الصوت فضيلة لم يشبههم صوت الحمار الذي
هو ارفع الاصوات وانكر بمعنى اقبح كقولهم هذا رجل منكر الوجه اي قبيح وقال
عمر بن عبد العزيز لرجل يرفع صوته في الكلام لا ترفع صوتك فانه يحسب المرء
من الكلام ما اسمع جليسه او صاحبه وعن عبد الله بن عمر قال كان النبي
عليه السلام يعجبه ان يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون مجهور الصوت

وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وهذا تعجب
من الله عباده من جهالة المشركين بعد اصطناع نعمه وزوال عذرهم في الشرك
واعترافهم بما بطله قال الم تروا اي الم تعلموا العلم الذي يقوم مقام رؤية العين
ان الله خلق لكم ما في السموات وما في الارض من شمس وقمر ونجم ونبات وبر وبحر
ما جعله الله من كلا لكم عن ممتنه عليكم منفعة لكم وقواما لحياتكم في دار الامتحان
واسبغ عليكم اي اتم عليكم نعمه قرا نافع وابو جعفر وابو عمرو وسهل وعاصم
في رواية حفص نعمه جماعة مضافة والباقون نعمة واحدة منونة غير مضافة
اي انعم عليكم نعمة ظاهرة تظهر وتشاهد ونعمة باطنة لا تظهر للابصار ولا
تشاهد فالظاهرة ما يرى على العبد من نعمة الجمال والمال وحسن الصورة
وسعة العيش وتمام الجاه وثنا الناس والعلم والمعرفة بالامور والتوفيق للايمان
والاعمال الصالحة والباطن ما يجده الانسان في نفسه من الاستبصار في دينه
والعلم بربه وما يستر الله من عيوبه وذنوبه وما يدفع الله عنه من بلياته
وما ينعم عليه في دينه ومصالح دنياه مما لا يقف على كثيره بهذا اطلع عن
المنعم عليه وعن ساير الناس ومن قرا نعمة على التوحيد فعند قال المفسرون
هي نعمة الاسلام هي ظاهرة بالاقرار باطنة بالتصديق ويجوز ان يكون هذا
الواحد دالا على الجمع كما يقال كثر لله ما لا وفي النعمة الظاهرة والنعمة
الباطنة اقاويل كثيرة وقد ذكرنا في ذلك في كتابنا الموسوم بكتاب بحر علوم

المفسر على نحو رسوم التذكير عند قوله تعالى صراط الذين انعمت
عليهم ثلثمائة قول على البسط والتطويل ونذكر ها هنا بعضها على الاختصار
فقول قال ابن عباس هذا من مخزون علمي الذي سألت عنه رسول الله عليه السلام
فقلت يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال يا ابن عباس
اما ظاهرة فيها الاسلام وما سوى من خلقك وما افضل عليك من الرزق
واما ما بطن فستر مساوي عملك وقيل الظاهرة الجوارح والباطنة
المصالح وهي الصفات القائمة بها الظاهرة التصوير والباطنة التنوير
الظاهرة الاقرار والباطنة الاعتقاد الظاهرة الدعوة الى الايمان
والباطنة الهداية الى الايمان الظاهرة اعطا الايمان والباطنة الابقا على
الايمان الظاهرة الدعا الى الاسلام والباطنة الدعا الى دار السلام الظاهرة
النفع والباطنة الدفع الظاهرة التوفيق للايمان والطاعات والباطنة
العصمة عن الكفر والجفوات الظاهرة اظهار الطاعات والباطنة
اخفا السيات الظاهرة التخفيف والباطنة التضعيف الظاهرة النطق
والباطنة العقل الظاهرة التبيين وستر ابانه للناس والباطنة التزيين
وزينه في قلوبكم الظاهرة التكليف ادخلوا في السلم كافة والباطنة التاليف
والف بين قلوبكم الظاهرة تعديد الحسنات التائبون العابدون الايه ان
المسلمين والمسلمات الايه قد افلح المومنون الايات الا المصلين الايات

الصابرين والصادقين لايه والباطنه اجمال السيات وتوبوا الى الله جميعا
ايها المومنون الظاهره الاوصاف والباطنه الاسرار الظاهره الافعال
المرئيه والباطنه الضماير المطويه الظاهره الاقوال والافعال والباطنه
المقامات والاحوال الظاهره الشخوص والاشباح والباطنه
القلوب والارواح الظاهره حسن الصوره والباطنه حسن السيره الظاهره
الرسوم والباطنه العلوم الظاهره حسن الخلق والباطنه حسن الخلق
الظاهره وجود النعمه والباطنه شهود المنعم الظاهره الدنيويه والباطنه
الدينيه الظاهره نفس بلا زله والباطنه قلب بلا غفله الظاهره في
الاموال ونمايها والباطنه في الاحوال وصفايها الظاهره توفيق الطاعات
والباطنه قبول الطاعات الظاهره التسويه والباطنه التصفيه الظاهره
صحبه الصالحين والباطنه حفظ حرمتهم الظاهره الزهد في الدنيا والباطنه
الاكتفا بالمولى الظاهره الزهد والباطنه الوجد الظاهره نور المجاهده
والباطنه تحقيق المشاهده الظاهره وظايف النفس والباطنه لطايف
القلب الظاهره اشتغالك بنفسك عن غيرك والباطنه اشتغالك بربك
عن نفسك الظاهره طلبه والباطنه وجوده الظاهره ان تصل اليه والباطنه
ان تبقى معها الظاهره الخدمه والباطنه الحرمه الظاهره الامر والباطنه
الاجر الظاهره ما سمى من نعيم الجنه والباطنه ما اخفاه منها فلا تعلم نفس
ما اخفى لهم من قره اعين

الظاهره المال والثروه والباطنه العلم والحكمه يكى را مال بسيار دهد يكى علم بى شمار
دهد يكى را عيال بجمال دهد يكى را فضل بركمال دهد يكى را باغ وبستان وخانه
ودكان دهد يكى را علم فراوان وهنر بى كران دهد يكى سه هزار درم دارد ويك
درم مسله نداند يكى سه هزار مسله داند ويك درم ندارد ان يكى نعمت سبب گرفتارى
شود اين ديگر سبب رستگارى شود الظاهره حفظ القران والباطنه فهم القران
الظاهره محكم القران والباطنه متشابه القران الظاهره تفسيره والباطنه تاويله
الظاهره الترغيب والترهيب والباطنه التزيين والتحبيب قال تعالى ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم الظاهره انك تحبه والباطنه انه يحبك الظاهره
انك مريده والباطنه انك مراده الظاهره النعم المنقوده والباطنه النعم الموعوده
الظاهره المحضره والباطنه المنتظره الظاهره النصر على الاعدا في الحروب
والباطنه القا الرعب في القلوب الظاهره الصحه والباطنه العله تقدر على
الاعمال الصالحه في صحتك وتكتب لك ثواب الاعمال من غير عمل في علتك الظاهره
الشباب والباطنه الشيب الشباب سرور والشيب نور الظاهره ادامه
النعمه عليك لتشكر [illegible] واما لشاكرين الظاهره العطا بالمساله و
الباطنه [illegible] الظاهره الرزق والباطنه تفريق الرزق الظاهره
[illegible] من غير [illegible] كلمه [illegible] والباطنه قوله وكانوا احق بها واهلها الظاهره النعيم
[illegible] الظاهره الرزق والباطنه البركه في الرزق الظاهره سلام النبي
عليه السلام

الظاهره والباطنه سلب النعمه
[illegible]

ظاهرًا والباطنه سلام النبي عليه السلام الملائكه ليله القدر وعند الموت وعند
وفي القيامه وفي الجنه ثم سلام الرب بلا واسطه الظاهره اولياوك والباطنه
اعداوك تستعين على امورك باوليايك وتستعيذ بالله من اعدايك يذكر
ولييك مجالسك فتلازمها ويذكر عدوك مساويك فتفارقها بغيبتك
ولييك فيكثر لك الحسنات ويظلمك عدوك فتصبر فيغفر لك السيات
الظاهرة الزوجه المساعده والباطنه الزوجه المخالفه تلك تشرح بالسرور
صدرك وهذه تعظم بالصبر والاحتمال اجرك الاخره الظاهره الجار المرضي
والباطنه الجار المؤذي ذاك يقرك في دارك فتعيش في الرخا وهذا يزعجك
عن وطنك فتنال فضيله الغربا الظاهرة قبول القلوب والباطنه نفرة القلوب
في ذاك وجود بر الابرار وفي هذا زوال زحمه الاغيار الظاهرة الجاه والرفعه
والباطنه الخمول والضعه وفي ذلك تفتش عليك فتثاب بكل ما عمل له احد من الا[illegible]
وفي هذا يسلم دينك ولا تقع في الريا والسمعه الظاهرة الولد البار والباطنه الولد
العاق ذاك يكثر الاعتداد وهذا ينقطع عن الخلق الاعتماد الظاهرة ولاد
الولد والباطنه موته ذاك فرح وهذا فرط الظاهره النهار والباطنه الليل
قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار الظاهره ا[illegible] والباطنه
العيون والاثار الظاهره الصلوه والباطنه الصوم [illegible] الجار والانهار
علينا لنعتبر والباطنه ترك قصتنا على غيرنا لنستتر [illegible] الظاهره قصه [illegible]

الهيآت والباطنه اختلاف الهمات لو استوت الهيآت لم تتميز الذوات
ولو علت الهمم لم يشتغل احد بالحرف الخسيسه فتعطلت الحاجات الظاهرة
النظر في ملكوت الارضين والسموات والباطنه التدبر في السور والايات
الظاهرة التقويم والباطنه التقديم الظاهرة التعديل والباطنه التبديل
ولنبدلنهم من بعد خوفهم امنا الظاهره التحسين والباطنه التحصين الظاهره
التصريف والباطنه التعريف الظاهرة حسن العمل والباطنه صدق الوجل
قال تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجله الظاهرة الحمد على النعمة والباطنة
الشكر في النعمة والحمد ثنا اللسان وذكره والشكر معرفه الاحسان ونشره
الظاهرة المنح والباطنه المحن فالمنح الاموال للتصرف والاعمال للتشرف
والثياب للتجمل والعيال للتمتع والمحن الخسران والنقصان في الادوا والاشوا
والنوايب والمصايب وعاقبتها وبشر الصابرين والرحمه والموعود عليها
الصلوات والرحمة ودوام الهداية الظاهرة العروق المتحركه والباطنه الساكنه
الظاهره التربيه بعد الولادة والباطنه التربيه قبلها قال تعالى واذ انتم اجنه
في بطون امهاتكم الظاهرة ما يكتسب والباطنه ما ياتيه من حيث لا يحتسب الظاهرة
الامر بمجاهده [illegible] كفار والباطنه الامر بمحاربه الشيطان ذاك لان لا يستولي على
نفسك وهذا لان لا يزيلك عن دينك الظاهرة الامر بالصدقه والباطنه اعطا
الخلف على النفقه الظاهره العمل والباطنه النيه الظاهرة الاطعام والاسقا

والباطنة الاسباغ والارواء الظاهرة اساغة الطعام والشراب والباطنة
اخراجهما بسهولة عن ذلك الباب الظاهرة الاشباع والارواء والباطنة
الاجاعة والاظماء الظاهرة انزال الامطار والباطنة اخراج الحبوب والثمار
الظاهرة ما ظهر من الزروع والثمار والباطنة ما بطن من الرطاب الظاهرة
ما يستفاد بالتجارات والصناعات والباطنة ما يستفاد بالزراعات وهذا
اكثر ربحا فانه معاملة مع الله الظاهرة صيود البر والباطنة صيد البحر
الظاهرة ما يكتسب في الاسواق من الدرهم والدينار والباطنة ما يستخرج
من المعادن والبحار الظاهرة التجارات عن اصلاح المعاد قال تعالى رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية الظاهرة العمل الصالح والباطنة العلم النافع
الظاهرة ذكر اللسان والباطنة ذكر الجنان الظاهرة انك تدعوه والباطنة
انك تريده قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الظاهرة البسط
والباطنة القبض قال تعالى والله يقبض ويبسط الظاهرة النوم للسكون و
الراحة والباطنة التهجد للمناجات والخلوة الظاهرة الصيف ما ينع ظاهره
في الكروم والباطنة الشتاء ما ينع باطنه في البيوت الظاهرة احسان العبادة
والباطنة رؤية منة الله تعالى في التوفيق للعبادة الظاهرة شريعة الرسول
والباطنة شفاعة الرسول الظاهرة السمعيات والباطنة العقليات الظاهرة
اعيان النصوص والباطنة دلايل النصوص والباطنة التسكين ولقد مكناكم انزل السكينة

الظاهرة ما يوكل ظاهره ويلقى باطنه كالتفاح والكمثرى والسفرجل ونحوها
والباطنة ما يوكل باطنه ويلقى ظاهره كالرمان والجوز واللوز ونحوها الظاهره
الاختبار ونبلوكم والباطنة الاختيار هو اجتبيكم الظاهرة المناداة والباطنة
المناجاة الظاهرة حيوة النبي عليه السلام والباطنة موته عليه السلام قال عليه
السلام حيوتي خير لكم وموتي خير لكم الحديث الظاهرة قضاء غيرك حاجتك و
الباطنة قضاؤك حاجة غيرك قال عليه السلام يا علي واذا اتاك طالب حاجة
فاعلم انها نعمة ومنة من الله عليك حين اراد ان يغفر ذنبك ويعظم اجرك الظاهرة
الامن في الدنيا والباطنة الامن في العقبى الظاهرة صحة الابدان والباطنة صحة
الاديان الظاهرة البدن السليم والباطنة القلب السليم الظاهرة غنى المال
والباطنة غنى الحال الظاهرة اخرجنا بعد الانبيا والامم بلا ان تطلعوا على قبايحنا
وذكرنا للاسلاف قبل مجيئنا باوصاف مدايحنا الظاهرة الرواية والباطنة الرعاية به
الظاهرة ركوب الانعام والباطنة ركوب السفن العظام الظاهرة المراكب
في حيوتك والباطنة المناكب بعد وفاتك الظاهرة المال والبنون والباطنة المفروض
والمسنون ومما في قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات
خير الظاهرة قوله وبشر المومنين والباطنة قوله يبشرهم ربهم الظاهرة الحيوة
والباطنة الموت قال الشاعر قد قلت اذ مدحوا الحيوة فاكثروا
للموت الف فضيلة لا توصف منها امان لقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف

ثم ذكر النعمة استبدا الشكر بها والشكر يكون من جنس النعمة فاذا عرفت
ان الله تعالى اسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة تشكره لذلك انتقل بقوله وذروا
ظاهر الاثم وباطنه وقوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير تقول هذه نعمي على عبادي ثم منهم من يجادل في توحيدي واخلاص
طاعتي يريد بذلك اثبات الشرك والتعطيل بغير علم منه فالمخاصم به انما
هو مقلد ولا هدى ولا دلالة عليه نظرا وعقلا ولا كتاب منير ولا كتاب انزله
الله تعالى بصحة ما يدعوا اليه ويدعيه وقيل ان الاية نزلت في شان النضر ابن الحارث
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله اي واذا قيل لهولا الجاحدين في الله انه ليس معكم من
الله هدى ولا كتاب بل على ما تقولون فهلموا الى اتباع كتاب الله وما انزل قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه اباءنا الاقدمين والاقربين الذين كانوا يعبدون الاوثان
ويشركون كما اشركوا تقليدا لهم اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب
السعير قال ابو عبيدة لو هاهنا محذوف الجواب اي اولو كان الشيطان يدعوهم
الى الكفر الذي يفضي الى عذاب جهنم يتبعونه وهذا استفهام بمعنى التوبيخ
اي فلم يتبعونه وهو يدعوا الى ذلك ومن يسلم وجهه الى الله اي ومن يخلص عمله لله
ويتوجه الى طلب رضا الله وهو محسن فيما يعمل تارك للاساة فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها اي فقد تعلق بالركن الاوثق الذي لا اوثق منه فهو
مخلصه من العذاب لا انقطاع له والى الله ترجع الامور اي وحصر الامور في اواخرها

الى الله وهو يحاسبهم بها ويجازي عليها ومن كفر فلا يحزنك كفره اي ومن لم يسلم
وجهه لله وكفر به فلا يهمن عليك امره ولا يغمنك كفره فلا مرجع الا اليه فخبره
الينا مرجعهم يوم الحساب فننبئهم بما عملوا اي فنخبرهم بذلك ان الله عليم بذات
الصدور اي عالم بضماير القلوب فكيف بعلانية الاعمال فهو يجازيهم بما اظهروا او بما
اضمروا نزلت الاية في مشركي مكة حين قالوا ان محمدا يفتري على الله يحزن لذلك
فانزل الله هذه الاية وقيل عليم بذات الصدور اي يعلم ما في قلبك من الحزن لكفرهم
نمتعهم قليلا اي نبقيهم في الدنيا فيتمتعون بالبقا فيها مدة قليلة وهي مدة
اعمارهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ اي ثم ندخلهم كرها في عذاب غليظ اي
شديد الايلام عظيم المكروه والاضطرار الالجا وهو متعد وجمع في هذه الاية
ووحد في الاية الاولى لان من اسم جنس تصلح للواحد والجمع ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله اي اذا سئل هولا المشركون عن خالق السموات والارض
لاعترفوا بانه هو الله قل الحمد لله على ما هدانا لدينه وجعلنا من اهل العلم به واوضح
حجتنا على مخالفينا اذ قررهم بما فيه الحجة عليهم بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس
شركهم لانقطاع الحجة عنهم لكن اكثرهم لا يعلمون بجهلهم او يتركون التدبر
في الدلايل فيفوتهم العلم فيضيعه لله ما في السموات والارض اي له ذلك كله وهو
مالكه وخالقه ولا حاجة به الى ايمانهم ولا ان الله هو الغني الحميد انه هو المستغني
عن خلقه المحمود بشهادة خلقه كلهم بوحدانيته وقدرته والهيته بشهادة الخلقة

ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر قرا ابو عمرو ويعقوب
والبحر نصبا عطفا على ما والناصب كلمة ان وقرا الباقون والبحر بالرفع على الاستيناف
تقول لو ان ما في الارض من شجرة جعلت بالبري اقلاما ليكتب بها والبحر يمده من
بعده سبعة ابحر فكان البحر مدادا ومده اي زاد فيه سبعة ابحر يكتب بها كلمات الله
في اقامة الحجج على عباده وضرب الامثال لهم وتنبيههم على مصالح دينهم ودنياهم وذكر
اقاصيص من سلف قبلهم من الامم وغير ذلك من ضروب ما تشتمل الحكمة كلامه
وما احتوى العلما به من معاني كلامه وما استاثر الله به دون خلقه لم تنفد كلام
الله وذلك قوله تعالى ما نفدت كلمات الله ذكر ان بعض المشركين قال لما تلا
عليهم النبي عليه السلام ان هذا كلام سينفد ونزلت هذه الاية وقيل نزلت جوابا
لليهود اذ قالوا قد اوتينا التورية وفيها كل الحكمة فنزلت الاية قاله ابن عباس
ان الله عزيز اي منيع في ملكه فلا يرام ولا يغالب حكيم يطلع عباده على من يشا
ويفعل ما يشا ويضع كل شي موضعه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلق
نفس واحدة وبعث نفس واحدة في ان امري اذا اردت شيئا ان اقول له كن فيكون
فلا يلحقني تعب بكثرة ولا يخف على بقلة وقدرتي على الكل كقدرتي على الواحد
فاذا قدرت على الواحد فانا على الجميع قادر وقوله كنفس واحدة كقوله تدور اعينهم
كالذي يغشى اي كدوران الذي يغشى عليه ان الله سميع لا قول المشركين على الله
في انه لا بعث ولا نشور بصير باعمالهم فمجازيهم الم تر ان الله يولج الليل في النهار

ويولج النهار في الليل وهذا احتجاج على المشركين اي الم تر ان الله ياخذ من الليل
فيزيد في النهار وهو كقوله يقلب الله الليل والنهار وسخر الشمس والقمر لمنافع العباد
كل يجري الى اجل مسمى اي الى ان يكون الاجل المسمى وهو يوم القيامة فيفنى الله هذا
كله وان الله بما تعملون خبير اي عليم ذلك بان الله هو الحق اي خلق ما خلق على ما
شاهدتموه ليدلكم بخلقه اياه على انه هو الاله الحق لا اله غيره وان ما يدعون من دونه
الباطل لا يستحق العبادة غيره لانه لا يقدر على شي وان الله هو العلي الكبير
العالي على كل شي وكل ما دونه فهو له متذلل منقاد وهو الكبير وكل شي دونه
فهو له متصاغر الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله الم تر ان السفن تجري في البحر
مع صغرها وكبر البحر وهول المواج بنعمت الله اي بتسخيره اياها وانعامه
بذلك على خلقه ليريكم من اياته من اعلام قدرته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
اي لكل من هو من افاضل المومنين لان جميع خصال الاسلام ترجع الى الصبر والشكر
والصبار والشكور مبالغة في هذين الوصفين اي الانتفاع بهذه الايات انما
يحصل لهولا فكانما لهم دون غيرهم واذا غشيهم موج كالظلل اي واذا جاءهم
في البحر موج متراكب بعضه على بعض كانما ظلل فوقهم اي جبال مظلة او سحابات
دعوا الله مخلصين له الدين حين علموا حينئذ انه لا ينجي لهم غيره فلما نجاهم الى
البر فمنهم مقتصد قال قتادة اي مقتصد في قوله مضمر على كفره اي يحسن القول فيه
وهو مع ذلك ثابت على كفره لا يعتبر بذلك الاقرار الاقتصاد وما يجحد باياتنا

الا كل ختار كفور اى وما يجحد بما جعلنا ماية من امر البحر وغيره الا كل غدار قبيح
الغدر ينقض عهد الله من بعد ميثاقه بما جعل لهم الشاهد فى نفسه على وحدانيته
وبما اعطاه من الاقرار بلسانه انه خالقه ومنجيه من الاهوال كفور لانعام الله
عليه وقيل فمنهم مقتصد سالك قصد السبيل بالاسلام وقال ابن عباس فمنهم
مقتصد موف بما عاهد الله عليه فى البحر وقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم
ختم السورة بتجديد الموعظة وترهيبهم بيوم القيامة توكيدا للامر لمخالفة المشركين
فى جحد البعث فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم فلا تخالفوا امره ولا نهيه واخشوا
يوما لا يجزى والد عن ولده اى لا يغنى فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيا اى ثابت ان وعد الله حق اى بالبعث والحساب والجزاء فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا اى فلا تغتروا بهذه الحيوة العاجلة فتهملوا انفسكم وتركبوا المعاصى
مستبعدين للقيامة او مغترين بقول هولاء المشركين الجاحدين له فان
الحيوة الدنيا قريبة الانقضا تفنى لذاتها وتبقى تبعاتها ولا يغرنكم بالله الغرور
اى ولا يخدعنكم المتوقى من عذاب الله من يغركم فيدعوكم الى المعاصى ويوهمكم ان لا
بعث ولا حساب ولا جزا وقيل الغرور اسم للشيطان والاسم صالح لكل من عمل هذا
بالعبد من شيطان وغيره ان الله عنده علم الساعة اى علم وقت قيام الساعة عند
الله لا يعلمه غيره فاياكم ان تاتيكم بغتة وانتم مغترون بالحيوة الدنيا وقيل نزلت الاية
فى الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب رجل من اهل البادية اتى النبى عليه السلام

فسال عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا اجدبت فمتى ينزل الغيث وامراتى
حبلى فمتى تلد وانى اعلم ما عملت امس فما اعمل غدا وانى اعلم اين ولدت فباى ارض
اموت فانزل الله هذه الاية وقال النبى عليه السلام خمس لا يعلمهن الا الله وتلا
هذه الاية ان الله عنده علم الساعة فهو يعلم متى تقوم وينزل الغيث هو الذى
ينزل الغيث للوقت الذى يعلم الصلاح فى انزاله لعباده وبلاده لا يعلم العباد
بذلك ويعلم ما فى الارحام هو الذى يعلم ذلك اذكر هو ام انثى احى هو ام ميت
ويعلم جميع صفاته وهيئاته ووقت ولادته وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا
اى وما تعلم فى مستقبل العمر من خير او شر وما تدرى نفس باى ارض تموت اى باى
بلد وقيل اى باى قدم تموت ان الله عليم خبير اى هو العالم بظواهر الاشيا وبواطنها
تفاصيلها وجملها ما كان وما يكون وما لا يكون وجاز ان يكون او كان كيف كان
يكون وقال الزهرى اكثروا قراءة سورة لقمان فان فيها اعاجيب

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام الرحمن الذى انشا لنا
السمع والابصار والافئدة والافهام الرحيم الذى يسوق الما الى الارض الجرز فيخرج
به زرعا تاكل منه البشر والانعام وروى ابى عن النبى عليه السلام انه قال من قرا سورة
تنزيل السجدة وتبارك فكانما احيا ليلة القدر وروى جابر ان النبى عليه السلام كان

لا ينام حتى يقراهاتين السورتين تبارك والسجدة ويقول فضلتا على القران
بستين حسنة وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال من قرا في ليلة سورة
تنزيل السجدة وسورة تبارك الذي بيده الملك او في يوم بني له بيت في الجنة وكان
كمن وافق ليلة القدر وحفت به الملائكة وحفته سورة الم تنزيل السجدة
ومنعته ملائكة العذاب وعن ابن مسعود قال سورة تبارك المانعة تمنع من
عذاب القبر ٥ وسورة السجدة مكية الا ثلث ايات نزلت بالمدينة افمن كان مومنا
كمن كان فاسقا الى قوله كنتم به تكذبون نزلت في علي ابن ابي طالب وفي عقبة بن
ابي معيط على ما بيناه ان شا الله تعالى وهي تسعة وعشرون اية وثلثون في قول اهل
الكوفة والاختلاف في قوله لفي خلق جديد وكلماتها ثلاثمائة واثنان وسبعون
وحروفها الف وخمسمائة واربعة وعشرون ٥ قوله تعالى الم قد تقدم تاويله في
انتظام اول هذه السورة بآخر تلك السورة انه قال في ختم تلك ان الله عليم وقال
في افتتاح هذه الم ومعناه انا الله اعلم وانتظام السورتين ايضا في بيان وحدانية
الله وذكر الكتاب والرسول ومحاجة المشركين ومدح المومنين وبيان عاقبة
الفريقين وقوله تنزيل الكتاب قيل هو جواب الم وقيل اي هذا تنزيل الكتاب لا ريب
فيه لا شك فيه انه من عند الله وقيل اي لا ريب فيه من رب العالمين اي هو من رب
العالمين اي هو من رب العالمين وهو كقوله تنزيل رب العالمين وقوله تنزيل من حكيم
حميد ٥ ام يقولون افتريه اي بل ايقولون افتراه محمد والعرب انما تقدر قبله استفهام

ثم نعطف عليه بام يقولون هو اساطير الاولين ام يقولون اختلقه محمد بل هو
الحق من ربك يا محمد رجع من المغايبة الى المخاطبة وهو من تلوين الخطاب ٥
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اي لم ياتهم رسول منذر وهم مشركو
العرب لعلهم يهتدون اي لتنذرهم العذاب ان اصروا على كفرهم فيسلموا
او يهتدوا الى الحق ٥ الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش فسرناه في سورة الاعراف ٥ ما لكم من دونه من ولي ولا
شفيع اي ليس لكم سوى الله ولي يتولى اموركم ولا شفيع يشفع لكم اليه ان
كنتم كافرين اي بالله وحده فافزعوا فلن ينفعكم احد دونه كما توهم المشركون
من ولاية الهتهم وشفاعتهم اياه افلا تتذكرون اي افلا تتعظون بمواعظ الله
يدبر الامر من السما الى الارض اي يدبر الامر في السما فينزل به بعض ملائكته من السما
الى الارض فيلقي ذلك الى الذي امر بالقائه اليه من الرسل ثم يعرج اليه اي
يعرج الملك ٥ اليه الى الموضع الذي امر بالعروج اليه من السما في يوم كان
مقداره في نزول الملك الى الارض وعروجه منها الى السما الف سنة مما تعدون
من الملك في الدنيا ما بين السما الى الارض مسيرة خمسمائة عام فاذا قطع الملك ذلك
في يوم واحد نازلا وصاعدا جعل قاطعا مسيرة الف سنة في يوم واحد وهذا التدبير
هو ما يكتب في اللوح المحفوظ للملائكة بما يقضيه الموكلين به حتى اذا اراد ذلك
فقد وجد في اللوح عرفوا انه اراد ان ينزلوا به الى نبيه في الارض فيفعلون ذلك

ثم يعرجون الى مكانهم الذي كانوا فيه وقوله تعرج ظاهره يرجع الى الامر فهو
المذكور قبله ومعناه عروج المامور بتبليغ ذلك الامر وقوله اليه ظاهره يرجع الى
الله تعالى ومعناه العروج الى المكان الذي كان الخطاب للاول فيه والامر بالعروج
الله وقيل اليه اي الى السما فقد ذكر قبله وهو مذكر ويونث قال تعالى السما
منفطر به وقال الشاعر

فلو رفع السما اليه قوما لكنا في السما مع النجوم ٥ وقوله تعالى في يوم كان
مقداره قيل كان زايده كما في قوله من كان في المهد صبيا وقيل معناه ان هذا العروج و
من قبل فاما قوله في سوره سال سايل في يوم كان مقداره خمسين الف سنه فهو يوم
القيامه وذلك مقداره وقوله تعالى ذلك عالم الغيب والشهادة اي الموصوف
بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه وشاهدوه لا يخفى عليه شي من ذلك
العزيز اي المنيع بسلطانه فلا يغالب الرحيم بخلقه بايصال المنافع ودفع المضار
الذي احسن كل شي خلقه قرا نافع وحمزه والكسائي وخلف وعاصم وسهل خلقه
بتحريك اللام وهو فعل ماض ومعناه اتقن كل شي قد خلقه كما قال صنع الله الذي
اتقن كل شي وقيل اي علم كل شي خلقه من قولهم قيمة كل شي ما يحسنه اي علم
قبل ان يخلقه انه كيف يكون اذا خلقه وعلم بحاله ومده بقايه وما يكون منه
وما يحتاج اليه الى انقضايه وقيل علم ما خلق فلم يحتج الى ان يحتذي فيه على
مثال سبق وقيل اي جعله حسنا على معنى انه خلق ماله ان يخلقه ومن فعله ما

الجزء الحادي والعشرون

ليس له ان يفعله فقد اسا او جعله حسنا على ما علق به من الحكمه وظهر فيه من
الدلاله وقرا ابن كثير وابو عمرو ومن تابعهما احسن كل شي خلقه بتسكين
اللام على انه مصدر والفعل واقع عليه وتقديره احسن خلق كل شي ثم هو يقع
على الاتقان وعلى العلم وعلى التحسين على ما مر وظاهر نظمه ان قوله كل
شي مفعول له وقوله خلقه بدل عنه وهو كقولك ضربت زيدا اعلى راسه
وقوله وبدا خلق الانسان من طين اي بدا خلق ادم من طين وهو التراب
المبلول بالما ثم جعل نسله اي نسل ادم وهو ما تولد منه من الذريه من سلاله
او مما سل من اصلاب الرجال من ما مهين صفه السلاله انها نطفه ضعيفه
ضعيفه رقيقه لا خطر لها عند الناس ثم سواه اي عدله ويجوز ان يرجع الها
الى ما مهين ويجوز ان يرجع الى النسل ونفخ فيه من روحه اي ادخل فيه الروح
الذي خلقه له والاضافه اليه للتشريف كبيت الله وناقه الله وشهر الله
وجعل لكم السمع والابصار والافئده اي جعل لكم معاشر الناس ما تسمعون
به فتميزون بين الاصوات وما تبصرون به فتميزون بين الاشخاص والالوان
والافئده حتى تعقلوا بها الامور وتدبروها قليلا ما تشكرون وهذا حث
على الاستكثار من الشكر له على ما ابتدا انعم به من هذه النعم لينالوا بذلك
النعيم المقيم في الاخرة ايضا وقوله تعالى وقالوا اذا ضللنا في الارض ا انا لفي
خلق جديد اي وقال المشركون المنكرون للبعث للانسا اذا ابلينا في الارض

وهلكت اجسادنا فلم نبق لانا صرنا ترابا كما تضل الماء في اللبن فلا يتبين فيه
نعاد على خلق جديد فنحيا كما كنا قبل موتنا اي ان هذا لمحال منكر وهو استفهام بمعنى
الانكار بل هم بلقاء ربهم كافرون بل رد لما قبله صريحا وتقديرا وتقديره
هاهنا ليس بهم جحود قدرة الله على الاعادة لانا نبهناهم بالاماتة على قدرتنا
لكن قد اعتقدوا ان لا دار للحساب والجزاء فلهذا ينكرون البعث والاحياء بعد
الموت قل يتوفاكم اي يقبض ارواحكم ملك الموت الذي وكل بكم لاحصاء اجالكم و
قبض ارواحكم وهو عزرائيل ثم الى ربكم ترجعون في القيامة فيحاسبكم باعمالكم
ويجازيكم عليها واضاف التوفي هاهنا الى ملك الموت والى الملائكة في قوله سبحانه توفته
الملائكة والى نفسه في قوله الله يتوفى الانفس والجمع بينها ان الملائكة وهم اعوان
ملك الموت ينزعون الروح الى الحلقوم ثم يقبضه ملك الموت والله تعالى يخلق
ذلك وهو الخالق لافعال البشر والاضافة اليه بالامر والتخليق ايضا وقوله تعالى
ولو ترى يا محمد اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم هذا بيان حالهم اذا رجعوا
الى الله يوم القيامة اذ المجرمون هم الذين قالوا أئذا ضللنا في الارض ناكسوا
رؤوسهم حياء وحزنا عند ربهم عند حساب ربهم والعرض على ربهم ربنا
ابصرنا وسمعنا اي يقولون يا ربنا ابصرنا الان ما لم نكن نبصره في الدنيا وسمعنا
ما لم نسمع اي تيقنا بالبعث وزالت الشكوك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا
اي الايمان والطاعات انا موقنون بالبعث والحساب وانه لا [illegible]
كما نصر

وقيل معناه ربنا لك الحجة علينا فقد ابصرنا رسلك وآيات وحدانيتك وسمعنا
كتابك ووعظ انبيائك فلا حجة لنا عليك لكن بنا حاجة اليك وهو ان ترجعنا الى الدنيا
لنطيعك بعد ما تيقنا انه لا شفيع عندك الا العمل الصالح وجواب ولو ترى محذوف وتقديره
لرأيت منظرا هائلا كقولك لو رأيت فلانا وقد اخذته السياط وقوله تعالى ه
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قال الامام ابو منصور اي ولو شئنا لاعطينا كل نفس
ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا لكنا لم نعطهم ذلك اللطف
لما علمنا منهم اختيار غير ذلك وعلى قول المعتزلة شاء ان يعطي كل نفس ما به اهتدت
وقد اعطاها لكنها لم تهتد فقولهم مخالف للآية لانهم يقولون شاء ان يهتدي كل نفس
واتى كل نفس ما تهتدي به لكنها لم تهتد لكنهم يقولون المشيئة هاهنا مشيئة الجبر
والقسر فيقال لهم زعمتم انه قد شاء ان يهتدوا وآتاهم ما يهتدون به فلم
يهتدوا فلم تنفذ مشيئته فكيف يقدرون [illegible] ان شاء مشيئة قهرهم وجبرهم حتى
يهتدوا فكيف يؤمن على ذلك بعد ما لم يعلم على ما قال لهم ان الايمان والاهتداء
في حال القهر والقسر لا يكون ايمانا لان القهر والجبر ينزع الاختيار والفعل ويحول عنه
فكيف يصح تأويلكم على هذا وقوله تعالى ه ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة
والناس اجمعين اي وجب القول مني بما علمت انه يكون منهم ما يستوجبون جهنم وهو
ما علم منهم انهم يختارون الرد والتكذيب وقوله تعالى ه فذوقوا بما نسيتم عاد
الكلام الى خطاب المجرمين في القيامة وكان قوله ولو شئنا الآية كلاما معترضا

وقيل بل هو متصل وقال محمد بن كعب القرظي بلغني ان اهل النار اذا قالوا ربنا ابصرنا و
سمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون رد الله تعالى عليهم بقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها الآية فذوقوا اي يقال لهؤلاء فذوقوا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم هذا اي بترككم
العمل لهذا اليوم كانكم نسيتموه فلم تذكروا انا نسيناكم اي تركناكم في جهنم وقيل اي
جازيناكم على نسيانكم وذوقوا عذاب الخلد اي واعلموا ان هذا العذاب خالد لكم
ليس بزائل عنكم بما كنتم تعملون اي هذا لكم باعمالكم من الكفر والمعاصي وقوله تعالى
انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون
اي انهم ليسوا كالمشركين الذين منعهم الشرك وتقليدهم الاباء انه لا بعث ولا حساب ولا
جزاء من الايمان باياتنا اي القران انما يؤمن المتدبرون بها المستمعون الى مواعظها
فهم اذا قرئ عليهم القران ووعظوا به خروا سجدا لله على وجوههم تذللا لله
وتعظيما لاياته وسبحوا في سجودهم بحمد ربهم قيل يقولون سبحان الله وبحمده في
السجود وفي بعض الاخبار ان النبي عليه السلام كان يقول في سجوده ذلك ويجوز ان يكون
التسبيح تنزيه الله عما لا يليق به وحمد الله وصفه بصفاته العلى وتسميته
باسمائه الحسنى فاذا قال سبحان ربي الاعلى فقد نزه الله بقوله سبحان ربي و
حمده بقوله الاعلى وقوله تعالى تتجافى جنوبهم اي تتباعد عن المضاجع جمع
مضجع يقول تتباعد جنوب هؤلاء وتنبو عن مواضع الاضطجاع من الفرش و
غيرها شغلا منهم بالصلوة في اوقات اضطجاع الناس للنوم والاستراحة يدعون

ربهم في الصلوة وخارج الصلوة خوفا وطمعا خوفا من عقابه وطمعا في لقايه [ثوابه]
خوفا من نقمته وطمعا في رحمته خوفا من فراقه وطمعا في لقايه وهو كقوله ويدعوننا
رغبا ورهبا ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون نفلا وفرضا وذلك بالعشر وهذا
بالمال وقيل ومما رزقناهم من القران يقرؤون وهو اوفق لما قبله قال ابن عباس رضي الله
عنهما هؤلاء قوم كانوا يحيون العشاء والمغرب مع النبي عليه السلام فاثنى الله عليهم
بذلك وقال انس كان اصحاب النبي عليه السلام يصلون من اوله فاذا اجنهم الليل
اضطجعوا بين المغرب والعشاء فناموا حتى نزلت هذه الآية فاجتنبوا المضاجع
بين المغرب والعشاء حتى يصلوا العشاء الآخرة واحيوا ما بينهما بالصلوة فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اخفوا اعمالهم فاخفى الله جزاءهم يقول لا يعلم
احد كنه ما يعطي الله هؤلاء المؤمنين في الجنة من الثواب الذي تقر به اعينهم
مما اخفى الله عنهم وقيل هو وعد الرؤية فان عين المؤمن لا تقر الا برؤيته الله جزاء
بما كانوا يعملون جزاء لهم من الله تعالى على هذه الاعمال وروت اسماء بنت يزيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا جمع الله الناس يوم القيامة نادى مناد سيعلم
اهل الجمع من اولى بالكرامة اين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فيقومون وهم
قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم ينادي مناد سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم
اين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير
حساب ثم يحاسبون سائرهم من الناس وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال

[illegible]

قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة
أعين وقوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ذكر وعيد الكافرين ووعد
المؤمنين عقيب عادة ثم لا يستوي بين الفريقين فقال أفمن كان مؤمنا وهو استفهام
بمعنى النفي يقول أفمن كان متقلدا الإيمان كمن كان فاسقا خارجا عن طاعة الله منهتك
الحرمة فيما بينه وبين الله أي إن هذا لا يكون قال لا يستوون ولم يقل لا يستويان لأن
من حيث يصلح للجمع والآية نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط
وكان بينهما تنازع في شيء فقال الوليد لعلي لم تهددني والله إني أحد منك
سنانا وأشجع منك جنانا وأبسط منك لسانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال
له علي اسكت يا فاسق فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقا لعلي ونزل أيضا قوله
إن جاءكم فاسق بنبإ في الوليد أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى
نزلا بما كانوا يعملون هو تفصيل قوله لا يستوون فالمؤمنين جنات المأوى
يأوون نزلا أي رزقا وعطاء لهم لأعمالهم الصالحة وأما الذين فسقوا فمأواهم
النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها أي إذا دفعهم لهب النار إلى أعلاها
ردوا إلى مواضعهم فيها يضربهم الزبانية بمقامع من حديد قاله الحسن وقيل
لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي ويقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب
النار الذي به تكذبون والتذكير راجع إلى العذاب ولمن جعل راجعا إلى النار فلأن

تأنيثها ليس بحقيقي ولا حقيقي فيجوز التذكير نظرا للفظه ولنذيقنهم أي هؤلاء الفساق
من العذاب الأدنى أي العذاب في الدنيا من القتل والسبي وقيل هو يوم بدر وقيل هو
مصائب الدنيا وشدائدها في النفوس والأموال والقحط وقيل هو عذاب القبر دون
العذاب الأكبر أي قبل العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة أي نجمع لهم العذابين ونظيره
أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء
محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال الحسن العذاب الأدنى البلايا دون العذاب الأكبر
أي لا العذاب المستأصل يعني لا يكون ذلك لهذه الأمة وتعلق قوله العذابين جميعا في
الدنيا لعلهم يرجعون أي لعلهم يرجعوا إذا تنبهوا بالعذاب الأدنى وهذا إذا حمل الأدنى
على ما دون القتل فإن حمل على القتل فمعنى قوله لعلهم يرجعون أي لعل الآخرين يعتبرون
بهم فيرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه أي وعظ بها فأعرض عنها فتولى عنها
فلم يعمل بها ولا أخذ بالحذار في الدنيا والآخرة من هذا إنا من المجرمين منتقمون [illegible]
بين المحسن والمسيء وقال القشيري أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا أي أفمن كان في حلة
الوصال يجر أذيالها كمن هو في مذلة الفراق يعاني ويلها أفمن كان روح إقبالنا
عليه كمن هو في محنة إعراضنا وهما عنه أفمن بقي معنا كمن بقي عنا أفمن هو في ضياء
العرفان ونهار الإحسان كمن هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان أفمن أيد
بنور البرهان وأطلع عليه شموس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان
لا يستويان ولا يلتقيان وقيل العذاب الأدنى الخذلان في الزلة والأكبر الهجران عن
الوصلة

العذاب الادنى لقوم محن الدنيا والاكبر عقوبة العقبى وقيل العذاب الادنى
فترة تنال الخلق في عباداتهم والاكبر قسوة تصيبهم في قلوبهم وقيل العذاب الادنى
وقفة في سلوكهم لمنتهم والاكبر حجبة عن مشاهدتهم ثنا لهم قال قايلهم

آذيتني بانصراف الطرف بايقني فانظر الى بعد احسنت تاديبي

وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية كما اعطيتك القرآن فلا تكن في مرية
من لقائه اى في شك من انك ستلقاه يوم القيامة وتكونان مع ساير الانبياء في المراتب
العالية التي اعدت لكم وقال بعضهم اى فلا تكن في شك في انك لقيته ليلة المعراج
واكرمك الله بالاجتماع معه واراه مشاهد ملكوت السماء فثق بكرامتك على الله
وامض لما انت عليه من الدعاء الى دين الله صابرا عليه وقيل معناه ولقد آتينا موسى
الكتاب فلقي من قومه الاذى فصبر عليه فلا تكن في مرية من ان تلقى ما لقي هو واصبر
كما صبر هو تحمد العاقبة كما حمدها هو وقال الزجاج فلا تكن في مرية من لقا
موسى الكتاب وقيل هذا متصل بكلام متقدم وتقديره ولقد آتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبني اسرائيل وهذا المعترض متصل بقوله وقالوا ءاذا ضللنا الى
قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون فلا تكن في مرية من لقائه وقال عطا فلا تكن في
مرية من لقا موسى الجبل دكا عند سواله الرؤية وقال الشيخ ابو القاسم الحكيم
من حيث روي عن النبي عليه السلام انه قال فلا تكن في مرية من لقائه لنا غدا ورؤيته لنا
وقوله تعالى وجعلناه هدى قيل اى وجعلنا موسى هاديا وقيل الكتاب هاديا

دالا الى الحق لبني اسرائيل وجعلنا منهم اى من بني اسرائيل ائمة اى قادة تقتدي بهم يهدون
بامرنا اى يدلون الناس على الطريق المستقيم بامرنا اياهم به وهم انبياء بني اسرائيل وغير
الانبياء ايضا لما صبروا قرا حمزة والكسائي ورويس عن يعقوب لما صبروا بكسر
اللام والتخفيف اى لصبرهم وقرا الباقون لما صبروا بفتح اللام وتشديد الميم
يعني اذ صبروا وحين صبروا قيل على الجوع والصوم كما قال وجزاهم بما صبروا وقيل
اى على تجرع البلايا واذى الاعداء وقيل على طاعة الله وقيل اى عن محارم الله وفيه
دليل على ان الصبر ثمرته الامامة للناس وكانوا باياتنا يوقنون عطف على صبروا
والايات التورية وقيل المعجزات التي كانت لموسى ان ربك هو يفصل بينهم اى يقطع
الحكم بين هولاء المذكورين وهم المؤمنون والكفار من بني اسرائيل وغيرهم في الاخرة
وهو قوله تعالى يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدنيا والدين فيميز بينهم
في الثواب والعقاب فيثيب احسان المحسن واساءة المسيء وحق المحق وباطل المبطل
وقال القشيري ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فعند ذلك يتبين المردود
من المقبول والمهجور من الموصول والذميم من الرضي والعدو من الولي فكم
من بهجة دامت هنالك وكم من مهجة ذابت عند ذلك وقوله تعالى او لم
يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون اى اولم يتبين لهم اهلاكنا القرون من قبلهم
فيتعظوا ويرتدعوا عن الشرك يمشون في مساكنهم اى يمشي هولاء في مساكن الامم
مساكن المهلكين في اسفارهم وهي بلاد قوم صالح وشعيب ولوط كما قال

وانكم لتمرون عليهم وقال وانهما لبامام مبين ان في ذلك لايات ان من فعل فعلهم
حل بهم ما حل بهم افلا يسمعون ما فعلنا بهم وقيل افلا يسمعون ما يوعظون به فيتعظوا
به قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي اولم يرو هولاء المكذبون
بالبعث انا نسوق الماء وهو المطر الى الجرز الارض الجرز اي اليابسة التي لا نبات
فيها انقطع ذلك لانقطاع الامطار وهي من قولهم سيف جراز اي قطاع
فنخرج به اي بالماء زرعا تاكل منه انعامهم اي مواشيهم من الحشيش ونحوه وانفسهم
من الاطعمة والفواكه افلا يبصرون هذا فيعلمهم فيستدلوا به على ان من قدر
على احيا الارض بعد موتها فهو قادر على احيا الناس بعد موتهم اي انشر قال ذلك
فهلا استدلوا قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين اي ويقول
هولا المنكرون للبعث متى هذا الفتح اي الحكم والقضا والفصل بيننا وبينكم على ما
تذكرونه والفتح الحكم والفتاح الحاكم ان كنتم صادقين فيه كاين فبينوا لنا وقته
قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم لان ايمانهم ايمان اضطرار وقد قال الله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا ولا هم ينظرون يمهلون ليؤخر العذاب
عنهم وقيل هو فتح مكة وكان موعود النبي عليه السلام واصحابه فكانوا ينكرون ذلك
الكفار فقالوا متى هذا الفتح فقال الله تعالى مجيبا لهم قل يوم الفتح لا ينفع الذين
كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وكان القايلون هذا قوما من بني جذيمة فلما فتحت مكة
هربوا فلحقهم خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبل خالد منهم وقتلهم وكان

ذلك قوله لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ذكره الكلبي وغيره فقالوا هذا غير صحيح لان
اكثر اهل مكة امنوا يوم فتح مكة فنفعهم ايمانهم وذكر هذه الحادثة من وجه اخر فقال
الحسن لما دخل رسول الله عليه السلام لما فتح مكة لجات بنو جذيمة الى اعلى جبل
فارسل اليهم خالد بن الوليد يستنزلهم فقالوا انا اسلمنا قال فانزلوا ان اسلمتم
فنزلوا فوضع فيهم السيف فقتلهم فاخبر النبي عليه السلام بذلك فقال اللهم اني
ابرا اليك مما صنع خالد ووداهم من مغانم حنين وقال محمد بن اسحاق كان بين خالد
وبين جذيمة احنة في الجاهلية وذلك ان بني جذيمة قتلوا عوفا ابا عبد الرحمن
بن عوف وقتلوا الفاكه عم خالد بن الوليد وقال السدي يعني يوم بدر لان اصحاب
النبي عليه السلام كانوا يوعدونهم قال ابن عباس كان اصحاب رسول الله عليه السلام
يقولون يكون لنا يوم ننتقم فيه ونستريح فرد عليهم المشركون فقالوا متى هذا الفتح
يعني اليوم الذي تقولون قوله تعالى فاعرض عنهم قيل اي عن قتالهم وكان هذا قبل
فرض القتال وانتظر هذا الفتح في القيامة او يوم بدر او يوم فتح مكة فانه كاين لا
محالة انهم منتظرون اي ما كثر الحيل يكون ذلك فجعلهم منتظرين له وان لم يقصدوا
ذلك لانه كان ياتيهم لا محالة فكان كقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة وقيل انهم
منتظرون نزول الموت بهم وكانوا موقنين به وقيل كان بعضهم شاكا فيه فكانوا ينتظرونه
قال تعالى ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة وقيل معناه فاعرض
عن مكافاتهم على اذاك فانا نكافيهم على ذلك وانتظر هلاكهم انهم منتظرون هلاكك

وروى مكحول عن النبي عليه السلام انه قال من قرا الم تنزيل السجدة وتبارك الذي
بيده الملك فهما القرينتان ياتيان يوم القيامة لصاحبهما الذكر لا يدعهما كانسانين
من الناس يهديانه السبيل ويكفان عنه الوعث ويستهلان له الطريق حتى
يقف عند الله قال فيقول لهن اكرما الله من صاحبين ونعم خبرا ابدا احسنتما فيقولان
له هل تدري من نحن نحن اللتان كنت لا تدعنا في قراءتك ليلا فلا ندعك اليوم حتى
نشفع لك عند الله ٥

سورة الاحزاب ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اعد للكافرين عذابا اليما الرحمن الذي وعد المؤمنين اجرا كريما الرحيم
الذي قال ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ه وروى ابي عن النبي عليه السلام انه
قال من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر
وسورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون اية والف ومائتان وثمانون كلمة
وخمسة الاف وستمائة وسبعة واربعون حرفا واتصال اول هذه السورة باخر
سورة السجدة انه امر رسوله ثمة بالاعراض عن الكافرين ونهاه هاهنا عن طاعة
الكافرين والمنافقين واتصال السورتين ان تلك السورة في محاجة المشركين والصبر
على اذى المؤذين حتى قال فاصبروا وقال فاعرض عنهم وهذه السورة في تعداد ضروب
اذى نالته من الكفار والمنافقين وبعض المؤمنين من طعنهم عليه في زينب وتزوجه امراته والاستكثار
من النساء والتوسع في المناكح واعتراض نسائه عليه في طلب الزينة ودخول بعض المؤمنين

ودخول بعض المؤمنين بيوته واستبطائهم طعامه وتعرض بعض المنافقين بعض
النساء وايذائهم المؤمنين وختم بلا تكونوا كالذين اذوا موسى وكرر في السورة تؤذوا
رسول الله ان الذين يؤذون الله ورسوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ان يعرفن
فلا يؤذين لا تكونوا كالذين اذوا موسى قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين ان الله كان عليما حكيما روي في نزول هذا ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن
ابي جهل وابا الاعور السلمي واسمه عمرو بن سفيان قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله
بن ابي راس المنافقين وجد بن قيس وكان رسول الله عليه السلام اعطاهم الامان على ان
لا يكلموه ومعهم طعمة بن ابيرق وعبد الله سعد بن ابي سرح فاتوا النبي عليه السلام
وقالوا له ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة ومنفعة
لمن عبدها وندعك والهك فشق ذلك على رسول الله عليه السلام فقال عمر رضي الله عنه
ايذن لي يا رسول الله في قتلهم فقال قد اعطيتهم الامان فاخرجهم من المدينة فقال لهم
عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه وانزل الله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين و
المنافقين وقال ابن عباس يعني ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة يعني
هؤلاء الستة النفر المسمين وقال الضحاك انهم حملوا النبي عليه السلام على ان ينقض
عهدا كان بينه وبين قوم من العرب فنهاه الله عن ذلك وقوله تعالى اتق الله اي دم
على تقواك ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعونك اليه وقال ابن عطا اتق الله عن
الالتفات الى ما سواه وقال ابن كيسان الخطاب له والمراد به جميع المؤمنين فانه ختم الاية

بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا على الجمع وقوله ان الله كان عليما اي بما يؤذيك منهم
حكيما في ان لا يعاجلهم بالعقوبة على فعلهم وقال القشيري يا ايها النبي اتق الله اي
يا ايها المرتقي الى اعلى الرتب الملقى بأسنى القرب يا ايها المخبر عنا المأمون على اسرارنا
المبلغ خطابنا الى احبابنا اتق الله ان تلاحظ غيرنا معنا او تساكن شيئا من دوننا
والتقوى رقيب على قلوب اوليائه تمنعهم في انفاسهم وسكناتهم وحركاتهم ان ينظروا
الى غيره التقوى لجام يكبحك عما لا يجوز وزمام يقودك الى ما يجب وسوط يسوقك
الى ما امرت به ومشخص من الله يحملك على القيام بحقه وحرز يعصمك من وصول العذاب
اليك وعوذة تشفيك من داء الخطأ وقوله تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك من اوامره
ونواهيه وقيل واتبع احكام الله التي توحيها اليك دون احكام الجاهلية في الظهار
والتبني والخالف ذلك ان الله كان بما تعملون خبيرا اي علمه احاط به ولانه وتوكل
على الله اي اعتمد عليه وفوض امورك اليه فيما تخافه من ضرر اذى الكفار وكفى بالله
وكيلا اي حسبك الله قائما بامورك وقال القشيري واتبع ما يوحى اليك من ربك نزلنا
لا اليك وقمنا لك لا بك وقال السري التوكل ترك مدبر النفس وتوكل على الله وكفى بالله
وكيلا التوكل تحقق ثم تخلق ثم توثق ثم تملق تحقق في العقيدة وتخلق باقامة
الشريعة وتوثق بالمقسوم من القضية وتملق بين يديه بحسن العبودية وقوله
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يذكر ما كان المنافقون يقولونه بقولهم لم يجعل الله لرجل
في جوفه اي في بطنه قلبين اي ما جعل له قلبا واحدا وقوله من قلبين كلمة من زيدت للتأكيد

كما في قوله فما منكم من احد عنه حاجزين وقيل هو في ابي معمر جميل بن معمر بن اسيد الفهري
وكان حافظا لما يسمع واهدى الناس للطريق وسمته العرب ذا قلبين وكان هو يقول
ان لي قلبين احدهما اعقل من الاخر وكان يوم بدر لما انهزم واحدى نعليه في رجله والاخرى
في يده وكان يعدو في الرمضاء ويحترق رجله ويقول ان نعلي في رجلي ولا يعقل ان كانت
انها في يده فانزل الله تعالى هذه الاية في شانه تكذيبا لهم في تسميته بذلك وروي انه تلقاه
ابو سفيان بن حرب فقال ما فعل الناس فقال انهزموا فقال ما بال نعلك في يدك فقال
ما شعرت الا انهما جميعا في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده
وقيل كان بعض المنافقين يزعم ان النبي عليه السلام له قلبان وهذا عن ابن عباس رضي في رواية انه
قال كان رجل من قريش يسمى ذا قلبين لدهائه فنهاهم الله عن هذه التسمية كما نهاهم
ان يسموا الزوجة اما في الظهار وان يسموا الدعي ابنا فانتظمت الاية هذه الثلث
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم
وما جعل ادعياءكم ابناءكم وهو قول مجاهد وقتادة وقال الحسن هذا في رجل كان
يقول ان لي قلبين قلب يأمرني بكذا وقلب ينهاني عنه وقيل كان المنافقون مذبذبين اذا لقوا
المؤمنين قالوا انا معكم واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فعوتب واحد منهم على
ذلك فقال ان لي قلبين قلب مع هؤلاء وقلب مع هؤلاء فرد الله ذلك وقيل وهو الاوجه
والاوفق للنظم ويتصل بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان معناه ان طاعة الكافرين
والمنافقين لا تجامع الايمان بالله في قلب كما تقول العرب لا يجتمع سيفان في غمد ومجازه
ان الاعتقاد من اعمال القلب

فاذا كان فلسان الجمعان حروف وكذا الاعتقادان متنافيان الجمعان وقد قال
الامام ابو منصور رحمه الله والحكمة فيما لم يجعل لواحد قلبين وجعل له سمعين وبصرين
لان ادراك السمع والبصر يكون بالمشاهدة فيخرج ذلك مخرج المعاونة وما يدرك
بالقلب يدرك بالاجتهاد وقد يختلف القلبان فيما اعتقدا ان شيء فيناقض احدهما
صاحبه او يجوز ان يكون لاحدهما خلاف ما يراه الاخر ولا كذلك السمعان والبصران و
قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي قرا ابو عمرو وورش من طريق البخاري وابن كثير في
رواية ابن مجاهد وابي عون عن قنبل اللاى بهمز ليس بعدها يا وقرا ابو عمرو وورش من طريق
البخاري وابو جعفر وسائر الروايات عن ابن كثير كذلك الا انهم لينوا الهمزة وقرا ابن
عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف اللائي بهمزة بعدها يا وهن لغات وهي جمع التي
وكذلك في المجادلة والطلاق تظاهرون منهن امهاتكم قرا عاصم تظاهرون بضم التا
من المظاهرة وقرا حمزة والكسائي وخلف تظاهرون بالالف وفتح وتخفيف الظا وقرا
التاء وهم
ابن عامر بتشديد الظاء مع الالف واصله تتظاهرون فادغمت التاء في الظاء ومن خفف
حذف احدى التائين وقرا الباقون تظهرون بفتح اليا وتشديد الظا بغير الف
وهذه الكلمة توجيهها اسم لقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وكان ذلك طلاقا في
الجاهلية فابطل الشرع هذا الحكم وجعله سببا لحرمة موقتة بالكفارة وهي حرمة
الفعل تعالى وما جعل الله نساكم بهذا الكلام من حكم امهاتكم وقوله تعالى وما جعل
ادعياكم ابناكم اي ولم يجعل الله من تدعونه بنوته فتسمونه ابنا لكم

ذلكم قولكم بافواهكم اي ان قولكم للمزوجة هي ام وللدعي هو ابن وهو قول تقولونه ما بالسنتكم
الذي في افواهكم لا حقيقة له في اعتقاد القلوب عند الله ولا يجتمع مع صاحبه انما
هو كقول النائم الهاذي يوجد بالفم ولا حقيقة له ولا تصير المراة بذلك اما ولا
الدعي ابنا نزلت في شان زيد بن حارثة كانوا يسمونه زيد بن محمد لان النبي عليه السلام
كان تبناه والله يقول الحق من الجد بقال وماله حقيقة وهو يهدي السبيل
اي يرشد الطريق الحق في هذا وفي كل الاحكام فاتبعوا ما شرعه في الاسلام
وكان في الجاهلية اذا اعجب احدهم جلده وظرفه ضمه الى نفسه وتبناه وجعل
له مثل نصيب الذكر من اولاده فبين الله الحق فيه وهدى السبيل ولما نزلت هذه
الاية قال زيد انا زيد بن حارثة بن قزوة بن شراحيل من بني عبد ود فكان بعد ذلك
ينتسب الى ابيه وقوله تعالى ادعوهم لابائهم الذين ولدوهم يا فلان بن فلان هو
اقسط عند الله اي اعدل واقوم فان لم تعلموا اباءهم لم تعرفوا انسابهم فاخوانكم في
الدين اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم اي اولياؤكم في الاسلام كما قال بعضهم اولياء
بعض وقيل هم من ولاء العتاقة اي اذا لم يمكنكم النسبة الى الاباء لعدم معرفة
الاب فقولوا يا اخي ويا مولاي في ولاء العتاقة يا مولى فلان او تسمونه باسامي
المسلمين يا عبد الله يا عبيد الله يا عبد الرحمن ونحوه من اسماء اهل الاسلام
واسماء الموالي او تعرفونه بما يعرف به من عبودية لله او الاسلام او الصناعة
وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به فنسبتموه خطا الى رجل وعندكم انه ابوه

وكان ذلك خطأ ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن فيما تعمدتم ذلك من النسبة الى
غير الاب مع العلم بذلك وقيل الخطا به قبل بلوغ النهي فنسبتم انسانا الى
من تبناه ولكن ما تعمدت قلوبكم فعلتم ذلك بعد سماع النهي وكان الله غفورا رحيما
لا يؤاخذ بالخطا ويقبل التوبة من المتعمد وعن عايشة قالت ان ابا حذيفة بن عتبة
بن ربيعة بن عبد شمس وكان ممن شهد بدرا تبنى سالما وانكحه ابنة اخيه هند
الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى امراة من الانصار كما تبنى رسول الله زيدا وكان
من تبنى رجلا في الجاهلية دعاه الناس اليه وورث من ميراثه حتى انزل الله ادعوهم
لابائهم الاية فردوا الى ابائهم فمن لم يعلم له اب كان اخا في الدين وقوله تعالى النبي
اولى بالمومنين من انفسهم اي احق بالمومنين بان يحكم عليهم من انفسهم فيما يحكمون به لان انفسهم
مما خالف الحكمة ودعاهم الى انفسهم اي بعضهم بعضا كما قال فسلموا على انفسكم ولا تلمزوا
انفسكم اي بعضكم وهذه رتبة النبي عليه السلام ومع هذا لا يورث احدا من امته
بقرابة فكذا لكنه دعياكم لا يرثونكم لانه لا قرابة بينكم وفي مصحف ابي النبي اولى بالمومنين
من انفسهم وهو اب لهم وازواجه امهاتهم اي ان نساء النبي عليه السلام كامهات
المومنين في وجوب تعظيمهن وبرهن وفي ان الله حرمهن عليهم كما حرم
عليهم امهاتهم وفي انهن مستحقات عليهم من بركات المخبر لهم كالامهات ثم
هذه الامومة لا توجب ميراثا فامومة النبي من جهة الخاف ذلك ابعد واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض اي والابوة لا يمرات تبعه بالارحام لا بالتبني وقال ال

[illegible]

وقال الفرا كان المسلمون متواخين وكان الرجل اذا مات عن اخيه الذي اخاه ورثه
دون عصبته وقرابته فانزل الله النبي اولى بالمومنين من انفسهم وليس بينهم فكيف يرث
المولى اخاه وانزل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ووجه اخر قال الحسن لما نزلت
هذه الاية قال النبي عليه السلام انا اولى بكل مومن من نفسه فايما مومن مات وترك
عليه دين بحق او ضيعة فالي وان ترك مالا فلورثته ووجه اخر ان الله تعالى عاب
عليهم التسمية بالابوة بالتبني والتسمية بالامومة في الظهار ولم يكن هاتان التسميتان
صالحتين للنبي عليه السلام وازواجه فقال للنبي عليه السلام ابو المومنين ولازواجه
امهات المومنين بعد ما عاب الله بذلك خروج هذا من جملة ما عابه فقال النبي اولى بالمومنين
من انفسهم وهو اب لهم وازواجه امهاتهم فلا باس عليكم بهذه التسمية في هذا الموضع واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض يعني لكن المواريث فيما انزلت في كتاب الله انما بالرحم والقرابة
وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله اي في حكم القران وقيل اي في حكم
الله الذي كتبه لهم من المومنين والمهاجرين اي بعضهم احق بميراث بعض من الذين تواخوا على
الايمان والهجرة وكانوا يتوارثون بهذه المواخاة وقد كانت المواخاة بين الانصار والمهاجرين
والمومنون هم الانصار والمهاجرون الذين هاجروا اليهم وقد كانت مواخاتان احداهما بين
المهاجرين اخى فيها النبي عليه السلام بين حمزة وزيد وبين ابي بكر وعمر وبين نفسه وعلي
والاخرى بين المهاجرين والانصار بين ابي بكر وخارجة وبين عمر وعاصم وبين عثمان وعلي
وبين سهل بن حنيف وعبد الرحمن وبين سعد بن الربيع وعثمان وبين اوس بن ثابت وبين الزبير

الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا اى الا ان توصوا لمن احببتم من هولاء بشى فيكون له ذلك
بالوصيه لا بالميراث وقيل معروفا بالصله لهم والمعونه بالبر والعقل عنهم ونحوها
هذا وجه ووجه اخر قاله مجاهد فى هذه الايه وهو تقديم وتاخير اى واولوا الارحام
من المومنين والمهاجرين بعضهم اولى ببعض بالميراث دون الكفار منهم الا ان تفعلوا الى
اوليائكم اى قراباتكم من غير المومنين معروفا بالوصيه فى الموت او بالصله فى الحيوة كان
ذلك فى الكتاب مسطورا اى المواريث بالارحام فى اللوح المحفوظ كان مسطورا
وقيل اى فى القران وهو ايه المواريث وقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
تعنى كان ذلك فى الكتاب مسطورا حين كتب الله ما هو كاين وحين اخذ من النبيين
وهو تعظيم للامر فيه وتاكيد قطع الولايه بين المسلمين والكفار وتعريف لمن
ان ذلك مما لم تختلف فيه شرايع الانبيا فى الجمله وان كان فى تفصيله اختلاف وذلك ان
الناس فى اول الاسلام كانوا يتوارثون بالهجرة اذ هى من اكبر اسباب الديانة وما
اذ هى احتماع على نصرة دين الله ثم فى الاخر توارثوا بالايمان مع القرابه وذلك احتماع
فى الدين بجمع الله فلم تخل هذه الشرايع كلها من تعليق التوارث بسبب ولايه الدين
وقيل فى نظمه وجه اخر النبى اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم كان ذلك
فى الكتاب مسطورا ومأخوذا به المواثيق من الانبيا وقوله تعالى ومنك ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا قال سعيد بن جبير عهدا
باخذ الميثاق على الدين والشهاده وخص الخمسه المذكورين فى الاية بتبليغ الرسالة

والقيام بالحجه لان لهم الكتب والامم وهم اولوا العزم وبدا بذكر النبى عليه السلام لانه كان
هو الاول فى خطاب العهد ولذلك قال النبى عليه السلام انا اول الانبيا خلقا واخرهم بعثا
الى الخلق وعن ابن عباس قال اخذ ميثاق نوح على ان يبشر بابراهيم واخذ ميثاق ابراهيم
على ان يبشر بموسى واخذ ميثاق موسى على ان يبشر بعيسى واخذ ميثاق عيسى على ان يبشر
بمحمد صلى الله عليه ثم قوله ومنك ومن نوح الى اخره دليل على ان الواو للجمع المطلق لا للترتيب
ثم هذا التفصيل لاشيا هولا بعد الاجمال لما مر انهم اصحاب كتب وشرايع وهم المذكورون
فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الايه ثم قوله واخذنا منهم ميثاقا غليظا
يحتمل ان يكون هو الميثاق المذكور فى اول الايه وانما اعيد لما اريد من تعريف تغليظه اى
توثيقه وتاكيده ويحتمل ان يكون الاول ميثاق الاقرار والشهاده والثانى ميثاق التبليغ
والاستبشار وقوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم اى الانبيا وهم الصادقون
عن صدقهم عن دعايهم لاممهم ماذا اجيبوا فيه وهل اطيعوا وانزلوا منزله الابا من
امهم حتى كان الانبيا احب اليهم من انفسهم واهاليهم واولادهم وقد روى ان كل نبى ابو امته
وفى قصه لوط هولا بناتى هن اطهر لكم انه اراد به بنات امته فكان كالاب لهم وقيل معناه
ليسالهم هل بلغوا اهل اقاموا ما امروا به فيحاسبون على ذلك ويثابون على تبليغهم واذا
كان الانبيا يحاسبون ويسالون فكيف من سواهم وقيل اذا كان الصادق يسال عن صدقه
فكيف الكاذب واعد للكافرين عذابا اليما اى للكافرين من اممهم هولا اى من يشهد عليهم
الانبيا بالكفر وقال القشيرى سوال الصادقين سوال تشريف لا سوال تعنيف

والصدق لمن لا يكون في احواله شوب ولا في اعتقاده ريب ولا في اعماله عيب
وقوله تعالى ه يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود وهي قصة
تشتمل على ذكر الكافرين والمنافقين الذين ذكرهم في اول هذه السورة يقول
اذكروا ايها المؤمنون منة الله عليكم اذ جاءتكم جنود اي حين جاءتكم جنود من المشركين
اهل مكة وفزارة وغطفان وبني الاحابيش وظاهرهم اهل الكتاب على ذلك من
بني قريظة وذلك ان ابا سفيان بن حرب وعيينة بن حصن ظاهرا يهود قريظة
على النبي عليه السلام وسمع به رسول الله عليه السلام فحفر الخندق باشارة
سلمان فارسلنا عليهم اي على هذه الجنود ريحا قطعت خيامهم واكفات
قدورهم فلم يمكنهم القرار في مواضعهم وجنودا اي من الملائكة لم تروها قرا
ابو عمرو في رواية بالمغايبة اي لم يرها المشركون وقرا الباقون بالمخاطبة
للمؤمنين وكان الله بما تعملون بصيرا قرا ابو عمرو بالمغايبة عباس عنه مخبر
اي بما يعمله جنود المشركين من البغي والسعي في اطفاء نور الله وهو وعيد لهم وقيل
اي بما يعمله جنود الله اي بعلمه فعلوا ما فعلوا وكان ارسلهم لذلك وقرا الباقون
بالمخاطبة اي لم يخف عليه ايها المؤمنون ما عملتم من التحصن والثبات على معاونة
النبي عليه السلام وهو وعد لهم وقال ابن عباس لما كان يوم الاحزاب انطلقت الجنود الى
الشمال فقالت انطلقي بنا ننصر الله ورسوله فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى
بالليل فارسل الله عليهم الصبا فذلك قوله فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها

وهم الف من الملائكة كانوا يكبرون من ناحية العسكر وكانت هذه الريح من كبار المعجزات
لانه لم يكن بين العسكرين الا مقدار شبر يرى بعضهم بعضا فارسل الله الريح على المشركين
وهي باردة شغلتهم بانفسهم وقلعت اخبيتهم ونالهم بسببها ما لم يتهيا لهم القرار
وكان النبي عليه السلام والمسلمون في عافية من ذلك وقوله تعالى ه اذ جاءوكم من فوقكم
ومن اسفل منكم قيل هو وصف لهم بالكثرة والتوجه اليهم من كل جهة وذلك اهول ما
يكون وقيل من فوقكم ما يلي مكة ومن اسفل منكم ما يلي المدينة وقيل من فوقكم من فوق الوادي
من قبل المشرق وكان عليهم امرا مالك النضري ومن اسفل منكم يعني ابا سفيان بن حرب
وعيينة بن حصن على اهل مكة ويزيد بن جحش على قريش ومن قبل الخندق وطليحة ابن
خويلد الاسدي ثم الفقعسي ومعه يهود بني قريظة واذ زاغت الابصار اي مالت
عيونكم عن كل شيء فلم تلتفت الا الى العدو متحيرة قاله الفراء وقيل عدلت عن مقرها
وشخصت طامحة من شدة الفزع وبلغت القلوب الحناجر قيل اي كادت قلوبهم
تبلغ الحلاقيم قال ابن قتيبة تنتفخ عند الخوف فتلتصق القلوب حتى تكاد تبلغ الحنجرة
وقيل اي صار بعضهم من الرعب اضطرب فؤاده فلم يستقر مكانه بل بلغ حنجرته
واضطرابه الى الحلق وتظنون بالله الظنونا قرا نافع وابو جعفر وابن عامر وعباس
عن ابي عمرو والخزاز وقتيبة عن الكسائي وعاصم في رواية ابي بكر وحماد والمفضل
بالالف في الوصل والوقف وقرا ابو عمرو غير عباس وحمزة ويعقوب بغير الف في
الحالين وقرا الباقون بالالف في الوقف دون الوصل وفي المصحف بالالف هذه الثلاث

الظنونا والرسولا والسبيلا وهو الاولى لموافقة المكتوب ولمطابقة رؤس
الاي وهو صحيح في اللغة مستعمل في الكلام وزيادة الالف لاشباع الفتحة ومعنى
هذا الكلام وتظنون بالله الظنونا مختلفة نظن المخلص ان الله منجز نبيه عليه
السلام وعده في اعلائه وقهر اعدائه وظن المرتاب ادعى ما فقد البصيرة
عن ذلك لما يرى من كثرة العدو وضيق الامر بالمسلمين يقول لو كان الله يريد
ان ينصرهم لما بلغ الامر هذا المبلغ وهو قوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله تعالى ولما راى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وفي هذا خطاب للمؤمنين اي يظنون
مرة ان الله سيكفيكم ويقويكم ويحميكم وتظنون مرة انه يبتليكم ويخليكم و
خطرات الشيطان في ذلك قلوبكم الخواطر هنالك ابتلي المؤمنون اي امتحن المؤمنون
فبان صبرهم وثباتهم وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا تحريكا شديدا بليغا
بالفتنة والتمحيص قال محمد بن اسحاق ان الحال لما اشتدت وكانت قريش
مع قادتها حتى نزلت برومة وغطفان على قادتها ونزلت الى جانب احد
وكانوا عشرة الاف والمسلمون ثلاثة الاف وبلغ رسول الله عليه السلام
ان حيي بن اخطب لم يزل يفتل من كعب بن الاشرف في الذروة والغارب
حتى نقض العهد وعظم بذلك البلاء واشتد الخوف وظن المؤمنون الظنون
ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير كان محمد يرى ان ناكل من كنوز كسرى

وقيصر واحدنا لا يامن ان يذهب الى الغائط واقام النبي عليه السلام بضعا وعشرين
ليلة فبقي الناس على ذلك من الخوف والبلاء ولم يكن بين الناس قتال الا الحصار والرمي بالنبال
بعث رسول الله عليه السلام الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان
فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا ومن معهما عن رسول الله واصحابه وكتبوا الكتاب
ولم تقع الشهادة فلما اراد رسول الله ان يفعل بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة
وذكر لهما ذلك واستشارهما فقالا يا رسول الله امر تحبه فنصنعه ام شيء امرك الله به
لا بد لنا من ان نعمل به ام شيء تصنعه لنا فقال لا بل لكم والله ما اصنع ذلك الا لاني رايت
العرب قد كالبتكم من كل جانب ورمتكم عن قوس واحدة فاردت ان اكسر عنهم شوكتهم
فقال سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الاوثان
لا نعرف الله ولا نعبده وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها ثمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا
الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم
الا السيف حتى يحكم الله بيننا فقال رسول الله عليه السلام فانت وذاك وتناول
صحيفة العهد ومحاها وقوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
قيل ان المنافقين معروفون وهم كفار عند من والذين في قلوبهم مرض هم قوم لا بصيرة
لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بادخال الشبه عليهم ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا اي ان رسول الله عليه السلام وعدنا النصرة ولم تظهر امارة ذلك بل
نظهر عن ذلك فليس ما وعدنا الا غرورا اي الا شيئا خدعنا به لنتبعه من غير ان

يكون له حقيقة وانهم يذكرون الله كان رسول الله عليه السلام كان بعد ذلك عن الله
فكان وعده وعد الله وروي ان النبي عليه السلام ضرب بالمعول في الخندق ضربات
اضاءت له منها قصور الشام واليمن والعراق فبشرهم بانها ستفتح عليهم وهم
حينئذ في جهد شديد وخوف عظيم فقال معتب بن قشير وقيل اوس بن قيظي
يعدنا محمد بهذا ونحن لا نستطيع ان نبرز للخلاء من رعب هذه الاية وقيل ما كان قولهم
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا لان من امن بالله والرسول لا يتكلم بهذا الكلام فانهم
محمد بذلك فقالوا هذا غرور فاخبر الله انه انما وصفوا بالغرور ما هو وعد
الرسول ووعده من عند الله وقوله تعالى واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب
لا مقام لكم فارجعوا اي يا اهل المدينة ليس لكم موضع قيام وقرا عاصم في رواية حفص
لا مُقام بالضم اي موضع اقامة اي ضيق عليكم الاحزاب الموضع فارجعوا من
المعسكر الى المدينة ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة اي منكشفة ل
الظهور وقيل اي خالية وقيل اي ضائعة وقيل اي ممكنة للعدو ونحتاج ان نرجع
اليها فنحفظها لقرب العدو منها وقيل خارجة من عمران المدينة فبعث رسول الله
اليها فلم يكن كذلك وذلك قوله وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون الا هربا
من المعسكر حذرا من الحرب وارادة لكسب قلوب عدوهم ولو دخلت عليهم اي
المدينة من اقطارها اي من نواحيها ثم سئلوا الفتنة اي الكفر والقتال حتى لا يكون
فيه لآتوها اي لاعطوها من عند انفسهم وكفروا وهذا على قراءة المد وقرا ابن كثير

عن الخزاعي عن ابن فليح ونافع وابو جعفر وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان
لأتوها بالقصر اي لجاؤها وفعلوها من قولك اتيت الامر كذا والباقون بالمد من
الايتاء وهو الاعطاء وما تلبثوا بها الا يسيرا اي ما تثاقلوا عن الاجابة الا وقتا
قليلا وهذا وصف لهم بضعف النية فيما يظهرونه من الاسلام واخلال عقائدهم
في الايمان يقول لو دخل الاحزاب الابواب قبل ان يصلوا الى السوق ساعدوهم
على اظهار الكفر وقيل لو سئلوا اثارة الفتنة على المخلصين لفعلوا وعاونوا
عليها الكفار وقال الحسن وما تلبثوا بها الا يسيرا اي لو عادوا الى الكفر لم يلبثوا
بالمدينة الا قليلا حتى يعاجلهم الله بعذابه فيهلكوا وقال ابن عباس واذ قالت
طائفة منهم هم بنو حارثة وقال مقاتل هم بنو سالم وقال ابن عباس قالت اليهود
لعبد الله بن ابي واصحابه ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان واصحابه
فارجعوا الى المدينة ويستاذن فريق منهم النبي اي في الرجوع الى المدينة وهم
بنو حارثة ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤولا
يعني مسؤولا عنه اي نقضوا عهدهم والله يسالهم عن ذلك وكان بنو حارثة عاهدوا
الله باحد ان لا يولوا وقال ابن عباس هم قوم من اهل مكة هم السبعون الذين عاهدوا
رسول الله ليلة العقبة وقالوا له اشترط لربك ولنفسك قال اشترطت
لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترطت لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه
انفسكم واموالكم واولادكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة

هدوا
وقال مقاتل

قال

قالوا قتلنا وقال محمد بن اسحاق عاهدوا رسول الله يوم احد على ان لا يفروا
بعد ما نزل في الفارين قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا
لا تمتعون الا قليلا اى ان كان حضر اجالكم لم ينفعكم الفرار وان كان لم يحضر ففررتم
لم تمتعوا في الدنيا الا قليلا وهو مدة اعماركم وذلك قليل لانه ينقضي عن قريب
اى بقاؤكم مع رسول الله عليه السلام في مجاهدة الكفار خير لكم من الفرار
على كل حال قل من ذا الذي يعصمكم من الله اى يمنعكم مما يريد الله انزاله بكم ان اراد
بكم سوا اى انفسكم من قتل وغيره من مكروه او اراد بكم رحمة او اطالة عمر وعافية
وسلامة اى هل هذا كله الا من الله ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
اى ولا ينال هولاء القوم غير الله من يتولى حفظهم ولا من ينصرهم على من يريد ايقاع
مكروه بهم وقيل ان اراد بكم سوا اى هزيمة او اراد بكم رحمة اى ظهورا على الاعدا
لم الجمع بين الامرين واحدهما مكروه والاخر محبوب والمذكور في صدور الكلام
هو العصمة يشكل ظاهره الا ان تقديره في الثاني ومن يمنعه الله من ان يرحمكم ان
اراد بكم رحمة وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم اى المثبطين المثقلين
الناس عن شهود الحرب واصل التعويق المنع وقد عاقه يعوقه اى منعه و
التفعيل للتكثير والتكثير وهم طايفة من المنافقين والقايلين لاخوانهم طايفة
اخرى منهم وقيل هولاء اليهود يقولون لاخوانهم اى للذين يواخونهم على الكفر هلم
الينا اى اقبلوا الينا واصبروا في جلتنا ودعوا عسكر محمد ولا تشهدوا معه القتال

ولا يأتون الناس اى الحرب الا قليلا اى يقولون لاخوانهم ان اصحاب محمد لا يحضرون
الحرب الا طائفة قليلة منهم لا يقاومون الاحزاب فهم مغلوبون فلا تكونوا
معهم وهذا اول مادة وقيل اى ولا يأتي هولاء القايلون لاخوانهم هلم الحرب الا
قليلا اى لهم الوصفان جميعا هم يثبطون لغيرهم ويتخلفون في اكثر الاحوال
بانفسهم وقليلا ما يحضرون ساعة ريا وسمعة يقفون قليلا مقدار ما يرى
شهودهم ثم ينصرفون كالذين لا يأتون الصلوة الا كسالى يراؤن الناس اشحة
عليكم جمع شحيح وهو البخيل ونصبه على الحال ويتصل بقوله ولا يأتون
الناس الا قليلا اشحة عليكم اى بخلا عليكم بالظفر والغنيمة والخير
ومعونة الضعفا فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي
يغشى عليه اى كدوران عين الذي يزول عقله عند ظهور سكرات الموت
يقول اذا كانت الغنيمة فهم اشح الناس واذا جا خوف القتل فهم اجبن
الناس يذهشون من الفزع ويقلبون اعينهم يمينا وشمالا وينظرون اليك
يلوذون بك واحداقهم تضطرب في رؤسهم كما يكون ممن حضره الموت فاذا
ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد قال الفرا اى عضوكم واذوكم بالكلام
وقال قطرب سلقت المراة وصلقت اى صخبت واصله رفع الصوت
قال عليه السلام ليس منا من حلق او سلق اى حلق شعره عند المصيبة
او رفع صوته بالنياحة بالسنة حداد اى ذربة بالقول بعد ما كانت خبيرة

ودركرفة

تعز كفار

بالحرف وقيل اي يطعنون فيكم ويغمزونكم بالمعايب كذبا وزورا وقيل اي يكثرون
القول عليكم في الغنيمة اعطونا اعطونا الحاحا منهم وتوقحا انكم تستاثرون به
وقيل اي اشتدوا عليكم نفاقا برفع الصوت بعدما كانوا اشتطوا بهم في حالة الحرب
وقوله اشحة على الخير قيل اي بخلا عليكم بالغنيمة والاول بالمعونة لان الاستكثار
وقيل اشحة بكلام الخير اي يبخلون بالقول فيكم ولا يحسنون وقيل الاول على
الخصوص فانه قال اشحة عليكم وهذا على العموم اي في كل الناس لشرهم
وسوء طباعهم وخبث اعتقادهم وقيل اشحة على الخير اي بالطاعات والخيرات
وقيل الخير المال اي اشحة باموالهم ولا ينفقون في سبيل الله ولا يوثرون ولا يواسون
اولئك لم يومنوا اي في الحقيقة بل بالالسنة فاحبط الله اعمالهم اي ابطل باضمارهم
الكفر ما اظهروه من الاعمال وكان ذلك على الله يسيرا اي احباط اعمالهم يحسبون
الاحزاب اي يظنون ان الاحزاب وهم قريش وغطفان ومن معهم لم يذهبوا اي لم
ينصرفوا مع انهم انصرفوا وهو بيان جبن هولاء المنافقين وان يات الاحزاب
يودوا لو انهم بادون في الاعراب اي ولو رجع الاحزاب الى المدينة بعدما انصرفوا
الى مواضعهم تمنى هولاء المنافقون لجبنهم لو كانوا في البوادي مع الاعراب وهم
سكان البدو لئلا يمنوا على انفسهم يسالون عن انبائكم اي يودون لو انهم في البدو
يسالون هناك عن اخباركم من اتاهم من المدينة اي ليتوا ان لا يكونوا شغلا منكم لا
يعلمون بحالكم الا بالسوال عنها من القادمين من جهتكم جبنا منهم وقيل يسالون

عن انبائكم ليس يبنى على الاول ومعناه ان من كان منهم في اطراف المدينة لم يحضروا
الخندق يسالون الناس عن انبائكم متوقعين خبر غلبة المشركين عليكم ولو
كانوا فيكم اي ولو كان هولاء السائلون في عسكركم ما قاتلوا الا قليلا ريا وسمعة
لا نفع لكم فيه وقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قرا
عاصم وعباس عن ابي جعفر اسوة بضم الالف والباقون بكسرها وهما لغتان
في القدوة وتذكير كان لتقدم الفعل اي لقد كان لكم قدوة برسول الله حين خرج
لحرب هولاء وبذل نفسه لنصرة دين الله مهما قاساه من البلاء من البرد والجوع
وحفر الخندق وغير ذلك فكان ينبغي لهولاء ان لا يخالفوه ولا يتخلفوا عنه
لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي يامل ثواب الله ويخاف عقاب الله و
الرجا اسم لهما وذكر الله كثيرا بالتعظيم له في كل الاحوال فهذا هو الذي يرغب
في اتباع رسول الله ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله اي اخبر الله انه يكون بلاء وشدة في ايات ام حسبتم ان تدخلوا
ولما ياتكم مثل الذين خلوا الم احسب الناس ان يتركوا الايات ما كان الله
ليذر المومنين على ما انتم عليه الاية ونحوها وصدق الله ورسوله ظهر صدق
الله ورسوله وما زادهم ما راوا الا ايمانا تصديقا وتسليما تفويضا وقالوا
ظهر صدق الله في اصابة البلاء كذلك يظهر صدق وعده في النصر والفرج
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قال ابن عباس لم جماعة من

الصحابة لما سمعوا رسول الله يصف شهداء بدر ودرجاتهم في الجنة وثوابهم عند
الله قالوا لئن لقينا الله ليوم مثل ذلك اليوم لنفعلن ولنفعلن فلما ابتلوا بيوم أحد
وصاروا فرقًا فمنهم من استشهد مثل حمزة ومصعب بن عمير وذويهما ومنهم من
جرح ومنهم من انهزم ثم وصف الله الذين ثبتوا في الحرب فقال من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه أي نذره مثل حمزة فمنهم من قضى
نحبه يعني بذل مجهوده ومنهم من ينتظر يعني الموفق والموسع قال ابن عباس ومقاتل
يعني أجله وقال الضحاك يعني الموت ومنهم من ينتظر يعني الوفاء بالعهد وما بدلوا
تبديلا وعن أنس بن مالك قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال غبت
عن أول مشهد شهده رسول الله ولئن شهدت مشهدًا مع رسول الله ليرين
الله ما أصنع وهاب أن يقول غير ذلك فلما كان يوم أحد وقتل من المسلمين
وهرب من هرب قال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المنهزمين وانغمس في
العدو وجعل يضرب بسيفه حتى قتل قال أنس فنظرنا فإذا عليه فيما أقبل من
جسده بضع وثمانون جراحة من ضرب بالسيف وطعن بالرمح ورمي بالسهم فلم
نعرفه حتى عرفته أخته ببنانه وفيه أنزل الله فمنهم من قضى نحبه يعني النضر
ومنهم من ينتظر مثل هو طلحة بن عبيد الله فإنه قد بذل نفسه وأصابته الجراح
في يده وروي عن النبي عليه السلام أنه قال طلحة ممن قضى نحبه وإنما قال ذلك لأنه كان
بذل نفسه وما بدلوا تبديلا ما نقضوا العهد ليجزي الله الصادقين الذين

صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهو متصل بما قبله قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله إنه ليمتحننا بالشدائد من الكفار ويتعبدنا بالمجاهدة ليميز بذلك
الصادق من الكاذب فيجزي الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء هم
إذا مات المنافق على نفاقه أو يتوب عليهم تعالى إن تابوا منهم وأخلص إن الله
كان غفورا رحيما لمن تاب وإليه أناب وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا
بغيظهم أي مع غيظهم لم يشفوه أي صرفهم عن المدينة وكيدهم عن النبي وأصحابه
لم ينالوا خيرًا أي ظفرًا وكفى الله المؤمنين القتال لم يحوجهم الله من ركبهم
عنهم إلى قتالهم إذ ذهب عنهم بالريح فلم يستطع أحد منهم أن يلجم دابته وجالت
خيلهم في عسكرهم وتقطعت أطنابهم فانهزموا سريعًا وكان الله قويًا
عزيزًا قادرًا منيعًا وأنزل الذين ظاهروهم أي عاونوا المشركين وهم
يهود بني قريظة من صياصيهم أي حصونهم جمع صيصية والصيصية قرن
البقرة وشوكة الديك وشوكة الحائك قال الشاعر
كوقع الصياصي في النسيج الممدد وكانوا ذمة لرسول الله عليه السلام
فنقضوا العهد فاستدعاهم أبو سفيان وجاؤوا إلى محاربة المسلمين فلما
فرغ رسول الله عليه السلام من أمر قريش ودخل الحجرة ووضع السلاح
سمع وجبة على باب الحجرة فنظر فإذا هو بجبريل على برذون أبلق وعلى
ثنايا النقع فقال يا رسول الله وضعت السلاح ونحن ما وضعنا //

اسلحتنا بعد قالت عائشة فكأني انظر الى رسول الله عليه السلام يمسح
الغبار عن وجه جبريل فقلت يا رسول الله هذا دحية الكلبي فقال هذا جبريل
فقال ان الله يأمرك ان لا تصلي العصر الا ببني قريظة فنادى رسول الله عليه السلام
بذلك في المسلمين فخرجوا اليه ولحقهم رسول الله عليه السلام وحاصرهم
احد وعشرين يوما ثم نزلوا على حكم ابن معاذ فحكم بان يقتل مقاتلتهم وتسبى
ذراريهم ونساؤهم وتغنم اموالهم وقال النبي عليه السلام لقد حكمت بحكم الله
فيهم ففعل ذلك ومن الله على المسلمين بذلك فقال وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب اى القى فيها الخوف
فريقا تقتلون وهم البالغون وتأسرون فريقا وهم الصبيان والنسوان
واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم اى جعلها لكم بعدهم وارضا لم تطئوها اى
لم تصلوا اليها بعد فالخمس قاصد بن قتال اهلها واستيلاكم اموالهم فيها
وهذا وعد لكم بان ارضا لم تصلوا اليها بعد قيل هي ارض فارس والروم
وهذا اول الجيش وقال قتادة هي مكة وقال زيد ويزيد بن رومان هي
خيبر وقيل فدك وخيبر وكان الله على كل شيء قديرا اى لم يزل الله قادرا
على استيصال الكفار وان كان لا يعاجل بالعقوبة وعلى كل شيء وكان حرب
الاحزاب يسمى حرب الخندق بعد حرب احد لسنة هذه سنة في السنة الخامسة
من الهجرة واستجاش ابو سفيان سبعة جيوش وقد كان بابه محو من فارس

ونصارى الروم وكان الاحزاب نحوا لفوا ان يستاصلوا اهل المدينة ويهدموا البنيان
حيث لا يبقى لها اثر وكان في صميم الشتاء وشدة البرد واهل المدينة في عوزة من الطعام
وقلة من اللباس وضعف من البدن وكانوا يحفرون الخندق شادين الاحجار على اوساطهم
والنبي عليه السلام شاد حجرا على بطنه وفي اليوم اليوم الاول قتل عمرو بن عبد
ود من اكابر المشركين وفي اليوم الثاني شغلوا النبي عليه السلام عن الصلوة
الوسطى وفاتته اربع صلوات وقضاها من الليل وفيه دعي رسول الله عليه
السلام الى طعام قليل وهو صاع من شعير وشاة فجمع كل اصحابه فاتاهم فكفاهم
كلهم ذلك الطعام وفضل عليهم وقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا روي ان النبي
عليه السلام قسم غنائم بني قريظة بين اصحابه وعائشة رضي الله عنها تنظر
وكان للنبي عليه السلام الخمس من كل الغنيمة فقالت عائشة في نفسها اليوم
يوم تجارى ومقنعي وصرف النبي عليه السلام الخمس ايضا الى الناس ولم يحصل
لعائشة شيء فحادثت رسول الله عليه السلام في ذلك عائشة وابو بكر الصديق
حاضر فرفع يده اليها ليلطمها فمنعه رسول الله عليه السلام وقال دعها فانها
صبية ثم وضع يده يعني رسول الله على كتفها وقال الحرج باستطاب منهما وقيل
لحرج لحديث من هذه الطاهرة فعاتب وقال والذي بعثك بالحق لقد حرج
وتركت هذه الآية في غنائمهن وفيها الخير هن وهو اسطام جيش وقيل انما

بما سألها ايه نوع اذى كان منهن في حق النبي عليه السلام ولهذا كان نوع اذى
في حقه من الكفار والمنافقين وقال عكرمة نزلت الاية في غيرة غارتها عائشة
رضي الله عنها وقيل ان بعض نسائه استزادته في النفقة وروي انه لما
اولا بعائشة وقال اني لا ادخل عليهن شهرا لما حلف شهرا فانزل الله هذه الاية
وامره بتخيير نسائه فبدأ بعائشة وقال لها اني ذاكر لك امرا فلا عليك
ان لا تعجلي حتى تستأمري ابويك قالت عائشة رضي الله عنها وكان النبي عليه
السلام يعلم ان ابوي لم يكونا يأمراني بفراقه ثم تلا عليها الاية قالت عائشة
يا رسول الله افي هذا استأمر ابوي فاني اخترت الله ورسوله و
الدار الاخرة ولكن لا تخبر بقولي ما بين نسائك فكان رسول الله عليه
السلام يدخل على نسائه ويتلو عليهن الاية والخبرهن بصنيع عائشة
فاخترن الله ورسوله والدار الاخرة وقوله تعالى وان كنتن تردن الحيوة
الدنيا وزينتها اي ان كنتن تردن نكاح من يتعلق بالدنيا وزينتها من الاموال
حتى يوسع في النفقة والكسوة وحتى تنفرد كل واحدة منكن بزوج
لا يتزوج معها غيرها فتزول الغيرة عنها فتعالين يعني اقبلن امتعكن اعطكن
المتعة بالمعروف واسرحكن سراحا جميلا واطلقكن طلاقا حسنا لا اضرار
فيه في وقت السنة وان كنتن تردن الله ورسوله يعني رضا الله ورضا رسوله
والدار الاخرة اي ثواب الاخرة دون زينة الدنيا فان الله اعد للمحسنات
منكن اجرا عظيما

اي تثبتن بالدوام على نكاحي رضا الله ورضائي وثواب الاخرة لذا احسنتن العمل
ما ثبتن على نكاحي اثبت عليه يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة اي زنا
ظاهر يضاعف لها العذاب ضعفين قرأ ابن كثير وابن عامر نضعّف بالنون و
تشديد العين العذاب بالنصب وقرأ ابو عمرو وابو جعفر ويعقوب بالياء وفتح
العين على ما لم يسم فاعله وحكى ابو عمرو رواه ابي عمرو نضاعف بالنون والالف
ضرار من الله تعالى عن نفسه خطاب الملوك والتضعيف والمضاعفة واحد
كقوله ولا تصعّر ولا تصاعر وضعفين عذابي عسده بلانه امثال لان ضعف الشي
مثله وضعفاه مثلاه فيكون مع الاصل ثلاثة وقال العتبي وابو عمرو والزجاج وجماعة
بما سلف يدل الاية فالح الثواب نؤتها اجرها مرتين وكذا لها العذاب ومعناه
يضاعف لها العذاب اي يجعل ذلك ضعفين اي مثلين كل واحد منهما ضعف
الاخر لان ضعف الشي مثله وهذا الشرفهن وقدرهن بصحبة النبي عليه
السلام فحش جناياتهن فتغلظ عقوبتهن وكذا لكل طاعتهن وثوابهن وقيل هذا
العذاب المضاعف في الاخرة كالثواب المضاعف وكان ذلك على الله يسيرا اي
وكان تضعيف العذاب لهن على الله هينا غير متعذر ومن يقنت منكن لله ورسوله
اي ومن يدم منكن على طاعة الله وطاعة رسوله والقنوت الدوام على العمل لله
تعالى وتعمل صالحا قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء كليهما ردا على من والباقون بالتاء لتأنيث
لانه فعل المرأة نؤتها اجرها مرتين قرأ حمزة والكسائي وخلف بالمغايبة //

اي يؤتها الله وافق المفضل عن عاصم في يعمل والباقون بالنون خبرا من الله
تعالى عن نفسه لخطاب الملوك جمعا واعتدنا لها رزقا كريما اي وهيأنا لها في
الجنة رزقا حسنا خطيرا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء بل لكن فضيلة
على كل النساء بانكن زوجات رسول الله في الدنيا والآخرة والمشاهدات
افعال النبي عليه السلام واقواله واحواله بالليل والنهار ان اتقيتن اي
هذه الفضيلة لكن اذا اتقيتن المعاصي ومخالفة الله ورسوله والرغبة
في الدنيا وزينتها فلا تخضعن بالقول الخ اي ولا تلن الكلام اذا كلمتن
الرجال من وراء الحجاب كما يكلم الانسان من يخضع له بالطاعة وينقاد
له فيما يريد فيطمع الذي في قلبه مرض جواب النهي بالفاء فنصب اي فيطمع
من في قلبه نفاق وميل فجور والمرض المطلق ضعف في البدن وهذا
ضعف في الاعتقاد او الديانة او الصلاح وقلن قولا معروفا يرضاه
الشرع بان يكون كلاما تعرف انه كلام العفائف الصالحات الصائبات
وقرن في بيوتكن قرا نافع وابو جعفر وعاصم عن هبيرة بفتح القاف واصله
واقررن من باب علم من القرار وهو مستعمل من باب ضرب وعلم جميعا
قاله الزجاج حذف احدى الرائين ونقلت فتحتها الى القاف فتحركت
فسقطت الالف المجتلبة لزوال الضرورة والحاجة اليها وهذا
الحذف كالحذف في قوله فظلتم وقرا الباقون وقرن بكسر القاف من الوقار

وهو السكون والطمانينة اي الزمن بيوتكن وذلك اشعر لكن واحرى لان يراكن
اجنبي يكلمكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال قتادة هو التبختر اذا خرجت
من بيتها وقال مجاهد هو التبختر في مشيها لمن دخله من الرجال فامرن بالتستر و
التعفف في الحالين وقيل هو التزين والتكشف واصل الكلمة السعة والظهور
ومنه البرج وهو القصر والبرج في العين وهو السعة في الحدقة والجاهلية
الاولى المتقدمة على الاسلام وقيل لان الله تعالى كان اعلم نبيه انفتاح بلدان
الامم على امته واتساع اصحابه في المال فنهى نساءه اذا ادركن ذلك ان يتبرجن
فيكون ذلك منهن جاهلية وهي حالة فسق كالجاهلية قبل الاسلام وهي حالة كفر
وقيل الجاهلية الاولى زمان ابراهيم كانت المراة تلبس من الدروع درع اللؤلؤ غير
مخيط الجانبين وتلبس الثياب الرقاق لا تواري بدنها واقمن الصلوة فانها
تنهى عن الفحشاء والمنكر وآتين الزكوة فانها مواساة اهل الخلة واطعن الله ورسوله
في كل امر ونهي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اي انما
يريد الله بتنبيهكم يا اهل بيت محمد على ما رشدكم وبهذه الاوامر ان يذهب عنكم نجاسة
الآثام ويطهركم عنها مطهرو ابها وقيل اهل البيت الحسن والحسين وعلي وفاطمة
قال انس كان النبي عليه السلام يمر ببيت فاطمة وقت الفجر ويقول الصلوة انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وعن ام سلمة ان هذه
الآية نزلت على النبي عليه السلام وهو في بيتها فدعا الحسن والحسين وفاطمة

الابرج [illegible]

وعليا فجللهم بالكساء ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا وقال ابن عباس وعكرمة هم ازواج النبي عليه السلام على الخصوص لان ما
قبلها وما بعدها فيهن وقال الحسن ليس الفصل وهو الصحيح وبه قال الامام ابو
منصور رحمه الله لان الاية في اهل بيت النبي عليه السلام من الازواج وغيرهن
وفي حديث ام سلمة انها قالت يا رسول الله وانا من اهل البيت قال نعم والخطاب ب
بالكاف والميم هاهنا لشموله على الذكران والاناث واذكرن ما يتلى في بيوتكن
قيل هو ذكر النعمة للشكر عليها وقيل هي التلاوة والذكر باللسان وقيل هو الحفظ
بالقلب والصيغة صالحة للكل من ايات الله اي القران والحكمة اي بيان معاني
القران وقيل الحكمة سنة الرسول وهو كلامه والحكمة من الاحكام وهو الاتقان
وسنة النبي عليه السلام ايضا محكمة واجبة الحفظ كالكتاب ان الله كان
لطيفا خبيرا اي قيل اللطيف العالم بغوامض الاشياء الخبير العالم بحقائقها اي
هو عالم بافعالكن واحوالكن ومجازيكن عليها فاحذرن مخالفة امره ونهيه
ومعصية رسوله وقيل لطيفا اي بارا بكن خبيرا عالما بموضع الاختيار لكن
فاشكرن انعامه عليكن وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الاية قال
قتادة لما ذكر الله ازواج النبي عليه السلام دخل نساء من المسلمات عليهن
فقلن ذكرتن ولم نذكر ولو كان فينا خير لذكرنا فنزلت هذه الاية وقالت
ام سلمة يا رسول الله ما للنساء لا يذكرن مع الرجال فانزل الله هذه الاية

واقوالكن

ذكره مجاهد وذكر مقاتل هذا عن ام سلمة وانيسة بنت كعب قال قالتا يا
رسول الله ما لنا لا نذكر بخير في القران فنزلت وقال عكرمة اتت ام عمارة النبي
عليه السلام فقالت ليس فينا معشر النساء خير قال ولم قالت لان الله لا يذكرنا
بخير فنزلت وقال مقاتل بن حيان رجعت اسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها
جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء رسول الله فقالت هل نزل فينا شيء من القران
قلن لا فاتت رسول الله عليه السلام فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة
وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فنزلت ان
المسلمين والمسلمات اي الخاضعين لله بالطاعة والخاضعات والمؤمنين و
المؤمنات اي المصدقين الله ورسوله والمصدقات فيما اخبر من المجازاة بالاعمال
والقانتين والقانتات اي المطيعين والمطيعات والصادقين والصادقات
اي في العهود والاقوال والمعاملات والصابرين والصابرات اي على الطاعة وعن
المعصية وفي البلية والخاشعين والخاشعات والخشوع سكون الظاهر
وخوف الباطن والتذلل لله والمتصدقين والمتصدقات فرضا ونفلا والصائمين
والصائمات فرضا ونفلا ايضا وقيل الذين يذلوا انفسهم وارواحهم في رضا
الله وقيل الذين امسكوا عن كل ما لا يرضاه الله تعالى والحافظين فروجهم والحافظات
اي فروجهن واختصر لدلالة صدر الكلام عليه ومعناه الحافظين عن الحرام
وقيل الذين حفظوا اسرارهم عن نزغات الشيطان والذاكرين الله كثيرا والذاكرات

اي الله كثيرا او هو بالالسنة والقلوب اعد الله لهم مغفرة لذنوبهم واجرا عظيما على
طاعاتهم هو جواب لانه تدا وعظم الاجر لكثرته ودوامه وقوله تعالى ه وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم واتصالها بما قبلها
انه تعالى اطيعوا الله ورسوله تمدح بعد ذلك المطيعين والمطيعات لله ورسوله
وبين في هذه الاية وجوب طاعة الله ورسوله ووعيد من عصى الله ورسوله ٥
ووجه اخر ان الايات المتقدمة في ذكر نسا النبي عليه السلام وساير النسا وهذه
الاية في ذكر زينب وزوجها زيد ثم صارت لرسول الله ووجه اخر انه قال من ايات
الله والحكمة والايات القران والحكمة السنة وفي هذه الاية وعيد من خالف الكتاب
والسنة وقيل نزلت الاية في زيد وزينب خطبها النبي عليه السلام زينب بنت
جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم ابن دودان ابن اسد
بن خزيمة وهي بنت عمة رسول الله عليه السلام فان امها اميمة بنت عبد
المطلب عمة رسول الله لمولاه زيد بن حارثة بن شرحبيل ابن كعب بن عبد العزى
ابن يزيد بن امرئ القيس ابن عامر بن النعمان ابن عمران ابن عبد ود بن كنانة ابن
عوف ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ابن وبرة بن تغلب
ابن حلوان ابن عمران ابن الحاف بن قضاعة فابت لمكان انها قرشية وبنت
عمة رسول الله وهو مولى وابى اخوها الى النبي عليه السلام بذلك بامر الله فالاية تدل
عليه فكانهما تلكات ولعل زيدا احب ايضا كابيها فانزل الله هذه الاية

بين انه لا اختيار لهما في ان يفعلا او لا يفعلا مع ان الله تعالى ورسوله امرا بما بذلك
وما بعد الاية يدل على ان الاية في هذين وقد قيل انها نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن
ابي معيط عرضت نفسها على رسول الله عليه السلام لينكحها فزوجها زيد بن حارثة
فكرهاه فنزلت وقرا اهل الكوفة وهشام عن ابن عامر ان يكون لهم الخيرة بالياء للتذكير
لتقدم الفعل وللحايل بين الفعل والاسم والباقون بالتا للتانيث على لفظ الخيرة
وقوله قضى الله ورسوله امرا اي امر الله ورسوله امرا كما قال وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وقوله الخيرة اي الاختيار بين الفعل والترك ودل ذلك على ان الامر للوجوب
ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فان كان عصيان رد وامتناع عن
القبول فهو ضلال كفر وان كان عصيان فعل مع قبول الامر والنهي واعتقاد
الوجوب فهو ضلال خطا كما في قوله انك لفي ضلالك القديم وقوله تعالى ه
واذ تقول للذي انعم الله عليه اي واذكر يا محمد اذ كنت تقول للذي انعم الله عليه اي
بالاسلام وانعمت عليه انت بالاعتاق وهو زيد وكان عبد الخديجة فوهبته
لرسول الله فاعتقه وكان هو من بني كلب واغار على بني كلب قوم من العرب
وسبوه وباعوه في سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام وهو ابن اخي خديجة
في التجارة فاهداه لها فوهبته للنبي عليه السلام وخفي حاله على ابيه سنين
ثم اخبر انه عند النبي عليه السلام فجاء ابوه وعمه وطلبا من النبي عليه السلام
ان يبيعه من ابيه بثمن عظيم فقال النبي عليه السلام ان اختار ان يكون معكم

دعته الكلم الخيرة فاختار المقام مع رسول الله وتركاه وذهبا واعتقه
رسول الله عليه السلام وتبناه وكان من حكم العرب ان من تبنى ولداً كان كولده
من صلبه في الموريث وحرمة نكاح امراته على الاب المتبني وكان النبي عليه
السلام ابطل هذا الحكم واراد الله تعالى ان يقرر هذا الحكم بقول النبي عليه
السلام وفعله عندهم ليكون ذلك ابلغ في قلوبهم واقطع لعاداتهم وكان الله
تعالى اخبر رسوله عليه السلام بذلك واسر ذلك بان امره ان يخطبها لزيد
ويزوج بينهما ثم بعد مدة يفترقان ويتزوجها رسول الله عليه السلام ليتحقق
عندهم تغيير هذا الحكم وكان يخفيه رسول الله عليه السلام في نفسه الى ان
يظهره في وقته ولما وقع هذا النكاح ومضت مدة ووقعت بينهما خشونة فجا
زيد يشكوها الى النبي عليه السلام ويذكر ترفعها عليه وامتناعها عن مساعدته
وسوء خلقها معه فقال له امسك عليك زوجك اي حاملها وبالخلق الحسن
عاملها ولا تطلقها وكذا يجب على المتوسط بين الزوجين ان يدعوهما الى حسن
المعاشرة واتق الله اي يا زيد اتق الله وراع حقوق النكاح وتخفي في نفسك
يا محمد ما الله مبديه اي مظهره اي ما اعلمك الله انه يتزوجها اذا طلقها زوجها
برضاه واختياره وانقضت عدتها وتخشى الناس اي تكره قالة الناس انه تزوج
امراة ابنه والله احق ان تخشاه فتفعل ما اباحه لك واذن لك فيه فلما قضى
زيد منها وطرا اي حاجة وهي كناية عن تمام الانتفاع بها على بلوغه فيها

ثم بمفارقتها عند كراهة صحبتها زوجناكها اي جعلناها زوجة لك قال انس
فكانت زينب تفتخر على نسا النبي عليه السلام فتقول زوجكن اهلوكن وزوجني
الله تعالى قال ولما ارسل رسول الله عليه السلام اليها يخطبها فقالت ما انا بصانعة نعم
شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها فنزل القران ودخل عليها رسول الله
عليه السلام من غير اذن لكيلا يكون على المؤمنين حرج اي ضيق في ازواج ادعيائهم
اي في نكاح زوجات الذين تبنوهم اذا قضوا منهن وطرا اي استوفوا منهن
حاجتهم وفارقوهن وانقضت عدتهن وكان امر الله مفعولا اي وكان ما امر الله
به ملحقا لم يتغير ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي لا اثم ولا ضيق
على رسول الله في النكاح الذي احله الله له وامره به وهو نكاح زينب وهو
كقوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم وقيل فيما فرض الله له اي قدر له من عدد النسا
والفرض التقدير سنة الله في الذين خلوا من قبل اي هو كما سن الله في الانبيا
الذين مضوا من قبله في زوال الحرج عنهم وعن امتهم فيما اباحه لهم وانه لا ينبغي
لهم ان يتقيدوا امر الناس فيما اباح الله لهم من الملاذ قال تعالى ولقد ارسلنا من
قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وكان امر الله قدرا مقدورا اي وكان ما امر
الله به قضا مقدرا لا بد من كونه فلا تسع الخوف عنه وقيل اي موضوعا على
الحكمة المحكمة كقوله انا كل شي خلقناه بقدر اي على قدر مقدر لا يخطئ عنه
ولا يتجاوزه ومعنى دخول كان عليه انه تقادم ولم يزل كذلك لا يتغير ولا يتبدل

الذين يبلغون رسالات الله صفة قوله للذين خلوا من قبل ومعناه الذين كانوا
يبلغون رسالات الله كقوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي ما كانوا يتلونه و
ويخشونه اي في امور الدين ولا يخشون احدا الا الله اي سوى الله فلذلك انت يا محمد
كذلك فان الخواص يخشون الله والعوام يخشون جهنم وكفى بالله حسيبا اي
حافظا لاعمال خلقه محاسبا لهم عليها مجازيا بها فهو احق بان يخشى دون
خلقه وقد تكلم الناس في الاية بوجوه وهذا اقربها واشبهها ما كان محمد ابا احد من
رجالكم اي ابا بالنسب لاحد من الرجال البالغين وقيل ابا الرجال لم يلده فاما
ابوة الشفقة ومراعاة الحرمة فثابتة بقوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم ولكن رسول الله يعمل بامره وخاتم النبيين قرا عاصم وخاتم
النبيين بفتح التاء وهو آلة الختم وقرا الباقون بكسرها وهو فاعل الختم
اي هو آخر النبيين وشريعته ناسخة لشرائع المرسلين فتمسكوا بها ولا تعترضوا
عليه في شيء منها وكان الله بكل شيء عليما من مصالح العباد وكل شيء او قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اشكروا الله على النعم التي مرت وغيرها
والكثير الذي لا يسقط قال تعالى وفاكهة كثيرة ثم فسرها لا مقطوعة وقيل
الكثير ما كان باخلاص فيقبل ويكثر ثوابه فاما ما لا اخلاص فيه فقد قال تعالى
في حقه ولا يذكرون الله الا قليلا وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال اهل التاويل
اذكروا الله في كل حال وفي كل وقت ذكرا كثيرا باللسان ويحتمل ان يكون قوله

اذكروا نعمه لتشكروا له واذكروا اوامره لتؤتمروا بها والنواهي لتنتهوا بها ووعيده
ليخاف وعذابه لترهب واذكروا عظمته وجلاله وكبرياءه لتهاب وسبحوه
بكرة واصيلا اي نزهوه وقيل صلوا له بالغداة والعشي قال ابن مسعود هي
الصلوات الخمس بكرة يعني الفجر والظهر والعصر واصيلا المغرب والعشاء
هو الذي يصلي عليكم اي يرحمكم وملائكته اي ويامر ملائكته بالاستغفار لكم والدعاء
وقيل الصلوة من الله الثناء الجميل اي ان الله يثني عليكم الذكر الجميل في عباده بذكره
اياكم كما قال فاذكروني اذكركم قال ابو بكر بن طاهر صلوات الله على عباده اي
يزينهم بانوار الايمان ويحليهم بحلية التوفيق ويسقط عنهم الاهواء المضلة
والارادات الباطلة ويكرمهم بالرضا بالمقدور ليخرجكم من الظلمات الى النور
اي ليكونكم خارجين من الظلمات اي الضلالات الى النور اي الهدى وقيل اي من
الجهالات الى العلم وقيل اي من الشكوك الى اليقين وقيل اي من البدع الى السنة
وقال ابو عبيدة هو الذي يصلي عليكم اي يبارك عليكم وقال الفراء هو الذي يغفر لكم
ويستغفر لكم ملائكته وقيل ليخرجكم من الظلمات الى النور اي ليهديكم الى الجنة
وينجيكم من النار قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وكان بالمؤمنين رحيما
يرحمهم ولا يعذبهم اذا اطاعوه واطاعوا رسوله تحيتهم يوم يلقونه اي يوم يرونه
سلام اي يسلم بعضهم على بعض ويقول البشرى لنا ولكم من عذاب الله ابدا وقيل تحيتهم
الله بسلامه فيقول الله تعالى سلام عليكم عليهم من غير واسطة سلام عليكم

عبادي انا عنكم راض فهل انتم عني راضون فيقولون باجمعهم يا ربنا كل الرضا كل الرضا وقيل هو سلام الملائكة اذا دخلوا عليهم من كل باب واعد لهم اجرا كريما
اي ثوابا خطيرا عظيما وقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا انسطم
بقوله وكان بالمؤمنين رحيما ومن رحمته ارسال محمد رحمة للعالمين ارسلناك شاهدا
اي على امته كما قال وجئنا بك على هولاء شهيدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا
وقيل ارسلناك شاهدا لتوحيدا نبينا ومبشرا اهل طاعتنا ونذيرا لخلق في
اهل مخالفتنا وداعيا الى الله كما قال ادع الى سبيل ربك باذنه اي بامره وقيل
بعلمه اي وهو يعلم ما يكون منك وما يكون ممن ارسلت اليه وسراجا منيرا
اي مصباحا مضيا من ظلم الضلالة الى نور الهداية وهو كما قال المصباح في
زجاجة وقيل اي شمسا مضية كما قال وجعل الشمس سراجا سماه شمسا
في هذه الاية وبدرا اي قوله طه ونجما في قوله والنجم اذا هوى اي نزل من السما في
ليلة المعراج واما معنى تشبيهه بالمصباح على قول من فسره به ان المصباح
الواحد تشعل منه مصابيح كثيرة والاول على حاله لم ينقص منه شي وكذلك
ظهرت قوابل علوم اجمد علما امته في امته وهو بحاله ولان ضوء المصباح اذا
جا ذهبت الظلمة واذا جاءت متابعة المصطفى ذهبت النكرة ولان المصباح
تحرق الاقرب وتضي الابعد وكذلك المصطفى كان ينذر عشيرته الاقربين ويبشر
الانصار والمهاجرين ولان المصباح تزين به وجوه الاحبا وكذا متابعة المصطفى

توصل الى صحبة الاسنا والشهدا والصديقين والصلحا ولان المصباح بتمامه
ان يجعل اشيا المسرجة والفتيلة والدهن والنار وكذا تمام امر المصطفى
كان بالخلفا الراشدين الاربعة ولان المصباح يضي من كل جهاته وكان النبي عليه
السلام رفيعا نافعا في كل مقاماته واما وجه تشبيهه بالشمس على قول
من فسره بها فلان الشمس تضي من المشرق الى المغرب والنبي عليه السلام اضا
من الثرى الى الثريا ولان الشمس لا ثاني لها ولا نظير والنجم له نظير وكذلك النبي
عليه السلام لم يكن له نظير ولان الشمس تنكسف ثم تنجلي وكذلك النبي عليه
السلام كان يتحرج يعتل ولان الشمس تغرب ثم تطلع والنبي عليه السلام هاجر
من مكة الى المدينة ثم عاد الى مكة ولان الشمس تضي لمن لا سراج له وتدفي من لا ثوب
له وتنضج لمن لا نار له وكذلك النبي عليه السلام كان يشفع لمن لا طاعة له ويرفع
من لا عبادة له ويشفع من لا حرمة له وقوله تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا ثوابا تفضل به عليهم عظيما وهو الملك الكبير والنعيم الكثير ولا
تطع الكافرين والمنافقين قد مر هذا في اول هذه السورة ودع اذاهم اي لا تؤذهم
مكافاة لهم وقيل اي اجعل ايذاهم اياك في جانب كانه لم يكن ولا تفكر فيه فتحزن
مكافرين كافرين وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا كافيا وناصرا وحافظا ودافعا
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن قبل اي قبل ان تجامعوهن وحمل المس يسهوه ليضا فما لكم عليهن من عدة

تعتدّونها فلكم تعدّونها تفتعل من عدّ واعتدّ كما تقال صبر واصطبر وقيل اى
تستوفونها تفتعل عددته فاعتدّ كما تقال وزنته فاتّزن وكلته فاكتال
فمتّعوهنّ المتعة الواجبة ان كان المهر غير مسمّى فان سمّى فالواجب نصف المسمّى
والمتعة مستحبة وسرّحوهنّ سراحًا جميلًا اى لا تمسكوهنّ ضرارا وهو من
قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وهو ان تتركها حتى تنقضى عدّتها وقيل
هو ان ترجعها الى بيتها من غير منع حقّ او اذى والاية فى النكاح والطلاق متصل
بالايات التى فى المنكوحات وقوله تعالى يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اى
زوجاتك اللاتى آتيت اى اعطيت كما فى قوله حتى يعطوا الجزية اجورهنّ اى مهورهنّ
وهذا اساس احلال النساء اللاتى كنّ عنده وما ملكت يمينك اى واحللنا لك ما ملكت
ملك يمين وهى مارية القبطية مما افاء الله عليك اى اغنمك وهى اى صفية بنت
حيى وجويرية بنت الحارث مما افاء الله عليه اعتقهما وتزوجهما وبنات
عمك هنّ بنات العباس وغيرهنّ من اولاد عبد المطلب وبنات عماتك من بنات
ولد بنات عبد المطلب وبنات خالك وبنات خالاتك من اولاد عبد مناف بن
زهرة ولفرد العم والخال للتخفيف والمراد بهما الجمع وجمع العمات والخالات
للتخصيص وجمعها بزيادة الف فلم يثقل ومعناه احللنا لك من النساء تزوج
بهنّ من هؤلاء اللاتى هاجرن معك ومع ليس لقران الفعل بل لوجودهما فى الاصل
كما فى قوله واسلمت مع سليمان وقيل انه لا تحل له غير المهاجرة منهنّ وروى عن ام ها

وروى عن ام هانى بنت ابى طالب قالت نزلت فىّ هذه الاية اراد النبى عليه
السلام ان يتزوجنى فنهى عنى لانى لم اهاجر وقوله تعالى وامراة مؤمنة ان وهبت
نفسها للنبى اى ملكت نفسها رسول الله بالنكاح بلفظ الهبة من غير مهر ان
اراد النبى ان يستنكحها اى احب ان ينكحها كما تقال نكح واستنكح وعجل واستعجل
وعجب واستعجب خالصة لك رجوع الى المخاطبة بعد المغايبة وهو تلوين ومعناه
انها خلصت للنبى عليه السلام من غير مهر وغير النبى عليه السلام ليس له ذلك
بل يجب المهر وان لم يسمّه او نفاه وقيل هو لخالصة ترجع الى كل منكوحة له ومعناه
انها تخلص له فى الدنيا والاخرة فلا تحل لاحد بعده امراة من نسائه قال ابن عباس
الواهبة نفسها له ميمونة بنت الحارث وقال على بن الحسين هى امراة من بنى
الاسد يقال لها ام شريك وقال الشعبى هى امراة من الانصار وقيل هى زينب بنت
خزيمة من الانصار وقال الزجاج خالصة لك اى احللنا لك هؤلاء الاصناف
للاعتداد خصيصا لك دون الامة فهو مقصور على الاربع ومعنى خالصة على الجمع
اى خلوصا لك على المصدر كما فى قوله ليس لوقعتها كاذبة اى كذب قد علمنا ما فرضنا
عليهم فى ازواجهم اى ما اوجبنا من المهور على امتك فى زوجاتهم واحللنا لك الواهبة
من غير مهر وقيل الى مهر بيّنا عليهم الاربع ووسعنا عليك فى الزيادة وعلى ذلك وما
ملكت ايمانهم فانه لا يكون بعوض واطلقنا لك الاصطفاء من الغنيمة ما شئت لكيلا
يكون عليك حرج اى ضيق فيكون ما تشتهيه من الملاذ المباحة عونا لك على القيام

لما امرت به وكان الله غفورا رحيما بعباده ترجي من تشا منهن اي الحيث لكان
تؤخر من نسايك من تشا عن نفسك فلا تقسم لها وتوي اليك من تشا اي تضم الى
فراشك من تشا منهن ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك اي ومن دعوت الى
فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجا فلا ضيق عليك في ذلك اي
ليس اذا عزلتهما لم تجز لك ردهما الى نفسك ذلك اي ذلك الاعادة ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن اي يرضين كلهن بما اتيتهن رفعه بفعل الرضا
اي هذا اقرب الى نعود بسرورهن واسفا الحزن عنهن ورضاهن اذا علمن
انك فعلت ذلك كله بامر الله وان لهن الثواب اذا رضين بذلك وان لكل واحده
منهن الرحلة الا بعد العزل وعن معاذة العدوية عن عايشه قالت
كان رسول الله عليه السلام يستاذننا في نوبة احدينا بعدما انزلت ترجي من تشا
منهن الاية قالت معاذة فما كنت تقولين لرسول الله اذا استاذن قالت كنت
اقول ان كان ذلك الي لم اوثر على نفسي احدا قالوا وكان هذا تفضلا منه ومراعاة
لقلوبهن حتى كان يطاف محمولا في مرض موته الى ان استحلهن فرضين بان
يكون في بيت عايشه وعن ابي رزين قال المرجيات ميمونه وسوده وصفيه
وجويريه وام حبيبه وكانت عايشه وحفصه وزينب وام سلمه سوا
في القسم كان يسوي بينهن وقيل ترجي من تشا منهن وتووي اليك من تشا هذا
التخيير فيمن كانت تعرض نفسها على رسول الله هبة وكان له ان يقبل من يشا

ويرد من يشا وهذا على قبول النكاح ابتدا ورده وقيل هذا التخيير كان في تزوج
من يشا من هذه الاصناف وفي ترك تزوجها وقال الحسن كان النبي عليه السلام اذا
خطب امراه لم يكن لاحد ان يخطبها معه ولا ان يعرض لها فقال ترجي من تشا منهن
اي تدعها بعد خطبتها وتووي اليك من تشا فتتزوجها ومن ابتغيت ممن عزلت
ذلك في القسم وقيل الطلاق من تشا منهن وتستبدل بهام نسا ومن ابتغيت ممن
عزلت هو الرجعة ممن طلقت وقيل ذلك ادنى ان تقر اعينهن اي قصرنا الحل
على هولا وحرمنا عليك نكاح الغرايب فذلك ادنى ان تقر اعينهن هولا قال محمد
بن على الباقر لما تزوج النبي عليه السلام الكندية اسما بنت النعمان ابن شرحبيل
الجونيه وكانت من احسن النسا قال نسا النبي عليه السلام لئن تزوج علينا
الغرايب ما له فينا حاجه فحبس الله نبيه على ازواجه اللاتي عنده واحل له من
بنات العم والعمة والخال والخالة ما شا الله فقال ترجي من تشا منهن يقول
من اللاتي احل له ومن اللاتي عنده وتووي اليك من تشا من اللاتي عنده ومن ابتغيت
ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن يعني نساه اللاتي اذا علمن
انه لا ينكح عليهن غريبة وقوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم ايها العباد من الرجال
والنسا من محبة البعض لبعض وكان الله عليما بمصالح عباده حليما لا يعاجلهم
بالعقوبه على مخالفته لا يحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك
حسنهن الا ما ملكت يمينك ان الله تعالى لما امر رسوله بتخيير نسايه فخيرهن

فاخترنه شكر الله تعالى لهن ذلك فعظم حقهن بأن جعلهن أمهات المؤمنين
ومنع رسوله من أن يتزوج عليهن غيرهن أو يتبدل بهن سواهن وإن وقع بقلبه
حسن غيرهن وقصره عليهن وصرف توسعته في الملاذ بعدهن إلى ملك
اليمين فقط وكان الله على كل شيء رقيبا أي حافظا لا يغيب عنه علم شيء أي
فاتقه يا محمد إلى ما حدده لك في نسائك وملك يمينك وقوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه قيل أي
وقته وقيل نضجه وبلوغه والإنى الوقت وجمعه الآناء قال الله تعالى ومن
آناء الليل أي ساعاته وقد أنى يأني أنيا أي حان قال تعالى ألم يأن للذين
وقال ومن حميم آن أي قد انتهى حره قال أنس أنا أعلم الناس بهذه الآية لما زفت
زينب إلى رسول الله عليه السلام كانت معه في البيت وصنع طعاما فجاء القوم
فكانوا في البيت وجعل رسول الله عليه السلام يخرج والقوم مكانهم يرجع
وهم قعود فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي في منازله التي
فيها نساؤه إلا أن يؤذن لكم إلى طعام أي إلا أن تدعوا إلى طعام تريدون أن تطعموه
رسول الله لو لمه أو نحوها غير ناظرين إناه أي تدخلونه غير منتظرين
إدراكه قال تعالى انظرونا نقتبس من نوركم أي انتظرونا ولكن إذا دعيتم
فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا أي فتفرقوا ولا مستأنسين لحديث عطف
على قوله ناظرين أي غير مشتغلين بعد الفراغ من الطعام بالحديث

يستأنسون به إن ذلكم كان يؤذي النبي أن يشق عليه فيضيق المنزل عليه وعلى
أهله ومنعكم إياه عن أهله فيستحي منكم أي يترك إعلامكم بذلك وأمركم لذلك
بالانتشار والله لا يستحي من الحق أي لا يترك بيان الحق وقال الحسن حسبك من
الثقلاء أن الله تعالى لم يتجوز في أمرهم فقال فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين
لحديث وإذا سألتموهن أي سألتم أزواج النبي عليه السلام ولم يسبق ذكرهن صريحا
لكن ثبت ذلك دلالة قوله بيوت النبي لأن فيها نساءه متاعا أي شيئا من الأمتعة
بالاستعارة ونحوها وقيل أي سألتموهن شيئا ينتفعون به في الدين من رواية
الحديث ونحو ذلك فاسألوهن من وراء حجاب أي ستر وقيل هذا في حق
كل النساء ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن أي أبعد من خواطر الشيطان وعوارض الفتن
التي تدعو إليها الطباع من ميل النساء إلى الرجال والرجال إلى النساء قال عمر وافقني
ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله آية
المقام وقلت يا رسول الله إنه ليدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين
أن يحتجبن فأنزل الله آية الحجاب وبلغني أن النبي عليه السلام عاتب أزواجه
فأتيتهن ووعظتهن حتى انتهيت إلى امرأة منهن فقالت يا عمر أما في رسول الله
ما يعظ أزواجه حتى تعظهن أنت فخرجت فأنزل الله تعالى عسى ربه إن طلقكن أن يبدله
أزواجا خيرا منكن الآية وقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي بأمر وقيل
بأي أذى كان ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا نحو بعد وفاته ونحو بعد فراقه في حياته

مطلاق ونحوه كما قال بيسما خلفتموني من بعدي وكان لا يجوز ذلك لان نساءه
امهات المؤمنين وكان زاهدا عند ابي عبيدة وجماعة وقيل اي كان ذلك في حكم الله
الذي لا يتغير ولا يتبدل ان ذلكم كان عند الله عظيما اي عظيم الاثم وقيل اي
منكرا في العقل والشرع ان تبدوا شيئا اي من اذى الرسول او تخفوه في انفسكم
من ذلك فان الله كان بكل شيء عليما قال ابن عباس قال بعضهم لئن مات رسول الله
لاتزوجن بعائشة فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى لا جناح عليهن
في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن لما امرهن بالاحتجاب استثنى
من يجب لهن ان لا يحتجبن منهم من ابائهن وابنائهن واخوانهن وابناء اخوانهن
لانهم محارم لهن ولا نسائهن هن نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن هن اماؤهن
ولا يدخل في ذلك عبيدهن عند عامة العلماء وهم كالاجانب ودخل في هذه الاستثناء
سائر المحارم المذكورة في الاية التي في سورة النور واتقين الله خطاب لنساء
النبي عليه السلام وامرهن بالتقوى ان الله كان على كل شيء شهيدا اي شاهدا
عليه عالما به مجازيا على وفقه وقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على
النبي وهذا تعريف للمؤمنين منزلة النبي عليه السلام والصلوة من الله تعالى الرحمة
والمغفرة والرضوان ومن الملائكة الدعاء والنصرة ومن المؤمنين ذكر الصلوة
عليه يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي قولوا صلى الله على محمد او اللهم صل على محمد
وسلموا تسليما اي حيوه تحية اي قولوا اللهم سلم على محمد وقيل اي انقادوا لامره

وحكمه انقيادا كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الى قوله ويسلموا تسليما
وعن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الاية قمنا اليه فقلنا اما السلام عليك
فقد عرفناه فكيف الصلوة عليك يا رسول الله قال قولوا اللهم صل على محمد و
على ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وعن الحسن قال لما نزلت
هذه الاية قالت الصحابة فما لنا فانزل الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم بين
تشريفه من وجه اخر وهو وعيد من اذاه فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله
وذكر الله للاستفتاح به والتيمن كما في قوله فان لله خمسه وللرسول ولان عصيان
الرسول عصيان الله فكان اذاه لذلك اذاه لعنهم الله في الدنيا والاخرة اي
ابعدهم الله عن رحمته وطردهم في الدارين لانه كفر واعد لهم عذابا مهينا في
الاخرة مثل لا مجزيا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات وهم رجال امته ونساؤهم
بغير ما اكتسبوا فعلوا ما يستحقون به الاذى اما الحد والتعزير والاسماع فقد
احتملوا بهتانا اي كذبا مختبرا وهذا في الاذى اما القول واثما مبينا ظاهرا مظهرا من
نفسه انه اثم جعل اذى المؤمنين والمؤمنات معصية واذى الله والرسول
كفرا وقيل اذى الله هو تصوير التماثيل الحيوانية فانه مضاهاة لله في الخلق
وقال ابن عباس ان الذين يؤذون الله اي اليهود والنصارى والمشركون قالت اليهود
يد الله مغلولة وقال فنحاص ان الله فقير وقالت النصارى المسيح ابن الله

وثالث ثلثه وقالت المشركون الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقوله تعالى
ورسوله يعني حين شج في وجهه وكسرت رباعيته وحين قيل انه ساحر
وكاهن ومعلم ومجنون وقيل يوذون الله يلحدون في اسمائه ورسوله يبتدعون
في شريعته وقال النبي عليه السلام يقول الله تعالى يشتمني ابن ادم ولم ينبغ
له ان يشتمني واذاني ولم ينبغ له ان يوذيني اما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا
وانا الله الاحد الصمد واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بداني وقال مقاتل
ان الذين يوذون المومنين الاية نزلت في علي بن ابي طالب وذلك ان ناسا من المنافقين
كانوا يوذونه ويسمعونه وقال الضحاك والسدي نزلت في الزناة الذين كانوا
يتبعون النسا بالريبة وهن كارهات فيتاذين منهم ويدل على هذا ما بعده
وهو قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونسا المومنين قيل اي زوجات
المومنين وقيل الحرائر يدنين عليهن من جلابيبهن اي يغطين روسهن ووجوههن
في مرورهن من السوق في حوائجهن والى متبرزاتهن قيل الخمار الكثف
في السوق ليلا او نهارا تملا جفيهن وادنينهن بخلاف الامة التي تخرج مكشوفة
الراس وقال الخليل الجلباب ثوب اوسع من الخمار دون الردا تغطي به المراة
صدرها وراسها وقال قطرب الجلباب الملحفة وقال ابن سيرين عن عبيدة ادنا
الجلباب ان ترد المراة رداها على راسها ثم تضعه على حاجبيها ثم تديره
فتضعه على طرف اذنها ثم تديره من الجانب الاخر على خدها حتى تضعه على

طرف انفها وتكشف احدى عينيها وتغطي الاخرى قال ابن سيرين حدثني اخي
ابهار ان امراة من المهاجرات او الانصار يات قد انتقبت هكذا وقالت صفية
بنت شيبة قالت ام سلمة لما نزلت يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نسا
الانصار كان على روسهن الغربان من اكسية سود كن يلبسن بها ذلك ادنى
ان يعرفن اي يتبين انهن حرائر فلا يوذين اي لا يوذيهن اهل الريبة توهما
منهم انهن اما فانهم كانوا يتبعون الاما وكان زي الامة والحرة في الاصل
واحدا وهو قميص وخمار وربما اذى الرجل منهم الحرة بالرفث من الكلام فامر
الله بهذا لتزول ذلك عنهن وكن عاجزات عن الزجر والاما كن يزجرن بالكلام
وقيل ذلك ادنى ان يعرفن بالعفاف فانه غاية التستر ولا يوذين فلا يتعرض
لهن حين علم انهن عفائف وكان الله غفورا رحيما غفورا لما سلف قبل
هذا من ترك ادنا الجلابيب رحيما لا يواخذهم بما ارتكبوه على جهل ورحيما
بدلالتهم على ما يزول به الاذى عنهم وقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة اي لئن لم يكف عن ايذا المومنين والمومنات
هولا الثلاثة الاصناف المنافقون وهم الذين يضمرون الكفر اعتقادا ويظهرون
الايمان قولا والذين في قلوبهم مرض اي شك فلا يعتقدون احد الدينين والمرجفون
في المدينة المسلمون الذين يحركون القلوب بايقاع الاخبار الكاذبة وقيل
كان من المنافقين التعرض ومن الذين في قلوبهم مرض الميل الى الزنا واتباع النسا والاما

بالليل والتعرض لهن بكلام الرفث والمرجفون المخبرون بان فلانا اتته فلانة
وفلانة تطاوع فلانا وهو اذاعة الفاحشة وقيل كان من الطبقة الثالثة
الاخبار باحوال المشركين بانهم اجتمعوا ولهم عدد وعدة ليحزنوا بذلك المسلمين
وقيل كان من المنافقين ايقاع الشكوك والشبه في قلوب ضعفة المسلمين
وقيل الثلاثة صنف واحد وهم المنافقون وهذه صفاتهم والواو لتغاير الصفات
لا لتغاير الذوات كما في قوله ذوي القربى واليتامى والمساكين والمهاجرين في سبيل
الله وابن السبيل الفقرا قال زيد او ابن مروان لم يكن ليفعل حتى يصدر الامر مصدرا
وقوله تعالى لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم ولنامرنك بقتالهم يعني ان لم يكفوا
عن اذى المؤمنين وخرجوا الى المكاشفة والتصريح بما هم عليه في معاملة المؤمنين
من التضريب وايقاع الشبه والسعي في اشاعة الفاحشة فيهم وايهان
امورهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اي في المدينة الا زمانا قليلا بل يضطرون
الى الجلاء عنها الى ارض اخرى وقيل الا قليلا اي اذلاء مقهورين مقموعين بان القلة
توضع مكان الذلة ويكون نصبا لهم على هذا القول وعلى هذا قوله ملعونين يكون
نصبا لهم ايضا على الحال كالاول اي مستوجبين مبعدين عنكم وعن مساجدكم
ومجالسكم واذا حمل الاول على قلة الزمان فقوله ملعونين يكون نصبا على
الذم كما في قوله حمالة الحطب اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا هذا حكمهم
اذا اظهروا حالهم وقد حقق معنى قوله ملعونين اي مستوجبين مطرودين

لما نزلت سورة براءة حتى قال النبي عليه السلام قم يا فلان واخرج من المسجد فانك
منافق وقم يا فلان ويا فلان على ما ذكرنا في تلك السورة سنة الله في الذين خلوا من
قبل اي سن الله هذا سنة في المنافقين الذين كانوا في سائر الامم انهم كانوا اذا
كاشفوا سلطت عليهم انبيائي فاجلوهم واسروهم وقتلوهم ولن تجد لسنة
الله تبديلا اي لطريقة الله التي اجراها لهم تغييرا بل هي تجري مجرى واحدا
في الامم كلها يسالك الناس عن الساعة لما قال وعيد المؤذين لعنهم الله
في الدنيا والاخرة فالواقع في الاخرة وكان ذلك كالانكار منهم كما قال فسينغضون
اليك رؤسهم ويقولون متى هو فاجاب الكفار عن هذا السؤال بقوله قل انما
علمها عند الله هو الذي يعلمها لا انا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اي وما
يعلمك لعل ما تنتظر منها قريب وليس قوله قريبا صفة للساعة فلم يؤنثها لكنه
للزمان اي زمانا قريبا اي في زمان قريب ان الله لعن الكافرين اي ابعدهم عن
رحمته في هذا اليوم واعد لهم سعيرا اي هيا لهم نارا موقدة خالدين فيها ابدا
اي في هذه النار لا يجدون وليا ولا نصيرا من يلي دفعها عنهم ويمنعهم من العذاب
بها يوم تقلب وجوههم في النار اي تصرف حالا بعد حال ولونا بعد لون لما يمسهم
من لفحها واشتعالها فيها فتسود مرة وتخضر اخرى ويجوز ان يكون في معنى
قوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ويجوز ان يكون هذا في معنى ما قال النبي
عليه السلام فينظر ايمن منه فلا يرى الا النار وينظر الى يساره فلا يرى الا النار

ويطوفونه فلا يرى إلا النار وينظر تحته فلا يرى إلا النار يقولون يا ليتنا
أطعنا الله وأطعنا الرسولا الألف في آخره لإشباع الفتحة لتتساوى
الفواصل وهذا إخبار أنهم إنما وقعوا في ذلك لكفرهم بالله ورسوله
وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وهذا إشباع
أيضا للفتحة بالألف والسادة جمع السيد وهو الذي يملك تدبير السواد
الأعظم والكبراء الرؤساء العظماء ويجوز أن يكون الكبراء علماءهم كما
قال إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ويكون في معنى قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم
أربابا من دون الله ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي عذاب الضلال والإضلال
والعنهم لعنا كبيرا قرأ عاصم وابن مجاهد والقاسم عن ابن ذكوان كبيرا
بالباء من الكبر وهو العظم وقرأ الباقون بالثاء من الكثرة ومعناهما سيان لأن
ما كثر عظم واختار أبو حاتم الكثير لأنهم يلعنون مرة بعد مرة ويلعنهم
الملائكة فليشتموهم على ضلالهم وإضلالهم لعنا كثيرا أي مرتبا بعضا متصلا
وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى أي لا تؤذوا النبي عليه
السلام والمؤمنين ولا تكونوا في ذلك كالذين آذوا موسى فقالوا فيه
ما لم يكن فيه فبرأه الله مما قالوا أي أظهر براءته وكان عند الله وجيها
أي ذا جاه ومنزلة قيل كان أذى بني إسرائيل هارون وأخبر الله هارون فأخبرهم
أنه لم يقتله ثم مات وقيل براءته بغير هذا أو قيل رموه بالبرص وقيل بالأدرة

لا تكونوا

وكان البرص عندهم نقيصا روى عن أبي هريرة عن رسول الله عليه السلام أنه قال
كان موسى رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من
آذاه من بني إسرائيل فقالوا إنما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص
وإما أدرة وإما آفة وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا وإن موسى عليه السلام
خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها
وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر
حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن الرجال خلقا وأبرأه مما
كانوا يقولون قال وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه
فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله لا تكونوا
كالذين آذوا موسى الآية وقال الإمام أبو منصور رحمه الله هذا وحش من القول
وتأويل بعيد والأشبه أن يقال إن كل قوم ينسبوا رسولهم إلى الجنون مرة وإلى
السحر وإلى الكذب ونحو ذلك على علم منهم أنه رسول الله وكانوا يتأذون به جدا
ولذلك قال وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله
إليكم وكذا في حق رسولنا عليه السلام وقيل كان موسى إذا تقدم القوم في
المسير قالوا يتكبر علينا فإذا توسطهم قالوا يخاف على نفسه فيتحصن
بنا وإذا تأخر عنهم يسوقنا كما يسوق الراعي الغنم وإذا مشى على جانب منهم
قالوا أنف من صحبتنا فكانوا يؤذونه بكل حال وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا

أي يا حجر

اتقوا الله امر رسوله عليه السلام بتقواه في اول السورة وامر امته بها في
اخر السورة قيل اتقوا الله في اذية الله ورسوله والمؤمنين وقولوا قولا سديدا اي صوابا
ما ذكروا المؤمنين والمؤمنات بالجميل وقيل اتقوا الله في الشرك وقيل في المعاصي
وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس قولوا لا اله الا الله وقال الحسن قولا سديدا اي
يسد عليكم باب النيران ويفتح لكم ابواب الجنان وقال ابو بكر الوراق القول
السديد ما اريد به وجه الله لا غير وقال مقاتل في شان زيد وقولوا قولا سديدا
يعني في شان زينب وزيد وقولوا في رسول الله قولا جميلا ولا تنسبوه الى ما لا يجمل
وقيل قولا سديدا اي هو الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل القول السديد
البري من الكذب والتمويه واللغو يصلح لكم اعمالكم قيل اي يوفقكم لصالح
الاعمال وقيل اي يتقبل عليها ثوابا جزيلا لا نقصان فيه ولا ضرر ولا اذى
وقيل اي يرضى التقصير والزلل والخلل عن طاعاتكم ويغفر لكم ذنوبكم اي
يمحها ويكفرها ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما نجا من كل ما خاف
ووصل الى كل ما رجا وقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال ضمن هذه السورة ما ضمنها من الامر والنهي ثم ختم السورة بتعريف
امر الفرايض والامانات ليكونوا على علم فيستفرغوا جهودهم في القيام بها ولا يخافوا
تضييعها واختلف في الامانة وفي تاويل الاية قال ابن عباس الامانة الطاعة لله
وقال سعيد بن المسيب الامانة الفرايض وقال مجاهد الامانة الدين

والفرايض والحدود وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان
فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن امانة والعين
امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقال زيد بن اسلم الامانة
ثلاثة اشيا الصلوة والصوم والاغتسال من الجنابة وقيل هي الحقوق التي تجب
الوفاء بها قال تعالى اوفوا بالعقود والروايات الظاهرة فيه منها ما روى الكلبي
عن ابي صالح
عن ابن عباس انه قال قال الله تعالى للسموات والارض والجبال ان احسنتن
جزيتن وان اسأتن عوقبتن والامانة هي الاعمال التي امر بها المسلمون ان
يعملوها ولا يتركوها وعلى كل مسلم ان لا يغش مسلما ولا معاهدا وقال الضحاك
قال الله تعالى لادم يا ادم عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم
تطقها فهل انت حاملها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جزيت
وان اسأت عذبت قال قد حملتها بما فيها فلم يلبث في الجنة بعد ما حملها
الا قدر ما بين الصلوة الاولى والعصر حتى خرج منها وقال الحسن ومقاتل بن
حيان ان الله تعالى حين خلق خلقه جمع الجن والانس والسموات والارض
فعرض عليهن الامانة وهي الطاعة وقال لهن تحملن هذه الامانة ولكن على
الفضل والكرامة والثواب في الجنة قلن لا نستطيع ذلك فعرض على الارضين
فقلن كذلك ثم عرض على الجبال فقلن كذلك ثم عرض على ادم وقال ولك
عندي الكرامة والفضل ان احسنت واطعت ورعيت الامانة وان عصيت

ای غافلا

ولم ترع فاني اعذبك قال رضيت بحملها فذلك قوله تعالى ﴿وحملها الانسان
انه كان ظلوما﴾ لحقها ﴿جهولا﴾ باخذها وقال الضحاك جهولا غرا بامر ربه
وقال الكلبي ظلوما حين خالف امر ربه جهولا لا يدري ما العقاب في تركها
وقال الحسين بن الفضل كان ظلوما جهولا عند الملائكة لا عند الله وقيل ظلوما
لنفسه بمطاوعته هواه جهولا بما بين الله بينه وبينها وقال الحسين بن
الفضل كانت الامانة على السموات والارضين والجبال عرضا وكانت على
آدم فرضا وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال بعضهم اي خلقنا السموات
والارض والجبال خلقة لا تحتمل حمل ما ذكر من الامانة فابين ان يحملنها اي خلقه
وحملها الانسان اي خلقناه خلقة تحتمل ذلك قال وقال بعضهم هو على حقيقة
العرض الامانة على التخيير بين ان تقبل وتفي بذلك فيكون لها الثواب او لا تفي
فيكون لها العقاب في الاخرة وبين ان لا تقبل فيكون كسائر الموات تفنى فناء لا
لا ثواب لها في الاخرة ولا عقاب ولا يجوز ان يعرض عليهن ما ذكر عرض لزوم
وهن يابين ذلك وقد وصفهن الله بالطاعة والخضوع في آيات منها قوله
قالتا اتينا طائعين وحملها الانسان فكان له الثواب ان قام بها وعليه
العقاب ان لم يقم بها قال وقال بعضهم انا عرضنا الامانة على اهل السموات
واهل الارض واهل الجبال فلم يحملوها الا الانسان منهم فانه حملها وكان عرض
الامانة على هذه الاماكن وفيها الملائكة يعبدون الله تعالى ويعني عرضها عليهم

فيعفه اياهم ان في اداء الامانة ثوابا وفي تضييعها عقابا فقالوا ان كان هذا
عرض تخيير فنحن تركنا الثواب مخافة العقاب فنطيعك ولا نعصيك طرفة
عين وكان هذا اباء امتناع للخوف لا اباء رد ولذلك قرنه بالاشفاق وهو
الخوف قال وقال بعضهم عرضنا الامانة على السموات والارض فابين
ان يحملنها اي يحتملن وزرها بالخيانة فيها بمعنى اطعن الله وحفظن الامانة
وما خانوها وهو كقوله ليحملوا اوزارهم وقوله وليحملن اثقالهم وقوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وحملها الانسان اي خانها ولم يحفظها
الانسان وهو الكافر على هذا القول انه كان ظلوما جهولا هو صفة
الكافر ايضا واما من حمل الاول على انهن لم يقبلنها وقبلها الانسان فالانسان
اسم جنس يقع على الجميع لادم ولاولاده ثم قبلوا وقوله بعد ذلك انه كان
ظلوما جهولا هو صفة لبعضهم وهو الكافر فان الانسان اسم جنس يقع
على الجميع قال تعالى ان الانسان لفي خسر هذا للجميع حتى صح الاستثناء منه بقوله
الا الذين امنوا فكذلك هاهنا يرجع قوله ظلوما جهولا ولا يجوز ان يجعل هذا
صفة لادم فانه لا يجوز ان يسمى ظالما جاهلا فكيف يسمى ظلوما جهولا وهو
ابلغ فاما في حق الكافر فيصح هذا لان الله تعالى سماهم ظالمين بقوله والكافرون
هم الظالمون وجاهلين بقوله قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون
فجوز وصفهم بالظلوم والجهول لانهم ثابتون على الظلم والجهل دائمون
عليهما وقوله تعالى ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات﴾ وهذا دليل هذا القول لانه ذكر الصنفين جميعا فدل ان الاسم

كان لهم جميعا ومعنى هذه الآية ان الله الزم الامانة الانسان فلم يقبلها المنافقون
والكفار فعذبهم الله تعالى وقبلها المؤمنون فيتوب الله عليهم ويغفر لهم
ما سلف منهم وكان الله غفورا رحيما يغفر ذنوب التائبين ويرحم عباده المؤمنين

سورة سبا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل خلق السموات والارض اية لكل عبد منيب الرحمن
الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر من عدل او حكمة الرحيم الذي هو
السميع القريب وروي عن النبي عليه السلام انه قال من قرا سورة سبا
لم يبق نبي مرسل الا كان له رفيقا ومصافحا وسورة سبا مكية وهي خمسون
اية وخمس ايات وقيل واربع ايات وكلماتها ثمانمائة وثلاث وثلاثون
وحروفها ثلاثة الاف وخمسمائة وخمسة عشر وانتظام اول هذه السورة
باخر تلك السورة ان تلك في مدح الله وهذا في حمد الله وانتظام السورتين
ان تلك مدنية في بيان المعاملة وهذه مكية في بيان العقيدة وبهما تعبد الله
به عباده واشتملت السورتان على مدح الموافقين وثوابهم وذم المخالفين
وعقابهم قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض حمد
لله اوجه الامر بالحمد على اضمار قل او قولوا وحمد الله نفسه تعليما
لعباده والاخبار ان استحقاق الحمد لله وقوله تعالى وله الحمد في الاخرة
وهو المستحق للحمد فيهما كما هو مستحقه في الدنيا او هو المالك في الاخرة قال
تعالى مالك يوم الدين لا مالك الا الله ولا مالك الا هو وهو المنعم على المطيعين

[illegible]

[illegible]

بالجنة وما فيها من النعيم المقيم والاجر العظيم وهم يحمدونه فيها قال تعالى
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي هدانا لهذا واخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل وله الحمد في الاخرة اي في انشاء الاخرة
لان خلق الدنيا صار حكمة لخلق الاخرة ولولاها لكان خلق الدنيا للفناء وهو عبث
وهو الحكيم المحكم لافعاله المصيب في افعاله واقواله الخبير العالم بالاشياء
على حقائقها يعلم ما يلج في الارض ما يدخل فيها في جوفها من جماد ونامي وحيوان
وما يخرج منها يكون على ظهرها من هذا يعلم اعيانها ومقاديرها واحوالها
ومدة بقائها ووقت فنائها وما ينزل من السما من مطر وملك وغير ذلك
وما يعرج فيها اي يصعد اليها من الملائكة الحفظة وما يكتبون
وهو الرحيم الغفور لا يعاجل عصاته بالعقوبة ويغفر لهم بالتوبة فهو المستحق
للحمد لذلك وقوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة اي وقال المنكرون
للبعث الواصفون الله تعالى بضد ما مر ذكره من القدرة والحكمة والعلم لا
تاتينا الساعة وانكارهم لذلك اما ان يكون لانه ليس في قدرة الله عندهم وقد
تبين قدرته بخلق السموات والارض او لانه ليس بحكمة واقامة القيامة لمجازاة
المطيع والعاصي حكمة او لانه لا يعلم باعمال العباد ليجازيهم على وفق علمه وقد
بين انه عليم حكيم فبطل قولهم بما قدم ثم زاد في البيان فقال قل بلى وربي لتاتينكم نفي
لقولهم واقسم على كونها واكد باللام والنون وقوله تعالى عالم الغيب قرا

قرا نافع وابو جعفر وابن عامر ورويس عن يعقوب برفع الميم على معنى هو عالم
الغيب وقرا حمزة علام والباقون بخفض الميم نعتا للرب لا يعزب عنه
اى لا يبعد عنه ولا يغيب وقرا الكسائي لا يعزب بكسر الزاي والباقون بضمها
وهما لغتان مثقال ذرة اى علم مقدار نملة صغيرة وقيل هي ما ترا اى من شعاع
الشمس اذا وقعت في كوة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك من مثقال
ذرة ولا اكبر من ذلك الا في كتاب مبين قيل هو اللوح المحفوظ وما يرجع منه الى
اعمال العباد فهو في كتاب الحفظة ليجزي الذين امنوا وعملوا الصلحات
متصل بقوله لتاتينكم ليجزي اولئك لهم مغفرة ورزق كريم اى حسن خطير في
الجنة والذين سعوا في اياتنا معاجزين اى في ابطال اياتنا بالافترا عليها
مسابقين مقدرين انهم يعجزونا اولئك لهم عذاب من رجز اليم خلاف حزا الاولين
وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين بالتشديد اى مثبطين الناس عن تاملها والرجز
العذاب المؤذي المولم وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم وحده ويعقوب اليم
رفعا نعتا لقوله عذاب والباقون بالخفض نعتا لقوله من رجز قال مقاتل
قال ابو سفيان بن حرب وحلف باللات والعزى ان البعث غير كاين فامر
الله تعالى رسوله ان يحلف ردا عليه فقال قل بلى وربي لتاتينكم وقوله
ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز
الحميد اى ويرى بعلمه وهو العلم الذين اوتوا العلم هم اصحاب رسول الله

وقيل مومنوا اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك وهو القران هو الحق مفعول
ثاني بقوله ويرى اى هولاء يرون القران حقا ويعلمونه صدقا وانه يهدي الى طريق
الحق وهو طريق الله ودين الله العزيز الذي لا يغالب الحميد المستحق للحمد وقوله
وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد
اى قال هولاء المنكرون للساعة لاخوانهم الموافقين لهم على الانكار هل ندلكم
على رجل يعنون النبي عليه السلام ينبئكم يخبركم انكم بعد ان تبلوا في قبوركم وتتقطع
اجسادكم فيها او تاكلكم السباع والمزق الخرق والتمزيق التكثير والتكرير منه
انكم تعودون خلقا جديدا احيا كما كنتم قبل البلى والتقطع وهذه لفظة تعجيب
بصيغة الاستفهام كقولك هل رايت مثل هذا افترى على الله كذبا الف استفهام
دخلت على الف الوصل فاسقطتها للاستغنا عنها ام به جنة اى جنون
وهذا قولهم ايضا يقولون لا ندري ان ما يخبر به ويضيفه الى الله تعالى هو على
جهة الافترا على الله فهو امر فظيع ام به جنون فهو يتكلم بما لا يدري فاجابهم
الله تعالى فقال بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد اى ليس محمد
مفتريا على الله تعالى ولا به جنون ولكن المنكرين للبعث في العذاب في الاخرة
اذا صاروا اليها وفي الضلال البعيد عن الحق في الدنيا وقيل في العذاب اى في
العنا والاذى لما يجتهدون فيه من اضلال الناس وصدهم عن الحق مع بطلان
سعيهم قال عبيد بن الابرص والمرء ما عاش في تكذيب طول الحيوة له تعذيب

وحكى ابو معاذ عن بعضهم في العذاب اي المشقة الطويل افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السما والارض اي كيفما هو محيط بهم ومن كل جهة رفعوا ابصارهم
الليل والنهار او مما هم محصورون بينهما فيستدلون بذلك على انهم في سلطان الله
تجري عليهم احكامه ان يشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما
لا يمتنعون عن شي من ذلك فيحذروا الافترا على رسوله ويتركوا الاشراك في
والتعجيز في اعادتهم بعد موتهم ويستدلوا بقدرته على خلقهما على قدرته على
بعثهم بعد موتهم وهو كقوله قال من يحيي العظام وهي رميم الى قوله اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى ان في ذلك
لاية لكل عبد منيب اي راجع الى الله مقبل عليه متدبر في اياته فهو المنتفع بها
وقوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا ثم قصة اب وابن كانا منيبين
الى الله تعالى قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وفي اثبات رسالتهما
اثبات رسالة محمد وصدق ما اخبر به من البعث وغيره قال ولقد اعطينا
داود النبي منا امرا فضلناه به على غيره من اهل عصره وهو ما قال يا جبال
اوبي معه اي قلنا يا جبال رجعي معه ما ياتي به من ذكر الله وتسبيحه وقيل
اي سبحي معه وكانت تسبح معه وقيل التاويب سير النهار كله وكانت الجبال
تسير معه بالنهار حيث سار هو عند بعضهم والطير قال قتادة وكانت
الطير تسبح اذا سبح وقرا يعقوب عن رويس والطير بالرفع عطفا على قوله

يا جبال وهو كقول الشاعر يا طلحة الكامل وابن الكامل بالرفع
للظاهر وان كان المنادى وحده بالرفع ووجه اخر يا جبال اوبي معه انت والطير
على عطفا على انت ووجه اخر والطير كذلك اوبي والطير مثلك وقرا الباقون
بالنصب لوجوه احدها ان الثاني معرفة والاول نكرة واستعمال العرب فيهما كذلك
قال الشاعر الا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق
والخمر ما واراك من شجر وغيره وكذلك يفعلون في المضاف والمفرد قال ذو الرمة
الا يا اسلمي يا هند هند بني بدر وان كان حيانا عدى اخر الدهر
وقال اخر يا زيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل عليها فانزل
والثاني ما قال الكسائي تقديره وسخرنا الطير والثالث ما قال الفرا واتيناه الطير
وحقيقته ان المنادى منصوب لانه مفعول بالندا والمفرد المعرفة مضموم بنا
لا اعرابا ولذلك لا ينون واما المنادى المضاف والمفرد النكرة فمنصوبان لما قلنا
وقوله تعالى والنا له الحديد اي جعلناه لينا في يده قال قتادة كان الحديد في يده
مثل الشمع يصرفه كيف يشا من غير نار ولا مطرقة وكان يتخذ منه الدروع وهو
اول من عملها وكانت قبله صفايح ان اعمل سابغات اي دروعا تامة تبلغ الانسان
ما دون راسه بالتغطية حتى تقرب من الارض وقدر في السرد اي في النسج والوصل
والنسج اي اجعل المسامير على قدر الحلق لا تغلظها فتخرق ولا تدقها فتقلق
واعملوا صالحا اي انت واهلك عملا يوافق امر الله ويكون طاعة له وهو في معنى

وقيل [illegible] اخر الدهر

ما ذكر نعمه اعملوا آل داود شكرا اى بما تعملون بصير اراه واعلمه واقدر
على المجازات به وهذا ترغيب وترهيب وقال القشيرى ولقد آتينا داود
منا فضلا هو ما ذكر نعمه من مساعدة الجبال والطير اياه تسبيحا له على
جزيه وبكايه وقيل هو توفيق الرجوع له الى الله بالاعتذار وقيل هو شهود
موضع ضرورته وانه لا يصلح امره غيره وقيل هو طيب صوته عند قرائه
الزبور وقيل هو حلاوة صوته فى المناجات وقيل هو حسن خلقه مع الذى
اشعوه وقيل هو توفقه للحكم بين امته بالعدل وقوله تعالى ولسليمان
الريح قرا عاصم عن حفص بالرفع على الابتدا والباقون بالنصب على تقدير وسخرنا
له الريح وقيل هو على ظاهر قوله والنا له الحديد ولسليمان الريح والتسخير
تذليل وتليين وذلك قوله رخاء حيث اصاب وكذلك قوله تجرى بامره وقوله
غدوها شهر ورواحها شهر اى كانت تغدوا به مسيرة شهر وتروح
به مسيرة شهر اخر قال الحسن كان يغدو ويقيل باصطخر ويروح منها
اى يوم فيكون بكابل واسلنا له عين القطر اى اذبنا له عين النحاس فاجريناها
له حتى سالت باسالتنا كما النا لداود الحديد دلالة على نبوته وقال ابن
عباس وقتاده واهل اللغه القطر النحاس وقيل قطرب ... وقال مجاهد
سالت من صنعا ثلث ليال بايامها وكذا قال عكرمه وقيل كان النحاس
يجرى له فى الشهر ثلاثه ايام فكل ما فى الدنيا انما هو مما كان يجرى فى ايامه وقوله

وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه اى بحضرته وبمراى عينه باستعماله
باذن ربه بامر ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير قال السدى
مع سليمان ملك بيده سوط من نار فمن استعصى عليه من الجن ضربه بذلك
السوط من حيث لا يراه الجن وقيل نذقه من عذاب السعير فى الاخره لانهم مكلفون
كبنى ادم يعملون له ما يشاء من محاريب قال كيسان اى المجالس الشريفة والمنازل
الرفيعة وقال الاخفش هى المحاريب صدور المجالس وقال ابو عبيدة المحراب
اشرف موضع فى البناء وتماثيل قال ابن عباس كانوا يصنعون تماثيل الانبياء و
الصالحين ليقتدى بهم وقال ابو العاليه لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما
وانما حرم على هذه الامة وجفان كالجواب اى صحاف كبيره كالحياض والواحدة
جابية ومعناه جامعة للماء وحذفت اليا من الجوابى تخفيفا وقدور راسيات
اى ثابتات غير زايلات عن امكنتها قال ابن عباس كان يقعد على كل جفنه
الف رجل وقيل كان يسع فى كل قدر الف شاه ونحوها وكانت تنحت الف ساعة
من الجبال لا تحرك عن موضعها قال وهب كانت اعمال الجن هذه بارض
اليمن اعملوا آل داود شكرا اى وقلنا لهم اعملوا لله على الخلوص شكرا للنعمة عليكم
وقليل من عبادى الشكور قال ابن عباس اى من يشكر على الاحوال كلها وقال
السدى اى قليل من يشكر على الشكر وقال هشام ابن عبد الله اى قليل من يرى
عجزه عن الشكر وقيل وقليل من يشكر لى بلسانه فيحمدنى وبقلبه فيرى نعمة الله

عليه ويبدله فتعبده في طاعة ربه وقال القشيري الشكور من زاد شكره
على شكر امثاله فالشاكر من يشكر على الرخا والشكور من يشكر على البلا والشاكر
من يشكر على العطا والشكور من يشكر على المنع وقليل من عبادي من ياخذ النعمة
مني فلا يحملها على الاسباب فيشكر للوسايط ولا يشكر لي والاكثرون
ياخذون النعمة من الله ثم يتقلدون المنة من غير الله فيشكرون لغير الله و
قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض اي ما
دل الجن وقيل ما دل آل داود وقد سبق ذكر الكل ودابة الارض هي الارضة
التي تكون في الخشب فتاكله تاكل منساته اي عصاه من قولك نسات البعير
وعيره اذا زجرته ليزداد في سيره ويقال نسا اي ساق فلما خر اي سقط
تبينت الجن اي علمت وقيل اي ظهر حال الجن للانس ان لو كانوا اي الجن يعلمون
الغيب ما غاب عن حواسهم ما لبثوا في العذاب المهين في استسخار سليمان
في هذه الاعمال قال مقاتل كان داود اسس بنا مسجد بيت المقدس موضع فسطاط
موسى وكانت بقيت له سنة حتى فرغوا من بنائه وخاف سليمان الموت
فقال لاهله لا تخبروا الشياطين والجن بموتي حتى يفرغوا من باب المسجد
ودعا ربه فقال اللهم عم على الشياطين والجن موتي حتى يعلم الناس
ان الجن والشياطين لا يعلمون الغيب وقال ابن عباس كانت الشياطين والجن
تدعي علم الغيب وما يكون في غد فابتلوا بموت سليمان وقال الواقدي كان

ملك الموت صديقا لسليمان فساله سليمان عن آية موته فقال ان آية موتك ان
تخرج من الارض شجرة يقال لها الخروبة فاذا وجدتها فقد حضر اجلك
فبينا سليمان في منزله ذات يوم طلعت شجرة فقال لها سليمان ما اسمك قالت
الخروبة فدخل سليمان مسجده واتكا على عصاه وقبضه الله فكان كذلك
سنة جرداء وقال مجاهد لما راى الشجرة خط وتكفن وصعد كرسيه واتكا
على عصاه وقال الضحاك مكث كذلك سنة والشياطين والجن يدابون في
العمل ويدخل كل يوم بعضهم عليه فيخرج ويقول لاصحابه جدوا فانه قايم يصلي
فيجتهدون في العمل الى ان فرغوا فلما فرغوا اتت الارضة فاكلت من عصاه ما ولي
الارض فانكسرت العصا وخر سليمان فحينيذ ايقنوا لموته وقيل كان قايما في محرابه
فجاء ملك الموت ليقبض روحه فقال امهلني حتى اوصي الى اهلي فقال لا زمان
فقال اتركني حتى اجلس قال ولكن لك قال وكيف تقبضني قال اتكا على منساتك
فاتكا عليها فقبضه فبقي كذلك حولا ثم اكلت الارضة اسفل عصاه فانكسرت
فخر سليمان عليه السلام فظهر ذلك لهم وقوله تعالى لقد كان لسبا قرا
قرا ابو عمرو وابن كثير في رواية البزي بالفتح غير مجرى لانها اسم قبيلة او
ارض والباقون بالخفض مجرى لانه اسم اب في مسكنهم قرا الكسائي وخلف بكسر
الكاف موحدا وقرا حمزة وحفص بفتحها موحدا وقرا الباقون مساكنهم على
الجمع فقوله مسكنهم اي ارضهم وبلادهم ومساكنهم اي منازلهم ذكر قصة سبا المشرى العرب

وكانت معروفة لهم جحدوا ثم ان نزل لهم بشركهم وكفرهم ما نزل باوليك على كثرتهم
وقوتهم من جهة اضعف خلق الله ووجه الانتظام ان الاول في مدح الشكور و
الثانية في بيان حال الكفور تقول لقد كان لاولاد سبا في ديارهم وهو سبا بن يشجب
بن يعرب بن قحطان واولاد سبا سبعة حمير وكهلان وعمرو والاشعر وانمار
ومر وعاملة ثم بنو سبا وكثر نسلهم حتى ان خزاعة والاوس والخزرج و
غسان من جملة من تفرقوا في البلاد لما جرى على بلاد سبا ما جرى آية اي
علامة تدل على ان لهم الها خلقهم وانعم عليهم لان ما اعطيهم من انواع النعم الشجر
والوان الثمر خارج عن وسع البشر جنتان عن يمين وشمال هي ترجمة قوله آية
قال ابن عباس كانت سبا على ثلث فراسخ من صنعا وكانت اخصب البلاد واطيبها
واكثرها ثمرا حتى كانت المراة تضع على راسها مكتلا فتطوف ما بين الاشجار
وقد امتلا المكتل من الوان الثمار من غير ان تمس بيدها منها شيا وكانت مياههم
تخرج من جبل فبنوا فيه سدا ما بين الصخر بالصخر والقار وجعلوا له ثلاثة ابواب
اعلا واوسط واسفل فكانوا يسرحون المياه الى اشجارهم وكرومهم منها وكان
عن يمين الوادي ويساره بساتين في كرومهم وانهار وكان بين اليمين واليسار مسناة
وهو موضع رفيع فمكثوا في ذلك دهرا فارسل الله اليهم ثلاثة عشر من الرسل فكذبوهم
وكفروا وبطروا النعمة وقالوا للرسل ما لله علينا من نعمة وقال الضحاك
كان ذلك في الفترة بين عيسى ونبينا محمد عليه السلام وكانت الفترة ستماية سنة

ويقال خمسماية وخمسين سنة وقال انس سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن سبا فقال كان سبا رجلا ولد له عشرة من الاولاد تيامن منهم اربعة وتشام
ستة فاما الذين تيامنوا فقضاعة والازد وخزاعة وعاملة واما الذين
تشاموا فكلب ولخم وجذام وغسان وطيشم وانمار وقوله تعالى جنتان
اي بساتين من جانب وبساتين من جانب عن يمين وشمال قيل عن يمين السابل
منها وعن شماله وقيل عن يمين الوادي وعن يساره وعن يمين مساكنهم وعن
يسارها وقيل كانت من جبلين كلوا من رزق ربكم اي قلنا لهم ذلك وهو امر اباحة
واشكروا له وهذا امر ايجاب وقيل هذا كان على السنة رسلهم وقيل هو اخبار
عن اباحة والزام من غير كلام كما في قوله وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا وفي
قوله تعالى لها وللارض ايتيا طوعا او كرها بلدة طيبة ورب غفور اي لكم بلدة
طيبة الماء والهواء والتربة مستلذة مخرجة للنبات والثمرات ورب
غفور لعباده اذا تابوا وانابوا اليه وشكروا له فامنوا به واشكروا له
واطيعوه يغفر لكم وقوله تعالى فاعرضوا اي فتولوا عن الواجب عليهم من
الشكر وكفروا فارسلنا عليهم سيل العرم السيل الماء الجاري الكثير الذي
لا ينضبط دفعه لعظمه وكثرته والعرم قيل هو السكر وقيل المطر الشديد
وقيل هو اسم واد وقيل هو الجرذ الذي نقب السكر وقيل كانت اسنانها
من الحديد وقيل ارسل الله عليه سيلا فقلعه وهدمه وخربه وقيل كان الما

يحبس هناك مما ياتي من امطار السنة وكان واديهم ينصب اليه الما من ساير الاودية
فكانوا يحبسون الما في السد ويخرجون اليها بقدر الحاجة فبعث الله جرذا
فخرقت السد فسال الما المجتمع فلم يمكن رده وكسر الجنات جملة [illegible]
وطينا حتى علت الاشجار وقيل غير ذلك وقيل سال الما متباعدا عنهم وغار
في الارض فجفت جنانهم لغور الما وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط
ذات لانه نعت جنتين والاكل الثمر وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب اكل خمط
مضافا وقرا الباقون منونا وخمط بدلا عنه وترجمة له وقيل الخمط كل نبت من
لا يمكن اكله قاله الزجاج وقال ابو عبيدة ثمر كل شجر ذي شوك وقال ابن عباس
والحسن وقتادة والضحاك هو الاراك وقيل البربر وقال الحسن الاثل الخشب
وقيل السمر وقيل الطرفا وشي من سدر قليل قيل السدر شجر النبق وقال
محمد بن اسحاق صارت عامة اشجارهم الاراك وهو المقل بم قوله من سدر قليل
قيل هو نعت السدر والسدر كان في الجنان الاول ويرغب فيه وبقي شي منه
في الجنان المبدلة ليتذكرون به ما كان ويتحسرون عليه وقيل هو نعت الاكل
اي بدلت لهم جنان لا خضرة لها ولا نضرة الا شي قليل لا يعبو به ولا ينتفعا
به من الخمط والاثل والسدر جميعا فكان نعتا للاكل وهو من هذه الاشيا الثلثة
وقوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا اي ما فعلنا بهم من اهلاك جنانهم ومساكنهم
جزا كفرهم في الدنيا وهل نجازي الا الكفور قرا حمزة والكسائي وخلف وعاصم برواية

حفص نجازي بالنون الكفور نصبا اخبارا من الله تعالى عن نفسه بخطاب
الملوك جمعا وهو متعد ناصب للمفعول وقرا الباقون يجازى باليا والضم على
ما لم يسم فاعله الكفور رفعا لانه اسم ما لم يسم فاعله وهو استفهام بمعنى
النفي اي لا نكون اذا له [illegible] الا جزا الكفور وهذا في الدنيا والاخرة على اعتبارها
قال تعالى كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقوله تعالى
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة قال مجاهد وقتادة القرى
التي باركنا فيها الشام وقال علي بيت المقدس وقال قتادة قرى ظاهرة
اي متواصلة وهي ان تظهر الثانية من الاولى لقربها منها وقدرنا فيها السير
قيل اي للمبيت والمقيل من كل قرية ثلاثة فراسخ او اربعة فراسخ وقيل
سوينا السير ما بين كل قريتين وكانت لا تتفاوت سيروا فيها ليالي واياما اي
قال لهم رسولهم ذلك او معناه كانوا يسيرون كذلك كما مر في قوله كلوا من رزق
ربكم امنين اي من الجوع والعطش وتعرض الناس فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
قرا ابن كثير وابو عمرو وهشام عن ابن عامر بعد بغير الف مجزومة الدال على الدعا
ايضا وهما لغتان كقوله ولا تصاعر ولا تصعر اي بطروا واساوا السيرة
وجهلوا مقدار العافية وسالوا الله ان يبعد اسفارهم روي انهم قالوا ليت
ان اسفارنا تباعدت فكنا نركب البحار ونركب ونحمل معنا الازواد ونقطع
المفاوز متنزهين ولزيادة الاموال ان التجارة مكتسبين وهذا كجهل قوم موسى

وقيل عامرة

[illegible] ربنا بالنصب [illegible] يعقوب [illegible]

في قولهم لن نصبر على طعام واحد وسؤالهم ماسألوا لو والي ها هنا على قول بعضهم بيان
اول احوالهم انه كان لهم جنتان وكانت منازلهم الى الشام في الاسفار متقاربة متيسرة
فملوا ذلك وسألوا ان تباعد الاسفار فبدل لهم الله بجنتيهم جنتين وانبس بلادهم
وغورميا ههم واهلك اموالهم وفرقهم في البلاد وبعدا اسفارهم وذلك قوله و
ظلموا انفسهم فحسوها حظوظها من النعمة والعافيه والدعة فجعلناهم
احاديث تحدث الناس بعدهم بما جرى عليهم ويتمثلون به فيقولون تفرقوا
ايدي سبا واياديَ سبا قال الشاعر

من صادر ووارد ايدي سبا — وقال كثير من عزة

ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم — فلم يحل بالعينين بعدك منظر

ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم في البلاد كل مفرق قال الشعبي اما غسان
فلحقوا بالشام واما الانصار فلحقوا بيثرب واما خزاعه فلحقوا بتهامه
والازد فلحقوا بعمان وقيل كان اول حالهم ما ذكر في الاية الاولى من زوال ذلك
بسيل العرم وتبديل الله جنتيهم بما بدل فقالوا لنبيهم اولا سابهم سلوا حتى
يهيئ لنا اسبابنا فنشكر له ولا نكفره فجعل الله بينهم وبين الشام قرى ظاهرة
سهل عليهم الاسفار وقربت عليهم فلم يشكروا وسألوا تبعيد الاسفار
وقرا سهل ويعقوب ربنا باعد بين اسفارنا برفع قوله ربنا على الابتدا وباعد
على الفعل الماضي اي شكوا الله وسموا اهله اسفارا بعيدة وعادوا الى الكفران

الإيجاز

اما

هو ان يكون مختارا اما اذا كان مكرها فلا يحه لان الله تعالى استثنى حالة الاكراه بقوله
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان والمذكور في الايه هو الدعوة وذلك يكون باللسان
وذلك مع الاكراه لا يكون كفرا ولو كان مكان كلمة الدعوة ما دل على الاعتقاد لم يمكننا
الحمل على هذا التاويل وقوله تعالى وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
نفى الفلاح للكافر مطلقا ووعد الفلاح للمطيع مطلقا ولما كان المؤمن العاصي على
شرف التعذيب مدة امر نبيه عليه السلام بهذا الدعا تعليما لامته ان يقولوها ليغفر
الله لهم ذنوبهم فيصلوا الى الفلاح وهو امره ان يقول رب اغفر اي للمؤمنين والمؤمنات
وارحم اي وارحمهم فيكون الدعا منه ولكن لهم وروى عن ابن مسعود قال كنت مع النبي
عليه السلام في بعض طرقات المدينة اذا رجل قد صرع فدنوت فقرات في اذنه حتى
استوى جالسا قال النبي عليه السلام ماذا قرات في اذنه قلت يا رسول الله فذاك
ابي وامي قرات افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فقال النبي عليه
السلام والذي بعثني بالحق لو قراها موقن على جبل لزال

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي حرم السفاح الرحمن الذي شرع النكاح الرحيم الذي وعد على السمع
والطاعة الفلاح روى ابي بن كعب عن النبي عليه السلام انه قال من قرا سورة النور
كان له عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى وعن ابي عطية قال

كتب الناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا سورة براءة وعلموا نساءكم سورة
النور وهذه السورة مدنية وهي اثنتان وستون آية وقيل اربع والاختلاف في اثنتين
بالغدو والآصال يذهب بالابصار وكلماتها الف وثلثمائة وستة عشر وحروفها خمسة
الاف وستمائة وستة وثلاثون ٥ واتصال اول هذه السورة بآخر تلك انه امر
في آخر تلك السورة بسؤال الرحمة ونيل الرحمة باداء الطاعة دون فعل المعصية
فقال في اول هذه ومن عصى الله ولا تاخذكم بهما رافة واتصال السورتين
انه لما ذكر خلق الانسان ثم ما انعم عليهم بالامر بالتوحيد وعاقبة امره وذكر
المشرك وعاقبة اهله ختم بالامر بالدعا وشرع في هذه السورة المعاملات والجزا
على الموافقات والمخالفات وهو ترتيب معقول تشهد بحسنه الاصول ٥
قوله تعالى سورة اي هذه سورة اي قطعة ودرجة من الكتاب الذي وعدنا
ان ننزله عليك انزلناها اليك من السما وفرضناها وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد
والباقون بالتخفيف ومعنى التخفيف فرضنا العمل بها واضاف الفرض اليها احتيالا
لوضوح المراد قال الضحاك اي حددناها ومعنى التشديد انا انزلنا فيها فرائض مختلفة
او فرضناها عليكم وعلى من بعدكم الى يوم القيامة والتفعيل من الفعل الثلاثي المتعدي
يكون للتكثير او للتكرير وحكي عن ابن عمر وانه قال ليست بفريضة واحدة ولكنها
فرائض وقال غير واحد من المفسرين بيناها وقال مجاهد بينا حلالها وحرامها وانزلنا
فيها ايات بينات اي واضحات لعلكم تذكرون اي لتتعظوا بها واكثر هذه السورة

ترجع احكامها الى الستر والعفاف وما تخللها فمن مقتضياتها ومن جلالة
موقع احكام هذه السورة ما حمله ابو الاين ما ذكر عن ابي وائل قال خطبنا ابن
عباس وهو على الموسم فافتتح سورة النور واخذ يفسرها فقال رجل ما رايت كاليوم
كلاما اخرج من راس رجل والله لو سمعت بهذا الترك لاسلمت وفي بعضها لو سمع
بهذا الديلم لاسلموا وقوله تعالى الزانية والزاني اي المراة التي مكنت من الزنا
وهو الوطي الحرام الخالي عن النكاح وشبهته وملك النكاح وشبهته والزاني
الرجل الذي زنى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة اي اضربوا كل واحد منهما مائة
ضربة بالسوط ونحوه ماخوذ من الجلد فان الضرب يلاقيه وفيه اشارة الى انه
لا يبالغ ليصل الى اللحم بالجرح والخطاب لجميع الامة لان اقامة الحد للدين وهي
على الكل ثم هم يقيمون اماما ينوب عنهم لانه لا يمكنهم الاجتماع عليه وعموم
الاية يتناول المحصن وغير المحصن ثم خص منه المحصن بحديث الرجم وهو رجم
ماعز ويتناول الاحرار والمماليك ثم المملوك يحد خمسين جلدة بقوله تعالى فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب اي الحد وقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة
اي رقة فتتعطلوا اقامة الحد عليهما في دين الله اي طاعته وقيل اي في حكمه واما الرقة
الطبيعية والاسلامية التي لا تدعو الى تعطيل الحد فلا اثم به وقيل هذا امر بالجلد
ولا تخفف رقة عليه فلا يحصل المقصود ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان
يوجب الايثار بامر الله وليشهد عذابهما اي حدهما طائفة من المؤمنين قال ابن عباس

اقله واحد واحد وقال مجاهد اثنان وقيل ثلاثه وقيل اربعه وهو عدد شهود
الزنا وقيل عشره وقال قتاده امر الله ان يشهد عذابهما طايفه من المومنين ليكون
ذلك عبره وموعظه ونكالا وقال الحسن امر الله بذلك لتعظيم الحدود وقال
نصر بن علقمه اما ان ذلك لم يرد للفضيحه ليدعا لهما بالتوبه والرحمه وقال
الحسن وليشهد عذابهما طايفه من المومنين يعني به مجلس الحكم فانه لا يكون الا
وفيه طايفه من المومنين وهو اشاره الى ان اقامته الى الحكام وقال القشيري
وليشهد عذابهما طايفه من المومنين اي ليكون ذلك عليه اشد وليكون اشد تخويفا
لمتعاطي ذلك الفعل ثم من حق الذين يشهدون ذلك الموضع ان يذكروا عظيم نعمة
الله عليهم ان لم يفعلوا مثل فعله كيف عصمهم من ذلك وان كان قد جرى عليهم شي
من ذلك ذكروا عظيم نعمة الله عليهم اذ لم يهتك سترهم ولم تفضحهم ولم
تقمهم في الموضع الذي اقامه فيه وسبيل من شهده انه لا يعير صاحبه وان لا ينسى
حكم الله في اقدامه على جرمه وقال غيره معنى جلد غير المحصن ورجم المحصن
ان الخبث لحرم الناس عمل الحمر والكلاب ليس عمل العقلا المميزين فيضرب
للخبث ضرب الحمر ويرمي بالحجاره رمي الكلاب وقوله تعالى الزاني لا ينكح
الا زانيه او مشركه والزانيه لا ينكحها الا زان او مشرك روي عن ابن عباس انه
قال لما المهاجرين اتوا المدينه فضاقت عليهم معيشتهم وقلت ايديهم
لغلا الاسعار بها وكان بالمدينه نسا فواجر زواني مخصبات حسنات في ذات
ايديهن

فقال المهاجرون لو تزوجناهن فاخصبنا فاذا استغنينا عنهن طلقناهن
فسالوا رسول الله عليه السلام عن ذلك فانزل الله هذه الايه وفي الايه اقاويل كثيره
وللناس في العمل بها مذاهب مختلفه وعن سعيد بن المسيب ان الايه كانت على ظاهرها
في تحريم نكاح الزانيه على الزاني وغيره وان الامر كان على ذلك الى ان نسخ ذلك وابيح
لهم ان ينكحوا من شاوا من الزاني وغيره والنسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم واصح الاقاويل
فيها انها تزهيد في نكاح البغايا وتاويل ذلك لمن اهل الاسلام والايمان يسلكهم ان لا
يرغبوا الا في المسلمات العفايف فالزاني انما يميل الى من هو على مذهبه في الزنا والتهتك
او الى من لا يعتقد الايمان فهو لا يفكر في التعفف والزانيه لا ينكحها الا زان او مشرك
ايضا انما تميل الى احد رجلين اما الى زان مثلها واما الى مشرك شر منهما اي في الزنا
وعدل الشرك في انه شي واهل الايمان بمعزل عنه فان الايمان قرين العفاف والتحصن
فانتم معاشر الراغبين في البغايا اذ كنتم مومنين حقيقون بالزهد فيمن مذهبهما (?)
بمعزل عما توجبه مذاهبكم في الايمان وهو نظير قوله في تاويل بعضهم الخبيثات
للخبيثين الايه وحرم ذلك على المومنين اي حرم الزنا وفعل الشرك وقيل نكاح
البغايا قصدا للتكسب بما ياخذون بالزنا وقوله تعالى والذين يرمون المحصنات
اي يقذفون بالزنا العفايف ثم لم ياتوا باربعه شهدا على زنا المقذوفه فاجلدوهم
ثمانين جلده فانهم واجدوا القذف عليهم بهذا وهو خطاب للايمه ويتولى الامام عنهم
كما قلنا في الزناه ولا تقبلوا لهم شهاده ابدا اي لا تقبلوا شهادتهم ابدا وهذا الحكم

من الحد ايضا فهو مشروع على التابيد عندنا لا يقبل بحال وان تاب واولئك هم
الفاسقون خارجون عن الطاعة بقذف المحصنة الا الذين تابوا من بعد ذلك
اي بعد الرمي اي القذف واصلحوا اي واصلحوا احوالهم بعد التوبة واظهروا الاعمال
الحسنة فان الله غفور رحيم يغفر ذنوبهم ويرحمهم ولا يعذبهم والاستثناء لزوال
اسم الفاسقين عنهم لا لبطلان رد الشهادة فانه حق ثم حمله الجلد وذلك لا
حكم
يبطل بالتوبة اما الفسق فيزول بها ثم النص في قذف المحصنة وحكم قذف المحصن كذلك
والاحصان في المقذوف يثبت بخمسة اشياء العقل والبلوغ والاسلام والحرية والعفة
فاذا فات هذه وصف منها لم يكن محصنا ولا حد على قاذفه واحصان الزاني الذي يرجم
بالعقل والبلوغ والاسلام والحرية والنكاح الصحيح والدخول بالمنكوحة في النكاح
الصحيح ويعرف ذلك في الفقهيات وقوله تعالى والذين يرمون ازواجهم
اي يقذفون زوجاتهم بالزنا ذكر هذا بعد ذكر حكم قذف الاجنبيات ولم يكن لهم شهداء
الا انفسهم اي لم يكن لهم شهود اربعة يقيمونهم على دعويهم واستثنى انفسهم لانه
عليهم اللعان واللعان شهادات موكدة بالايمان فكانوا شهودا باللعان فشهادة
احدهم اربع شهادات بالله قرا حمزة والكسائي وخلف وعاصم في رواية حفص والمفضل
اربع بالرفع لانه خبر المبتدا وقرا الباقون بالنصب لوقوع فعل الشهادة عليه اي
فيشهد احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين يحلف اربع مرات انه صادق
فيما رماها به من الزنا بعد التكلم بلفظ الشهادة اشهد اني صادق فيما رميتها به

من الزنا والخامسة ان لعنة الله عليه قرا نافع وسهل ويعقوب والمفضل عن عاصم
ان مخففا لعنة الله بالرفع وقرا الباقون بتشديد ان ونصب اللعنة ان كان من الكاذبين
اي يقول في المرة الخامسة لعنة الله علي ان كنت كاذبا فيما رميتها به من الزنا ه
ويدرأ عنها العذاب اي يدفع عن المرأة الحبس والجبر على اللعان فانها اذا امتنعت
عن اللعان حبست واجبرت عليه حقا للزوج ان تشهد اربع شهادات اي هذا الدفع
عنها الحبس والجبر بالله انه لمن الكاذبين اي تقول عند القاضي بعدما التعن الزوج
عند القاضي اشهد بالله ان زوجي هذا كاذب فيما رماني به من الزنا والخامسة
ان غضب الله عليها قرا عاصم في رواية حفص والخامسة بالنصب عطفا على قوله ان تشهد
اربع وتشهد الخامسة والباقون بالرفع اي واللفظة الخامسة ان غضب الله عليها
ان بالتخفيف غضب الله قراه نافع والمفضل عن عاصم ان غضب الله قرا سهل
ويعقوب وبالتشديد قراه الباقون ان كان من الصادقين اي يقول في المرة الخامسة
غضب الله علي ان كان هو صادقا فيما رماني به من الزنا وقوله تعالى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم حذف جواب لولا وهو ابلغ لان النفس تذهب
في تقدير جوابه كل مذهب وقال الكلبي جوابه لاظهر المريب وفضحه وقال
الحسن جوابه لعاجلكم بالعذاب فاهلككم وقال ابن عباس ومقاتل نزل قوله تعالى
والذين يرمون المحصنات قرأها النبي عليه السلام يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم
بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان رأى رجل منا مع امرأته رجلا فاخبر

ثمانين جلدة وسمي فاسقا ولا تقبل شهادته ابدا فكيف لنا بالشهدا
ولو التمسنا الشهدا لكان الرجل قد فرغ من حاجته وكان لعاصم هذا ابن عم يقال
له عويمر وله امراة يقال لها خولة بنت قيس بن محصن فاتى عويمر عاصما فقال
له لقد رايت شريكا ابن السحما على بطن امراتي خولة فاسترجع عاصم واتى رسول
الله عليه السلام في الجمعة الاخرى فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بالسوال
الذي سالت في الجمعة الماضية في اهل بيتي فقال رسول الله عليه السلام وما ذاك
فقص عليه القصة وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عم عاصم فدعا رسول الله
عليه السلام بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وحليلتك وابنة عمك
فلا تقذفها فقال يا رسول الله اني اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها واني
ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال رسول الله عليه السلام للمراة
اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا رجل غيور
وانه راني وشريكا نطيل السهر ونتحدث فحملته الغيرة على ما قال فقال
رسول الله عليه السلام لشريك ما تقول فقال ليس كما تقول المراة فانزل
الله والذين يرمون ازواجهم فامر رسول الله عليه السلام حتى نودي
الصلوة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقال اشهد بالله ان
خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت شريكا
على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد انها حبلى

من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة اشهد اني ما قربتها منذ اربعة اشهر
واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من
الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود وقال لخولة قومي فقامت فقالت اشهد بالله
ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد بالله انه
ما راى شريكا على بطنها وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد اني حبلى منه
وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد انه ما راى قط علي فاحشة
وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة يعني نفسها ان كان
يعني عويمر من الصادقين ففرق رسول الله عليه السلام بينهما وقال لولا الايمان لكان
لي في امرهما راي ثم قال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج
يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين
فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت به اشبه خلق الله لشريك ه ثم
كلمات اللعان شهادات موكدة بالايمان وانما تجري بين الزوجين اذا كانا من اهل
الشهادة مسلمين حرين عاقلين بالغين غير محدودين في قذف لقوله
تعالى ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات استثنى انفسهم
من جملة الشهدا وسمى ذلك شهادة ولانه شرط لفظ الشهادة ولفظة
بالله فدل على انها شهادة موكدة باليمين وقال النبي عليه السلام لا لعان بين اهل
الكفر واهل الاسلام ولا بين العبد وامراته ولا بين الحر وبين امراته اذا كانت امة

وقال الشافعي هي ايمان فتجري بينهما اذا كانا من اهل اليمين لان النبي عليه السلام قال
في هذا الخبر لولا الايمان ولان الفاسق والاعمى من اهل اللعان بالاجماع ولا شهادة لهما
ولنا ان فيه معنى اليمين ومعنى الشهادة ايضا والفاسق والاعمى لهما شهادة ولهذا ينعقد
النكاح بهما عندنا لكن في سائر المواضع لا تقبل للتهمة والتهمة هاهنا غير مانعه
لان العدل يلاعن وهو متهم ثم ايهما نكل حبس واجبر عليه حتى يلتعن عندنا لانه
حق مقصود وعند الشافعي ايهما نكل حد لان قذف الرجل موجب للحد ويسقط
عنه باللعان ولعان الزوج موجب للحد عليها ولعانها مسقط قال الله تعالى ويدرأ
عنها العذاب اي الحد كما قال وليشهد عذابهما طائفة ولنا لا معنى لاقامة الحد عليها
بقول الزوج ولا بنكولها لان الحد لا يقام بالنكول واما العذاب فيحتمل الحبس والحبس
ولا تقع الفرقة عندنا من غير تفريق القاضي حتى لو مات احدهما ورثه الآخر ولو
اكذب نفسه فهي امرأته ولا تفريق بينهما وعند مالك وزفر اذا فرغا وقعت الفرقة
وعند الشافعي تقع الفرقة بلعان الزوج ثم لعان المرأة لدرء الحد عنها ثم هما لا يجتمعان
ما داما متلاعنين فان اكذب الزوج نفسه او بطل اهليه شهادة احدهما جاز
النكاح بينهما عند ابي يوسف والدلائل تعرف في الفقهيات وقوله تعالى ان الذين
جاءوا بالافك عصبة منكم الآية وسنذكرها تقدم من الخلاف حد القذف وسبب نزول هذه
الآيات في حق عائشة الصديقة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وقصته
ما روى الزهري قال اخبرني عروة وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله

بن عتبة عن عائشة حين قال لها اهل الافك ما قالوا فبرأها الله وكلهم حدثني
من حديثها طائفة وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض زعموا ان عائشة قالت
كان رسول الله عليه السلام اذا اراد ان يخرج سفرا اقرع بين ازواجه فايتهن خرج
سهمها خرج بها معه فاقرع بيننا في غزوة بني المصطلق فخرج بها سهمي فخرجت
مع رسول الله عليه السلام بعد ما انزل الحجاب قالت فاحمل في هودجي وانزل
فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله من غزوته وقفل ودنونا من المدينة فاذن
اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل لسبب حتى جاوزت الجيش فلما
قضيت شأني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد
انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا
يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب وهم
يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين
رفعوه وكانت جارية حديثة فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر
الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي كنت فيه
وظننت انهم سيفقدونني ويرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني
فنمت وكان صفوان بن المعطل الذكواني من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي
فرأى سواد انسان نائم فاتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاسترجع
فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني وخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلمنا

فسرت

ظفار مدينة باليمن ... والجزع بالكسر ... هكذا ...

بروان شدند

با خرش رفت

بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى اناخ راحلته وركبتها وانطلق
يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا في نحر الظهيرة فهلك من هلك وكان
الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت
المدينة شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب الافك لا اشعر بشيء من ذلك وهو
يريبني في وجعي اني لا اعرف من رسول الله عليه السلام اللطف الذي كنت ارى
منه حين اشتكي انما يدخل علي رسول الله ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك
يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت مع ام مسطح قبل
المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا من الليل الى الليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف
وهو قريب من بيوتنا وامرنا امر العرب الاولى في البرية وكنا نتاذى بالكنف
ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن المطلب
بن عبد مناف وامها ام صخر بنت عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن
مرة خالة ابي بكر الصديق وام ابي بكر ام الخير بنت صخر بنت عامر وابنها مسطح
بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فاقبلت انا وام مسطح في مرطها
قبل بيتي حين فرغنا من شاننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح
فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت اي هنتاه اولم تسمعي
ما قال قالت قلت وماذا قال قالت فاخبرتني بقول اهل الافك قالت
فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله عليه السلام

ثم قال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي ابوي قالت وانا حينئذ اريد ان
استيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن لي رسول الله عليه السلام فجئت ابوي
فقلت لامي يا امتاه ماذا يتحدث الناس فقالت اي بنية هوني عليك فوالله
لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا اكثرن عليها
قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت لم فقلت سبحان
الله ولقد تحدث الناس بهذا فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع
ولا اكتحل بنوم قالت ثم اصبحت ابكي فدعا رسول الله عليه السلام علي بن
ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله
قالت اما اسامة فاشار على رسول الله عليه السلام بالذي يعلم من براءة اهله
وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله اهلك ولا نعلم الا خيرا
قالت واما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير
وارسل الى الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله عليه السلام بريرة فقال
لها اي بريرة هل رايت من عائشة شيئا يريبك قالت له بريرة والذي بعثك
بالحق ان رايت عليها امرا قط اغمصه عليها غير انها جارية حديثة السن
تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام رسول الله عليه السلام
من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي ابن سلول قالت فقال رسول الله عليه
السلام وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه في اهلي

ووالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما
كان يدخل على اهلي الا معي قال فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله انا اعذرك منه
ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا امرك
قالت فقام سعد بن عباده وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن
احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله
فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عباده كذبت لعمر
الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس و
الخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله عليه السلام قائم على المنبر قالت فلم
يزل رسول الله عليه السلام يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت فبكيت يومي ذلك
كله لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم قالت فاصبح ابواي عندي قد بكيت يومين
وليلتين لا اكتحل بنوم ولا يرقا لي دمع يظنان ان البكاء فالق كبدي قالت
فبينما هما عندي وانا ابكي استاذنت علي امراه من الانصار فاذنت لها فجلست
تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله عليه السلام فسلم
ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل قبلها وقد لبث لا يوحى اليه
في شاني شي فتشهد حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشه فانه قد بلغني عنك كذا
وكذا فان كنت بريه فسيبريك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي
اليه قال فلما قضى رسول الله عليه السلام مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه

قطره

قطرة فقلت لابي اجب رسول الله فيما قال قال والله ما ادري ما اقول لرسول
الله فقلت لامي اجيبي رسول الله فقالت ما ادري ما اقول لرسول الله فقلت
وانا جاريه حديثه السن لا اقرا كثيرا من القران لقد سمعتم هذا الحديث حتى
استقر في انفسكم وصدقتم ولئن قلت لكم اني بريه والله يعلم اني بريه لا تصدقونني
بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريه لتصدقنني واني والله ما اجد
لي ولكم مثلا الا ابا يوسف قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت
ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وانا والله حينئذ اعلم اني بريه وان
الله سيبريني ببراتي ولكن ما كنت اظن ان الله ينزل شيئا في شاني من الوحي
يتلى ولشاني كان في نفسي احقر من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت ارجو
ان يرى رسول الله عليه السلام في النوم رؤيا يبريني الله بها قالت والله ما قام
رسول الله ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل عليه فاخذه ما كان ياخذه
من البرحا حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي
من ثقل القول الذي انزل عليه قال فسري عن رسول الله عليه السلام وهو يضحك اي انكشف
فكانت اول كلمه تكلم بها ان قال يا عايشه اما والله لقد براك الله قالت امي قومي
الى رسول الله قالت قلت لا والله لا اقوم اليه فاني لا احمد الا الله وانزل الله ان
الذين جاوا بالافك الايات كلها فلما انزل الله تعالى الايات في براتي وكان ابو بكر رضي
الله عنه ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره فقال والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا

بعد الذی قال لعایشه ما قال فانزل الله ولا یاتل اولوا الفضل منکم والسعه الایه فلما
انزلت الایه قال ابو بکر بلی والله انی لاحب ان یغفر الله لی فرجع الی مسطح النفقه
التی کان ینفق علیه وقال والله لا انزعها عنه ابدا وقوله تعالی ان الذین جاو
بالافک اخبر بما کان غیبا عنهم لانهم ظنوا ان الافک وقع من الکفار دون من کان
من المومنین فقال ان الذین اتوا بالکذب فی امر عایشه عصبه منکم ای طایفه
منکم معشر المسلمین وهذا تعجیب من استنزال الشیطان اهل الایمان الی المناکیر
هذا من العصیان لا تحسبوه شرا لکم ای لا تظنوه شرا اصابکم بل هو خیر لکم
خیر ولهم شر لان فی ذلک اجرا لکم وتکفیر الخطایاکم لکل امری منهم ما اکتسب
من الاثم ای علی کل واحد عقوبه منهم ما اکتسب من الوزر علی قدر سعیه فی
اشاعه الافک والقول به والذی تولی کبره ای والذی تحمل بنفسه معظم ذلک
منهم ای من العصبه له عذاب عظیم اعظم من عذاب من هو دونه قیل هو الذی
بدا به وقیل هو الذی کانوا یجتمعون عنده ویتکلمون به ویوذون الی عایشه بذلک
وهو عبد الله بن ابی بن سلول لعنه الله وکان راس المنافقین ودخل فی قوله عصبه
منکم وهم المومنون لاظهاره الایمان وقیل تولی کبره حسان بن ثابت وابن ابی
والازوری ومسطح ابن اثاثه وروی ان النبی علیه السلام جلد فی هذا رجلین وامراه
ودخلت فی قوله لکل امری منهم لانه کلمه جمع والانثی تدخل جمع الذکور ما سمعهم
لولا اذ سمعتموه ای هلا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خیرا

ای یامن الهم کما قال فسلموا علی انفسکم وقالوا هذا افک مبین ای کذب ظاهر لا یلیق
بهما وعایشه هی زوجه رسول الله علیه السلام واحب الناس الیه وقال القشیری
بین الله بهذه القصه انه لا یخلی احدا من المحنه والبلا فی المحبه والبلا والمحنه من اقوی
ارکان المحبه قال علیه السلام یبتلی الرجل علی قدر دینه وان الله یغار علی قلوب
خواص عباده فاذا حصلت مساکنه بعض الی بعض اجری الله ما یرد کلا
عن صاحبه فیرده الی نفسه ومن ذلک قالوا   شعر

اذا علقت روحی حبیبا تعلقت   به غیر الایام کی تسلبنیه

وان النبی علیه السلام لما قیل له ای الناس احب الیک قال عایشه وقالت عایشه
یا رسول الله انی لاحبک واحب قربک فاجری الله حدیث الافک حتی انصرف قلب
رسول الله عنها وکان لا یزید علی قوله کیف تیکم وانصرف قلبها حتی قالت عند
ظهور البراه نحمد الله لا نحمدک وقوله تعالی لولا جاوا ای العصبه باربعه
شهدا ان کانوا صادقین فهلا اقاموا اربعه شهود فاذ لم یاتوا بالشهدا فاولئک
عند الله هم الکاذبون عند الله ای فی حکم الله کما قال حواله عند ابی حنیفه کذا او عند
الشافعی کذا او هذا فی کل الناس من قذف ولم یقم علیه بینه فهو کاذب فی حکم
الشرع به یسمی والیه ینسب وان کان صادقا فی الباطن ولو اقام بینه یعد صادقا
وان کان کاذبا فی الباطن وقیل عند الله ای فی علم الله وهذا یکون فی حدیث عایشه
علی الخصوص لان الله تعالی علم کذب قذفتها وتاویل الایه علی هذا القول لولا

جاوا عليه باربعة شهدا ايكون لهم حجة في الظاهر على صدقهم فاذ لم ياتوا بالشهدا
فاعلموا انهم عندي كاذبون في الباطن كما هم كاذبون عندكم في الظاهر وفايده هذا
الكلام انهم لو اتوا باربعة شهدا لكانوا غير كاذبين في الظاهر وكاذبين في الباطن
وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة اي ولولا افضاله عليكم
ورحمته بان لا يعاجلكم بالعقوبة ويبسط لكم مدة التوبة ويقبل توبتكم وهو فضله
ورحمته في الدنيا بان يغفر لكم ويرحمكم يوم القيامة اذا انتم تائبين ولا يعذبكم
ويتفضل عليكم فيدخلكم الجنة وهو فضله ورحمته في الاخرة لمسكم فيما افضتم فيه
عذاب عظيم اي لنالكم فيما خضتم فيه من الافك عذاب عظيم يعاجلون به وقيل
معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم في الدنيا
والاخرة جميعا ولكنه تفضل عليكم ورحمكم في الدنيا وقبل توبتكم وازال عنكم
العذاب في الدارين وقوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم قال ابن عباس اي يرويه
بعضكم عن بعض وقيل اي تاخذونه كقوله فتلقى ادم من ربه كلمات واصله
تتلقونه وهي قراءة ابي بن كعب وقرات عايشة تلقونه بكسر اللام وتخفيف
القاف من الولق وهو الكذب وقيل السرعة في الكذب ومعنى التلقي بالالسنة
ان التلقي قد يكون بغير الكلام قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان وذلك اخذ كانه
من غير اختصاص بالقول وكان تلقيهم بالالسنة ان بعضهم كان يقول لبعض هل
بلغك حديث عايشة حتى فاض ذلك فيما بينهم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم

والتقييد بالافواه ايضا انه لا حقيقة له فهو مقتصر على وجودها بالافواه لا غير
وهو كقوله في الظاهر ذلكم قولكم بافواهكم وتحسبونه هينا يسيرا لا اثم فيه وهو عند
الله عظيم يستحقون به العقوبة لانه ايذا رسول الله وزوجة رسوله واشاعة
الفاحشة في الحرم تهمة عنها ومعنى عظيم منكر شنيع واطلاقه في ذلك معارف
ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي هلا اذ سمعتم هذا الافك قلتم
ما يحل لنا في دين الله ان نتكلم بهذا الافك سبحانك كلمة تعجب اي العجب ممن يتكلم بهذا
قال الاعشى اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وقيل اي ننزهك
عن ان نعصيك بخوض بالقذف هذا بهتان عظيم كذب شنيع وذكر في الاية المتقدمة
وقالوا هذا افك مبين فيجوز ان يكونوا امروا بان يتكلموا بالكلامين جميعا مبالغة في
التبري عن قبوله واعتقاده ويجوز ان يكون الثاني تكلما باللسان بعد ذكره بعد التصريح
بالكلام ان نتكلم بهذا والاول في القول في النفس بعد ذكره بعد الظن ظن المومنون
والمومنات فلا يكون تكرارا ويكون مجموعهما يقولون في انفسهم لا نعتقد هذا ويقولون
بالسنتهم تبرا من تجويز هذا وقوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي
يحذركم الله ان تعودوا الى مثل ما فعلتم من القول به وسماعه وتلقيه ان كنتم مومنين
فان الايمان يوجب الاتعاظ بوعظ الله ويبين الله لكم الايات اي علامات الدين
التي يجب ان تتدينوا بها والله عليم بكم وبما لكم حكيم يجري على وفق العلم وقوله
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا اي تنتشر المقالة السيئة الشنيعة

القبيحة في المؤمنين كهذا الافك من غير صحة لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة
وفي المؤمنين على هذا الوجه وجهان احدهما انهم هم المقذوفون اي يشيعون القول فيهم
والثاني في الذين آمنوا اي بين الذين آمنوا وهم السامعون اي يقذفون انسانا ويظهرونه
فيما بين المؤمنين والعذاب في الدنيا حد القذف وفي الآية دليل حيث لكن لما قال
ان تشيع علم انهم هم الذين اظهروا اما الحبوا بلسانهم بالتكلم بكلمة القذف وعذاب
الآخرة النار وسائر العقوبات ان لم يتوبوا وقال قتادة ان تشيع الفاحشة اي
تظهر الزنا ومعناه انهم اذا اشاعوا عن عائشة انها فعلت كذا قالت النساء اذا زنت
عائشة وهي زوجة النبي عليه السلام هذا فكيف بنا فيقع في الزنا ويظهر ذلك
فيكون المتكلم بهذا على الافك مسببا ظهور الزنا في النسا وله عذاب الدنيا والآخرة
وقوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون اي مقادير الجنايات والعقوبات وقيل
والله يعلم الذي يحب ان تشيع الفاحشة فالمراد وكان ذلك عبد الله بن ابي بن سلول
وهو كقوله مردوا على النفاق الآية وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله رؤف رحيم اي لعاجلكم بالعقوبة على ما فعلتم وقيل معناه ولولا فضل الله
عليكم ورحمته بانزال الوعيد على اشاعة الفاحشة لشاعت وقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره
وهي وساوسه بالاصغاء الى الافك والقول به ومن يتبع خطوات الشيطان فانه
يأمر بالفحشاء والمنكر اي من اتبع ذلك ارتكب الفحشاء والمنكر فان الشيطان لا يأمر الا بهما

وهذا بيان انه اذا كان كذلك لم يحرم طاعته ولم يصلح اتباعه والفحشاء ما فيه حد
والمنكر ما لا حد فيه وقيل الفحشاء القبيح والمنكر ما هو في نهاية القبح ومعنى الفحشاء
لغة الفعلة المفرطة القبح ومعنى المنكر ما لا يعرفه العقل والشرع ولولا فضل الله
عليكم ورحمته اي لولا توفيق الله وعصمته ما زكى منكم من احد ابدا اي ما طهر احد منكم
من دنس الذنوب ابدا بل وقعتم فيها لاهوا النفوس ولغوا الشيطان ولكن الله
يزكي من يشاء اي يطهر ودل هذا على ان الله خالق الافعال وهو حجتنا على اهل الضلال
والله سميع اي للاصوات عليم اي بالاسرار لا يخفى عليه متبع الشيطان من غيره
والمزكي من غيره وهو يرغب ويرهب وقوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم
والسعة قيل اي لا يحلف وهو افتعال من الالية كما قال الله تعالى للذين يؤلون
من نسائهم وائتلى يأتلي ائتلاء قال زهير شعر
ان تصرميني فاني غير مؤتلي قسما بالله ليس علي فالها زور وقال
ابو عبيدة وقطرب ولا يأتل اي لا يقصر وقيل لا يألو الوا اي قصر قال تعالى لا يألونكم
خبالا اي لا يقصرون في افساد امركم ويأتلي كذلك كما قال امرؤ القيس
الا رب خصم فيك الوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤتلي اولوا
الفضل اي الفضيلة في الدين والسعة اي الغنى في المال والواسع الغني وقيل
اولوا الفضل اي اولوا الافضال اي المشهورون بذلك ثم المنكرون فضل ابي بكر الصديق
يحملون هذا الفضل على فضل المال لكن لا معنى له لانه مستفاد من قوله والسعة

فعرف ان الفضل الىسر بذلك لانه معاد مجض بل هو الفضل في الدين ان يوتوا اولى
القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله اى يعطوا اقرباهم المساكين المهاجرين
وادخال الواو لاختلاف الصفات والموصوفون طايفة واحده وقيل هم جماعة يد
بهم الواحد وهو مسطح ابن اثاثة الذى ذكرناه في القصه وقع في الافك نسوم صحبه
اى اتى وكان حلفه تلك الساعة عنده وحلف ابوبكر الصديق ان لا ينفق عليه بعدهذا
وكان في نفقته فنزلت فيهما هذه الايه وفيه بيان فضل الصديق رضى الله عنه من وجوه
احدها انه نهاه مغاتبه وهو تشريف وسماه اولى الفضل فدل على فضله من وجهين
من جهه الجمع ومن جهه التنصيص على الفضل وخصه على ايتا اولى القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله وكان مسطح قريبه ابن بنت خالته وكان مسكينا وكان مهاجرا
وفيه بيان فضل مسطح ايضا وقوله تعالى وليعفوا اى وليتجاوز عن الجفا وليصفحوا
اى وليعرضوا عن العقوبة ومما امر من معاتبه ايضا الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا
غايه التلطف في الخطاب اى واذا احببتم مغفرة الله لكم فاغفروا لغيركم والله
غفور رحيم اى فتادبوا بادب الله واغفروا وارحموا ولما نزل الا تحبون قال
ابوبكر بلى يا رب ثم عاد مسطح الى ما كان من نفقته ثم السبب وان كان خاصا فاللفظ
عام وهو حجه لكان خطابا لكل من كان ذا فضل وسعه في حق كل ذى قربى ومسكين ومهاجر
وقال الضحاك ولما نزل عذرها من السما قال ابوبكر واخرون من المسلمين والله لا نصل
رجلا تكلم بشى من شان عايشه ولا ننفق عليه ولا نكون منا ونقه خير ابدا فنزلت

الايه وقال القشيرى تحرك في الصديق رضى الله عنه عرق من البشريه حتى
هم ان يقطع الرفق عن مسطح فابى الله له ذلك وانزل هذه الايه فلم يرض من الصديق
ان يتحرك فيه عرق من الاحكام النفسيه والمطالبات البشريه فعاد لما كان
يفعله من الاحسان اليه والاحسان الى المحسن مكافاة والى من لا يحسن ولا يسى
فضل والى الجانى فتوة وكرم وقال في قوله وليعفوا وليصفحوا العفو ان يتجاوز عن
الجانى والصفح ان يتناسى جرمه وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب فلا يبقى فيه
كراهه وانشدوا رب رام لى باحجار الاذى لم اجد بدا من العطف عليه
فعسى يطلع الله على فرح القوم فيدنينى اليه
وقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات اى يقذفون العفايف الغافلات
اى عن الفواحش لا يفكرن فيها ولا يتعرضن لها المومنات بكل ما يجب الايمان به
وفيه اثبات هذه الصفات لعايشه رضى الله عنها لعنوا في الدنيا اى طردوا
القذفه وابعدوا في الدنيا عن الثنا الحسن على السنة المومنين والاخرة اى وفى
الاخرة عن رحمه الله ويتكلم المومنون في الدنيا بلعنهم والملايكه في الاخره وكذلك
اهل الموقف وكذلك اهل النار قال تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقال ويلعن
بعضكم بعضا والايه في عبد الله بن ابى المنافق واصحابه وكان الله تعالى علم منهم الموت
على النفاق فالزمهم اللعن في الدارين وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم في حقهم ايضا
وبهذا التاويل ينقضى عن سوال من قال ذكر في اول هذه السوره ان الذين يرمون

المحصنات ثم قال الا الذين تابوا فجعل لهم توبة والتائب لا يكون له لعنة الاخرة
لكن نقول هذه الاية الثانية في حق المنافقين ولا توبة لهولا المنافقين المخصوصين
وقيل ان الله ستغفر كاوليائه ما بلغ ما شنع في حق نفسه قال في حق اليهود الذين قالوا
يد الله مغلولة ولا كلام اشنع منه ولعنوا بما قالوا فاطلق ولم يقل في الدنيا والاخرة
وقال في حق قذفة المحصنات خصوصا زوجة رسوله ﷺ عائشة لعنوا في الدنيا
والاخرة وقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وقرا حمزة والكسائي وخلف
يشهد بالتذكير لتقدم الفعل والحائل ما والباقون بالتاء لانها فعل الالسنة وهي
جمع اي ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم بالافك الذي جاءوا به فيعترفون
فيقذفون بذلك في النار وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اي تشهد الايدي
والارجل بسائر المعاصي التي عملوا بها ولا يعارض هذا قوله اليوم نختم على افواههم
وشهادة الالسنة لا تتحقق مع الختم على الافواه لان ذلك يكون في حال وهذا في حال
ولان هذا في حق القذفة وذاك في الكفار الذين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم
على افواه اولئك وقال النبي عليه السلام اذا كان يوم القيامة يقول الكافر انك
وعدتني ان لا تظلمني واني لا اقبل اليوم علي الا شاهدا من نفسي فيختم الله على
لسانه وتشهد عليه جوارحه بما عمل من المعاصي ثم ينطق الله لسانه فيقول
لجوارحه اف لكن فعنكن كنت اناضل وقال القشيري كما تشهد على قوم
تشهد لقوم العين بالبكاء واليد بالعطاء وكذا سائر الاعضاء وتشهد ايضا في الدنيا

على المحبة آثارها من صفرة الوجه وشحوب اللون ونحافة الجسم وجري
الدمع وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي حسابهم كما قال في ذلك
الدين القيم اي الحساب المستقيم وايضا الحساب ايضا الجزاء قال تعالى ووفيه حسابه
وقيل الدين هو الجزاء يقال كما تدين تدان اي كما تفعل تجازى به والحق صفة له
اي هو حق مستحق ولا جور فيه بزيادة عذاب على غير ذنب ونقصان ثواب على
طاعة وقال ابو عبيد هو كقوله دينهم حقا اي صدقا ثم عرفه باللام ويعلمون
ان الله هو الحق المبين ذكر بالبراهين الخبيثات للخبيثين اي الكلمات
الخبيثات للرجال الخبيثين اي كلمات القذف انما تليق بالفساق والخبيثون
للخبيثات هم الذين يليق بهم الكلام الخبيث وقيل الخبيثات من الكلام انما تلصق
بالخبيثين لا بالطيبين وعائشة طيبة اختارها الله لصحبة نبيه فلا تلصق بها
هذا والطيبات للطيبين اي الكلمات الطيبة للرجال الطيبين والطيبون
للطيبات كذلك قال تعالى ومثل كلمة خبيثة وقال كلمة طيبة وقيل لان الكلمة
توصف بالخبث والطيب والخبيثون والطيبون يتناول الذكور والاناث
جميعا وقيل الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الرجال وكذا الطيبة وفيه
تبرئة عائشة لما انها زوجة رسول الله ﷺ فهي طيبة لزوج طيب وامراة المنافق
القاذف خبيثة لزوج خبيث وقوله اولئك مبرءون مما يقولون قال بعض المفسرين هي
عائشة وقيل عائشة وصفوان وهو جمع اريد به الواحد والاثنان وقيل اي الطيبات

والطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثات والخبيثون وانزل في ذلك عائشة وصفوان
وقيل هذا ابتدا الصنفين اي الطيبات والطيبون مبرؤون عن خبث يقال فيهم والخبيثات
والخبيثون مبرؤون عن كلام طيب يقال فيهم وقوله لهم مغفرة ورزق كريم اي في
الجنة وهذا لعائشة وصفوان او لكل الطيبين والطيبات والقشيري اجرى
الخبيثات والطيبات في الاقوال والافعال والاحوال والاموال والطيبين والخبيثين
على النساء والرجال والاطفال والامات وحمل الكل ايضا على الاشخاص وقرر من وجه
اخر فقال الطيبات هي الاشخاص وهي المبرات من رهج الحظوظ المنقيات عن
سفساف اخلاق البشرية من التعريج في اوطان الشهوات للطيبين من الرجال
الذين هم قائمون بحق الحق لا يصحبون الخلق الا للتعفف دون استجلاب الشهوات
لهم مغفرة في المآل ورزق كريم في الحال وهو ما ينالون من غير استشراف وطمع
وتعب وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها وهو تاديب لما يرجع الى الستر والتحرز عن الاطلاع على عورة
يقول لا يدخل احدكم بيت غيره مفاجاة حتى يستانس اي يبصر هل في البيت
انسان فان كان قال السلام عليكم ءادخل فان اذن فليدخل واضمر في اخره وتسلموا
على اهلها مستاذنين فيؤذن لكم فصح هذا الاضمار لان الكلام يشير له فعرف ذلك
فيه وبما بعده ايضا وهو قوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم الاية
قال الفراء الاستيناس النظر يقال اذهب فاستانس هل ترى احدا وقال الله تعالى

انس من جانب الطور نارا وقال فان انستم منهم رشدا او قال القتيبي الاستيناس
الاستيذان والاستعلام وقال فان انستم منهم رشدا اي علمتم وقيل هو طلب
الانس وشي له ومن استاذن فاذن له وقع له به الانس وروى انهم كانوا
لا يستاذن الواحد منهم قبل الدخول لكن يفتح ويدخل ويقول قد دخلت فربما شق
ذلك على الرجل فنزلت الاية وقال السدي حتى تستانسوا اي تتنحنحوا او تتنخعوا وقال
عكرمة التسبيح والتكبير وقوله تعالى ذلكم خير لكم اي انفع لكم في دينكم ودنياكم
اما في الدين فاحراز الثواب بالائتمار واما في الدنيا فلان من دخل بغير اذن فلعله
يهجم على ما يسوءه او يسوء المدخول عليه لعلكم تذكرون تتعظون بمواعظ الله فتؤجرون
به فذلك هو الخير فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها وقال المبرد
اي فان لم تعلموا تقول وجدت زيدا كريما اي علمته كذلك ولو حمل على حقيقة
الوجود فذلك يكون بعد الدخول وهو غير مطلق قبل الاذن وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
اي اذا قيل لكم بعد الاستيذان ارجعوا فلا تدخلوا بغير اذن ولا تقعدوا على الباب
ايضا بل ارجعوا هو ازكى لكم اي اطهر لكم وابعد عن التدنس بالاثم والله بما تعملون
عليم من طاعة ومعصية في هذا الامر وغيره لا يخفى عليه ذلك ولا يعجز عن جزائه وهو
ترغيب وترهيب وقال مقاتل فلما نزلت هذه الاية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول
الله ارايت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن فانزل الله قوله
ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وهي الخانات الموقوفة والرباطات

والنخاعي اي دخل على اهل دار [illegible]
ناسر

والخربات التي يدخلها الانسان لقضا الحاجه وهي كالاسواق وضعت لمنافع
العامة والحاجه الى الاذن كانت لحق المالك او الساكن فيه نحو ملك او اجاره فاذا
انعدم ذلك سقط الاستيذان وقوله ان تدخلوا اي في ان تدخلوا وقوله تعالى
فيها متاع لكم اي منفعه وتمتع وقيل اي قضا حاجه قال مجاهد كانت الطرق والمساكن
اذ ذاك امنة وكان الرجل يضع حجر متاعه في رباط او بيت ويغلق بابه ويمر فاذا
جا وجد متاعه بعينه فذلك قوله فيها متاع لكم وقوله تعالى والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون من قول وعمل وهو عام وقيل ما تبدون وما تكتمون في الاستيذان
مما تقصدون به الطاعه او غير ذلك وفيه تنبيه على اصلاح النية في كل شي
وقوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم وهذا متصل بالستر ايضا كالذي
سبق اي قل يا محمد للرجال المومنين يغضوا ابصارهم عما لا يحل النظر اليه ويحفظوا
فروجهم اي يستروها عن ان يراها من لا يحل له رويتها وقيل اي يحفظوها عن ان
يواقعوا بها محرما والاول اشبه لان الايه فيما يحل النظر اليه وما لا يحل وزاد كلمة
من في الابصار دون الفروج ولذلك وجهان احدهما ان من صله كما في قوله فما منكم من احد
اي احد وكان يجوز حذفها منهما وادخالها فيهما فجاز حذفها من احدهما والادخال في
الاخر وقال هو الوجه الثاني ان من للتبعيض وليس كل نظر محرما فامر بالغض من
الابصار ليكون مقصورا على ما حرم منه دون ما حل في وجوه الجائزه اكثر فذكر
حرف التبعيض والفروج كذلك لكن وجوه الحرمة فيها اكثر فاطلق الامر بحفظها

دلالة على الشمول وقيل من ليس للتبعيض بل فعل الغض يستعمل مع هذه
الصله يقال فلان يغض من بصره اي ينقص من نظره وقوله تعالى ذلك ازكى لهم
اي اطهر وابعد عن دنس الاثم ان الله خبير بما يصنعون وترهيب كما قلنا وقوله
وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولعظم هذا الامر
خص النسا وافردهن بهذين الامرين وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر
منها اي ولا يظهرن مواضع الزينه فهذا مضمر وهذا لان اظهار عين الزينة
وهي الحلي ونحوها غير منهي عنه بل اريد بها مواضعها او اظهارها وهي في
مواضعها لا اظهار مواضعها لا لاظهار اعيانها الا ما ظهر منها وشق ستره
واختلف في تفسير هذا المستثنى الذي لا يحرم كشفه على المحارم والاجانب
جميعا فقيل الزينه الثياب كما في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد اي لباسكم
فقد كانوا يطوفون عراة وقوله تعالى الا ما ظهر منها هو الملاءة والبرقع والخفان
فعلى قول القائلين بهذا لا يحل النظر الى شي منها ومن ثيابها الا الى ملاءتها وبرقعها
وخفيها الظاهرة عليها ولا يحل لها اظهار شي منها الا هذا وهو قول ابن مسعود
وقيل الزينه الحلي ومواضعها الاعضا المخصوصه بها ومواضع الزينه المطلقه
منها هذه الاشيا الراس لانه موضع الاكليل والشعر لانه موضع العقاص والذوائب — موی بند
والاذن لانها موضع القرط والعنق لانها موضع القلاده والصدر لانه موضع
الوشاح والعضدان لانهما موضعا الدملجين والذراع لانها موضع السوار

بازوبند

والساق لانها موضع الخلخال ويحل النظر اليها للمحارم لما ذكر وهذه الاقسية
بعد هذا القسم واما موضع الزينة الظاهرة التي يحل النظر اليها للاجانب اذا لم
تكن بشهوة بهذا الاستثنا وهو قوله الا ما ظهر منها فالوجه والكفان عند عامة
العلما وقال جماعة من الصحابة الا ما ظهر منها الكحل والخضاب والخاتم والكحل
زينة الوجه والخاتم زينة الاصبع والخضاب زينة الكفين وقال بعض الناس
الكحل للعين خاصة والخاتم للاصبع خاصة فلا يباح غيرهما وقالت عايشة هي
هي مضطرة الى كشف عين واحدة للمشي ولا ضرورة في غير ذلك فلا يباح لها الابدا
ولا لغيرها النظر الا الى عين واحدة ولنا انها قد تضطر الى الخروج للبيع والشرا
وتحتاج الى الاخذ والاعطا وتحتاج الى كشف العينين للمشي وفي كشفهما كشف
بعض الوجه وفي الحنا ولابد كشف الكفين وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على
جيوبهن اي وليلقين اغطية رؤوسهن على مواضع جيوب دروعهن اي قمصهن
وكن في الجاهلية يشددن خمرهن من خلفهن فكانت تنكشف صدورهن واذانهن
فامرن ان يلقين اطراف خمرهن على جيوبهن وهي مواضع صدورهن لتغطي
بذلك اعناقهن وشعورهن واذانهن وصدورهن وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن
اي مواضع الزينة الباطنة الا لبعولتهن اي ازواجهن او ابائهن ويدخل فيهما
الاجداد وكذا بعولتهن فقد صاروا المحارم او ابنايهن ويدخل فيهم النوافل او
ابنا بعولتهن فقد صاروا المحارم ايضا او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن

ويدخل فيهم نوافل الاخوة والاخوات ايضا واذ اثبتت في هولا المحارم ثبتت
في ساير المحارم من الاعمام والاخوال وفي المحارم بالرضاع لان ذكر بعضهم تنبيه
على سايرهم وقوله او نسايهن اي الحراير المسلمات وقوله تعالى او ما ملكت
ايمانهن اي امايهن ولا يحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع منها ومن الناس
من اجل ذلك بهذه الاية وقال او ما ملكت ايمانهن يتناول الغلام والجارية جميعا
ولنا قال سمرة بن جندب رضي الله عنه لا تغرنكم هذه الاية فانها نزلت
في الاما وقوله تعالى او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرا ابن عامر
وابو جعفر وعاصم في رواية ابي بكر وحماد عن غير بالنصب على الاستثنا والباقون
بالخفض على النعت والاربة الحاجة ومعناه والرجال الذين هم اتباع
اهل البيت ممن لا يشتهي النسا ولا يحتاج اليهن وليس هذا يوافق على الخصي
والمجبوب والمخنث لهم لانهم يشتهون ويشتهين وقوله تعالى
او الطفل الذين اي الاطفال لانه جنس فصلح للجمع لم يظهروا على عورات النسا
قال القتبي اي لم يفهموا ذلك ولم يقفوا عليه من قوله انهم ان يظهروا عليكم
وقال الفرا اي لم يبلغوا ان يطيقوا النسا تعالى صار فلان فلانا فظهر عليه
وقال تعالى فاصبحوا ظاهرين اي قادرين وقوله ولا يضربن بارجلهن اي على الارض
بشدة ليعلم ما يخفين من زينتهن وهي الخلاخل وقال جابر بن زيد
هو الخفت الصوت لان في ذلك فتنة وقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا

ايها المومنون اى ايتمروا هذه الاوامر والنواهي ثم توبوا الى الله لانكم لا تخلون من
سهو واغفال وتقصير فيهما فلا تتركوا التوبة في كل حال لعلكم تفلحون اى
لتفلحوا وقال محمد بن جرير اى راجعوا طاعة الله فيما امركم به ونهاكم عنه من
غض البصر وحفظ الفرج وترك دخول بيوت غير بيوتكم الا باذنه وغير ذلك
وقال القشيري التوبة الرجوع عن المذمومات من الافعال الى اضدادها
وجميع المومنين مامورون بالتوبة فتوبة عن الزلة وهي توبة العوام وتوبة عن
الغفلة وهي توبة الخواص وتوبة على مجاوزة العقوبة وتوبة على ملاحظة
الامر وقيل امر الكافة بالتوبة العاصين بالرجوع الى الطاعة من المعصية
والمطيعين من رؤية الطاعة الى رؤية التوفيق وخاص الخاص من رؤية
التوفيق الى مشاهدة الموفق وقيل امر الكافة بالتوبة كيلا يخجل العاصي
من الرجوع على الانفراد وقيل مساعدة الاقويا مع الضعفا رفقا بهم من امارات
الكرم وقوله تعالى لعلكم تفلحون بيان انه امرهم بالتوبة لينتفعوا بذلك ان
لا يكون للحق سبحانه وتعالى بها تجمل وقيل احوج الى التوبة من توهم انه ليس
به حاجة الى التوبة وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهو تحصيل
الستر والعفة ايضا والايم كل ذكر لا انثى معه وكل انثى لا ذكر معها ولذلك
سميت الحية ايما بالتشديد والتخفيف كالميت والميت لانها لا تكاد
تكون نحوها الا وحدها وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم اى زوجوا من لا زوج له

ويدخل فيه الرجال والنسا فيزوج الرجل وليته بالولاية ويتزوج من خطبها اليه
اليه من الرجال كما روى انكحوا الايامى وانكحوا اليه اى زوجوه واخطبوا اليه والصالحين
من عبادكم وامايكم بولاية الملك وهو امر بتحصين المماليك وذكر الصلاح وتحصين
من هيئته التحصن وليس بشرط لصحة العقد وذلك كما ذكر بعده فكاتبوهم ان علمتم
فيهم خيرا وهذا للترغيب في تخليص اهل الخير عن مشقة الرق وليس بشرط صحة
الكتابة ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله اى لا تنظروا الى فقر الخاطب او فقر
المخطوبة ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح وقد يغنيه الغنى فليس الفقر مانع
من الرغبة في النكاح وليس المراد به الوعد بالغنى على وجه يكون لا محالة ومنهم من
قال هو وعد به قال عمر رضي الله عنه ابتغوا الغنا في النكاح ما رايت مثل من
قعد ايما بعد هذه الاية وقد تكون المراة فقيرة فتستغني بالنكاح بالمهر والنفقة
وقد يتناكحان ويتعاونان على المعاش فيستغنيان والله واسع اى غني قادر على
اغنائكم عليم بمصالح عباده يعني اذا راى الصلاح في الغنى وقيل عليم بنياتكم
في انكاح عبيدكم وامايكم انه للعفاف او غير ذلك فيجازيكم على نياتكم ويروى عن بعض
الصحابة انه كان مسكينا محتاجا مطلاقا فقيل له في ذلك فقال ان الله تعالى وعد الغنى
فيهما فقال ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من
سعته وقوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله
اى لا يقدرون عليه كقوله فلم تجدوا ما فتيمموا [illegible] ومن لم يجد سعة للنكاح

فليصبر وليصن فرجه عن الحرام فان نيته اذا حسنت في الكف عن الحرام
اغناه الله من فضله بان يرزقه مالا يتزوج به او يقيض له امراة ترغب فيه مع
فقره باليسير من الصداق او بان يعصمه ويزيل عنه شدة الشهوة وما عند
الله واسع ومن ترك شيئا لله عوضه الله ما هو خير منه وقوله تعالى
والذين يبتغون الكتاب اي والمماليك الذين يطلبون الكتابة وهي العقد للعتق
على مال منجم على العبد يؤديه على النجوم فيعتق اذا ادى الجميع فكاتبوهم اي
اجيبوهم الى ذلك ان علمتم فيهم خيرا وقد بينا معنى كلمة الشرط في اول هذه
الاية وقيل معناه ان علمتم فيهم قوة على الاكتساب وامانة بحفظ ما يكتسبون
ويؤدون فيعتقون وسمي هذا العقد كتابة لان بدلها منجم والمال المؤجل يكتب
فيه كتاب على من عليه المال غالبا فاختص هذا العقد بهذا الاسم لاختصاصه
بهذا الوصف وهذا امر ندب لا حتم واتصال هذا بالاول انه اذا كان فيه خير
فانما يطلب الكتابة ليجتهد فيكتسب فيؤدي فيعتق فيصير اقدر على تحصيل ما
يتزوج به فيصل الى التعفف به ان لم يزوجه المولى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم
اي اعطوهم قال الشافعي اي حطوا من بدل الكتابة شيئا قل او كثر وهو واجب ويحط
ذلك من آخر نجومه وعن بعض السلف قال حطوا ربعا او ثلثا وقال سفيان يحط
ربعا او اقل منه وهو ندب لا حتم وعندنا هذا امر لسائر الناس ان يعطوهم
من الزكوة لان الله تعالى قال وفي الرقاب وهم المكاتبون وهو الصحيح لان

لان الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط وقال القشيري واذا كنا مامورين
بكل هذا الرفق حتى يصل المملوك المسكين الى العتق بالحرية ان يقوى الرجا للعبد
بالعتق من النار من فضل الحق وقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن
تحصنا اي ولا تجبروا اماءكم على الزنا بالاجرة ان اردن تعففا لتبتغوا عرض الحيوة
الدنيا يعني اجورهن واولادهن وقيل ان الزاني كان يفدي ولده من المزني بها بمائة
من الابل يدفعها الى سيدها وقوله ان اردن تحصنا ليس بشرط لكنه مباح اذا طاوعن و
لكن على معنى ان الاماء اذا رغبن في التحصن فانتم احق بذلك وقال الحسين بن الفضل
في الاية تقديم وتاخير وتقديرها وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا وقال مقاتل نزلت في معاذة
ومسيكة واميمة وعمرة وقتيلة واروى كن اماء عبد الله بن ابي المنافق لما نزل
تحريم الزنا اتين النبي عليه السلام يشكون اليه فنزلت وفي رواية قالت معاذة
لمسيكة ان كان هذا الامر منا خيرا فقد استكثرنا منه وان كان شرا فقد آن لنا ان
نتوب فنزلت وقوله تعالى فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم قال الحسن
لهن والله لهن والله وقال عكرمة وغيره كان هذا الاكراه بالضرب والتعذيب
وذلك الاكراه يتحقق في الزنا والاستبشار لا يدل على الطواعية وقوله تعالى
ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات قرأ ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر وحماد بالفتح اي
قد بيناها وقرأ الباقون بالكسر اي مرشدات هاديات تقول اوحينا اليكم

في هذه السورة وغيرها قرآنا فيه أعلام شرائعنا فقد قال في أول هذه السورة
وأنزلنا فيها آيات بينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم أي ما أحللنا بالماضين ٥
جعلناه مثلا لمن بعدهم يعلمون أنهم إذا فعلوا فعلهم عوقبوا عقوبتهم وموعظة
للمتقين أي هم المنتفعون بها وإن كانت الموعظة للكل وقوله تعالى الله نور
السموات والأرض ذكر إنزال الآيات البينات وإقامة الدلالات والإيجاب
وضرب الأمثال بالذين خلوا من قبل ثم بين وضوح الدلالات وجلاء البينات
وأن من ضل عن الحق فليس لخفاء الدليل واشتباه السبيل فقال الله نور السموات
والأرض قال الكلبي أي الله هادي أهل السموات والأرض إلى ما بهم الحاجة إليه
في مصالح دينهم ودنياهم وهي كلمة مطلقة في هذا المعنى يقال فلان نور بلده أي
به يهتدون إلى أمورهم وعن رأيه يصدرون إلى مصالحهم ٥ مثل نوره أي صفة دلالته
التي يهدي بها عباده فسمى دلالته نورا لأن الناس يسلكون بها طريق النجاة
وقد سمى الله كتابه نورا بقوله وأنزلنا إليكم نورا مبينا لأنه يهدي إلى الحق وسمى نبيه
عليه السلام نورا بقوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين لأنه يهدي إلى الحق فالله
هادي وكتابه هادي ونبيه هادي وما ركب في العباد من العقول حتى
يميزوا بها بين الأشياء هادي وكل ذلك نور وإضافته إلى الله على معنى أنه هو
الواضع له والهادي به ولأن الأنوار كلها لله فأضاف لشرفها إلى نفسه كما
أضاف بعض الشهور وبعض الأيام وبعض البيوت وبعض الأموال إلى نفسه

تستر بفتاله وقوله كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة أي صفة نوره ككوة
غير نافذة وضع فيها مصباح وقنديل من أصفى زجاج يكون قد أوقد بأصفى زيت
يكون فاجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة إلى ضوء الزيت فصار
ذلك نورا على نور فاجتمعت في المشكاة هذه الأنوار فصارت كأنور ما يكون وكذلك
براهين الله في وضوحها وتتابعها هي على غاية ما يكون عليه مثلها فليس ضلال
الضلال من جهة قصور البيان وضعف البرهان بل لتعاميهم وتماديهم وتعاميهم
وقال الهيثم بن عدي المشكاة حبشية وقوله تعالى الزجاجة كأنها كوكب
دري قرأ أبو عمرو والكسائي والمفضل عن عاصم بكسر الدال والمدة والهمزة وهو فعيل
من الدرء أي يدفع به الشيطان والنجوم التي ترجم بها الشياطين هي دراري وقرأ حمزة
وعاصم في رواية أبي بكر وحماد والخزاز بضم الدال والمدة والهمزة وقيل لا وجه لذلك
فليس في اللغة فعيل بضم الفاء وتشديد العين وقرأ الباقون بضم الدال وتشديد
الياء وهو منسوب إلى الدر شبه به صفاؤه وبياضه ٥ توقد من شجرة مباركة
قرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم في رواية أبي بكر وحماد بضم التاء والدال وهو فعل
مستقبل لم يسم فاعله من الإيقاد والتاء للتأنيث راجعة إلى الزجاجة وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم في رواية حفص وأبي زيد عن المفضل يوقد بالتذكير مضمومة الياء و
الدال مخففة من الإيقاد فعلا للمصباح على ما لم يسم فاعله مستقبلا وقرأ الباقون
بفتح التاء والدال على أنه فعل ماض من التوقد وهو التلهب والفعل للمصباح

وتقرى بتا التانيث مفتوحه وتشديد القاف وضمها الدال واصله تتوقد
فعلا للزجاجة وحذفت احدى التائين تخفيفا كما في قوله تميز من الغيظ
وقوله تعالى من شجرة مباركة زيتونة بدل عن شجرة وترجمة لها هي مباركه
لكثرتها وكثرة انتفاع اهل الشام بها ولكونها في ارض الانبيا والاوليا وقوله
لا شرقية ولا غربية قال الكسائي اي ليست شرقية وحدها ولا غربية وحدها
بل هي شرقية غربية كقولك مررت برجل لا ظالم ولا مظلوم على هذا المعنى
وكذلك قال الفرا قال هو كقولك فلان لا مسافر ولا مقيم على هذا المعنى
قال وهي تنبت على تلعة من الارض لا يسترها عن الشمس شي وهو اجود
لزيتها وقال ابو عبيدة لا شرقية تضحى للشمس ولا تصيب ظلا ولا غربيه
تكون في الظل ولا تصيبها الشمس بل هي شرقية غربية تكون في شمس وتكون
في ظل وهو احسن الشجر وصار حاصل جواب اهل اللغه والتفسير فيها على
ثلاثة اوجه احدها انها بين الشجر بحيث لا تصيبها الشمس بالغداة و لا
بالعشي لالتفاف الشجر حولها وتغطيتها اياها والثاني انها بارزه للشمس
في وقت خافيه عنها في وقت وقد اخذت من الشمس والظل حظها والثالث
انها بارزه للشمس كل النهار فتذكو ويكثر زيتونها وتصفو زيتها حتى يكاد
لصفائه يعني على النار وهو قوله يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار وقال
الحسن هذه ليست من شجر الدنيا بل هي من شجر الجنة فلا يكون شرقية ولا غربية

وجملته ان ذكر هذه الاشيا جمعا بان قوة حجج الله واكتناف النور لها من جوانبها
وثباتها من جهات العقل والتوقيف والوعد والوعيد وتكرير المواعظ
وضرب الامثال وذكر المشكاة وهي الكوة التي لا منفذ لها كما فسره ابن عباس
وابن جريج واهل اللغه على معنى استجماع النور لان المصباح لو كان في موضع نافذ
انتشر ضياوه وقوله تعالى يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار اي ان حجج
الله في وضوحها بحيث تتجلى لمن اعرض عنها وان لم ينبه عليها منبه ولم
ينزل بها كتاب وقوله تعالى نور على نور اي برهان بعد برهان ودلالة
على اثر دلالة يريد به تضاعف الانوار وكثرتها لا الاقتصار على نورين كما يقال
فلان يضع درهما على درهم لا يراد به درهمان وكما يقال فعلت هذا مرة بعد
مرة لا يراد به مرتان وقوله يهدي الله لنوره من يشا اي يوفق الله لاتباع
دلائله واصابة الحق بالتدبر لها من يشا من علم منه اختيار ذلك ويضرب الله
الامثال للناس كما ضرب بها لكم وهذه الاية يعرفهم بذلك مواقع حججه ويحثهم على تاملها
تاملها والله بكل شي عليم مما به تهتدي الخلق الى مراشدهم وبكل شي في بيوت
اذن الله ان ترفع فهذا المصباح في مساجد عظمها الله وامر بتعظيمها واقامة
ذلك ثم ذكر صفتها وصفة اهلها والمهتدين بالدلايل والضالين عنها في ابيات
وقال ابي بن كعب والضحاك مثل نوره مثل النور الذي في قلب المومن بهداية الله
فعلى هذا الها كناية عن المومن ولم يسبق ذكره لكن عرف معناه فهو كقوله انا انزلناه

وقوله ما ترك عليها من دابة وقوله توارت بالحجاب وقال ابن عباس مثل نوره
اي نور الله الذي هدى به المومن وقال الحسن الله هادي اهل السموات والارض
نوره الذي هو القران مثل نوره اي مثل هذا القران في القلب ومثل القلب
كمشكاة الى اخره وقيل هو مثل قلب المومن فالمشكاة صدره والمصباح القران
والزجاجة قلبه والمصباح المعرفة في قلبه فكما ان المشكاة نور والزجاجة انور
منها والزجاجة نور والمصباح انور منها فكذلك نفس المومن نور وقلبه انور
منها وقلبه نور والمعرفة انور منه قال تعالى فهو على نور من ربه وقال تعالى
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وقيل هذا مثل النبي عليه السلام يعني كما اخذ
دهن هذا المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتون فكذلك حصل لهذا المومن
هذا الاهتدا ببركة دعوة النبي المبارك التي هي كالشجرة الزيتونة لا دخان
لزيتها بخلاف ساير الادهان فكذلك النبي عليه السلام لا شبهة في صدقه ولا ريبة
في دينه وقالوا المشكوة مثل لفمه والمصباح مثل لسانه والزجاجة مثل
لصدره والكوكب الدري مثل لقلبه والشجرة المباركة هي ابراهيم عليه السلام
لا شرقية ولا غربية اي لم يكن ابراهيم مصليا الى المشرق كالنصارى لقوله مكانا
شرقيا ولا الى المغرب كاليهود لقوله وما كنت بجانب الغربي قال الله تعالى ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وقيل المشكاة مثل الجوف محمد
عليه السلام والزجاجة مثل قلبه والمصباح مثل النور الذي فيه وقيل الشجرة

هي النبي عليه السلام لا شرقية ولا غربية اي ليست شجرة نابتة على الارض
لتكون شرقية او غربية وقيل معناه لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها
بل هي شرقية غربية تظهر دينه في البلدان كلها وتنتشر نور دعوته في الافاق
كلها وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد منظره عليه
السلام يدل على نبوته وان لم ينزل قرانا ولم تقم برهانا قال عبد الله بن رواحة
رضي الله عنه لو لم تكن فيه ايات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر ه
وقوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع الاية وهذا في صفة الصحابة وعبادتهم
وتلاوتهم في المساجد وكذا من بعدهم من العلما واهل القران في كل عصر وان
حملت الاية الاولى على مثل القران فذكر المساجد ايضا لذكر اهل القران
القائمين به في المساجد وان حملت على نور المعرفة فهي على اهل الايمان العاملين
بالشرائع في بيوت الله وغير ذلك وان حمل قوله تعالى الله نور السموات
والارض على معنى انه مزين السموات والارض فزينة السموات الملائكة
وزينة الارض باهل المساجد واما الفاظ المفسرين في هذه الايات فقد قال ابن
عباس رضي الله عنهما الله هادي اهل السموات والارض وقال الضحاك
الله منور السموات والارض وقال ابي بن كعب مرسل رسل اهل السموات
والارض وقال مجاهد وعبد العزيز بن يحيى الله مزين السموات بثلاثة
بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بثلثة بالانبيا والعلما والمومنين

فانوار السما متفاوته وكذلك انوار الارض وانوار السما نافعه وبعضها انفع
من بعض وكذلك انوار الارض وانوار السما بعضها للنفع وبعضها للدفع وهي
رجوم الشياطين وكذا انوار الارض قال النبي عليه السلام ان المومن لينضي
شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر والكواكب تضي لاهل الارض
وقلوب المومنين تضي لاهل السموات وقيل نور السموات بالعرش والكرسي
واللوح والقلم وسدره المنتهى وجنة الماوى والبيت المعمور والمقامات ونور
الارض بالكعبه وبيت المقدس ومسجد المدينه ومسجد الكوفه وطور سينا والمساجد
والمتعبدات وقيل زين السما بالبروج الاثنى عشر والارض بالشهور الاثنى عشر
وقيل زين السما بالكروبيين والروحانيين والصافين والحافين وزين الارض
بالانبيا والمرسلين والعلما والمتعلمين وقيل زين السموات بالملائكه وعبادتهم
وزين الارض بالمومنين وطاعتهم وقيل زين السموات بجبريل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل وزين الارض بابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل زين السما بتسبيح المسبحين
وتقديس المقدسين وركوع الراكعين وسجود الساجدين وتلاوة التالين
وزين الارض بتلبيه الحجاج والمعتمرين وتكبير الغزاة والمرابطين وضجيج
التائبين المستغفرين وحنين العارفين المشتاقين وبكا العصاة النادمين
وقوله تعالى كانها كوكب دري قال السدي هو احد الكواكب الخمسه زحل
والمشترى والمريخ وزهره وعطارد وقال محمد بن كعب مثل نوره يعني محمد اصلاه

في صلب ابايه كمشكاه وهي ابراهيم فيها زجاجه فيها مصباح وهو النبي عليه
السلام سماه مصباحا كما سماه سراجا في قوله وسراجا منيرا نور على نور يعني
نور ابراهيم ونور اسماعيل ونور محمد صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك شبه
عبد المطلب بالكوه وشبه عبد الله بالزجاجة وشبه النبي عليه السلام
بالمصباح وقال القشيري زين السما بنور الشمس والقمر ونور النجوم وزين
القلوب بنور العقل ونور الفهم ونور العلم ونور اليقين ونور المعرفه ونور
التوحيد ولكل شي من هذه الانوار مطرح شعاع بقدره في الزياده والنقصان
وقوله نور على نور نور اكتسبوه بجهدهم بنظرهم واستدلالهم ونور وجدوه
بفضل الله لا باقيا لهم واثرا لهم قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقال نور المطالبة يحصل في القلب ابتدا فيحمل صاحبه على المحاسبه فاذا نظر
في ديوانه وما اسلف من عصيانه حصل له نور المعاتبة فيعود على نفسه بالملامه
ويتجرع كاسات الندامة فيرتقي عن هذا باستدامه قصده والتنقي عما كان عليه
في اوقات جهله فاذا استقام فيه كوشف بنور المراقبة فيعلم دايما ان الله سبحانه
مطلع عليه ثم بعد هذا نور المحاضرة وهي لوايح تبدو في السراير ثم بعد ذلك
نور المكاشفه وذلك بتجلي الصفات ثم بعده انوار المشاهده فيصير ليله نهارا
ونجومه اقمارا واقماره بدورا وبدوره شموسا ثم بعد هذا نور التوحيد و
عند ذلك تحقيق التجريد بخصايص التفريد ثم لا بيان ولا عبارة ولا ادركه اشاره"

والالسنة عند ذلك خرس والشواهد طمس وشهود الغير عند ذلك محاك
بعد ذلك اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا السما انشقت وانفطرت
وما ظهر لهم من العدم صار الى العدم جلت الاحدية وعزت الصمدية وتقدست
الربوبية وتنزهت الالوهية ثم انما شبه المعرفة بالمصباح وهو سريع الانطفا
وقلب المومن بالزجاج وهو سريع الانكسار ولم نشبهها بالشمس التي لا تطفا
ولا قلب المومن بالاشيا الصلبة التي لا تنكسر تنبيها انه على خطر وجدير بحذر
وقوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ذكرنا لها وجوه نظم ووجه اجزومن عطف
للمتقين وهم رجال لا تلهيهم تجارة الى اخره وهم في بيوت اذن الله ان ترفع اي امر
الله ان تعظم وهو من قولك ارفعك ان انبسط اليك اي اجلك واعظمك ويجوز
ان يكون يراد به رفع البنا واعلاوه تعظيما له وقال تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت وقوله تعالى ويذكر فيها اسمه قيل هو التوحيد وقيل هو البنا والدعا
وقوله تعالى يسبح له فيها قرا ابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر وحماد بفتح البا
على ما لم يسم فاعله وقرا الباقون بكسرها على الفعل الظاهر وفاعله قوله رجال
وعلى الاول رجال خبر قوله في بيوت اي في المساجد رجال صفاتهم كذا والتسبيح
هو الصلوة وقيل هو تنزيه الله عن كل سو بذكر كلمات التسبيح وقوله تعالى
بالغدو والاصال قيل هو الذكر بعد الفجر وبعد العصر كما قال وسبحوه بكرة واصيلا
وقيل في الصلوات الخمس بالنهار والليل والغدو عبارة عن كل النهار والاصال

عبارة عن كل الليل وقيل هو الذكر على الدوام يقال عبادة فلان متصلة لنا بالغدو
والاصال اي على الدوام وقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع وصف
بالرجولية ثلاث فرق رجال يحبون ان يتطهروا رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه رجال لا تلهيهم اي لا تشغلهم تجارة اي في الامصار بالاسفار ولا بيع اي في
الاسواق في الحوانيت وحملناهما على هذين ليكون لزيادة افادة لا لمجرد اعادة
عن ذكر الله اي خارج الصلوة واقام الصلوة اي وعن اقامة الصلوة في وقت الصلوة
حذف الها للاضافة اذا كانت الها عوضا عن الواو اذ كان اصله اقوام فصارت
الاضافة عوضا عن الها قال الشاعر

ان الخليط اجدوا البين فانجردوا   واخلفوك عد الامر الذي وعدوا

اي عدة الامر فكانت الها عوضا عن الواو في اوله وعد فصار الاضافة عوضا
عن الها وايتا الزكوة اي وعن ايتا الزكوة بين انهم ليسوا بزمنى لا ابدان لهم ولا فقرا
لا اموال لهم ليكون لهجهم بالذكر لعجزهم وفقرهم بل قال لهم ابدان يقيمون الصلوة بها
واموال يودون الزكوة عنها ثم لا تشغلهم ذلك عن خدمة الله وذكره وقيل معناه
لا يشتغلون بتجارة ولا بيع فيشغلهم ذلك عن اقام الصلوة وايتا الزكوة والاكثرون
على انهم يتجرون ويبيعون ولا تشغلهم ذلك عن خدمة الله قال الحسن يبيعون ولكن
اذا حضر حق الله بدوا بحق الله وقال سعيد بن الحسن هم قوم في بياعاتهم وتجاراتهم
يقومون للصلوات في مواقيتها وقال الكلبي وعطا بن ابي رباح يبيعون ويشترون

ولا يلهيهم ذلك عن الصلوة وعن مواضع حقوق الله ان يودوها في اوقاتها
وعن ابن مسعود انه راى قوما من اهل السوق سمعوا الاذان فتركوا بياعاتهم وقاموا
الى الصلوة فقال هولاء من الذين قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله واقام الصلوة وايتا الزكوة وقيل اراد به كل الشرايع وخص الصلوة والزكوة
بالذكر لانهما من اعظم الشرايع وقيل لان في الصلوة حق الله وفي الزكوة حق العباد
فنبه على انهم يكونون مودين حقوق الله وحقوق عباده وقال بعض اهل المعرفة
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتا الزكوة هذا اشارة الى قوله
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به يقولون لا يركنون الى هذا البيع ووجود الجنة بهذا العقد بل يخافون
العاقبة ولا يمنعهم سبق هذا العقد البيع عن المجاهدة في الاعمال الصالحة
وقوله تعالى يخافون يوما اي الحامل لهم على اقامة هذه الاشيا وادامتها خوف
القيامة يوما تتقلب فيه القلوب اي لهيبة ذلك اليوم كما قال وافئدتهم هوا
وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر وقال شاخصة ابصار الذين كفروا
وقال تشخص فيه الابصار وقال محمد بن جرير تتقلب يمنة ويسرة من اين يوتى
كتابه واين يذهب به وقيل الى الكتب والموازين والخصما وقيل من الخوف
الى الرجا ومن الرجا الى الخوف وقوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما عملوا وههنا
مضمر تقديره ذلك اليوم ليجزيهم احسن ما عملوا قيل معناه اي يجزيهم بكل عمل من اعمالهم

جزاء احسن اعمالهم اي يجزي على الادنى جزاء الاعلى ويزيدهم من فضله على الجزاء
الموعود على العمل والله يرزق من يشاء بغير حساب اي يثيب من يشاء ثوابا لا
يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه
فالمذكورون بعده وهو قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة السراب
شعاع يتخيل ماء يجري على الارض في المفازة نصف النهار عند شدة الحر واما
الآل فهو شعاع يرتفع بين السما والارض كالملا ضحوة النهار وسمي سرابا
لانه ينسرب اي يجري جريان الماء والقيعة جمع قاع وهو المنبسط الواسع
من الارض والقيعان جمعه ايضا يقال قاع وجمعه قيعة وقيعان كما يقال
جار وجمعه جيرة وجيران يحسبه الظمان ماء اي يظنه العطشان
ماء حتى اذا جاءه اي تكلف المسير اليه لم يجده شيئا اي شيئا نافعا كما يقال ما عملت
شيئا وهذا ليس بشيء يراد به نفي نفعه وهذا اذا حمل قوله حتى اذا جاءه على انه
جاء السراب وقوله تعالى لم يجده اي لم يجد السراب شيئا نافعا وان حمل قوله حتى
اذا جاءه اي جاء الموضع الذي تراءى له فيه السراب يعني لم يجده شيئا اي لم يجد في ذلك
الموضع شيئا كان يتراءى له لانه لا يرى ذلك الا حضره كذلك الكافر اذا اقدم على
اعماله التي هي حسرات عنده يوم القيامة لم يجد لها نفعا او لا يراها فقد صارت
هباء منثورا وقوله تعالى ووجد الله عنده هو كقوله ان ربك لبالمرصاد وتقديره
ووجد عقاب الله لكفره وسيئاته عنده اي بطل حسناته وبقي عقاب سيئاته

معدًّا له عند قدومه فوفّيه حسابه اي أتمّ حسابه على ما عمله واعطاه
جزاءه على وفق ما فعله ه والله سريع الحساب اي لا يطول الزمان في حسابه
اذ هي كلها محصّلة مجموعة لا حاجة الى جمع تفاريقها ولا الى اقامة الحجة عليها ولا
سهيًا للعبد لجحوده ولا يشغله حساب عن حساب وقيل هو وعيد بقرب
وقته كما قال اقترب للناس حسابهم وقوله تعالى ه او كظلمات وهو مثل آخر
لاعمال الكفار واو للتخيير في ضرب المثل بايهما شئت كقوله او كصيب في
بحر لجّيّ اي عميق واسمه اللجّة وهي معظم الماء ووسطه وموضع العمق منه ويكون
الظلمة فيه اكثر يغشاه اي يغطي هذا البحر وهو ما اضطرب من معظم الماء
من فوقه موج اي موج آخر اعلا منه واهوله ه من فوقه سحاب اي من فوق الموج غمام
ظلمات بعضها فوق بعض اي هذه ظلمات وفي البصائر ان قوله او كظلمات اي ظلمة
الليل وظلمة عمق البحر وظلمة الموجين وظلمة السحاب ولا يرى فيها شيء
وكذلك الكافر وحيرته وخبطه في كفره كالخابط في هذه الظلمات وهو مثل
الدنيا في عمهه في طغيانه وكذلك في الآخرة في حيرته وخسرانه وقوله تعالى ه
اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لا يكاد يرى يده اذا اخرجها من شدة هذه
الظلمات فيضيق صدره ويشتد حيرته وقيل لم يكد يراها اي لم يطمع في ان
يراها وقيل كاد يفعل كذا اي قارب ان يفعل كذا فقوله لم يكد يراها اي لم يقارب
ذلك وهو ابلغ في النفي اصلا اي لم يرها ولم يقارب رؤيتها وقيل تقديره النعم

وقيل تقديره النعم والتاخير اذا اخرج يده يراها لم يكد اي اذا اخرج يده لم يرها
لم يقارب ذلك وقال الفراقيل هو مثل ومعناه يراها ولكن لا يراها الا بطيئا كما يقال
ما كدت ابلغ اليك وانت قد بلغته مجهودا وقوله تعالى ه ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور اي الله نور السموات والارض فمن لم يجعل الله له نورا يهتدي به للايمان
لم يهتد اليه ومن لم يجعل له يوم القيامة نورا يمشي به الى الجنة لم يصل اليها وقال مقاتل
نزلت الآية في عتبة بن ربيعة بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف كان يلتمس الدين
في الجاهلية ولبس المدرعة والمسوح ثم كفر بعد مجيء الدعوة الى الاسلام ه
وقال العشيري ظلمات الحسبان وغيوم التفرقة وليالي الجحد وحنادس
الشك اذا اجتمعت فلا سراج لصاحبها ولا نجوم ولا اقمار ولا نجوم شموس ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور اذا لم يسبق للعبد نور القسمة ولم يساعده روح
الرحمة فجهده وكدّه وسعيه وجدّه عقيم من ثمراته مؤيس من نيل بركاته
والبدايات غالبة للنهايات فالقبول لاهله غير مجتلب والرد لاهله غير
مكتسب وقوله تعالى ه الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض اي الم
تعلم يا محمد العلم الذي يقوم مقام العيان في الايقان انه يسبح من في السموات
والارض لمن هو هادي اهل السموات والارض ومن في السموات والارض هم الملائكة
والانس والجن وتسبيحهم تنزيه الله تعالى عما لا يليق به نطقا وقوله والطير
صافات هي عطف على الاول وصافات نصب على الحال اي في حال بسطها اجنحتها

يعني وهي تسبح لله اي تنزهه باصواتها وقيل بما فيها من امارات الحدث الشاهدة
على حاجتها الى محدث احدثها وخلقها على ما هي عليها ويجوز ان يضاف التسبيح
الى الكل ويختلف معانيها في التفصيل كما في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه اي كل واحد
من هولاء قد علم الله صلوته وتسبيحه اي عبادته وتعالى وتنزيهه قولا والهاء على
هذا القول راجعة الى كل وقيل انه كل حيث قد علم عبادة الله وتنزيهه وبذلك
كل حيث علم عباده نفسه وتنزيهه نفسه لله تعالى والله عليم بما يفعلون اي لا يعزب
عنه شيء منهم وجمع بالواو والنون وان كان فيهم الطيور وهي لا تعقل لانه جمع بينها
وبين ما يعقل ولانه وصفها بوصف العقلا وهو التسبيح والصلوة وفي حديث
عن ابي ذر الغفاري عن النبي عليه السلام قال لما حضر ادم الوفاة دعا بابنه
شيث فجعلها اليه عهده وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في
كل ساعة منهن وان لكل ساعة صنفا من الخلق فالساعة الاولى من النهار حين
يسجد بنو ادم من الضحى والثانية صلوة الملائكة والثالثة صلوة الطير والرابعة
صلوة الهوام والخامسة صلوة الحيوان والسادسة صلوة الملائكة المقربين
حين يستغفرون لبني ادم والسابعة صلوة الملائكة حين يلجون [illegible]
الصلوات كلها والثامنة صلوات السموات والارضين والتاسعة صلوة الذين
حول العرش والعاشرة حين ينزل الرب على الما ويفر الجن من هول الما

ولولا ذلك لافسدت الشياطين على بني ادم الما والحادي عشر حين يعرج ارواح
البشر والصديقين الى الله تعالى والثاني عشر عند غروب الشمس التي تصلون الساعة
الاولى من الليل صلوة الجن والثانية صلوة كل دابة في البحر والثالثة صلوة من تحت
الارض من الخلق والرابعة صلوة الصابرين والخامسة صلوة الذين فوق السما
من الخلق والسادسة صلوة الغمام والسابعة حين يثقل العين وبهذا الخلق و
الثامنة صلوة الشجر والتاسعة صلوة الملائكة الذين هم في السما والعاشرة حين
تفتح ابواب السما وتنفض الملائكة اجنحتها وتصيح الدجاج في الارض وحينئذ من
سال الرحمن شيئا اتاه اياه والحادي عشر حين يخرج ما في الارض من اهلها والثاني
عشر عند صلوة الصبح وقال ادم لشيث كذلك كنت اسمع وابصر وانا في الجنة
وذلك قوله الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل
قد علم صلوته وتسبيحه وقال وان من شيء الا يسبح بحمده الاية وقوله تعالى ولله ملك
السموات والارض والى الله المصير هذا ظاهر وقوله تعالى الم تر ان الله يزجي
سحابا وهذه دلالة اخرى يهدي الله بها من في السموات والارض وهو وجه انتظامها
بالاول يزجي سحابا اي يسوقه الى حيث يريده ثم يولف بينه اي بين بعضه وبعض
ويجمع متفرقه ثم يجعله ركاما اي متراكبا بعضه على بعض وقد ركمه فهو سحاب
مركوم فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله جمع خلل وقرا ابو عمرو في رواية من
خلله على الواحد اي من بينه والاول من اثنائه وينزل من السما من جبال فيها من برد

ذكر من ثلث مرات والاول لابتدا الغاية والثاني للتبعيض والثالث للجنس قال بعضهم
خلق الله جبالا في السما من برد فهو ينزل منها بردا اذ لك قوله وينزل من السما اي
بردا من جبال فيها اي في السما من برد اي الجبال مجموعة من برد وقيل ذكر الجبال
للتشبيه وتقديره ينزل من السما بردا كثيرا مجتمعا امثال جبال من هذا الجنس
فيصيب به فيعذب بالبرد من يشا من الناس في نفسه وزرعه فيهلك ذلك
ويصرفه عن من يشا اي يدفع ضرره عمن يشا وقيل فيصيب بالودق من يشا
فينفعه ويصرفه عمن يشا فلا ينفعه يكاد سنا برقه اي ضو برق السحاب
يذهب بالابصار عدي الفعل بالبا اي يقارب البرق ان يزيل ابصار العيون
يقلب الله الليل والنهار قيل يذهب بهذا ويجي بهذا وقيل يقلب احوال الناس بالظلمة
والضيا فيهما فجعل ذلك تقليبا لهما توسعا ان في ذلك اي في ايجاد السحاب
وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار لعبرة اي دليلا يستدل به على
وحدانية الله وقدرته وعلمه لاولي الابصار لذوي البصاير والعقول ٥ ثم
ذكر دلالة اخرى وهي قوله تعالى ـه والله خلق كل دابة من ما اي كل حيوان يدب
على وجه الارض قال الحسن من ما اي ما الذكر والانثى وقيل اي من الطين لان اصل
الارض ما وقيل كل حيوان لا يخلو من رطوبة فيه ولان حيوة الحيوانات بالما وقيل
اي خلق اكثر الدواب من ما واسم الكل قد يطلق على الاكثر قال تعالى واتاكم
من كل ما سالتموه وقال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شي وقال واوتيت من كل شي فمنهم

من يمشي قال منهم ولم يقل منها وقال من ولم يقل ما لان قوله كل دابة يتناول من يعقل
ومن لا يعقل فغلب من يعقل في الكناية يمشي على بطنه كالحيات والديدان والحيتان
ومنهم من يمشي على رجلين كالانسان والطيور ومنهم من يمشي على اربع كالبهايم والانعام
والسباع ولم يذكر على اكثر من اربع وفي الحيوانات ذلك لان الاكثر ما ذكر ولانه ليس
فيه نفي الزيادة ولان ما يمشي على اكثر من اربع اذا مشى يعتمد في اربع جهات لا اكثر
فكانه يمشي على اربع يخلق الله ما يشا وهو قادر على ما يشا وعالم بما يشا لا يتعذر
عليه شي وقوله تعالى ـه ان الله على كل شي قدير من هذا وغيره ذكر انه خلق كل هذا
من ما ثم هو مختلف هذا الاختلاف فلولا ان للجميع خالقا مدبرا انشاها على الاختلاف
كما يشا والا لم يختلف بل كان يتفق لاتفاق الاصل وهو كقوله تسقى بما واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وقوله تعالى ـه لقد انزلنا
ايات مبينات اي نورا للناس وبيانا والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم فهو
هادي اهل السموات والارضين وهو اعادة ما قدمه مرة ولقد انزلنا اليكم ايات
مبينات ومثلا الاية ليتنظم هذا بذاك وقوله تعالى ـه ويقولون امنا بالله وبالرسول
ذكر انزال الايات وبعد نزولها صار الناس ثلث فرق فرقة صدقت ظاهرا
وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون فذكرهم
جميعا هاهنا على الترتيب وبدا بالمنافقين فقال ويقولون امنا بالله وبالرسول
اي بالسنتهم واطعنا كذلك ثم يتولى فريق منهم اي يعرض عن الانقياد لحكم الله وحكم رسوله

وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا

قوم منهم كان الاعراض من بعضهم والرضا بالاعراض من كلهم فصاروا جميعا
مذمومين وقوله تعالى ه وما اولئك بالمؤمنين اي وما المعرضون بالمؤمنين وقيل
وما كلهم بمؤمنين لاعتقادهم جميعا ما يعتقد هولا والاية نزلت في المنافق واليهودي
الذين اختصما الى كعب بن الاشرف وقد ذكرنا القصة عند قوله يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت ٥ واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي الرسول يحكم بينهم وذكر
الدعا الى الله ورسوله لان الدعا الى الرسول دعا الى الله لانه يحكم بامره اذا
فريق منهم معرضون اي ممتنعون عن المحاكمة الى رسوله ٥ وان يكن لهم الحق اي
ان علموا ان الحق يكون لهم اذا تحاكموا ٥ ياتوا اليه اي الى الرسول مذعنين اي
مسرعين منقادين طلبا لحقهم لا رضا بحكم رسولهم ٥ افي قلوبهم مرض اي
نفاق ام ارتابوا اي شكوا وهو استفهام بمعنى التقرير ام يخافون ان يحيف الله
عليهم ورسوله اي يجور وهاهنا مضمر افي قلوبهم مرض او ريبة او ليسوا كذلك
بل هم مخلصون غير انهم يخافون ان يجور عليهم رسول الله وهذا لا يكون لانه
معصوم بعصمة الله بل اولئك هم الظالمون اي اولئك المتولون هم الكافرون وقيل
هو مجاحدة لهم وكانه امر ان يقول لهم افي قلوبكم نفاق فلا ترضون بحكمي ام
تشكون في صحة حكمي فلا تقبلونه ام تخافون جوري بعد ذكروني فاذا قالوا لا
شيء من ذلك قيل لهم فانتم الظالمون حيث تكم بترك التحاكم الي من غير مانع
وقوله تعالى ه انما كان قول المؤمنين مل كلمه كان زايده وقيل معناه ان هولا

لو كانوا مومنين كما يزعمون لكان قولهم اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا قولك واطعنا امرك واولئك هم المفلحون وقوله تعالى ه ومن
يطع الله ورسوله ويخشى الله اي خاف ان يخالفه حذرا من عقابه ٥ ويتقه
اي ويتحرز عن معصيته فاولئك هم الفائزون اي الناجون وقوله تعالى ه واقسموا
بالله اي هولا المنافقون جهد ايمانهم اي مبالغين في تاكيد حلفهم لئن امرتهم
ليخرجن اي تخلفوا عنك في غزوة تبوك ويحلفون لو كنت امرتهم بالخروج لخرجوا
معك وبعد هذا اذا امرتهم خرجوا قل لا تقسموا اي لا تحلفوا كاذبين منافقين
في قلوبكم غير ما على السنتكم ٥ طاعة معروفة قيل هو رد عليهم دعواهم الطاعة
كقولك لمن قال لك انا منقاد لك مطيع لامرك انا عارف بطاعتك وانقيادك
وتقديره هاهنا ما هو طاعة عندكم لنا في دعواكم معروفة عندنا انه خلاف
ونفاق وقيل معناه ليكن منكم طاعة معروفة اي عرفها الشرع والعقل طاعة
او طاعة معروفة منكم خير من يمينكم الباطلة ان الله خبير بما تعملون اي عالم
باعمالكم ٥ قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول اي اخلصوا طاعة الله والرسول
واتركوا هذا النفاق ٥ فان تولوا اي فان تتولوا حذفت احدى التائين تخفيفا اي
فان تعرضوا عن طاعة الرسول فيما امركم به ونهيكم عنه فانما عليه اي على الرسول
ما حمل اي الزم من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي الزمتم من طاعته اي لا ضرر
عليكم في خلافكم فانه لا يوخذ بذنوبكم وان تطيعوه تهتدوا اي ترشدوا وما على الرسول

الا البلاغ المبين اى التبليغ الظاهر وليس اليه الهداية والاضلال ثم ذكر
المخلصين فقال وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الارض اى ليجعلنهم خلفا الارض اى سكانها والمتسلطين عليها كما استخلف
الذين من قبلهم قرا عاصم في رواية ابى بكر وحماد كما استخلف على ما لم يسم فاعله
والباقون على الفعل الظاهر اى بنى اسرائيل قال لهم ويستخلفكم في الارض
اى ارض الشام ففعل كذلك وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم اى وليقوينهم
وليغلبنهم على اعدائهم فيظهروا دينهم الاسلام الذى ارتضاه لهم متمكنين
في الارض مستولين عليها ٥ وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا اى وليجعلن لهم بدل
خوفهم امنا وهو الخوف من الاعدا والامن منهم بغلبتهم عليهم وقرا ابن كثير وعاصم
في رواية ابى بكر وحماد وسهل ويعقوب وليبدلنهم مخففا والباقون مشددا
والابدال والتبديل لغتان وقوله تعالى يعبدونني لا يشركون بي شيئا اى
بعد امنهم يظهرون دينهم ومن كفر بعد ذلك اى بعد تحقيق هذا الوعد فاولئك
هم الفاسقون اى الخارجون عن الطاعة وعن هذه الاسما الصالحة ومال الى الخارجون
الى الخبث الكفر وقيل ومن كفر هو من كفران النعمة فاولئك هم الفاسقون بسبب
الكفران و دلت الاية على صحة دعوى النبوة من النبى عليه السلام فانه اخبر عما
هو كاين فكان كما قال وعلى خلافة الخلفا الراشدين الاربعة فان الله وعد
ان يستخلفهم في الارض ولم يستخلف فيها بعد رسول الله من الذين كانوا موجودين

في وقت نزول هذه الاية الا هولا الاربعة رضى الله عنهم وقال مقاتل ان
النبى عليه لما رجع من الحديبية حزن اصحاب رسول الله عليه السلام اذ
كانوا موقنين بدخولهم مكة لرويا رسول الله عليه السلام فلما رجعوا محزونين
اطعمهم الله نخل خيبر ووعدهم ان يدخلوا مكة في العام القابل وانزل وعد
الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات وقوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اى لترحموا ثم ذكر الكافرين وذكر قوله
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض اى فايتين حتى تعجزوني عن اخذهم وها هنا
مضمر اى هم مقدور عليهم ومحاسبون وماويهم النار ولبئس المصير اى ولبئس المرجع
النار وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم عاد الكلام
الى ذكر اسباب التستر والتعفف وتخللها شرح الايات يقول الزموا ومروا
عبيدكم واماكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم اى والصبيان الذين لم يحتلموا ولم ينزلوا
وقوله تعالى منكم اى من الاحرار بان يستاذنوكم الدخول عليكم ولا يدخلوا عليكم
من غير اذن منكم ثلث مرات اى في ثلاثة اوقات من الليل والنهار من قبل صلوة الفجر
هذا واحد وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اى حين تجردون فتنزعون
ثيابكم في الظهيرة في وقت شدة الحر وهو وقت القيلولة وهذا ثاني
ومن بعد صلوة العشا اى العتمة وهذا ثالث ثم نبه على المعنى فقال
ثلاث عورات لكم قرا حمزة والكسائي وخلف وعاصم في رواية ابى بكر وحماد

ثلث عورات بالنصب رداً على ثلاث مرات وقرا الباقون بالرفع على اضمار
هذه يقول هذه اوقات التجرد وظهور العورة لان ما قبل صلوة الفجر وقت
انتها النوم في الاغلب للاكثر ووقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار
ووقت الظهيرة وقت التجرد للقايلة وبعد صلوة العشا وقت ابتدا النوم
والتجرد من ثياب النهار والتغشي بثياب النوم لان الله تعالى جعل الليل سكنا و
لباسا ه ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اى لا اثم عليكم ولا عليهم بعد هذه
الاوقات الثلثه في الدخول عليكم بغير اذن طوافون عليكم اى هم خدمكم اى
المماليك والصبيان ومن يشق الاحتراز عن السدل عندهم فالحرج مدفوع عنكم
وعنهم في دخولهم بغير اذن في غير هذه الاوقات الثلاثه لارتفاع الحشمة ولان
الغالب في ذلك التغطي وانما نفى الحرج عن الطرفين لان الحرمه في وقت الحرمة
من الطرفين ه بعضكم على بعض اى يطوف بعضكم على بعض للخدمه والخادم قد
يحتاج الى الطوف في الجهات كذلك يبين الله لكم الايات اى كالذى بين الله لكم
من حكم الاستيذان يبين لكم غيره من الايات التي بكم الى بيانها حاجه والله عليم
بمصالح عباده حكيم يضع الامور مواضعها وقوله تعالى ه واذا بلغ الاطفال
منكم اى من الاحرار الحلم فليستاذنوا في كل الاوقات كما استاذن الذين
من قبلهم الكبار الاحرار وهم الداخلون في قوله يا [illegible] الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وقيل يرجع هذا الى [illegible] هذه الايه

اى ليستاذنكم الاطفال اذا بلغوا في كل الاوقات كما استاذن المماليك والاطفال
في الاوقات الثلاثه كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم قد مر بيانه قال ابن عباس
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر
بن الخطاب وقت الظهيره ليدعوه فدخل فراى عمر بحاله كره عمر رويته ذلك فقال يا رسول
الله وددت لو ان الله امرنا ونهانا في حال الاستيذان فنزلت وعن عمر رضى الله عنه
انه قال وافقني ربي في ثلاث في الاستيذان وفي الحجاب فاسالوهن من وراء حجاب
وفي اتخاذ من مقام ابراهيم مصلى وقال مقاتل بن سليمان نزلت في اسما بنت مرثد
كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله عليه السلام فقالت
ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله تعالى هذه الايه وقال
ابن عباس الذين ملكت ايمانكم الاما وقال مجاهد العبيد والاما وقال زيد بن اسلم ولما
نزلت ايه الاستيذان قال فتى يا رسول الله ان امى عجوز كبيره افاستاذن عليها
قال نعم قال فقال انه ليس لها احد غيري قال استاذن عليها فقال انه ليس لها زوج ولا
خادم فقال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن عليها وقال سعيد بن
المسيب ثلث ايات ترك الناس العمل بها وهو واجب ايه الاستيذان وقوله انا
خلقناكم من ذكر وانثى الايه وقوله واذا حضر القسمه اولوا القربى الايه وقوله
والقواعد من النسا اللاتي اى العجايز اللاتي قعدن عن التماس النكاح لكبرهن جمع قاعد
لانها من صفات النسا على الخصوص كالطالق والحايض وقيل قعدن عن الحيض والولد

[illegible]

اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا مطمع لهن في الازواج فليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن اي جلابيبهن وارديتهن ومقانعهن التي فوق الادرع والخمر عند الاجانب
كما يجوز ذلك للشواب عند المحارم ه غير متبرجات بزينة اي من غير ان يردن
بوضع ذلك عنهن ان يبدين ما عليهن من الزينة للرجال ويتكشفن لهم وانما
يفعلن ذلك للتخفيف عن انفسهن والمتبرجات المتكشفات وان يستعففن
اي يتسترن ولا يضعن جلابيبهن وارديتهن خير لهن اي افضل لهن وادفع
للريبة عنهن والله سميع عليم اي لا يخفى عليه ما يقلن بالسنتهن ويفعلن بايديهن
وهو ابلغ تحذير وقوله تعالى ه ليس على الاعمى حرج الاية قال سعيد بن المسيب
كان المسلمون يخرجون مع رسول الله عليه السلام فيعطون مفاتيحهم الاعمى والاعرج
والمريض والاقارب ويقولون لهم احللنا لكم ما تاكلون مما في بيوتنا فيقولون والله
ما يحل لنا مما في بيوتهم شيء وان احلوه لنا حتى يرجعوا الينا وانها لامانة اوتمنا
عليها فلم يزالوا على ذلك حتى انزل الله هذه الاية وطابت انفسهم لما احل الله
لهم وعن عبيد الله عبد الله بن عتبه قال كانوا يؤوون المريض والاعرج والاعمى
في بيوتهم فلما نزلت ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم اخرجوهم
من بيوتهم فنزلت هذه الاية ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج في اكلهم من بيوت الذين اذنوا لهم بذلك بالمعروف من غير اسراف ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم قيل هو على ظاهره ومعناه انه لا باس باكله من بيوت اقربايه

هو كما لو اكل من بيت نفسه من مال نفسه وقيل معناه ان تاكلوا من بيوت
ازواجكم لان الزوجين صارا كنفس واحده والاذن ثابت دلاله وقيل معناه ان
تاكلوا من بيوت اولادكم لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقال عليه
السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقوله تعالى ه
او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم والاذن من هولاء ثابت دلاله
او ما ملكتم مفاتحه قال ابن عباس هو الوكيل يدفع الرجل اليه ضيعته فله ان ياكل
من طعامها ويشرب من البانها وقيل هي بيوت العبيد والاماء والعبد وما يملكه
لمولاه وقال عبيد الله عبد الله بن عتبه هو الخازن يدفع بيته الى غيره ويسلطه
عليه ويأذن له في الاكل منه وقيل هو بيوت الاجارة والعارية وقوله تعالى ه
او صديقكم اي اصدقايكم قال الشاعر   اذا قل مال المرء قل صديقه
وضاق به عما يريد طريقه   قال قتاده هو الرجل ياتي منزل الرجل فيقول
اها هنا فلان فيقول اهله لا فيقول غدونا وعشونا واسرجوا الى دابته واعطوني
ثوبه فيفعلون كذلك يجي الرجل فيقول له اهله جانا اخوك فلان غديناه
وعشيناه واسرجنا له دابتك واعطيناه ثوبك فلا يقع في قلبه الا كما لو فعل له
جا ابوك او اخوك او عمك ففعلنا به ذلك فذلكم الصديق وجا فتح الموصلي
الى صديق له وجده غايبا من منزله فقال لجاريته هل كيسه في البيت فقالت نعم

فاستدعى بكيسه واخذ منه درهمين ورد الباقي عليها فلما جاست هنا
اخبرته بذلك فقال ان كنت صادقة فانت حرة لوجه الله تعالى كذا كان
الصالحون فيما سلف واما الان فقد غلب الشح على القلوب فلا ناكل الا باذن
وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قال قتادة كان
بنو كنانة بن خزيمة يرى احدهم عارا في الجاهلية ان ياكل وحده حتى كان
احدهم ليمكث وهو جائع حتى يجد من يواكله او يشاربه وعن ابي صالح وعكرمة
قالا كانت الانصار تشددوا في هذا وكان اذا اضاف احدهم ضيف لم
ياكل الا وضيفه معه فنزلت ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا وقال
سعيد بن جبير كان العرجان والعمياز والمرضى يتنزهون عن مواكلة غيرهم
خوفا من الاستبشار وتضييق المكان على الناس فنزلت الاية وعن مجاهد قال
ليس على الاعمى حرج اذا دعي الى وليمة ان يستتبع قايده معه وقال ابن عباس
نزلت الاية في الحارث بن عمرو خرج مع رسول الله عليه السلام غازيا وخلف
مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت
ان اكل من طعامك الا باذن منك فنزلت هذه الاية وقيل لما نزل قوله لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم توقوا الاكل من بيوت هولاء
وتوقوا الاجتماع على الطعام لاختلاف احوال الاكلين في القلة والكثرة وتفاوت
اخلاق اهل البيوت فنزلت الاية ودل قوله ان تاكلوا جميعا على جواز التناهد

ح زيد

في الاسفار وقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا من بيوت هولاء للاكل وقيل
كل بيت وقيل في المساجد فسلموا على انفسكم اي على جنسكم ممن كان فيها وهو
كقوله ولا تقتلوا انفسكم فان لم يكن في البيت احد او في المسجد فليقل السلام
علينا من ربنا او ليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين او ليقل السلام
على من اتبع الهدى وقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة قيل سلكم هذا
متصلا بالسلام وعن بعض السلف انه قال اذا دخل المسجد والانسان
فيه يقول السلام علينا من ربنا التحية من عند الله مباركة طيبة وقيل هو بيان
صفة السلام فسلموا على انفسكم تحية فهي مصدر للاول من غير لفظه كقول
الراجز يعجبه السحور والثريد والتمر حبا ماله مزيد وقوله
مباركة اي كثيرة الخير طيبة اي يستطيبه المحيا وقوله تعالى كذلك
يبين الله لكم الايات اي كما بين هذا يبين سائر الايات لعلكم تعقلون لتعقلوا
امره ونهيه فتعملوا بذلك فتوجروا عليه وقوله تعالى انما المومنون الذين
امنوا بالله ورسوله وينتظم هذا ما قبله من الاستيذان واذا كانوا معه اي
رسول على امر جامع اي شان يجمعهم كالغزو والجمعة والعيد لم يذهبوا
عنه حتى يستاذنوه فياذن لهم ان الذين يستاذنونك رجع من المغايبة
الى المخاطبة وهو من وجوه الكلام اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فيما يامرون
الى الشرع فاذا استاذنوك لبعض شانهم اي لبعض امورهم التي ورائهم

فأذن لمن شئت منهم فجعل المشيئة اليه في ذلك كما في قوله ترجي من تشاء منهن
الآية وجه رفع شانه وقيل اي فاذن لمن رأيت المصلحة في ذلك فلا يكون في رجوعه
ضرر على الناس دون من كان في رجوعه خطر ضرر لانا نعلم انه لا ياذن الا لمن هذا
وصفه فحملناه على هذا وقوله تعالى واستغفر لهم الله اي وادع لهم بالمغفرة
لسالف ذنوبهم وتقصيرهم حين الهم على اجابتهم لك كما قال خذ من اموالهم صدقة
ثم قال وصل عليهم وقوله ان الله غفور رحيم يغفر لمن استغفرت له ويرحمه
نزلت الآية يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استيذان ونزلت
وقوله ان الذين يستاذنونك نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه استاذن رسول الله
في الرجوع الى اهله في غزوة فاذن له وقال ارجع فلست بمنافق فعيره المنافقون
فنزلت الآية وهذا خلاف قوله في سورة براءة انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر ذاك في حق المنافقين وكان استيذانهم نفاقا من غير عذر وقوله تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي لا تجعلوا دعاءه اياكم الى امر كدعاء
واحد منكم غيره الى امر مستعجزوا التخلف عنه او الانصراف بعد المجي بغير اذن
فانه امر حتم لا يجوز خلافه وقال ابن عباس لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم اي دعاء الرسول
عليكم اذا اسخطتموه كدعاء غيره لان دعاءه مستجاب لا محالة وقال جماعة من المفسرين
لا تجعلوا دعاءكم الرسول كدعاء بعضكم بعضا فتدعوه باسمه يا محمد او ترفعوا عليه
الصوت بل ادعوه بتعظيم ولين وخفض صوت قال تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي

يعرفوا اما المعروف في البلدان وجعلوا احاديث ان في ذلك لآيات لكل صبار
شكور اي لكل مؤمن مستكمل خصال الايمان فان الشكر والصبر حاصلها اي
هو المستمتع بهذه الآيات بالتامل فيها وان كانت الآيات للكل على العموم وقوله
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قرا عاصم وحمزة والكسائي وخلف صدق مشددا
اي حقق على هؤلاء العصاة الذين انكروا البعث واعرضوا عن شكر الله وكفروا
به ابليس ما ظنه فيهم حيث قال فبعزتك لاغوينهم لاحتنكن ذريته لاقعدن
لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم واشباه ذلك لم يقل ذلك عن ثقة بانه سيكون
كذلك فانه لم يخبر به ولا كان عالما بالغيب لكن استدلالا بما استزل به آدم وحوا
قال فيفعل باولاده مثل ما فعل بهما وحقق ذلك الظن بجهده في الاغوا
والتزيين فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ان جعل من للتمييز فمعناه فاتبعوه في
الكفر الا المؤمنون وان جعل من للتبعيض فمعناه فاتبعوه في المعاصي الا فريقا من
جملة المؤمنين لم يتابعوه في معصية وهم المخلصون المطيعون وقرا الباقون صدق
بالتخفيف اي صدق ابليس في ظنه فخرج كما ظن وما كان له عليهم من سلطان اي
ولاية جبر على فعل وقيل اي حجة على ما يدعوهم اليه الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن
هو منها في شك الا بمعنى لكن اي ولكنا ابتلينا المكلفين بوسوسته لنعلم المؤمن
المخلص من الشاك في البعث وهو استثناء منقطع وقيل هو على حقيقة الاستثناء وهذا
سلطان التخلية اي وما كان له عليهم سلطان بالتخلية منا الا لنعلم المؤمن من الكافر

اى لا يصح المحنة لانها تصح اذا كان للممتحن داعى يدعوه الى الباطل وجاذب
يدعوه الى الحق فيجاهد بعقله هواه فيظهر حينئذ طاعة المطيع ومعصية
العاصى وقوله الا ليعلم الا ليظهر المعلوم بوجوده او لنعلمه موجودا حال
وجوده كما علمناه قبل وجوده انه يوجد او لنعامل معاملة من يختبر للظهور
او ليعلم اولياونا ذلك وقد كشفنا ذلك كله فى نظايره فيما مر وربك على كل شئ
حفيظ عالم به يحفظه على صاحبه ليجازيه به حيث امثله وقيل اى رقيب ٥
قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله اى قل يا محمد للمشركين ادعوا
هولا الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء ليظهروا شيئا من آثار القدرة كما
اظهرت وهذه توبيخ لهم وتقريع وزعمتم بمعنى ظننتم هاهنا كما قال الشاعر
زعمتنى شيخا ولست بشيخ انما الشيخ من يدب دبيبا لا يملكون مثقال
ذرة فى السموات ولا فى الارض اى الاصنام وما لهم فيهما من شرك اى نصيب وقيل اى
شركة مع الله وما له منهم من الاصنام من ظهير اى معين على خلق شئ ولا تنفع
الشفاعة عنده اى عند الله الا لمن اذن له وهولا لا اذن فى الشفاعة الا للمؤمنين
ويكون له على هذا التاويل للمشفوع له ويجوز ان يكون للشافع اى لا يشفع الا
لمن اذن الله له به والله لا ياذن بالشفاعة للاصنام وقرا حمزة والكسائى
وابو عمرو وخلف والاعمش وابن جماز اذن له بالضم على ما لم يسم فاعله والباقون
على الفعل الظاهر مضافا الى الله وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم

اى ازيل الفزع عنها وقد فزع اى خاف وافزعه غيره اى اخافه وفزعه اى
ازال الخوف عنه كقولك قذيت عينه اى وقع فيها القذى واقذاها غيره اى اوقع
فيها القذى وقذاها ازال عنها القذى وقريب منه مرض بنفسه وامرضه
غيره جعله مريضا ومرضه اى قام عليه وداواه وعالجه وهذا وصف الملائكة
وتقديره الا لمن اذن له اى الا للذين اذن لهم الله لهم من الانبياء والملائكة ومن
للجنس فصلح للجمع يفزعوا حينئذ ورد عليهم كلام الله بالاذن لهم بالشفاعة وهم
الملائكة وهذا الفزع من هيبة ما يعترين به من امر الله الهائل او لما يخافون
من وقوع التقصير منهم فى شفاعة الذين يشفعون لهم بان كان على الاجال دون
التعيين فيشتبه احوال المشفوع لهم حتى اذا كشف عنها الفزع قالوا الملائكة
الذين فوقهم وهم المبلغون ذلك اليهم ماذا قال ربكم اى امر به وهو كلام الخاضع
المتذلل قالوا اى اولئك الملائكة الحق او قال الله الحق اى امر امرا حقا وهو العلى
الكبير اى المتقدس بالجلال المتفرد بالكمال على امر الا بالحق يعنيهم مع منزلتهم
هذه يفزعون ويشفقون فى شفاعة من لهم يشفعون وهم بامر الله يعملون فكيف
يشفعون للكفار وقيل هذه الشفاعة قولهم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقيل هو فى الاخرة وقيل هو نزول الوحى المطلق
وتقديره وانا لعلى هدى الايمان بالله تعالى والاخلاص له وانتم فى ضلال مبين باشراككم
به غيره والجمع بين الكلامين تعريض بتضليلهم وتخلص الى المقصود بكلام هو فى غاية الحسن

والانصاف كالرجل يريد تكذيب صاحبه فيقول احدنا كاذب فيكون هذا الطف
من ان يقول انت كاذب واذا امر الله تعالى في دعا الكفار الى الاسلام
مبنيه على الارفق والاقرب الى ما يرجى به مثلهم الى الاسلام الا ترا ه
قال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ونحو هذا الكلام قول
حسان   اتهجوه ولست له بند   فشركما لخيركما الفدا
وقيل هو من التقسيم الذي الذي هو من اقسام البلاغة فهما مبتدا ان
لهما خبران فيتصل كل خبر بمبتديه وتقديره وانا لعلى هدى واياكم لفي
ضلال مبين وهو كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله اى الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله وهو
كقول امرى القيس   كان قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب
والحشف البالى   اى الرطب كالعناب واليابس كالحشف البالى
وقوله تعالى قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون اى انا ادعوكم
لنفعكم ودفع الضرر عنكم لا لنفعنا ولدفع الضرر عن انفسنا فانتم لا
تواخذون باجرامنا ونحن لا نواخذ باجرامكم قل يجمع بيننا ربنا اى في القيامه
ثم يفتح بيننا بالحق اى يقضي فيجزى كل واحد على وفق عمله ان خيرا فخيرا وان
شرا فشرا وهو الفتاح اى القاضي العدل العليم باعمال العباد وبوجوه
القضا قل اروني الذين الحقتم به شركا اى قل يا محمد للمشركين اروني اى

عرفوني الذين الحقتم به اى بالله شركا اى في العبادة هل لها شرك في السموات
والارض او شركة مع الله في الخلق فتستحق العبادة وهل شركا في الخلق فيستحق
وصفها بكونه شركا لله تعالى او معبودا معه اى وهذا لا يكون فاذا عجزوا عن
ذلك فقل انت كلا بل هو الله العزيز الحكيم اى لا معبود الا الله وهو الله المعبود
المستحق للعبادة العزيز الذي لا يرام الحكيم الذي له تنفيذ الاحكام ومنه
الاتقان والاحكام واراءة الايات والاعلام وقوله تعالى وما ارسلناك الا
كافة للناس بشيرا ونذيرا للناس كافة اى جميعا وكف الثوب جمع ما تفرق
من اطرافه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهم المشركون لانهم اكثر المومنين ولا يعلمون
لا تعقلون لعلمهم ولا يتاملون في الايات ليعلموا ويقولون متى هذا الوعد هو شامل
لما يقع به التبشير والانذار ان كنتم صادقين في ذلك قل لكم ميعاد لا تستاخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون اى هنا موقت عند الله بيوم لا تتقدمونه بساعه و لا
تتاخرون عنه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت قال الله تعالى فاذا جا اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اى بالموت ياتيكم ما توعدون به قيل قيام
الساعة وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران اى لن نصدق بنزول القران
على محمد ولا بالذي بين يديه التوريه والانجيل جحدوا التوريه والانجيل حين احتج
عليهم بقول علما اهل الكتاب واخبارهم عن ذكر النبي عليه السلام فيهما فجحدوا
الكتب كلها اصلا سفها منهم وقيل ولا بالذي بين يديه هو قيام الساعة   ثم

من شر حالهم ذلك اليوم فقال ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اى
محبوسون في موضع الحساب والسؤال يرجع بعضهم الى بعض القول اى يتراجعون
الكلام بينهم باللوم واللعن والبراءة من بعضهم عن بعض يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا اى يقول الاتباع للسادة الذين من صفتهم استضعافهم
من دونهم وجرهم الى مرادهم لولا انتم اى لو لم يكن تسلطكم علينا وقهركم ايانا
واستتباعكم لنا لكنا مؤمنين لمحمد متابعين له قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم استفهام بمعنى الانكار ومعناه ما منعناكم
نحن عن اتباع الهدى وما كان لنا ولاية القهر لو امنتم بل كنتم مجرمين ثابتين على
الكفر باختياركم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
اى بل كان سبب كفرنا مكركم بنا في الليل والنهار على الدوام كيف تخادعونا عن الهدى
وتمكرون بنا ابدا واضاف المكر الى الليل والنهار لوقوعه منهم فيهما وهو كقول
الشاعر   لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى   ونمت وما ليل المطي بنايم
وقيل كان الليل والنهار يمكران بطول بكفر بالله ونجعل له اندادا اى اشباها
من الاصنام فنعبدها دونه واسروا الندامة اى اضمروها في قلوبهم واستشعروها
وقيل اخفوها اى السادة وجحود ذلك عن الاتباع وقيل اى اظهروها بقولهم يا ليتنا
نرد ولا نكذب بايات ربنا ونحو ذلك والكلمة من الاضداد قاله القتيبي
وقطرب وانشد للفرزدق   فلما راى الحجاج جرد سيفه   اسر الحروري الذي كان اضمرا

وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اى فلما راوا العذاب ولما جعلنا اى ندموا
حين راوا الاغلال جعلت في ايدى الكفار الى اعناقهم ويحتمل ان يكون عطفا على قوله
واسروا وجعلنا اى وجعلنا اى وجعلنا الاغلال في اعناق المستكبرين والمستضعفين
جميعا منهم كفار هل يجزون الا ما كانوا يعملون استفهام بمعنى النفى للمقرر اى لا
نجزيهم الا باعمالهم واضمر واجزى هذه الامات جواب قوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم رايت منظرا هايلا ونحو ذلك كما عرف نزلت وقال الذين كفروا لن نؤمن
بهذا القران ولا بالذي بين يديه في الاسود بن عبد يغوث الزهري واضرم وبعلبك
اخوين من بني الحارث بن عبد مناف وقوله تعالى وما ارسلنا في قرية من
نذير الا قال مترفوها اى وما بعثنا قبلك في بلدة من رسول ينذر الناس عاقبة
الشرك والكفر الا قال منعموها وهم اصحاب الاموال والاعوان مستكبرين ممتنعين
عن زوال رياستهم انا بما ارسلتم به كافرون اى جاحدون وجمع قوله ارسلتم به
لانه عم جميع اهل القرى اى كان جواب مترفي كل قوم لرسولهم كذلك واللفظ
واحد في قرية وكذلك من نذير لكن معناه الجمع فصح قوله ارسلتم اى وكذلك قال
اهل مكة لك يا محمد وفيه تسلية وقوله تعالى وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
اى من الانبياء فنحن اكرم على الله واولى بالحق وما نحن بمعذبين اى ولا يعذبنا الله على
تكذيب الرسل لانه فضلنا عليهم قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يوسع
على من يشاء ويضيق على من يشاء لا لاستحقاق المرء يوسع عليه لكن لما يرى من الحكمة ولكن

ولكن اكثر الناس لا يعلمون لا يقفون على مواضع الحكمة وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى اي قربة وبلا درجة ومنزلة الا من امن وعمل صالحا اي
لكن من امن وعمل صالحا فاولئك لهم الزلفى واولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا
اي الاضعاف والضعف هو المثل الى ما زاد عليه وهو جنس يصلح للجمع ويدل
عليه قوله فله عشر امثالها وقوله يضاعفه له اضعافا كثيرة بما عملوا اي بالعمل الصالح
وهم في الغرفات اي في غرف منازل الجنة امنون من كل مخوف والاعلى هذا ا
القول استثناء منقطع بمعنى لكن وقيل هو استثناء متصل ومعناه الا من امن
وعمل صالحا في امواله واولاده فانفق ماله في نصرة دين الله واقامة حقوق
الله واستظهر باولاده على طاعة الله ومتابعة رسول الله فاولئك
لهم جزاء الضعف يضاعف خيرهم باموالهم واولادهم وقيل جزاء الضعف
هو دوام النعيم في الجنة بالتضاعف وقتا بعد وقت بلا انقطاع والذين
يسعون في اياتنا اي في ابطالها وفي صرف الناس عنها معاجزين ظانين
انهم يعاجزونا يفوتونا اولئك في العذاب محضرون اي في النار بخلاف
الفريق الاول انهم في غرفات الجنة امنون قل ان ربي يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر له اي فلا تتكلوا على ما اعطاكم من اسباب العز
والتوسيع في الدنيا ولا تشتغلوا بها من طاعة الله بل انفقوه في طلب مرضاته
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه يعطي خلفه في الدنيا معا يثيب عليه في الاخرة

وهو خير الرازقين اي المعطين لانه قادر على مواصلة رزقه وزيادة
ما شاء لمن شاء بغير حساب وليس اعطاء العباد كذلك ولانه يعطي ملكه
نفسه ولانه يوجد المعدوم وغيره يعطي رزق الله ويحول من موضع الى
موضع ولا رازق في الحقيقة الا الله ولا خالق اصلا غيره لكن معنى خير الرازقين
هذا واحسن الخالقين اي احسن المصورين والمقدرين وما معنى تكراره
لانه لم الاول خطاب الكفار وهذه خطاب المؤمنين ثم قوله وما
انفقتم من شيء اي في وجوه الخير وذلك وان لم يذكر فالانفاق المثمر هو الذي
لا يثمر هنا كلا انفاق كالعلم الذي لا ينفع يسمى جهلا ولذا وصف الكفار
بانهم صم بكم عمي وانهم لا يعقلون لعدم انتفاعهم بهذه الالات وقوله تعالى
ويوم يحشرهم جميعا اي الذين سبق ذكرهم ولو ترى اذ الظالمون وقال الذين
استكبروا للذين استضعفوا وقيل ويوم يحشر العابدين والمعبودين جميعا
اي يجمعهم للحساب والعرض ثم يقول نحضرهم للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
اي اهؤلاء المشركون كانوا يعبدونكم في الدنيا قالوا سبحانك اي تنزيها لك
ان يكون معك اله انت ولينا من دونهم اي انت الهنا وحافظنا ومتولي امورنا
ومصلحنا وانت الذي نتولاك ونلتمس قربك باخلاص العبادة لك من دونهم
اي من دون هؤلاء المشركين الذين يزعمون انهم يتولونا ويعبدونا ويتوهمون
انهم يعبدوننا اكثرهم بهم مؤمنون اي كلهم كقوله واكثرهم كاذبون وهو كقوله

يعصكم بعض الذي لعدكم وكقوله فقليلا ما يومنون اي لا يومنون اصلا وهذا
من فنون الكلام بمنزلة قولك اقبل وعظي لعلك تفلح ولا تريد به الشك لكنه ترفق
للكلام فقيل كان بنو مليح من العرب يعبدون الملائكة ويقولون هم بنات الله
من مصاهرة الجن قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل معناه بل كانوا
يطيعون الشياطين في عبادتهم اياها فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
اي يقال لهم اليوم لا تجدون عند هولاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ضرا ولا
نفعا مما كنتم ترجون من شفاعتهم لكم ونقول للذين ظلموا اي هولاء الكفار ولسائرهم
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ويقولون مستهزئين متى هذا الوعد
وقوله تعالى حقه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي واذا تقرا على هولاء ايات
القران بينات اي واضحات دلالات على اعجاز القران قالوا ما هذا يعنون محمدا
الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم اي يصرفكم عن دين ابائكم وقالوا ما هذا
اي القران الا افك اي كذب مفترى اي مختلق وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
ان هذا اي ما هذا الا سحر مبين اي تخييل ظاهر للحيرة والتمويه فقالوا هو كذب مرة
وقالوا هو سحر ويحتمل ان يكون قوله سحر من قول الاتباع وقوله افك مفترى من قول
السادة وما اتيناهم من كتب يدرسونها اي ما اعطينا هولاء المشركين كتبا
يدرسونها فيدعون انهم وجدوا فيها ما شاهدا لقولهم وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير اي ولم نرسل اليهم قبلك يا محمد رسولا يخبرهم عن الله بابطال الشرك

فليست عندهم حجة على ما يقولونه في القران وغيره وهو كقوله ام اتيناهم كتابا
من قبل هذا او اثارة من علم وكذب الذين من قبلهم اي وقد كذب الذين
كانوا قبلهم من الامم الرسل فاهلكناهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم اي
ان هولاء المشركين لم يبلغوا في القوة والاموال والاولاد عشر ما بلغه اولئك
فاذا لم يسمعوا ولكن عشرا اي وكيف يحسب هولاء المعشار العشر وكذلك المرباع
الربع ولا يتكلم بمثله الا في هذين قاله قطرب فكيف كان نكير قيل النكير
جزاء المنكر وقيل هو الانكار اي التغيير اي فانظروا كيف كان تغييري
احوالهم من المحبوب الى المكروه وتقديره نكيري حذف الياء تخفيفا واكتفى
بكسرة الراء لاتفاق الفواصل وقوله تعالى قل انما اعظكم بواحدة
ثم ان الله تعالى بعد ان احتج عليهم بما وصفوا به الكتاب والرسول وعظهم
ودعاهم الى النظر ومخالفة سبل الامم الخالية في التقليد وترك وجه
النظر على ابلغ وجه وانبهه فقال قل يا محمد لمشركي مكة انما اذكركم
بكلمة واحدة او خصلة واحدة او موعظة واحدة واكتفي بها منكم وهي
ان تقوموا لله مثنى وفرادى وهو قيام القصد الى الشيء دون النهوض
والانتصاب لله اي لوجه الله والتماس التقرب الى الله لا للحمية والعصبية
بل لطلب الحق مثنى وفرادى اي مجتمعين ووحدانا لان ما يراد تعريفه
بالنظر لا يخلو من ان يكون مما يدركه الناظر وحده اذا انعم نظره او لوضوح وجهه

او يكون مما لا يجلي الشبهة فيه عنه ما بفرادة لغموضه حتى يستعين بغيره
فالاحوط هو النظر في الامر بالوجهين ثم تتفكروا اي تستعملوا فكركم بالتدبر
في امر محمد هل في شيء من احواله من مشابه الى دعت اخباره بنزول الوحي
عليه انتشار في امره او اختلاف في حاله يوجب له وصما او يوجه عليه
ظنة بما لا يجوز معه في العقل ان يكون رسولا وهل جربتم عليه كذبا او رايتم
في عقله ضعفا او شاهدتموه يختلف الى من يدعي سحرا او يكون عنده اقاصيص
الاولين يأخذها منه تعلما او هل يقدر احد منكم على معارضته في سورة
فتجوزوا ان يكون بهذا الكتاب من عنده فاذا لم يكن كذلك فاعلموا انه ليس
به جنون وانه نذير لكم بين يدي عذاب شديد امام عذاب قد اعده الله
للمكذبين برسوله وبما يتحداكم بكتابه ومشركين غيره به واحذروا ايضا ان ينالكم
هذا العذاب الشديد بعد ما استتمت هذه الاية مع قلة جرمها على اثبات
النظر ووجهيه ثم قوله ما بصاحبكم يحتمل وجهين احدهما تتفكروا اي
في الامور التي عددناها ثم يكون قوله ما بصاحبكم استئنافا او يكون بالتفكر اي ليس به
جنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد اي ما هو الا مخوف لكم امام عذاب
شديد وقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم اي كلما طلبت منكم على ما ادعوكم
اليه من الايمان من جعل فهو لكم اي قد جعلته لكم لا حاجة لي اليه ولا اطلب منكم
شيئا ان اجري الا على الله اي ما ابتغي عليه الا الثواب من الله وقد وعده لي وعدا

فهو كلما اخلف فيه وهو على كل شيء شهيد اي شاهد علي وعليكم مشاهد
لافعالي وافعالكم ويجزي كلا على وفق عمله وهذا تاكيد انه لم يسألهم شيئا
وهو كقولك لمن نصحت له فلم يقبل ما اعطيتني على نصيحتي فهو لك فخذه مني
اي لم تعطني شيئا ولم اسأله منك وللاية وجه اخر قال الكلبي
لما قال الله تعالى لنبيه قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا
لا تؤذوا محمدا في اقاربه فلما ذكر رسول الله الهتهم بعد ذلك قالوا ما
انصفنا محمد نهانا ان لا نؤذي اقاربه ففعلنا وهو يذكر الهتنا فنزلت
هذه الاية قل ما سألتكم من اجر فهو لكم اي ان شئتم فاذوهم فرد عليهم
اجرهم الذي كان نبيا لهم من ان لا يؤذوا اقاربه وفيها وجه اخر ما سألتكم
من اجر وهو الكف عن اذى اقاربي فهو لكم اي نفع ذلك الاجر لكم لانكم اذا فعلتموه
كان ثوابه عند الله لكم وقوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق اي يلقي الحق
الى [illegible] والى عباده المؤمنين على وجه لا يقدح عليه اعتراض ويوجه بل يبطل
به الباطل علام الغيوب اي هو علام الغيوب لا يخفى عليه حقائق الاشيا
ولا يذهب عنه لطائف الحجج قل جاء الحق اي الدين الحق او وضوح اياته
ودلالته وما يبدئ الباطل وما يعيد اي ولا يثبت للباطل اي الشرك
اثر بدءا ولا عودا وقال ابو عبيدة يقذف بالحق اي ياتي بالحق وقال
[illegible] به اي يلقي الحق في قلب من يشا وعلى لسانه وقيل هو ما قال في اية اخرى

بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وقيل في قوله قل
جاء الحق اي القرآن قال الضحاك قل جاء الحق اي القرآن وما يبدئ الباطل
وما يعيد اي ما يخلق ابليس احدا ولا يبعثه وقال الحسن وما يبدئ
الباطل لاهله خيرا في الدنيا ولا يعيد عليهم خيرا في الآخرة والباطل
ما عبد من دون الله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي اي تركت الحق
الذي اتيت به واتبعتكم فقد ضللت والحقت الضرر نفسي وان
اهتديت ثبت على حقي فبما يوحي الي ربي فبيان حالي
من ربه انه سميع لما اقوله لكم قريب مني ومنكم يجازيني ويجازيكم
وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قيل متصل بقوله ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم وقال ابن عباس والضحاك هو يوم بدر
حين اخذتهم سيوف الملائكة وقال الحسن هو حين يخرجون من قبورهم
اذ فزعوا اي هلكوا وقيل خافوا خوفا شديدا وقيل الفزع انزعاج
النفس بتوقع المكروه فلا فوت قال الضحاك اي لا هرب وقيل فلم يفوتوا
ما نزل بهم من العذاب واخذوا من مكان قريب اي من قرب فلم يفوتوا وهو
تمثيل لسرعة الاخذ وقيل هو تاكيد قوله فلا فوت ومن حمله على يوم
بدر قال اخذوا في الدنيا قبل ان يصيروا الى الآخرة فهو المكان القريب وقال
الحسن واخذوا يوم القيامة من مكان قريب من بطن الارض الى ظهرها

وقالوا آمنا به يجوز ان يكون راجعا الى قوله قل جاء الحق ويجوز ان يكون الى الوحي
فيما قال فبما يوحي ويجوز ان يكون الى الرب فيما قال الى ربي وان كان هذا
عند الموت فهو كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وقال وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته وان كان في القيامة فكل الكفار يؤمنون ويتبرؤن
عن الكفر حينئذ وانى لهم التناوش من مكان بعيد اي كيف ومن اين لهم تناول
الايمان من مكان بعيد وهو تمثيل ومعناه ليس هذا وقت نفع الايمان ولا مكان
قبول الايمان كان ذلك في الدنيا وقيل غاية هذه الاحوال وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائي وخلف وعاصم عن حفص والشموني والبرجمي التناؤش ممدودا
مهموزا قال الزجاج هو من النأش وهو الحركة في ابطاء اي من اين لهم ان
يتحركوا فيما لا حيلة فيه وقرا الباقون التناوش بغير همز وهو من علا يوسا به
تقطع من احوال العقلا وقال ثعلب التناوش بغير همز التناول من قرب
وبالهمز التناول من بعد وجاء في الآية وكيف لهم تناول ما في الدنيا من الآخرة
وهي بعيدة عن الدنيا وقد كفروا به من قبل اي من قبل حالة الباس او
قبل يوم القيامة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد اي يرجمون بالظن المغيب
عنهم من مكان بعيد اي يظنون ان ايمانهم في الآخرة او حالة الباس نافع لهم
جهلا منهم في الآخرة وحالة الباس كما كانوا جاهلين في الدنيا وفي غير حالة الباس
بعضهم الجهل الخالص وقيل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد هو اشد الكلام

الشاعر [illegible]

في وصفهم في الدنيا ومعناه ويرمون بالظن فيقولون لا بعث ولا جزاء وهو رجم
بالظن من مكان بعيد وهو اضعف ما يكون من الظن لبعد المكان عن الظان
وقيل هذا البعد عن القلب وقيل عن العقل وقيل هذا الظن البعيد منهم
كان في القرآن وفي الرسول فكانوا يصفون كل واحد منهما بصفات مختلفة
وقيل المكان البعيد مثل كقوله اولئك ينادون من مكان بعيد وقيل هذا
الوصف منهم في الدنيا لكنه متصل بالاول باضمار كانوا اي لا ينفعهم الايمان
لانهم كفروا به من قبل وكانوا يقذفون بالغيب من مكان بعيد في الدنيا وقيل
ويقذفون بالغيب اي يرمون بالاخرة من مكان بعيد اي يبعدون امرها
ولا يعتقدون كونها كما قال هيهات هيهات لما توعدون وهذا معنى قول
الضحاك وعلى هذا يقذفون بالغيب اي يرمون لحالهم من مكان بعيد اي
يقدرونها بطول فيسوفون التوبة وهذا معنى قول عكرمة وقوله
وحيل بينهم وبين ما يشتهون اي الاسماع بالايمان والتوبة كما فعل باشياعهم
من قبل اي بالذين شايعوهم على الكفر من الماضين كان لا يقبل ايمانهم
عند الباس قال تعالى فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده الاية وقيل
حيل بينهم حينئذ وبين ما كانوا يشتهون وهو الاموال والاولاد والا[illegible]
التي كانوا يتنعمون بها ويتعززون في الدنيا وهو كقوله وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم انهم كانوا في شك مريب اي في شك من القرآن والرسول

والايمان والبعث وكل ذلك سبق ذكره ومريب اي مشكك وهو مبالغة كقولهم
عجب عجيب وشتا شات وليله ليلا وقيل المريب الذي ياتي بالمكروه وقال
الشاعر كانني اريته بريبة اي هؤلاء والماضون كانوا كذلك فعذبوا لذلك
قال ابن عباس ولو ترى اذ فزعوا في السفياني الذي يظهر في اخر الزمان يقصد الكعبة
في ثمانين الفا الحرم بها فيخسف بهم في البيداء واخذوا من مكان قريب
خسف بهم من تحت ارجلهم وقال مقاتل يبعث ثلثين الفا الى مكة عليهم رجل
يقال له [illegible] فاذا دخلوا البيداء خسف بهم ولا يفلت منهم
الا رجل من جهينة يقال له ناجية مقلوب وجهه الى قفاه يخبر الناس
بما اصابهم وقال مقاتل بن سليمان يخرج السفياني من الوادي اليابس
في اخواله من كلب فيخطبون على منابر الشام فاذا بلغوا عين التمر محا
الله الايمان من قلوبهم فيخرجون حتى ينتهوا الى جبل الذهب فيقاتلون قتالا
شديدا فيقتل السفياني سبعين الف رجل عليهم السيوف المحلاة والمناطق
المفضضة ثم يدخل الكوفة فيصير اهلها ثلاث فرق فرقة تلحق به وهم شرار
خلق الله وفرقة تقاتله وهم عند الله شهداء وفرقة ثالثة تلحق بالاعراب
وهم العصاة ثم يغلب الكوفة فيفتض اصحابه ثلثين الف عذراء فاذا اصبحوا
كشفوا شعورهن واقاموهن على السوق يبيعوهن فعند ذلك كم من لاطمة
خدها كاشفة شعرها بدجلة او شاطئ الفرات فيبلغ الخبر اهل البصرة

فيركبون السفن في البر والبحر فيستنقذون اولئك النسا من ايديهم فيصير
اصحاب السفياني ثلث فرق فرقة تسير نحو الري وفرقة تبقى بالكوفة وفرقة
تاتي المدينة وعليهم رجل من بني زهرة فيحاصرون
اهل المدينة فيقتلون جميعا فيقتل بالمدينة مقتلة عظيمة حتى يبلغ الدم
الرايات المقطوعة ويقتل من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل وامراة
واسم الرجل محمد واسم المراة فاطمة ويصلبونهما عاديين فعند ذلك اشتد
غضب الله عليهم فيبلغ الخبر ولي الله فيخرج من قرية من قرى جرش
في ثلثين رجلا فيبلغ المومنين خروجه فياتونه من الارض ويحنون اليه كما تحن
الناقة الى فصيلها فيجي فيدخل مكة فيقام الصلوة فيقال تقدم يا ولي الله
فيقول لا افعل انتم يصلي بكم رجل منكم فيبدا اكون عليه بالبيعة تداك الابل الهيم
يوم ورودها حياضها فيبايعونه فاذا فرغ من بيعة الناس بعث خيلا الى
المدينة عليهم رجل من اهل بيته فيقاتل الزهري فيقتل من كلى الفريقين مقتلة
عظيمة ثم يرزق الله وليه الظفر فيقتل الزهري ويقتل اصحابه فالخايب
يومئذ من خاب من غنيمة كلب ولو بعقال فاذا بلغ الخبر السفياني خرج
من الكوفة في سبعين الفا حتى اذا بلغوا البيدا عسكر بها وهو يريد قتال
ولي الله وخراب بيت الله فبيناهم كذلك بالبيدا اذ نفر فرس من العسكر
لرجل فخرج الرجل في طلبه ويبعث الله جبريل فيضرب الارض برجله ضربة

فخسف الله عز وجل بالسفياني واصحابه ورجع الرجل يقود فرسه
فيستقبله جبريل فيقول ما هذه الصيحة في العسكر فيضربه جبريل عليه
السلام بجناحه فيحول وجهه مكان القفا فيمشي قهقرى فهذه الاية
نزلت فيهم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي يزيد في الخلق ما يشا الرحمن الذي يخشاه من عباده العلما
الرحيم الذي بحلمه يمسك الارض والسما وروى ابي عن النبي عليه السلام
انه قال من قرا سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثمانية ابواب الجنة
ان ادخل من اي الابواب شئت وهذه السورة مكية وهي ست واربعون
اية وقيل خمس واربعون وكلماتها سبعمائة وخمس وسبعون وحروفها ثلثة
الاف ومائة وخمس واربعون والانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة
انه ذكر في اخر تلك السورة ان الكفار في شك مريب لتركهم التامل في الايات
وذكر في اول هذه السورة من الايات ما لا يبقى معه ريب عند التامل فيه وهو
خلق الارض والسموات وانتظام السورتين انهما مكيتان وهما في محاجة المشركين
ومدح الموافقين وذم المخالفين قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات
والارض اي خالقهما من غير شي جاعل الملائكة رسلا الى النبيين اولي اجنحة

يطيرون بها ينزلون من السما الى الارض ويعرجون منها الى السما في يوم وليلة منه
ومسيرة ما بينهما الف سنة نزولا وعروجا ولولا ما قوّاهم به لما امكنهم
ذلك مثنى وثلاث ورباع اي من الملائكة من له جناحان كالطيور التي في الهوا
ومنهم من له ثلاثة اجنحة ومنهم من له اربعة اجنحة يزيد في الخلق ما يشا
اي يزيد بعضهم على اربعة فقد روي ان جبريل له ستمائة جناح لو نشر
جناحا له لسدّ ما بين الخافقين ولبعض الملائكة اكثر من ذلك وهذا عام
متناول زيادة كل شي في كل شي ولذلك قال ان الله على كل شي قدير وهذا اساس
لحديث ارسال الرسل وبعث الخلق يوم القيامة وعن النبي عليه السلام رواه
ابو هريرة رضي الله عنه قال في الاية هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر
الحسن وقال ابن عباس في اجنحة الملائكة وقال ابن كيسان في الجسم والعرض
والطول كما قال وزاده بسطة في العلم والجسم يعني طالوت وعن قتادة
قال الملاحة في العينين وقيل الكياسة في الطبيعة وقيل الفصاحة في
المنطق وقيل الفهم عن الله وقيل السخا وقيل الرضا بالتقدير وقيل علوّ الهمة
وقيل التواضع في الشرف وقيل القناعة في الفقر وقيل الظرف في الشمايل
وقيل المحبة في القلوب وقيل خفة الروح وقيل سلامة الصدر من الشر
وقال العسكري التعطف على الخلق وقيل الشوق الى الحق وقيل تجرّد
القلب عن رق الحدثان وقيل ان لا يطلب لنفسه منزلة في الدارين قوله تعالى

ما يفتح الله للناس من رحمة من في النبوة كما قال اهم يقسمون رحمة ربك فلا ممسك
لها لانه لا احد ردّها ومعارضتها وما يمسك اي يقطع ومن فترة فلا مرسل
له من بعده اي لا يمكن احدًا فتح هذا الباب وقال فلا ممسك لها بالتانيث لسبق
ذكر الرحمة وقال فلا مرسل له بالتذكير لسبق ذكر قوله وما يمسك ويجوز في
العربية التانيث فيهما لذكر الرحمة فيهما ويجوز التذكير فيهما لذكر ما فيهما
وقيل الاية عامة لكل نعمة ويدل عليه ما بعده يا ايها الناس اذكروا نعمت
الله عليكم والرحمة في القران جات للمطر قال تعالى بين يدي رحمته
والرزق قال تعالى واما تعرضن عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها وقال ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار وقال ان ارادني بضر قال او ارادني برحمة
وعلى هذا الباب وهو العزيز في ملكه وجلاله الحكيم في اقواله وافعاله
قوله تعالى يا ايها الناس قيل هو خطاب المشركين اذكروا نعمت الله
عليكم اي تذكروا وقيل اي احفظوا ما من الله به عليكم من انواع النعم هل من
خالق غير الله قرا حمزة والكسائي وابو جعفر غير الله بالخفض على ظاهر
قوله من خالق غير الله وقرا الباقون غير الله بالرفع لوجهين هل
غير الله من خالق وهل خالق غير الله فان من زيادة مؤكدة واذا حذفت
رُفع خالق وهو استفهام بمعنى النفي يرزقكم من السما والارض بالمطر والنبات
وغير ذلك واذا لم يكن خالق ولا رازق غيره فلا اله غيره ولذلك قال تعالى

لا اله الا هو وقوله فانى تؤفكون اى كيف تصرفون ومن اين تصرفون عن
هذا الحق الى غيره والافك بالفتح الصرف والافك بالكسر الكذب وهو الكلام
المصروف عن الصواب وخرج الكلام على ما لم يسم فاعله على مذاهب العرب
في قولهم للرجل اين تذهب بك اى اين تذهب فلذلك هذا معناه فكيف ومن
اين تصرفون من الحق الى الباطل وهو استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ وقال
القشيرى من ذكر النعمة فهو صاحب عبادة ونائل زيادة ومن ذكر المنعم فهو صاحب
ارادة ونائل زيادة وفرق بين زيادة وزيادة هذا زيادته عطاؤه وهذا زيادته
لقاؤه وقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من عرف انه لا رازق غير
الله لم يعلق قلبه باحد فى طلب شئ ولا يتذلل للا انفاق لمخلوق وكما لا يرى
رزقه من مخلوق لا يراه من نفسه ايضا فيتخلص من ظلمات تدبيره واحتياله
وتوهم شئ من اشكاله وامثاله وان يكذبوك يا محمد فلا يضيقن صدرك
فلست باول من كذب من الرسل فقد كذبت رسل من قبلك كذبتهم
اممهم والى الله ترجع الامور اى والى حكم الله تصير الامور فى عواقبها فيجعل
العاقبة المحمودة للانبياء والمؤمنين والعاقبة المذمومة للمكذبين وهذا
وعد ووعيد وقوله تعالى يا ايها الناس وهو عام للمكلفين ان وعد
الله حق اى بالثواب والعقاب جميعا لقوله والى الله ترجع الامور والوعد
يقع على العذاب قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا فلا تغرنكم الحيوة الدنيا

الحيوة
اى لا تغتروا بعدها بالحياة الفانية فانها زائلة وانتم مبعوثون للعرض والحساب والجزا
ولا يغرنكم بالله الغرور قيل الدنيا وقيل الشيطان بما يمنيكم على الله من المغفرة
مع الاصرار وبما يزين لكم من المقام على الكفر ان الشيطان لكم عدو من
وقت ابيكم آدم وامكم حوا فاتخذوه عدوا ولا تتابعوه ولا تطيعوه فتهلكوا
انما يدعوا الى طاعته حزبه اى طائفته ليكونوا من اصحاب السعير ليسوقهم الى
نار جهنم فيكونوا من اصحابها اى اهلها الذين لا يفارقونها وخص حزبه بالذكر
وان كان يدعوا كل الناس لانهم هم الذين اجابوه وقيل يدعوا حزبه على الخصوص
دون الذين علم ان الله يخلصهم ومنه خلصهم وقيل يدعوا حزبه الذين اجابوه الى
الدوام عليه ليخلدوا فى النار الذين كفروا لهم عذاب شديد وهم الذين
اطاعوا الشيطان والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وهم
الذين عادوه وهذا هو تفسير قوله ان وعد الله حق فهو وعد للكافرين بالعقاب
ووعد المؤمنين بالثواب وقوله تعالى افمن زين له سوء عمله اى الكفر والمعصية
فرآه حسنا زينت له ذلك نفسه باتباع الشهوة وترك النظر فى الحجة او الشيطان
بالوسوسة وايقاع الشبهة او الله تعالى بالتخلية والمشيئة [illegible]
والمحنة واضمرها هنا كمن فتح فانتهى عنه اى ليسا بسواء الاستفهام بمعنى النفى
فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء من علم منه اختيار الضلال اضله الله ومن
علم منه اختيار الاهتداء هداه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اى لا تهلك

نفسك تاسفا عليهم وتحسرا وهو كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين
وقد بينا وجوه ذلك في تلك الاية وقيل الاضمار هاهنا افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا ذهبت نفسك حسرة عليه فلا تذهب نفسك عليه حسرة
فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا ثم هذا الموصوف قيل هو ابليس زين له سوء
عمله وقوله فلا تذهب نفسك عليهم اي على الكفار وقيل من زين له سوء عمله
هو الكافر ووحد للفظ من ومعناه الجمع وهم الكفار وقوله فلا تذهب
نفسك عليهم برحم لهم ان الله عليم بما يصنعون وعد ووعيد وتسلية
للنبي عليه السلام وقال القشيري الذي يوثر على ربه شيا من المخلوقات
فهو ممن زين له سوء عمله والذي يكتفي بنجاته يوم القيامة ورفع درجاته فهو
ممن زين له سوء عمله لانه غفل عن حلاوة مناجاته وقوله تعالى والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا اي تجمعه باثارته من مواضعه فسقناه
الى بلد ميت اي تسوقه الرياح بامرنا وتقديرنا فاحيينا به اي بالسحاب
هذا ظاهره ومعناه بالمطر الذي في السحاب وتثير مستقبل وسقناه
واحيينا ماضيان والاول اضافه الى الريح وهذا الى نفسه وهذا من فنون
الكلام ومن اقسام البلاغة والبيان كذلك النشور اي البعث بعد الموت
وقوله تعالى من كان يريد العزة متصل بقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
والعزة بالمال والسلطان والشرف في الدنيا فلله العزة جميعا هو العزيز

والمعز من يشاء من خلقه وانما يعز المومنين والمطيعين بالايمان والطاعة
لا الكفار والمترفين بالمال والسلطنة وقد قال قل اللهم مالك الملك
الى قوله وتعز من تشا وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولا تعارض هذه الاية
تلك الاية لان عزة الرسول والمومنين باعزاز الله فلله العزة جميعا على الحقيقة
وقال الامام ابو منصور رحمه الله من كان يريد العزة بعبادة الاصنام
كما قال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وقال واتخذوا من دون الله
الهة لعلهم ينصرون فلله العزة جميعا اي بتوحيد الله ينال العز كما قال من
كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وقوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب هو كل قول يرضى عند الله لا خبث فيه والعمل الصالح هو كل فعل
حسن لا فساد فيه وذكر في الاول الصعود اليه وفي الثاني الرفع اليه وتقديره
والعمل الصالح يرفعه الله اليه ولا يتوهم منهما المكان تعالى الله عن ذلك لكن
المراد قبولها ووجه ذلك ان اعمال العباد يكتبها الحفظة ويرفعونها في
السما الى حيث امر الله تعالى من موضع المحفوظ ثم يخرجها يوم القيامة للقراءة
والحساب بها والجزاء عليها وذلك قوله ان كتاب الابرار لفي عليين وتقدير الاية
الى السما يصعد كتاب الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه الله كتابه الى السما
فذكر لاحدهما صعوده وللاخر رفعه ومعناهما واحد وقيل تقديره اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح ايضا فالصعود لهما جميعا ثم قال يرفعه

ای الله تعالی هو الذی یرفع ذلک ولم یرفعهما لوجهین احدهما ان معناه یرفع
ذلک او یرفع المذکور کما قال عوان بین ذلک على الافراد مع تقدم ذکر الاثنین
والثانی ان الکنایه قد ترجع الى احد المذکورین لفظا ومعناه رجوعها الیهما کما
فی الایه ولا ینفقونها فی سبیل الله انفضوا الیها ثم یرم به وقیل والعمل الصالح
یرفعه ای یرفع الکلم الطیب یرید به ان اعتبار الکلام الحسن بالفعل الحسن
ولا ینفع قول بلا عمل کما قاله المبرد وقال الامام ابو منصور رحمه الله الیه یصعد
الکلم الطیب ای الوعد الحسن والعمل الصالح یرفعه ای انجاز ذلک الوعد تحقیقه
وقیل یرفعه ای الکلام الطیب هو الذی یرفع العمل الصالح والکلم الطیب
هو کلمه التوحید وبها قبول الاعمال ورفعها حکاه ابو معاذ عن بعض اهل العلم
وقیل والعمل الصالح یرفعه الله على الکلام الطیب ای العمل افضل من الکلام
وقیل والعمل الصالح یرفعه الهاء راجع الى قوله من کان یرید العزه ای من اراد
العز فلیعمل عملا صالحا فانه هو الذی یجعل العبد وقوله تعالی والذین
یمکرون السیئات قیل یعنی المتعززون فی الدنیا الذین یمکرون بالضعفه بادخال
الشبه علیهم وهی السیئات لهم عذاب شدید فی الاخره ومکر اولئک هو
یبور ای یهلک اجتنابهم ویبطل ولا یجوز الهلاک وقال ابو العالیه والذین
یمکرون السیئات هم الذین مکروا النبی علیه السلام فی دار الندوه لیقتلوه
او یثبتوه او یخرجوه لهم عذاب شدید ومکر اولئک هو یبور قیل هو قتلهم ببدر

وقوله تعالی والله خلقکم من تراب ای قدر کونکم فی الابتدا من تراب ثم
من نطفه الابوین وهو معنى قول من قال خلق ادم الذی انتم متفرعون عنه وهو
اصلکم من تراب ثم من نطفه ثم جعلکم ازواجا ذکرانا واناثا للتناسل والبقا
فی الدنیا الى حینه وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ثم اذا وضع النسل فما
یکون من حمل على ای وصف کان والوضع فی ای وقت کان فذلک بعلمه وبتقدیره
وتدبیره لا یخرج شیء من ذلک عن حکمه ولا یعزب عن علمه وما یعمر من معمر
ولا ینقص من عمره الا فی کتاب ای هو یعلم اعمار الخلق ومقادیرها طالت او
قصرت وهی عنده فی کتاب فی اللوح المحفوظ کتبه لمن اراد تعریفه من الملائکه
وغیرهم والمعمر من اطیل عمره والناقص العمر من لم یطل عمره ویشکل قوله من
عمره مضافا الى المعمر ولا یجتمع طول العمر ونقصانه فی شخص واحد لکن له معنیان
احدهما وما یعمر من معمر لا یکتب فی اللوح بان عمره عبد انه الى کذا ولا ینقص من
عمره لا یمضی شیء منه ینقص حتى قدر له الا ذلک محفوظ عند الله کم مضى وکم
بقی وکم مضى ظاهر للناس وکم بقی لا یعلمه الخلق فاخبر انه یعلم کل ذلک کما قال
وما تحمل من انثى وهو باطن ولا تضع وهو ظاهر والله تعالی یعلم کل ذلک والثانی
وهو قول الفراء وغیره ولا ینقص من عمره ای من عمر اخر وهو کقولک عندک
درهم ونصفه او لک عندی ثوب ونصفه فیکون النصف من درهم اخر وثوب
اخر لکن لما کان لو اظهر فقال لک عندی ثوب ونصف ثوب ودرهم ونصف درهم

صلح ذلك جاز ان يعالى بصفه فلذلك هاهنا ان ذلك على الله يسير اى كتابة
ذلك فى الكتاب يسيره على الله لا يتعذر عليه لكثرتها وطولها كما يتعذر
على العباد كتابة مثلها انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وقيل
اى حفظ ذلك على الله بدون الكتابة يسير وهذا كله بيان قدرته واستشهاد
به على قدرته على بعث الخلق وقوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب
فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج قال الخليل البحر يسمى به لاستبحاره
اى انبساطه وسعته وشق الاذن سمى بحرا لانه توسيعها وتبحر فلان
فى العلم اى توسع فيه الفرات المتناهى فى العذوبة والملح الماء الذى فيه
ملوحة وهو الذى لشدة ملوحته يلتهب وقيل اججت النار اى التهبتها
والاجة شدة الحر وقيل الفرات البارد والاجاج الحار وسايغ شرابه
اى سهل انحداره الى الجوف لا يستكرهه شاربه نفى الاستوا بين البحرين
لتفاوت الوصفين وفيه نفى الاستوا بين الصلحا والطالح ووجوب المعرفة
بينهما واذا لم يقع المعرفة فى الدنيا من صورتها البعث والقيامة وقوله
ومن كل تاكلون اى من كل واحد من هذين البحرين لحما طريا اى السمك والطرى
الغض وتستخرجون حلية تلبسونها اى تغوصون على الدر والمرجان وتتخذون
من ذلك حلية النسوان اذا ضم ذلك الى ساير الالوان وشاع ذلك بانفس الاثمان
وفيه بيان النعمة والقدرة وابطال الطبيعة وهو كقوله وفى الارض قطع متجاورات

فى الكتاب اى فى اللوح المحفوظ

الى قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وقوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يدل ايضا على استخراجهما منهما وقيل يستخرج
من الملح واضيف اليهما لانه منهما وهو كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم
رسل منكم والرسل اتوا من الانس واضيف اليهما لان الانس منهما فكذلك الملح
منهما وترى الفلك اى السفن فيه اى فى كل مواخر جمع ماخرة قال ابو عبيدة
مخرت السفينة الما اى شقته وقال الفرا مخرها خرقها الما وصرفه
من باب صنع ودخل جميعا وقال الكسائى مخرت السفينة اذا استقبلت
بها الريح والفرس يستمخر الريح ويمتخرها اى يستقبلها استروحا وقال
معاتل مواخر مقبلة ومدبرة ترى سفينتين احديهما مقبلة والاخرى مدبرة
تجريان بجرى ريح واحدة وقوله لتبتغوا من فضله اى بالتجارة ولعلكم تشكرون
اى لتشكروا بهذه النعمة وقوله تعالى يولج الليل فى النهار اى يدخل فياخذ
من هذا ويزيد فى الاخر ويولج النهار فى الليل كذلك وسخر الشمس والقمر اى ذللهما
فى المسير بالطلوع والغروب لا يمتنعان عما سخرهما له ويتعلق بهما معايش
العباد ومصالحهم كما علق ذلك بتفاوت الليل والنهار فى الفصول كل يجرى
لاجل مسمى اى كل من الشمس والقمر يجرى الى وقت قد جعله الله له فالقمر يقطع
السما فى كل شهر مرة والشمس فى كل سنة مرة وقيل كل يجرى اى الليل والنهار
والشمس والقمر على العادة فى الدنيا الى الاجل المسمى عند الله ثم يبطل هذه العادة

بانقضا الدنيا بخسف القمر وجمع الشمس والقمر وانفطرت السما وانشقت
والكواكب انتثرت والشمس كورت ذلكم الله ربكم له الملك لا الحجر سى من
السموات والارض ومن فيهما عن ملكه وملكه فاياه فاعبدوا دون الاصنام
والذين تدعون اى تدعونهم الهة وقيل اى تعبدونهم من دونه اى من دون
الله ما يملكون من قطمير هو القشرة التى على النواة واذا لم يملكوا هذا
القدر على حقارته وصغره فما فوقه ابعد ان تدعوهم نحو الحلم او تنادوا
لا يسمعوا دعاكم لانها جماد ولو سمعوا ما استجابوا لكم اى ما امكنهم اعا
لانهم لا يقدرون على كشف الكرب وقيل ولو كانوا سامعين ما نا بعوكم على
الكفر ويوم القيامه يكفرون بشرككم اى يتبرون منكم ويجحدون انكم
عبدتموهم فان كان هذا فى الاصنام فجحودهم يوم القيامه بان ينطقهم الله
تعالى فيجحدون ان يكونوا اهلا للعبادة وان يكون عبادة المشركين بـ
الحقيقه لها او يجحدون ان يكون تلك العباده حقا وانما ذكر افعالهم بالواو و
النون لانه وصفهم بصفات العقلا فصار كما فى قوله والشمس والقمر رايتهم
لى ساجدين وان كان هذا فى الملائكه والانبيا فمعنى قوله ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاكم لغيبتهم عنكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم لانهم لا يملكون ذلك ويوم
القيامه يكفرون بشرككم يقولون ما كانوا ايانا يعبدون بل كانوا يعبدون الجن
او يجحدون ان يكونوا امروكم بذلك او ان يكون ذلك حقا ولا ينبئك مثل خبير

والثالث قدره الملائكه على التصور بصوره البشر وذلك يرد على الفلاسفه
قولهم بخلافه ثم قول الخصمين بغى بعضنا على بعض وكذا وكذا ولم يكن ذلك
بينهما ليس بكذب بل هو تمثيل وتشبيه اى لو كان اخوان لاحدهما كذا وكذا
نعجة وللاخر نعجه واحده فغلب صاحب النعاج الكثيرة على صاحب
النعجه الواحده فاخذها اليس يكون ظالما فيكون تمثيلا لا تحقيقا وقال
غيره هو من معاريض الكلام ومعنى قوله خصمان اى نحن فى صوره خصمين
بغى احدهما على الاخر وذكر التسع والتسعين نعجة تمثيل النسا نبى الله
داود عليه السلام فقد كانت نساؤه بهذا العدد والعرب تكنى عن
النسوه بالنعاج والبقر والنوق قال عنتره
يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت على وليتها لم تحرم وقيل لم يكن
منه الا خطبتها اذ ليس فى الايه الا قوله تعالى اكفلنيها وليس فيه
انه اخذها وكذلك قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك ولم يقل باخذ نعجتك
وكذا قال وعزنى فى الخطاب ولم يقل فى الاستيلا وقيل كانت زلته انه سال
عنها فقيل فارغه فخطبها وكان خطبها غيره قبله فكان خطبه على
خطبه اخيه فعوتب بذلك وعلى هذا قوله وعزنى فى الخطاب اى فى خطابها
للخطبه وقال محمد بن جرير الطبرى القصه على ظاهرها والخصمان كانا من
الانس وقعت لهما هذه الخصومه على الحقيقه فاستعجلا فى الوصول الى نبى الله

ما التسور في المحراب ولم ينتظر اخروجه ولا اذن الحجاب وكان هذا من
سوء الآداب ما يستنكره داود فسخط عليهما ثم مال قلبه الى المدعي لتزيين
في الكلام فعجل في الحكم قبل مسألة الخصم فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه فكان ذلك زلة منه اذ كان الواجب عليه الاحتمال منهما وان لا
يعجل في القضاء وقوله وظن داود انما فتناه اي وقع له في غالب الظن
انه اخطأ فيما فعل وانا قد فتناه بذلك فاستغفر ربه وقوله تعالى
فغفرنا له ذلك دليل ايضا على ما قلنا فان قوله ذلك اشارة الى المذكور
قبله وهو ما ذكر في الاية دون شيء اخر وكذلك ما بعده فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى يؤيد هذا واذا كان ما ذكرناه جائزا ولم يرد خبر
عمن يجب تقليده بخلافه كان لزوم الظاهر اولى من غيره ولم يشتهر
ان الخصمين كانا ملكين ولا انه كان من داود ما ذكره اهل الروايات من
قصة تلك المرأة وقال الامام ابو منصور رحمه الله فان قيل ما الحكمة في ذكر
زلات الرسل والله تعالى وصف نفسه بانه غفور اي ستور وقد امر
بالستر على من ارتكب ذنبا فكيف ذكر هو زلات انبيائه حتى تقرأ آياته
في المساجد والمكاتب ويتلى بعلو صوت الى يوم القيامة قلنا لذلك وجوه احدها
ان يكون آية لرسالته لان ملوك الخلق لا يحتمل ذكر مساوي الآباء والاجداد
وذكر مساوي انفسهم فاذ ذكر رسول الله عليه السلام ذلك دل على

امر الله بذكر ذلك والثاني ذكر زلاتهم امتحانا منه عباده ان كيف
يعاملون رسلهم بعد ما عرفوا منهم الزلات وكيف ينظرون اليهم بعين
الرحمة والرأفة بمحنتهم بذلك على ما امتحنهم بسائر انواع المحن ٥
والثالث ليعلم الخلق ان الرسل كيف عاملوا ربهم عند زلاتهم فيعاملون
هم ربهم عند ذنوبهم كذلك من البكاء والتضرع والفزع الى الله والتوبة
والرابع ان يكون ذكرها ليعلم ان ارتكاب الصغائر لا يزيل الولاية ولا يخرج
من الايمان ردا على الخوارج والخامس ان يكون ذلك ليعلم ان الصغيرة ليست
بمغفورة ولله ان يعذب عليها ردا على المعتزلة وقال غيره جاء في التفسير
في قوله وخر راكعا انه خر ساجدا اربعين يوما وليلة حتى نبت العشب
من دمعه فاوحى الله تعالى اليه انا قد غفرنا لك وروي انه ما شرب بعده شربة
ماء الا وثلثاه دمع والثلث ماء وقيل اغلق داود يوم خوف الانكال على
نفسه ابواب النار لكن لم يمكنه ان يغلق على نفسه باب الاقدار وقوله
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي صيرناك في الارض حاكما بين العباد
خلفا عمن كان قبلك فيها من الانبياء فاحكم بين الناس بالحق اي وامنع
المتنازعين بعضهم من بعض بما امر الله تعالى به من ذلك فانه الحق اي
الذي يحق ان يعمل به ولا تتبع الهوى اي هواك المخالف لامر الله فيضلك عن
سبيل الله فيضلك بالفاء لانه جواب النهي اي يعدل بك الهوى او اتباعه

عن الطريق المفضى بسالكه الى رضوان الله ان الذين يضلون عن سبيل
الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب نصب يوم لوجهين احدهما
انه ظرف قوله عذاب شديد اى لهم ذلك يوم القيامة بما نسوا اى تركوا
سلوك سبيل الله والثانى انه مفعول نسوا اى نسوا يوم الحساب
الذى فيه يحكم الله بين عباده بالحق فحكموا فى الدنيا بغير الحق وهذا النسا
هو التناسى والتغافل ثم هذا الخطاب فى قوله يا داود الى هاهنا لحكم
الاستخلاف بعد التوبة عليه ويحتمل ان يكون معناه يا داود انا كما جعلناك
خليفة فى الارض فانت على ذلك فاحكم بين الناس بالحق وما خلقنا السما
والارض وما بينهما باطلا هو تذكير عن نسيان يوم الحساب يقول ما خلقنا
السما والارض وما بينهما من المكلفين لاهملهم فلا امرهم ولا انهاهم بل
خلقتهم لامتحنهم واكلفهم واذا كلفتهم ميزت بين محسنهم ومسيئهم
بالثواب والعقاب وذلك يوم الحساب ذلك ظن الذين كفروا حسما اى ظن
خلق السما والارض وما بينهما باطلا هو ظن الكفار فويل للذين كفروا
من النار وقوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
فى الارض ام بمعنى الف الاستفهام او هو عطف على الف استفهام مقدر
على ما مر تقريره مرات وهو استفهام بمعنى النفى وهو يجمع معنى الانكار
والتمييز بين اهل الاساءة والاحسان ام نجعل كالفجار اى كالعصاة الذين

السعر

قصدوا ان يكيدوا بابراهيم اى احتالوا لاهلاكه فجعلناهم الاخسرين اى
الاخيبين لانه اذا سعى ولم يدرك ما طلبه فقد خسر سعيه ونجيناه ولوطا
الى الارض التى باركنا فيها للعالمين اى خلصنا ابراهيم وابن عمه لوطا من نمرود
وقومه وارضهم واخرجناهما منها الى ارض الشام وقيل كانا يكونان من ارض العراق
فخرج مهاجرا الى ارض الشام وفيها بركة الدين لانها منزل الانبيا وبركة الدنيا بكثرة
الما والاشجار هذا قول قتادة وقال ابن عباس الى مكة قال تعالى للذى ببكة مباركا ووهبنا
له اسحاق ولدا ويعقوب نافلة اى زايدة على ما دعا فانه قال رب هب لى من الصالحين
وهو سؤال الولد وكلا جعلنا صالحين اى ابراهيم واسحاق ويعقوب صالحين فى الدين
وقيل صالحين للنبوة والسفارة وجعلناهم ايمة فى الدين يقتدى بهم يهدون
بامرنا اى يهدون عبادنا الى الحق بامرنا اياهم به واوحينا اليهم اى امرناهم فعل الخيرات
الطاعات واقام الصلوة وايتا الزكوة وكانوا لنا عابدين لا للاصنام فانتم يا معشر
العرب اولاد ابرهيم فاتبعوه فى ذلك كله ولوطا اتيناه حكما على الناس فى الخصومات
وعلما معرفة بامور الدين وقيل حكما على العباد وعلما بالحكم ونجيناه من القرية التى
كانت تعمل الخبائث اى اهلها وهى سدوم وهى مدينة ويدخل فيها ما حولها من القرى
والخبائث الكفر واتيان الذكران والمنكر الذى كانوا ياتونه فى ناديهم من التضارط
وحذف المارة بالحصى ونحو ذلك وهذه خبائث تنفر القلوب عنها وتقبحها
فى العقول السليمة ونجاته منها فى خروجه منها حتى لم يصبه عذاب اهلها

انهم كانوا قوم سوء فاسقين خارجين عن طاعة الله وادخلناه اى لوطا فى رحمتنا
اى نعمتنا وهى جمعه من الوصول للايمان والاكرام بالنبوة واهلاك من كذب به وتخلصه
وتخليص من اتبعه انه من الصالحين اى ثوابا له على صلاحه كما اهلكنا قومه عقابا
لهم على فسادهم وقيل وادخلناه فى رحمتنا اى النبوة انه كان من الصالحين لها وقوله
ونوحا اذ نادى من قبل قيل واذكر نوحا وقيل اى ونجينا نوحا وقيل ورحمنا نوحا
والاصح واتينا نوحا رشده عطفا على قوله ولقد اتينا ابرهيم رشده وقوله
اذ نادى اى دعا ربه كما قال فدعا ربه انى مغلوب فانتصر وساير ما ذكر من دعائه
من قبل اى كان هو قبل ابرهيم واسحاق ويعقوب ولوطا فاستجبنا له اى دعاه
ونجيناه واهله اى المؤمنين به من ولده وقومه من الكرب العظيم اى الغم الذى
ياخذ بالنفس وقيل هو الغرق هاهنا بالطوفان وقيل هو اذى قومه ونصرناه اى منعناه
من القوم الذين كذبوا باياتنا وهم كفار قومه اى من شرهم وكذلك نصرنى من الله
من نصرنا من باس الله وقيل اى فانتقمنا له من القوم وقال ابو عبيدة ومعناه على القوم
انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وفى هذا كله تسلية النبى عليه السلام وتبشيره
بالخلاص وتثبيته على الصبر وقوله تعالى وداود وسليمان عطف على ما
مر اذ يحكمان فى الحرث اختلفت الروايات فى هذه القصة روى محمد بن اسحاق عن الزهرى
ان رجلا دخلت ماشيته زرع رجل فافسدته والنفش الرعى ليلا فارتفعا الى
داود فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع فانصرفا فمرا على سليمان وكان

سليمان يومئذ ابن احدى عشرة سنة فقال لهما اذا قضى بينكما نبى الله فقالا قضى
بالغنم لصاحب الزرع فقال لعل الحكم غير هذا انصرفا معى فاتى اباه فقال يا نبى
الله قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع قال نعم قال يا نبى الله ان الحكم على غير
هذا قال وكيف يا بنى قال تدفع الغنم الى صاحب الزرع فيصيب من البانها
وسمونها واصوافها وتدفع الزرع الى صاحب الغنم ليقوم عليه فاذا عاد الزرع الى
حاله التى اصابته الغنم عليها ردت الغنم على صاحب الغنم ورد الزرع على صاحب
الزرع فقال داود لا يقطع الله فمك فقضى بما قضى سليمان وقوله تعالى اذ نفشت
فيه غنم القوم اى دخلت فيه ليلا فرعته فافسدته واكلته قال الخليل الابل
النوافش التى تتردد بالليل فى المراعى بلا راع وهى كالهوامل بالنهار وقال قطرب
نفشت اذا تفرقت بلا راعى ومنه العهن المنفوش اى المفرق وقوله تعالى
وكنا لحكمهم شاهدين اى الحكم الذى جرى بين داود وسليمان والقوم شاهدين حاضرين
عالمين به وقيل لحكمهم لحكم داود وسليمان وجمع التثنية لانها اول الجمع ونظيره
فان كان له اخوة اى اخوان ففهمناها اى القضية سليمان دون داود وقيل الحكومة
لدلالة يحكمان عليها وكلا اتينا اى وكلا من داود وسليمان اعطينا حكما النبوة التى
ينفذ بها الحكم على الامة وعلما اى معرفة بموجب الحكم ويحتمل وكلا منهما ومن ساير
الانبيا المذكورين فى هذه السورة وقوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير كان داود اذا سبح سبحت الجبال والطير معه فتسمع تسبيحهن وكان

ذلك معجزة له قال تعالى يا جبال اوّبي معه والطير اي سبّحي النهار كله وكنا فاعلين
كما قد قضينا انّا فاعلوا ذلك وقيل كنا فاعلين ذلك به كما نفعل بانبيائنا الذين
نخصهم بالمعجزات وعلمناه صنعة لبوس لكم اي اتخاذ الدروع بالانة الحديد له
كما قال والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وقيل انه اول من عملها
لتحصنكم من بأسكم اي لتحرزكم وفيه ثلاث قراءات بالياء والتاء والنون فالياء مردوده
على الله او على اللبوس والتاء على الصنعة وهو قراءة ابي جعفر وابن عامر وعاصم
في رواية حفص والمفضل وروح وزيد عن يعقوب والنون على قوله وعلمناه
وهو قراءة عاصم في رواية ابي بكر وحماد ويعقوب في رواية رويس والبأس الحرب
اي تقيكم في الحروب من القتل والجرح كما قال سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم
واللبوس ما يلبس من درع وثوب قال الشاعر البس لكل حالة لبوسها اما
نعيمها واما بؤسها فهل انتم شاكرون استفهام بمعنى الامر وقيل معناه ان داود
لما كان هو اول من عمل ذلك وتوارثه الناس الى وقت النبي عليه السلام وبعده
الى يوم القيامة قال فهل انتم شاكرون لله على ما انعم عليكم به من هذا وغيره ه
ولسليمان الريح على قراءة النصب اي وسخرنا لسليمان الريح وعلى قراءة الرفع الريح
خبر اللام كقولك لزيد مال عاصفة اي شديدة الهبوب نصب على الحال
وقال في اية اخرى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اي لينة والتوفيق بينهما انها
كانت تشتد لله له فتجري على ما يريد عاصفة او رخاء وقيل كانت تسير سيرا لينا

في سرعة فجمعها الوصفان في حالة واحدة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وهي
الشام لان منزله كان بها وكانت الريح تحمله من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء عالمين
اي بعطاء ذلك به وكنا عالمين بانه اهل له وعالمين بكل شيء وقوله تعالى ومن الشياطين
من يغوصون له اي وسخرنا من الشياطين من يغوصون له في البحار بامره لاستخراج الدرر
وما يكون فيها ومن اسم جنس يصلح للجمع ويعملون عملا دون ذلك اي سوى ذلك وقد قال
في اية اخرى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وقيل
كانوا يعملون له من امور الصناعات والابنية وقيل هم الذين عملوا له الحمام والنورة و
الطواحين والقوارير والصابون وقيل ان نهر الملك ببغداد حفرته له الشياطين
والقت ترابه بين خانقين وقصر شيرين وكنا لهم حافظين قيل اي كنا لهؤلاء الشياطين
واعدادهم واعمالهم حافظين لا يؤودنا حفظ ذلك وقال الحسن حفظناهم عليه
لئلا يذهبوا ويتركوه قال ولم يكن سليمان يسخر في هذه الاعمال من الجن الا الكفار منهم
وقيل كنا لهم حافظين ان يشعروا عليه وقيل وكنا للاشياء حافظين وكانوا لنا عابدين ه
وقوله تعالى وايوب اذ نادى ربه عطف على ما تقدم نادى ربه اي دعاه اني مسني الضر
اي باني مسني ضر وهو ما اصابه من المرض والبلاء والمصيبة في ماله واهله وانت
ارحم الراحمين لا احد ارحم منك لي فارحمني واكشف عني الضر الذي مسني فاستجبنا له
اجبنا نداءه فكشفنا ما به من ضر وكشفنا ضره انعاما عليه واتيناه اهله قال
وهب ان ايوب بن موص بن روص البيص صلوات الله عليه كان زوج ابنة يعقوب

وقيل رحمة بنت يعقوب وابوه موص كان ممن امن بابراهيم يوم القي في النار وكانت
ام ايوب بنت لوط النبي عليه السلام وكانت لايوب البثنية كلها شرقها و
غربها وسهلها وجبلها وهي ولاية بالشام بقرب دمشق وكان موسعا عليه
غنيا كثير الضيافة عظيم الصدقة وقال ابن عباس وكان ابليس يومئذ يصعد الى
السموات فيسمع الملائكة يقولون ان لله عبدا في الارض يقال له ايوب من فضله كيت وكيت
فقال ابليس لو سلطني الله عليه لاضطررته الى الجزع والشكاية فسلطه الله على
ماله فنزل الى الارض واستغوى جنوده وذكر لهم ما قيل له وكان لايوب يومئذ ثلاثة
الاف بعير في كل خمسين منها عبد له يرعاها ولكل عبد امراه وولد ومال وخمس
وسبعة الاف شاة في كل خمسمائه منها عبد له يرعاها وله عبد وولد ومال وخمسمائه
اتان لها اولاد وخمسمائه فدان بالالة كل فدان في يد عبد له وله اهل وولد ومال
وكل اتان تحمل الة كل فدان فقال عفريت لي من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا
من نار احرق كل شي فقال له انت للابل ورعاتها فجاها واحرقها كلها برعاتها وجا
ابليس متمثلا بواحد من رعاتها فاتى ايوب وقال يا ايوب هل علمت ما صنع ربك
بابلك قال انها ليست بابلي ولكنها عارية عندي وهو مالك بي وهو اولى بها متى قال
قبضها قبضا جميلا لكن ارسل عليها شواظا من نار فاحرقها ورعاتها وتركت الناس
قياما عليها متعجبين منهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيئا وما كان الا في غرور ولو كان
له رب يقدر على ان يمنعه شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل ربه الذي عنده وتوكل عليه

هو الذي فعل به ليفجع به احباءه ويشمت به اعداءه ومنهم من يقول بل كان ايوب
مرائيا ولو كان صادقا ما جزاه الله هذا الجزا فقال ايوب الحمد لله الذي حين اعطى
وحين اخذ والحمد لله حين اعار والحمد لله حين نزع عاريته خرجت من بطن
امي عريانا واراد الى التراب واحشر الى الله ولو علم الله فيك خيرا ادوحا لقبلت
روحك مع تلك الارواح فاستشهدك واجرني فيك ولكنه علم منك شرا فاخرجه
عني مذموما مدحورا فرجع الى اصحابه على شر حال واستشارهم فقال عفريت
اخر انا اصيح صيحة لا يسمع بها ذو روح الا مات فسلطه على الغنم فصاح بها فماتت
وماتوا وعاد فهلك ايوب فقال اما فاقح المرة الاولى واجابه بما اجاب ورجع الى
جنوده واخبر اخر انه يصير ريحا تنسف كل شي فسلطه على الحراثين والفدادين
فاهلك الحروث والحراثين وعاد ابليس والقصة كالاول فسال الله ان يسلطه على ولده
ففعل فاتى قصورا اولاده وهم رجال ونسا وكهول وشبان ومرد واطفال ومراضع
وجوار صغار والمعلمون في منزلها حتى تداعى من قواعده ثم شدخهم بالخشب والجندل
ورفع القصور فقلبها ثم جا على صوره معلم يصيح وينوح واخبره بما صار اليه اولاده
فاجاب كذلك فتحير ابليس وقال ان ايوب يرى سلامة نفسه فيهون عليه هلاك ماله
وولده ولو سلطني على جسده لظهر منه ما اقول فسلطه الله على جسده فجاءه وهو
ساجد فدخل تحت وجهه ونفخ في انفه نفخة من لهب النار اشتعل منها جسده واسود
وجهه وتمعط شعره ونضج دماغه ومخه وظهر في جسده ثاليل مثل اليات الشا
ابلها

فاحتالت فجعل يحكها باظفاره وبالعظم والخزف ووقعت فيه الاكلة والدود
وسال منه الصديد وتاذى به الجيران وبنوا له عريشا ونقلوه اليه فلبث به ثلث
سنين في اشد الجهد وقطعه القريب والبعيد وكانت امراته تدور في القرية فتعمل للناس
وتجي بقوته فلم تجد عملا يوما فباعت ذوابتيها برغيفين فاتته بهما فقال اين ذوابتاك
فقالت بعتهما برغيفين فحينئذ قال مسني الضر وقال بعضهم ضعف عن العبادة فقال
مسني الضر لذلك وقيل انما قال ذلك لان الشيطان تمثل لهم فقال لا تستعملوا هذه
المراة فانها تمس بيدها هذا المريض فيعدي فلم يستعملوها فلم تجد شيا فرجعت اليه بغير
شي واخبرته بذلك فقال ذلك وقيل تراى لها وقال انا طبيب فاسقيه خمرا يبرا
فذكرت له ذلك فقال ذلك وقيل تمثل لايوب وقال انها اخذت في فاحشة فقطعت
ذوابتاها لذلك فاهتاج لذلك فقال ذلك وقيل جاء خليلان له بطعام فلما نظرا اليه
قالا لو كان فيه خير لم يصر كذا ولم يطعماه وقيل انما قال مسني الضر حين قصد
الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يبقى عن الذكر والشكر وقيل معناه مسني الضر من
شماتة الاعدا وقيل انما قال ذلك حين قال ابليس لامراته اسجدي لي سجدة حتى
ارد عليك المال والاولاد واعافي زوجك فانا فعلت ذلك بكم فذكرت المراة له ذلك
فقال مسني الضر من طمع ابليس في سجود امراتي له وقيل سقطت دودة من جسده
فاعادها اليه فعضته عضة فعجز عن الصبر عليه لاختياره ذلك فقال مسني الضر
وقيل مكث في بلائه ثلث سنين وقيل سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات

وقيل ثماني عشرة سنة ثم في تسليط ابليس عليه وعلى ماله وولده زيادة غيظ على ابليس
واظهار صدق ايوب ورفع درجاته وتضعيف كراماته وقصة عافيته تذكر في سورة
ص ان شا الله وقوله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين
قال الحسن اتاه الله اهله وولده باعيانهم ومثلهم معهم من نسلهم في الدنيا وهو قول ابن عباس
وابن مسعود وقال الكلبي اتاه الله ذلك في الاخرة وقال القاسم بن ابي بزة بعثني مجاهد الى عكرمة
اساله عن قوله واتيناه اهله ومثلهم معهم قال قيل له ان اهلك لك في الجنة فان شئت احييناهم
لك وان شئت كانوا لك في الجنة فقال لا بل يكونون لي في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا وقال
وهب كان له سبع بنين وسبع بنات فاحياهم الله ورد عليه مع الاموال وولد
له مثلهم وكذلك قال كعب وقال القشيري سمي ايوب لكثرة ايابه الى الله تعالى وقال
الله تعالى انا وجدناه صابرا مع انه قال مسني الضر فلم يكن جزعا وتركا للصبر بل اظهارا
لعجز البشر وقال انما قال ذلك شكرا لا شكاية ومعناه مسني الضر الذي يختص به اولياؤك
وذلك برحمتك وانت ارحم الراحمين قال وقيل اشتبه عليه وجه البلا انه تطهير او
تاديب او تعذيب او تهذيب او تقريب او تمحيص او تخصيص فقال مسني الضر خوفا عن ان
يكون تعذيبا قال وقيل اوحى الله اليه ان تسعة وتسعين من الاسباط طلبوا هذا مني وانا اخترته لك
فلما اراد الله كشفه فقال مسني الضر قال وقيل لو كشف بعض من المعاني فلم الم البلا
فقال مسني الضر لفقد الم الضر قال وقيل الف الاستفهام مضمرة في قوله امسني الضر كما
قال وتلك نعمة اي اوتلك نعمة ومعناه ايكون هذا مس الضر وانت ارحم الراحمين اشاهد

فضلك ورحمتك اي ليس هذا بمتضرر ه وقوله تعالى ه واسماعيل وادريس وذا الكفل
عطف على ما تقدم كل من الصابرين مدح لهم بالصبر وذو الكفل اختلف فيه قال الحسن
هو اسم نبي لم يقل الله ذكره في عداد الانبيا وقيل هو الياس وقيل هو زكريا بكفل مريم وقيل كان
خليفة نبي في قومه بعد وفاته وقال قتاده ومجاهد ومعمر وابن جريج وهو مروي عن
ابي موسى الاشعري لم يكن نبيا وانما كان رجلا صالحا تكفل بامور خمس وقال ابن عباس كان في
بني اسرائيل ملك فقتل ثلثمايه نبي في اول النهار واقام سوق بقلهم اخر النهار استخفافا
بهم وجراه على الله فانفلت منه مايه نبي وكفلهم وخباهم عنه فسمي به وقيل
اسمه عويد بن ادر وقوله تعالى ه وادخلناهم في رحمتنا النبوه انهم من الصالحين
كذلك وقيل اي في رحمتنا في الاخرة انهم من العالمين بطاعتنا وقوله تعالى ه وذا
النون عطف على ما مر والنون الحوت وهو كقوله صاحب الحوت وهو يونس ابن متى
وقال ابن عباس كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعه
اسباط ونصف سبط وبقي سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيا النبي
ان سر الى حزقيا الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا امينا فاني القي في قلوب اوليك
حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسه من الانبيا
فقال يونس فانه قوي امين فدعا الملك يونس فامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله
باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فهاهنا غيري انبيا اقويا امنا فالحوا عليه فخرج مغاضبا
للملك فاتى بحر الروم فاذا سفينه مشحونه فركبها فلما لججت السفينه تكفات

حتى كادوا يغرقون وذكر حديث القرعه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
بعث يونس الى قريه فردوا عليه ما جاءهم به فاوحى الله تعالى اليه اني مرسل عليهم
العذاب في يوم كذا وكذا فاخرج من بين اظهرهم فاعلم قومه الذي قد اوعدهم فقال
بعضهم لبعض ارمقوه فان هو خرج فهو والله كائن ما وعدكم فرمقوه حتى اذا كانت
الليله التي يجي العذاب في صبيحتها خرج بليل فراه القوم فحذروا الى الله وتابوا
فصرف الله عنهم العذاب فاخبر وكان يونس ينتظر العذاب فاخبر بما فعل قومه
وما صرف العذاب عنهم فلم يرجع يونس اليهم خشيه ان ينسب الى الكذب ومضى
على وجهه حتى اتى سفينه فركب فيها حتى اذا توسطت ركدت لا تتقدم ولا
ترجع فقال اهل السفينه ان لسفينتنا شانا قال يونس قد والله عرفت شانها
قالوا وما شانها قال ركبها رجل ذو خطيه عظيمه قالوا من هو قال انا فالقوني
من سفينتكم في البحر وانطلقوا لشانكم فقالوا والله ما كنا لنطرحك من بيننا ابدا
حتى نعذر في شانك فقال لهم فاستهموا حتى تنظروا الى من يقع عليه السهم فاقترعوا
فادحض سهم يونس فقال قد اخبرتكم فالقوني في البحر فقالوا لا نفعل حتى نعذر
في شانك ففعل ذلك ثلثا وان الحوت عند رجل السفينه فاغر فاه ينتظر امر الله
فقال لهم يونس انكم والله لن تصنعوا شيئا وانكم لتهلكن او لتقذفني منها فقذفوه منها
الى البحر فالتقمه الحوت فانطلق به الى مسكنه في البحر فاقام في بطنه ثلثا ثم امره
الله فخرج به حتى لفظه في ساحل البحر فطرحه الظلمات ظلمه الليل وظلمه البحر
وظلمه بطن الحوت

لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم فانزله تائبا منها فانبت عليه
شجرة من يقطين وخرج تحت جذعه عينا من ما وثبت كما ينبت الصبي حتى استوى وصار
كما كان وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال لما اراد الله حبس يونس ابن متى
في بطن الحوت اوحى الى الحوت ان خذه ولا تخدشن له لحما ولا تكسرن له عظما
فاخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى مسكنه في اسفل البحر سمع يونس
حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر
فعند ذلك سبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع
صوتا ضعيفا بارض غربة قال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن حوت في البحر
فقالوا يا ربنا العبد الصالح الذي كان يصعد منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال
فشفعوا له عند ذلك فامر الله الحوت فقذفه بالساحل وقوله تعالى فظن ان لن
نقدر عليه اي لن نضيق عليه قال الله تعالى قدر عليه رزقه اي ضيق فنادى في الظلمات
وهي على ما ذكرنا في القصة وقيل ابتلع ذلك الحوت حوت اخر ثم ذلك الحوت حوت اخر
ثم ذلك الحوت حوت اخر فكان في ظلمات بطون الحيتان الثلاثة قاله سالم بن ابي الجعد
ان لا اله الا انت سبحانك وهذا توحيد وتنبيه وتنزيه اني كنت من الظالمين وهذا
اعتراف بالزلة وقد فسرناها في سورة البقرة عند ذكر زلة ادم وهي فعل الفاضل وترك
الافضل وكان الافضل ان يرحم شفقة على قومه وان كان ما جاء به فاضلا لانه غاضبهم
في ربه فاستجبنا له دعاءه وهو ما اشار في ضمن هذا الثنا ونجيناه من الغم سوى الحبس

ثقل عن الزلة وكذلك ننجي المومنين الذين يدعونني اذا اسلموا وقيل وكذلك ننجي من
تكلم بهذه الكلمات وقيل نجيناه من البلا لطاعته في الرخا وكذلك ننجي من المحنة من
كان مطيعا لنا في النعمة قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون قالوا اخذت الزلة برجله فسفلته في البحر واخذت الطاعة بيده
فاعلته الى الساحل وكذلك معصية كل عاص تسفله في النار اسفل سافلين و
تعليه طاعته والجنة في اعلى عليين وقيل وكذلك ننجي المومنين من الظلمات الثلث
ظلمة الدنيا وظلمة القبر وظلمة النار وقال النبي عليه السلام دعوة ذي النون
صلوات الله عليه ما دعا بها مومن الا استجيب له وقيل صحب يونس النون سبعة
ايام يلزمه الاسم فلا يفارقه والمومن صحب الايمان سبعين سنة فكيف يفارقه الاسم
وقوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وقوله وزكريا بالعطف على ما تقدم
اذ نادى ربه اي دعا ربه رب لا تذرني فردا اي بلا ولد يعينني على اقامة دينك وانت
خير الوارثين اي اعلم انك لا تضيع دينك ولا تخلي الدنيا بعدي عن قائم بحقك وهذا
على وراثة النبوة وقيل معناه رب لا اسالك ولدا ارثه مالي نفاسة على الخلق من ان
من غيري ولدي فان الاموال كلها صائرة الى غير وارث سواك وانت خير الوارثين لانك
الموروث ملكك وعطيتك ومنك كان واليك عاد وقيل معناه ان تفضلت بهبة وارث
لي فهو منتك وانعامك والا فكفى بك وارثا والله اعلم بما اراده فاستجبنا له دعاءه
ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه من العقم وقيل اصلحنا اخلاقها انهم كانوا

يسارعون في الخيرات الكناية عن زكريا وامرأته واهل بيته ويدعوننا اي في
الشدة والرخاء رغبا ورهبا وقيل اي يعبدوننا كما قال واعبدوا ربكم وما تدعون من
دون الله وكانوا لنا خاشعين خاضعين خائفين وقوله تعالى والتي احصنت
فرجها عطف على ما تقدم وهي مريم احصنت احرزت فرجها عن السفاح فنفخنا
فيها من روحنا من روح خلقناها فيها لعيسى على الخصوص وهي اضافة تخصيص
كبيت الله وناقة الله وذكر مريم وهي ليست من الانبيا بعد ذكر الانبيا ليتم ما اريد
من ذكر عيسى الا تراه قال وجعلناها وابنها اية للعالمين فجعلهما معا اية واحدة
لان الاية كانت باجتماعهما وهي الاعجوبة للحلول والدلالة على نفاذ قدرة الله على
ما يشا اذ ولد عيسى من غير اب وولدت هي من غير زوج وقوله تعالى ان هذه
امتكم امة واحدة قيل هو خطاب هولا الانبيا ان هذا دينكم دينا واحدا نصب على
القطع وكان الانبيا كلهم على دين واحد في التوحيد والطاعة وانما اختلفت شرائعهم
واحكامهم وهو كقوله خبرا عن الكفار انا وجدنا اباءنا على امة وهي الامة وهو
القصد وكل ذي دين قاصد الى ما يدين به وانا ربكم فاعبدون وحدوني واطيعوني
اي اثبتوا على هذا وتقطعوا امرهم بينهم اي تقسموا او توزعوا امرهم في اديانهم
يعني بعض امتهم فعلوا ذلك فدانوا بأديان مختلفة يهودية ونصرانية ومجوسية
واشراك كل الينا راجعون فنجازي كلا جزا مثله وقيل هذا خطاب للمشركين
ان هذه امتكم امة واحدة اي انتم على دين واحد هو الكفر وانا ربكم فاعبدون

امنوا بي ووحدوني واطيعوني وتقطعوا امرهم بينهم واختلفوا يهودا ونصارى ومجوسا
ومشركين كل الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه
اي بان سعيه مشكور مقبول وانا له كاتبون اي نحفظ عليه اعماله فنجزيه بها وقيل
نكتبها ملائكتنا بامرنا فنخرج لهم الكتب يوم القيامة فنحاسبهم بها وقوله تعالى
وحرام على قرية اهلكناها قرا حمزة والكسائي وعاصم غير حفص وابي زيد عن المفضل
وحرم بكسر الحا وجزم الرا وقرا الباقون وحرام والمعنى واحد انهم لا يرجعون اي
كل قرية اهلكناها بكفرها اي اهل قرية حرام عليهم اي ممنوع عنهم ان يرجعوا
الى ربهم او الى الدنيا فيتلافوا ما فرط منهم اي فليجتهدوا قبل الهلاك اذ لا
تدارك بعد الهلاك ولا زائدة في قوله لا يرجعون كما في قوله ما منعك ان لا تسجد
وهو كقوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وقالت عائشة
وعيسى بن عمر وحرم على قرية اي واجب وعزم وعلى هذا التاويل لا تكون زائدة
بل هي ثابتة اي ثبت هذا وتحقق انهم لا يرجعون الى الدنيا وقوله تعالى حتى اذا
فتحت ياجوج وماجوج اي لا يرجعون بل يبقون في قبورهم حتى الحال فتح جهة
ياجوج وماجوج وهو السد وهم من كل حدب ينسلون اي من كل موضع مرتفع من الارض
يسرعون والنسلان الذئب عدوه من باب ضرب واقترب الوعد الحق قيل الواو زائدة
ومعناه اقترب جوابا لقوله حتى اذا والوعد بمعنى الموعود والحق الصدق وقيل الواو
للعطف والجواب في قوله يا ويلنا على اضمار قالوا يا ويلنا وقيل جوابه محذوف

ندموا او علموا وقوله تعالى واقترب عطف على الجواب المحذوف فاذا هي قيل في
اشاره الى الابصار المذكورة بعدها ابتدى بالكنايه ثم صرح بعدها للبيان وقيل في
عماد وتقديره فاذا ابصار الكفار شاخصة قال الشاعر
بثوب ودينار وشاة ودرهم فهل هو مرفوع بما هاهنا راس اي فهل راس مرفوع ه
يقول ان القيامه اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا اي ارتفعت خوفا لما نالهم
من الوعيد ويقولون يا ويلنا اي يقولون يا ويلنا قد كنا في غفله من هذا بل كنا ظالمين
ذكروا اولا ما يشبه العذر كنا في غفله كمن لا يعلم بالشي فيستعد له ثم يقولون بل انذرنا
الرسل لكنا ظلمنا انفسنا بالتكذيب وترك الاستعداد لهذا وقوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي مرمي به في النار يقال حصبته بالحصبا
اي رميته بها اي يرمون هم والاوثان في النار كالحطب يرمي بها وقال الفرا الحصب
الحطب بلغه اهل اليمن وقال الهيثم بن عدي بلغه الحبشه وقرا ابن عباس بالضاد
المنقوطه فوقها وهو ما هيجت به النار وقال قطرب بالصاد المعجمة تحتها هو
ايضا هو الوقود انتم لها واردون الاوثان والعباد فيها داخلون ولها تقدم محل الفعل
كما في قوله لفروجهم حافظون الا انهم وعبدتهم داخلون وقران الاصنام بهم لزياده
عذابهم فانها حجاره تحمى يعذبون بها ولزياده حسرتهم فانهم عبدوها راجين نفعها
فجرموه ونالهم بها زياده ضرر وقوله تعالى لو كان هولا الهة ما وردوها اي لامنعتها
دفع النار عن انفسها فلم توقع فيها وكل فيها خالدون العابد والمعبود لهم فيها زفير

وما بعث النار فقال له ابعث من كل الف تسعمائه وتسعة وتسعين الى النار
وواحدا الى الجنه فشق ذلك على الناس مشقه شديده وقالوا يا نبي الله من ذا
الناجي منا بعد هذا فقال لهم انكم في خليقتين لا تكونان في شي الا كثرتاه ياجوج و
ماجوج فان كملوا والا كملوا بالكفار والمنافقين وفي روايه ابي سعيد قال بعد ما ذكر
خطاب ادم فعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق على الصحابه ذلك وقالوا من كل الف
تسعمائه وتسعه وتسعون في النار وواحد فاينا ذلك الواحد ثم مضى رسول الله عليه
السلام حتى نزل ونزل الناس ثم راحوا الى رسول الله عليه السلام كانما على روسهم
الطير من هول ما سمعوا فقال ابشروا فمن ياجوج وماجوج الف ومنكم واحد اني
لارجو ان تكونوا اكثر من شطر اهل الجنه فكبروا الله وحمدوه ثم قال ما انتم في الامم الا
كالشعرة السودا في الثور الابيض او كالشعره البيضا في الثور الاسود وفي روايه
الحسن قال له الامم قد عرضت علي ورايت النبي ياتي في الثمانيه ورايت النبي ياتي
في الاربعه ورايت النبي ياتي في الاثنين حتى رايت النبي يجي وليس معه احد من امته
حتى رايت امه اعجبتني كثرتها فقلت يا رب امتي هذه فقال لي هذا موسى ومن معه
من بني اسرائيل ثم رايت امه اعجبتني كثرتها فقلت يا رب امتي هذه فقال لي هذا يوشع
ومعه ثم رايت امه كذلك فقال هذا عيسى قلت يا رب فاين امتي قال انظر فنظرت
في طريق مكة فاذا انا بناس كثير ثم قال انظر فنظرت الى طريق المشرق فاذا اناس كثير

ثم قال انظر فنظرت فحتى وادٍ اكل شىٔ ينتعش فقلت يارب رضيت رضيت قال
ثم هولاء سبعون الفا كل سبعين الفا سبعون الفا ليس عليهم حساب ولا عذاب فقام
عكاشه بن محصن الاسدى فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال انت منهم
فقام رجل من الانصار فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها
عكاشه وقيل هذه الزلزله قبل يوم القيامه وهى من اشراط الساعة وقوله تعالى
يوم ترونها تذهل كل مرضعه عما ارضعت اى تنسى ولدها وتسلو عنه
وقيل الذهول عن الشىٔ هو الذهاب عنه وتركه دهشا وحيرة من جد صنعه والمرضعة
التى ترضع والمرضع التى لها ولد رضيع وتضع كل ذات حمل حملها اى تسقط الحبالى
اولادها من الفزع والحمل بالفتح ما كان فى بطن وبالكسر ما كان على راس او ظهر قالوا
وهذا يدل على ان هذه الزلزله فى الدنيا لانه لا حمل ولا ارضاع بعد البعث وقيل
بل هو يوم القيامه ومن ماتت حاملا تبعث حاملا فتضع حملها للهول وقيل هو مثل
اى هول ذلك اليوم على وجه لو كان مثله فى الدنيا لوضعت الحوامل وذهلت المراضع
من شدته وترى الناس خطاب لغير معين اى ايها الناظر سكارى وما هم بسكارى
قرا حمزه والكسائى وخلف سكرى وما هم بسكرى والباقون بالالف فيهما وهما جميعا
جمع سكران وسكران وسكارى كالكسلان والكسالى وسكران وسكرى كالعطشان
والعطشى اى تراهم من الدهش على حال تشاكل السكر وما هم سكارى على الحقيقة
لانه من الشراب ثم هذا ليس بتناقض لانه لم يقل هم سكارى وما هم بسكارى بل قال

وترى الناس سكارى فهو كقولك فى السراب ترى هنا كماء وليس بماء وهو معنى قول
الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب ولكن عذاب الله
شديد اى تراهم دهشى وما هم سكرى ولكن عذاب الله شديد فازال عقولهم وحير
قلوبهم وقوله تعالى ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ومن الناس المامورين
ما المعروف فى اول هذه السوره من خاصم خصومه شديده فى الله اى فى دين الله وقيل اى
جادل رسول الله فيما اخبر به عن الله انه يبعث العباد ويجازيهم فقال ما هذا الا
اساطير الاولين ومن يحيى العظام وهى رميم وان هى الا حياتنا الدنيا ونحوه مما حكى عنهم
وقوله بغير علم اى بغير حجة ولا شىٔ يصح من جهة العلم ويتبع كل شيطان مريد اى
يأخذ هذا الانكار والجدال عن الشيطان بوسوسته او من شياطين الانس يدعونهم
وقد قيل نزلت الايه فى النضر بن الحارث وكان يأخذ عن الاعاجم وعن اليهود والنصارى
ما يطعن به على الاسلام وهم شياطين الانس كتب عليه اى حكم على هذا الشيطان
لتمرده وكفره انه من تولاه اى اتبعه ووالاه فانه يضله اى الشيطان يضل هذا
المتولى ويهديه اى يدله الى عذاب السعير النار الموقدة وفتح الالف فى قوله فانه
لوقوع كتب عليه وتقديره كتب عليه انه يضل من تولاه الا لما قدم السبب الذى يكون
له الاضلال والقى عليه قوله كتب ذكر بعده ما يقع عليه الفعل ففتحه وقوله تعالى
يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث خاطب المجادلين فى الساعه وحاجهم بوجهين
من الحجة اما احدهما فقال ان كنتم فى شك فى ان الله يبعث الموتى فانا خلقناكم من تراب

انه

اى انا خلقنا اباكم منه ثم من نطفه ثم خلقناكم فى بطون امهاتكم من النطفه وهى ما مهين
جماد ثم من علقه ثم جعلنا النطفه علقةً وهى الدم الجامد ثم من مضغه ثم جعلنا العلقه
مضغةً وهى لحمه قدر ما يمضغ مخلقه وغير مخلقه قال ابن عباس مخلقه ما كان حيا وغير
مخلقه ما كان سقطا وهى نعت المضغه ثم ينفخ فيها الروح فهو مخلق وما سقط بغير روح
فهو ليس بمخلق والتخليق فى الاصل التقدير ثم صور اعضاوه فهو مخلق وما سقط
وهو لحمه مجتمعه فليس بمخلق والتفعيل للتكثير ثم تكرر فيها الفعل فهو مخلق وما لا
فلا قال تعالى خلقا من بعد خلق وقال ثم انشاناه خلقا اخر لنبين لكم قال الحسن اى بدا
الخلق وقيل لنبين لكم قدرتنا على ما نشا وقيل اخبرناكم به لنبين لكم ما يزول به الريب
فى امر البعث وقوله تعالى ونقر فى الارحام ما نشا الى اجل مسمى اى من قضينا
له حيوه الى مده اقررناه فى رحم امه الى وقت معلوم وهو وقت الولاده وانما قال ما
نشا ولم يقل من نشا لانه اراد به الحمل وقيل هو بيان المده اى ما نشا ان نقره فيه
سته اشهر او اكثر ثم نخرجكم طفلا اى صغارا لا تقومون بامور انفسكم ولا تعقلون
شيا وانما وحد لانه على صيغه المصدر فصلح للجمع وقيل اى نخرج كل واحد منكم طفلا
ثم لتبلغوا اشدكم اى ثم ننقلكم من حاله الى حاله الى ان تبلغوا كمال القوى بالبلوغ و
قرا عاصم فى روايه المفضل ثم نخرجكم بالنصب وكذا ونقر عطفا على لنبين لكم وقرا
العامه بالرفع على الاستيناف ثم قال ومنكم من يتوفى اى يتوفاه الله بالموت شابا
اوطفلا ومنكم من يرد الى ارذل العمر اى اخسه وهو الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم

اى يزول عقله ولا يعقل شيا وان كان عاقلا عالما قبل ذلك هذا احد وجهى الحجه
والثانى قوله وترى الارض هامده قيل دارسه باليه وقيل يابسه لا نبات فيها
اى فى الشتا فاذا انزلنا عليها الما اى المطر اهتزت اى تحركت بالنبات وربت
اى انتفخت وقيل اضعفت النبات بالمطر وانبتت اى اخرجت النبات من كل
زوج بهيج اى من كل صنف حسن وقيل فيه تقديم وتاخير ربت واهتزت [illegible]
اولا ثم اهتزت وقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اى مصرف الاحوال بالانسان
وبالارض بما كان لانه الصانع حقا لا صانع غيره يقدر على ما يشا وقوله وانه
يحى الموتى وانه على كل شى قدير وان الساعه اتيه لا ريب فيها وان الله يبعث من
فى القبور اى الذى قدر على انشا البشر مما ذكر واحيا الارض الهامده بالمطر
قادر على بعد الموت واقامه القيامه ومجازاه الخلق على ما عملوا فى الدنيا يوم المحشر
والمنشر وقال العسكري وانه يحى الموتى اى يحيى النفوس بتوفيق العباده و
القلوب بانوار المشاهدة واحوال المريدين بحسن اقباله عليها والاوقات بموافقه
الامر ثم بجميل الرضا وسكون الجاش عند جريان التقدير وقوله تعالى ومن
الناس من يجادل فى الله بغير علم وهو لا طايفه اخرى من المجادلين بظاهر حرف
العطف وقيل هى فى النضر بن الحارث ايضا والتكرير للمبالغه فى الذم والتوبيخ
كقولك لاخيك انت فعلت كذا انت فعلت كذا ولا [illegible] سارع حلف وكان
الجادل فى اوقات فى اشيا وقد قيل نزل فى شانه بضع عشرة ايه وقوله فى هذه الايه

لغير علم وقيل بغير علم بصحة ما يقول وقيل بغير علم بعاقبة ما يقول ولا هدى
ولا دليل يكون معتقده مهتديا من جهة دلائل النظر ولا كتاب منير ومن غير
ان يشهد له على قوله كتاب منزل بنور الدعوى ثاني عطفه نصب على الحال
ومعناه معرضا متكبرا وترجمته صارف ناحيته وجنبه ليضل عن سبيل
الله اي يجادل ليستزل عباد الله عن دين الله له في الدنيا خزي اي عقوبة
يهينه وفضيحة وقد قتل صبرا يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق يقال
جهنم ٥ ذلك بما قدمت يداك اي يقال له ذلك في النار وقيل له هذا حين هذ
له في الدنيا اي ذلك الوعيد لك بكسبك الذي قدمته ٥ وان الله اي وبان الله ليس
بظلام للعبيد بواضع الثواب والعقاب في غير موضعهما وقوله تعالى ٥
ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على وجه واصله الطرف والجانب كالحرف
٥ فان اصابه خير اطمان به سكن على الايمان ٥ وان اصابته فتنة محنة انقلب
على وجهه ارتد عن الاسلام قال ابن عباس كان الرجل يقدم المدينة فان
ولدت امراته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امراته ولم تنتج
خيله قال هذا دين سوء ٥ وقيل على حرف على شك وقيل على وجل وقيل على انتظار
وهذه اقاويل متقاربة في المعنى لان من كان على طرف شيء لم يكن مستقرا ابدا
ويخاف السقوط وينتظر ما يكون من الحال ٥ وقوله تعالى خسر الدنيا والاخرة ٥
خسران الدنيا انه ارتد لشدة لحقته وما الكفر لا تزول تلك الشدة المقدرة

ارتداد لو اخذ فانه يقتل لردته ثم عذاب الاخرة من ورائه فيخسرهما جميعا
ذلك هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد ٥ يدعوا من دون الله ما لا
يضره وما لا ينفعه وهو الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك وقوله ما لا يضره قيل
اي في الدنيا ان لم يعبده اي لا يقدر ان يضره ٥ وما لا ينفعه اي في الاخرة ان كان عبده
وقيل لا يضره في الدارين ولا ينفعه في الدارين ٥ ذلك هو الضلال البعيد اي في
اقصى درجات الضلال فانه يتعب ولا يثمر تعبه قط ٥ يدعوا لمن ضره اللام
لام قسم تقديره يدعوا والله من ضره اقرب من نفعه وهذا في القيامة اي من ضره
بادخال النار اقرب من نفعه بالشفاعة التي كان يرجوها ولم يرد بهذا ان الشفاعة
موجودة لكنها بعيدة بل اراد انها معدومة اصلا وهذا خارج مخرج كلام النا س
في الشيء يرجوه الانسان وذلك مما لا يكون فيقال له عدم هذا اقرب من وجوده ولا
قرب للعيان ٥ لبئس المولى ولبئس العشير اي يرجوا الانسان النصر والعون
من مولاه وهو ابن عمه ومن العشير وهو صاحبه ومعاشره فالوثن بئس موضع
رجاء النصر والعون فانه مما لا يكون ٥ وروي انها نزلت في قوم من اسد بن خزيمة
قدموا المدينة فاسلموا فافسدوا طرق المدينة بالعذرات وقالوا يا رسول الله
اتتك العرب بانفسها واتيناك باهالينا واولادنا فمنوا على رسول الله عليه
السلام بذلك وفيهم نزل يمنون عليك ان اسلموا فكانوا اذا ارتقى مرادهم وصحت
اجسادهم ونمت اموالهم قالوا هذا دين صالح وان كان غير ذلك قالوا هذا دين سوء

وروى الضحاك عن ابن عباس قال هذا رجل من المنافقين كان يظهر تصديقا ويسر
كفرا فكان يبعث الى نظرائه من المنافقين فيقول لهم ان كانت الدبرة على محمد و
اصحابه فانا معكم وان كانت الدبرة عليكم والظفر لمحمد ولاصحابه فانا معهم ثم
قال الله تعالى على حرف وقوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصا
لحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد وهذا وعد من عبد الله على
التحقيق بكل حال لا كمن يعبده على حرف وقوله تعالى من كان يظن ان لن
ينصره الله قال ابن عباس وقتاده ينصره اى محمدا صلى الله عليه وسلم اى من ظن
من هولا الذين يعبدون الله على حرف ان الله لا ينصر محمدا على اعدائه واحب ان لا
ينصره فليمدد بسبب الى السما اى فليعلق حبلا الى السما العاليه وليصعد
ثم ليقطع نصر الله عن محمد الذى ينزل من السما فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ
اى غيظه اى لا يقدر على ذلك فليصبر وليرض به وقيل اى من استعجل النصر لنبى
الله واظهر الضجر لتاخره مع تعذر وصوله اليه فليمدد بسبب الى السما
المعروفه فليتعلق به ثم ليقطع حتى يخر فليصبر فيموت فلينظر هل يذهب غيظه
اى فلا معنى لضجره فليصبر على مراره الانتظار وقال مجاهد والضحاك وابن عباس
فى روايه ان لن ينصره الله الهاء راجعه الى قوله من كان يظن اى من ساءت ظنه بالله
فى حق نفسه وظن انه لا يصل الى نصره فليمدد بسبب الى السما اى سما بيته
اى سقفه وليختنق به فلينظر هل يشفيه ذلك من غيظه وهو على بيان انه

الا

اذا كان لا ينفعه به فلا راحه الا الصبر على بلائه وقال جماعه النصر هو الرزق
يقال ارض منصوره اى ممطوره ونصر الله من نصرنى اى اعطى الله من اعطانى
وهو قول جماعه من المفسرين ان معناه ان لن ينصره الله ان لن يرزقه الله وهو
خارج على هذين الوجهين كما بينا ولفظ بعضهم من كان قانطا من رزق الله
فليمدد بسبب الى السما فليختنق ولينظر هل ياتى ذلك برزق لم يقدره الله له
وقوله تعالى وكذلك انزلناه ايات بينات اى وكالذى انزلنا عليك هذا فى الوضوح
والبيان فى الحجه على من دعا من دون الله شيئا انزلنا القران كله ايات بينات
اى علامات يهتدى بها الى الحق وان الله يهدى من يريد اى وانزلنا ان الله يهدى
من يريد ولذلك فتح ان فى قوله وان الله لوقوع انزلنا عليه اى لا اهتدا الا بارادته
وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس و
الذين اشركوا فسرناهم فى سوره البقره وهذا مبتدا وخبره ان الله يفصل بينهم
يوم القيامة وهو كقولك ان زيدا ان الخير عنده لكثير وهو الجواب بجمله تامه
وهو كقول جرير   ان الخليفه ان الله سربله   سربال ملك به ترجى الخواتيم
يقول ان الله ليس بغافل عن اعمال الامم المختلفه الاديان وعما يعتقدونه ويقولونه
وانه يفصل بينهم اى يقضى يوم القيامه فيما هم فيه يختلفون فيميز المحق منهم
من المبطل ويجزى كل احد على وفق عمله ان الله على كل شىء شهيد عالم به
حاضر له لا يعزب عنه شىء فهو حافظ لذلك كله حتى يوصل الى كل واحد منهم

يوم الحساب جزاه اي فلينظر كل امرئ ما يعتقد وما يقول وما يفعل وهو
ابلغ وعيد وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في
الارض اي الم تعلم يا محمد العلم الذي يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من
في السموات من الخلائق ومن في الارض منهم والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر اي الاشجار جمع شجرة بحذف الها والدواب وسجود هذه الاشيا
ما فيها من امارات الحدث وعلامات الحاجة الى ممسك يمسكها ومقيم يقيمها
لولاه لبطلت ولم تثبت طرفة عين وقيل سجود هذه الاشيا سجود ظلها
كما قال يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وقيل سجودها خضوعها
ممن كان من اهل السموات وهم الملائكة ومن اهل الارض من المؤمنين لخضوعهم
بالصلوة وساير وجوه التذلل ومن كان كافرا فسجود ظله وهكذا سجود
الشمس والقمر والنجوم جريانها بتسخير الله واما الجبال والشجر والدواب
فسجودها سجود ظلها وكثير من الناس المؤمنون بوجوههم اختيارا وهو خصوص
من عموم قوله ومن في الارض وذلك عموم سجود الظلال في المؤمنين والكفار
جميعا اعتبارا فصنع في المؤمنين النوعان وكثير حق عليه العذاب وهم الكفار
وقيل هو مستانف وقيل هو داخل في السجود ايضا وقال عليه ولم يقل عليهم
وهو واحد كالكبير وقال وكثير منهم فاسقون جمع لمعناه ٥ ومن يهن الله
اي ومن يهنه الله بالاضلال فما له من مكرم من احد يكرمه في الدنيا بالايمان

ولا في الآخرة بنوع كرامة ان الله يفعل ما يشاء من اكرام واهانة وكل شيء وقوله
هذان خصمان المذكورون في هذه الاية وفي الايات التي قبلها في الحاصل
فريقان مؤمنون وكافرون وقال هذان الفريقان خصمان كل فريق خصم للآخر
لمخاصمة في دينه وقوله اختصموا جمع لان كل فريق جمع فهما جمعان في ربهم فريق
يقرون به ويوحدونه ويصفونه بصفاته وينزهونه وفريق يلحدونه ويصفونه
بما لا يليق به ثم بين جزا كل فريق فقال فالذين كفروا الى اخر الاية وقال
ان الله يدخل الذين امنوا الى اخرها وقوله تعالى اختصموا اي يختصمون في الله
ويتجادلون فيه ويدعي كل فريق انهم المحقون وان خصومهم المبطلون وهذا
القول على العموم وقيل هو على الخصوص قال ابن سيرين نزلت في القوم الذين
تبارزوا يوم بدر ثلاثة من المسلمين وهم كواسطة القلادة من القلادة علي
بن ابي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن المطلب وفي ثلاثة من
المشركين وكانوا كواسطة القلادة من القلادة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
واخوه شيبة بن ربيعة بن عبد شمس والوليد بن عتبة بن ربيعة فبارز علي
الوليد فقتله علي وبارز حمزة عتبة فقتله حمزة وبارز عبيدة شيبة فاختلفا
ضربتين فاقعص كل واحد منهما صاحبه ومال علي على شيبة فقتله ثم احتمل علي
وحمزة عبيدة حتى اتوا به النبي عليه السلام فنزلت هذه الاية هذان خصمان
اختصموا في ربهم فالذين كفروا عتبة وشيبة والوليد الاية ونزل في علي

هذان خصمان

وحمزه وعسله ان الله يدخل الذين امنوا الايه وقال ابن عباس نزلت في المسلمين
واليهود فقال المسلمون ليس لله ولد وقال اليهود عزير بن الله وقيل نزلت في عمر
بن الخطاب وابي جهل بن هشام وقوله هذان خصمان اختصموا في ربهم مثل قوله
وان طايفتان من المومنين اقتتلوا ثنى الاسم لانهما فريقان وجمع الفعل لانهما جمعان
وقوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار اي تقطع وذكر بصيغة الماضي
لانه كاين لا محالة فهو كالثابت المحقق وتقطيع الثياب استعارة عن اتخاذ
ملابس لهم في النار وقيل هي من نحاس وتصير نارا باشتعالها في النار وثياب الدنيا
تقطع وتخاط فذكر لهم ذلك ويجوز ان يكون هذا ما ذكر في قوله سرابيلهم من
من قطران يصب من فوق رؤوسهم الحميم اي الما الحار المغلى بالنار ٥ يصهر
به ما في بطونهم اي يذاب بالحميم ما في بطونهم من الشحوم والاكباد والامعا والافئدة
ونحوها وهو وصف الحميم بغاية شدة الحرارة يصب على الراس ويذوب به
ما في البطن وقوله تعالى والجلود ظاهره عطف على الاول ومعناه وتحرق الجلود
باضمار فعل يشاكلها لانها لا تذوب كما قالوا ذلك في قول الشاعر شعر
علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء باردا ٥ ولهم مقامع من حديد
جمع مقمعة وهي المدقة يقمع بها اي يضرب ردعا وزجرا واذلالا ويضرب
بها الزبانية رؤوس الكفار ولهم بمعنى اعد لهم ذلك يضربون بها كلما ارادوا ان
يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها ذكرناه وجوها عند قوله يريدون ان يخرجوا من النار

اعلى
وروي ان جهنم تجيش فتلقيهم فيها الى ابوابها فيريدون الخروج منها فيعيدهم
الزبانية فيها بضرب المقامع وقال الكلبي ومقاتل فيه تقديم وتاخير قطعت
لهم ثياب من نار ولهم مقامع من حديد يصب من فوق رؤوسهم الحميم اي
يضربون بالمقامع على رؤوسهم فتنشق ويصب الحميم فيصل الى الجوف فيذيب
ما فيه وذوقوا عذاب الحريق اي يقال لهم ذلك في النار وقوله تعالى ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وهو بساتين
حرا العربوا الارض يحلون فيها من اساور من ذهب هو جمع جمع سوار واسورة واساور ورد
وقال في سورة هل اتى وحلوا اساور من فضة فقيل يجمع لهم الذهب والفضة جميعا
وهو اجمل وقيل بعضهم يحلى بالذهب وبعضهم يحلى بالفضة وقيل الفضة
للرجال والذهب للنسا وقوله ولؤلؤا قرا نافع وحفص ولؤلؤا نصبا على معنى
ويحلون لؤلؤا وقرا ابو جعفر وعاصم في رواية ابي بكر وحماد ولولوا والباقون بالهمز
والخفض عطفا على من ذهب وقال سعيد بن المسيب ليس من اهل الجنة احد
الا وفي يده ثلاثة اسورة واحد من فضة واخر من ذهب واخر من لولو وقوله تعالى
ولباسهم فيها حرير وهو من حرير الجنة لا يوجد من معناه في الدنيا الا الاسم
ثم هو على ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله تعالى
وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد اي صراط الله المحمود
وهو دين الاسلام هو الطريق الموصل الى ثواب الله وقيل وهدوا في الاخرة الى الطيب

الى الطيب من القول فى الجنة وهو ما قالوا وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده
الحمد لله الذى هدانا لهذا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن واخر دعويهم
ان الحمد لله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وهدوا الى صراط الحميد اى صراط
الله المحمود طريق دار الاسلام كما قال يهديهم ربهم بايمانهم وقيل الطيب
من القول هو البشارات فى الاخرة وللقشيرى فى القول الطيب عبارات
ذكر الله ما صدر عن حضور صافيه الثناء دون الدعا بالحاجة ارشاد المريدين
الى الله الدعا للمسلمين الاستغفار من عذر دينه ما اوحشه توهمه القلب ما
ما له العبد فى مقام الغنا وهو مستنطق المباسطة حالة البسط وقوله
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله عاد الكلام الى ذكر مشركى العرب وقال ابن
عباس ومقاتل نزلت فى عبد الله بن خطل وذلك ان النبى عليه السلام بعثه مع رجلين
احدهما انصارى والاخر مهاجر الى بعض القرى فافتخروا فى الطريق بالانساب
فقتل عبد الله بن خطل الانصارى ولحق بمكة كافرا فلما كان يوم فتح مكة امر
النبى عليه السلام بقتله فقتله ابو برزة الاسلمى وسعيد بن حريث القرشى
وظاهر الاية عام يتناوله وغيره وقوله تعالى ويصدون عطف على كفروا وهو
مستقبل وذلك ماض وله وجوه قيل فيه مضمر ان الذين كفروا هلكوا ثم ابتدا ويصدون
وقيل معناه ومن شانهم انهم يصدون ونظيره الذين امنوا وتطمئن قلوبهم وقال
الفرا الواو زايدة وتقديره يصدون حالا للمستقبل وهو كقوله ولترضوه وليقترفوا

اى لترضوه وقوله يصدون عن سبيل الله اى يمنعون عن دين الله والمسجد الحرام
اى وعن المسجد الحرام قيل هو عينه وقوله تعالى الذى جعلناه للناس يصلون فيه
ويطوفون به ويقيمون فيه سايرا القرب سواء العاكف فيه المقيم بمكة والباد
اى الساكن فى البدو الاتى اليه اى ليس لاحد ان يمنع احدا عنه وقيل المسجد الحرام
هو الحرم كله والناس سوا اى النزول بمكة حيث شاؤا وفى حرمه الاصطياد
والاجتنا شرفه والسلف مختلفون فى جواز بيع سوق مكة واجارتها وكانت سوق مكة
لا يتخذ لها ابواب حتى ظهرت السرقة فيهم فقال عمر لرجل منهم وهو اول من
اتخذ بابا اتخذت بابا لتحتجب به فقال لا ولكن احرزت المتاع عن السرقة
فقال له انه لا يحل لاهل مكة ان ياخذوا اجور بيوتهم وفى جواز بيع اراضى مكة عن
ابى حنيفة روايتان قال فى الجامع الصغير لا يجوز وروى زياد عنه انه يكره وهو
قول ابى يوسف وقوله سوا قرا عاصم فى رواية حفص وروح وزيد عن يعقوب
سواء بالنصب لوقوع جعلنا عليه وقرا الباقون بالرفع على الابتدا وقوله
ومن يرد فيه بالحاد الباء زايدة كما فى قوله تنبت بالدهن وقيل الارادة بمعنى الهمة
اى من هم بالحاد قيل هو الشرك وهو توبيخ لمشركى العرب وقيل هو القتل وقيل
هو استحلال الحرم وقيل هو احتكار الطعام بمكة وقيل هو ظلم الناس والالحاد
فى اللغة هو الميل وهو فى الشرع الميل عن الحق الى الباطل فكان عاما للشرك
ولكل معصية وقوله بظلم قيل الباء اداة معدية وقيل هو بيان الحال اى على وجه الظلم

نذقه من عذاب اليم خبر اوله ومن يرد وهذا وعيد على الارادة مكتنف بالتجمع
واختلف في جواب اول الاية وقد ذكرنا وجهين والثالث ان الخبر جواب الكلامين
جميعا ونظيره ولولا رجال مؤمنون وبعده لو تزيلوا وقوله لعذبنا جوابهما وهذا
لان قوله ان الذين كفروا في تقدير من كفره وقوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
وهو المسجد الحرام المذكور في الاية الاولى يقول واذكر يا محمد اذ مكنا لابراهيم مكان
هذا البيت اي موضعه حتى بناه على ما اريناه منه وهو البيت الذي تعبد فيه من تشرك
به غيري وتصدونك واصحابك عن عبادتي فيه ان لا تشرك بي شيئا اي وقلت له
لا تشرك بي شيئا وقد بينا في سورة البقرة اصل البيت وكيفية بنا ابراهيم ذلك وطهر
بيتي للطائفين قيل طهره عن الانجاس وقيل عن الاوثان اي اخرجها عنه ونحها عنه
وقيل اي عن عبادة الاوثان وقيل هو عام يتناول كل ذلك للطائفين اي لاجلهم والقائمين
والركع السجود هم المصلون وهذه اركان الصلوة وفصل بين الاول وبين الاخرين بالواو
وجمع بين الاخرين بغير واو لان القيام تعظيم لله والركوع والسجود تذلل له فاتحد
هاتان وغايرهما الاول وقوله تعالى واذن في الناس بالحج اي نادهم قال ابن عباس
لما فرغ ابراهيم من بنا الكعبة قال رب قد فرغت من بنا الكعبة فقال واذن في الناس
بالحج قال رب وهل يبلغ صوتي قال اذن وعلي البلاغ فصعد ابا قبيس وقال يا ايها الناس
اني بنيت لله بيتا فحجوه وفي رواية ان الله تعالى بنى بيتا وامركم ان تحجوه فحجوه وفي رواية
قال ان الله قد كتب عليكم حج البيت العتيق فحجوه فاجابوه من اصلاب الابا وارحام الامهات

لبيك لبيك وروى انه اسمع الله صوته من قضى له الحج فاجابوه وقال مقاتل بن حيان
هذا امر للنبي عليه السلام ان ينادي بالحج ففعل ذلك في حجة الوداع وقوله تعالى
ياتوك رجالا وعده بذلك وهو جزم لانه جواب واذن والرجال جمع راجل
وعلى كل ضامر اي ركبانا على الابل وغيرها من الدواب وقد ضمرت لطول
السفر ياتين اي الضوامر من كل فج اي طريق واسع عميق اي بعيد وقدم الرجال
على الركبان اظهارا لفضلهم روي ان الراكب له بكل خطوة سبعون حسنة
وللماشي سبعمائة حسنة من حسنات الحرم كل حسنة مائة الف حسنة وقال
مجاهد حج ابراهيم واسمعيل ماشيين وكانا اذا قربا من الحرم خلعا نعالهما وقال
القشيري قوله ياتين من كل فج عميق هذا ذكر على جهة المدح لهم وسل الشكر
عنهم وكم قدر المسافة للدنيا باجمعها لكن جعل القدر لافعالهم والعظمة لصنيعهم
وهو اظهار فضله وكرمه معهم وقوله تعالى ليشهدوا منافع لهم يقول واذن
في الناس بالحج ليشهدوا منافع لهم قيل اي ليحضروا الادا فرضه مشاهد ينتفعون
بها في دينهم ودنياهم كعرفات ومنا والمشعر الحرام وغيرهما وقيل هي الثواب
الثواب في الاخرة والثنا والفتوح في الدنيا وسعة الرزق بركته وحصول
الارباح بالتجارة فيها ولذلك اختلفت عبارة المفسرين فيها قال بعضهم هي منافع
التجارة وقال بعضهم هي الاجر في الاخرة وقال بعضهم هي مناسك الحج وحج
بعض الصالحين فكان يصلي عند كل ميل في البادية ركعتين ويقول قال الله تعالى

ليشهدوا منافع لهم وقوله تعالى ويذكروا اسم الله في ايام معلومات قال الحسن
وقتادة هي ايام العشر والايام المعدودات ايام التشريق وعليه اكثر السلف و
قيل الايام المعلومات هي ايام النحر وقيل هو ان ذكر فيها ذكر اسم الله على الانعام
وهو يختص بها وقال الاولون جعل الله الايام العشر وقتا للمنافع والذكر على
الذبايح ثم للمناسك ايام مخصوصة منها وهو يوم عرفة للعرفات ويوم النحر لمنا و
الافعال فيها وللطواف بالبيت بمكة وكذى الذكر على الذبيح يختص بيوم النحر
منها وقوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقد فسرناه في اول سورة
المائدة وهي الابل والبقر والغنم اى وليتقربوا الى الله بالذبائح والنحائر ويذكروا
الله عليها بسم الله والله اكبر اللهم منك ولك صلوتي ونسكي ومحياى ومماتي لله
رب العالمين ونحو ذلك ويحتمل الشكر لله على هذه النعمة فكلوا منها اطعموا
واطعموا البائس الذي به بؤس اى شدة وقال الخليل البائس الذي نزلت به بلية
او فاقة فيرحم لما به وقيل البائس الذي به ضر الجوع والفقير الذي لا مال له
وقوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم هي لام الامر والتفث الوسخ والدرن في اللغة
وقال قطرب معناه ثم ليزيلوا عنهم ادرانهم وقال القتبي التفث الاخذ
من الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة وقال الكسائي هو حلق
الراس وقص الاظفار واشباه ذلك وقال الفراء هو نحر البدن والبقر والغنم
وحلق الراس وتقليم الاظفار واشباهها وقيل ما بقي من الحج بعد الذبح والنحر

من الحلق والتقصير وقيل ما عليهم من الحج وقيل مواقف الحج ومناسكه كلها
وقيل هو عمل الحج كله هذه اقاويل المفسرين وتوجيهها على اللغة ان التفث اللغوي
هو الشعث والغبر والدرن هو شعار الحج قال النبي عليه السلام الحاج
الشعث التفل وتقديره على هذا ثم ليقضوا تفثهم اى ليتموا اعمال حجهم مستديمين
لذلك الشعث والتفل وقوله تعالى وليوفوا نذورهم اى ومن كان عليه نذر
بهدى فليف به وليس كل احد يلزمه هدى فلذلك ذكر النذر وقيل النذر الالتزام
ومن شرع في حج فقد التزم افعاله فهذا امر باتمام افعال الحج وقرا عاصم في رواية
ابي بكر وحماد وليوفوا بالتشديد والتوفية والايفاء بمعنى وليطوفوا بالبيت
العتيق وهذا امر بالطواف يوم النحر وهو ركن فيه والطواف الاول طواف التحية
وهو سنة والطواف الاخير طواف الصدر وهو واجب وهذا الطواف
طواف الزيارة وهو ركن لا حج بدونه والبيت العتيق الكعبة وروى عن عبد الرحمن
بن عوف انه قال سالت النبي عليه السلام عن البيت العتيق فقال اعتق من
الجبابرة فلا يناله جبار ابدا وقال ابن عيينة لانه لم يملك قط وقال الكلبي اعتق
من الغرق زمان الطوفان وقال بعض المفسرين عتق في الجاهلية من ان يخرب
او يقتل اهله وقال الحسن من بنيانه العتيق القديم وهو اول بيت وضع للناس
وقال مجاهد خلق الله البيت قبل سائر الارض بالفي عام وقيل العتيق الكريم
ومنه عتيق اى كريم وسمي به لانه على الله وقوله تعالى ذلك ومن يعظم

حرمات الله اي ما افترضت ذكره من امر الحج فهو كما قدمته فالتزموه ولا تخالفوه
مبتدأ احذف خبره اختصارا وقيل معناه افعلوا ذلك اضمر الامر في اوله
او هو بنفسه منصوب على الاغرا اي الزم بغير اضمار ومن يعظم حرمات الله
اي امور الحج والعمرة والبيت فراعاها ولم يتعد حدودها فهو خير له عند ربه
اي انفع له من ان لا يعظمها لانه يثاب على فعله ويعاقب على تركه وهذا ترغيب
وترهيب وعمومه يشمل الحج وعمرة والحرمات جميعها ما حرم انتهاكها
وينهى عن ارتكابها وقيل فهو خير له ليس للتفضيل اي تعظيمه خير له معد
عند ربه لجازيه به وقوله تعالى واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم تحريمه
في سورة المائدة ان المستثنا ما ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة والدم الاية وقوله
فاجتنبوا الرجس اي النجس من الاوثان من للتجنيس ها هنا لا للتبعيض اي اجتنبوا
هذا النوع من الرجس وكله خبيث اي اجتنبوا الاوثان ان تعظموها فتذبحوا لها
وتذكروا عليها بالحكم اسماها واجتنبوا قول الزور اي الكذب وهو ما يقال على
الذبائح من ذكر الاصنام وما يتصل بها من كلمات هي شرك حنفاء لله نصب على الحال
اي مستقيمين في تلك الحالة على الدين الحق غير مشركين به اي بالله ثم ختم
الاية بوعيد الشرك بقول العرب لهم بالحج ليتقربوا فيه بالقرابين الى الله لا ان يذبحوا للاصنام
ويتكلموا بالشرك وقيل واجتنبوا قول الزور اي تسميتها آلهة وقيل واجتنبوا قول
الزور في التلبية وهو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك

وهذا قول مقاتل بن حيان وهذا على نظم اخر الاية باولها في امور الحج وقيل هو ابتدا
كلام فاجتنبوا الرجس اي المآثم من الاوثان وهي عبادتها وتعظيمها واجتنبوا
قول الزور الكذب في كل شي روي عن خريم بن فاتك رضي الله عنه انه قال
صلى رسول الله عليه السلام صلوة الصبح فلما انصرف قام قائما ثم قال عدلت
شهادة الزور بالاشراك بالله ثم تلا هذه الاية وقوله تعالى ومن يشرك بالله
فكانما خر من السما قيل اي مثله في بعده من الهدى والحق وهلاكه كمن خر من
السما فتخطفه الطير اي تستلبه بسرعة او تهوي به الريح اي تسقطه في مكان
سحيق اي بعيد وهو قول قتاده وقيل هو مثل حال الكافر في القيامة يريد به
انه لا يكون يومئذ بهذه الصفة لا يملك لنفسه ولا يملك احد من الخلق له نفعا ولا يمنع
من عذاب الله فهو بمنزلة من خر من السما فهو يهوي من غير ان يقدر لنفسه على
حيلة ذلك فتخطفه الطير وتقطع جسمه بمخاليبها ومناقيرها فلا يملك دفع
ذلك او بمنزلة من تحمله الريح من موضع مرتفع فترمي به في منحدر بعيد وهو معنى
قول ابن عباس وقوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله ذلك الذي عرفتكم من امر
الشرك هو كما عرفتكم ومن يعظم شعائر الله جمع شعيرة والشعائر هي امور الحج قال
ابن زيد منها رمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة ونحرها وقال مجاهد هي البدن
وتعظيمها استسمانها واستحسانها قال تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر
الله ودليل القول الاول قوله ان الصفا والمروة من شعائر الله فانها اي هذه الفعلة

وهي تعظيمها من تقوى القلوب هي تصحيح النية وتجريدها للتقرب الى الله
تعالى وقوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى على القول الاول ان الشعائر امور
الحج هذه المنافع ما فسرنا وقوله ليشهدوا منافع لهم وهي منافع المشاهد ثم محلها
الى البيت العتيق اي محل اجرامها بالطواف بالبيت اي بعده وعلى القول الثاني
ان الشعائر البدن والمنافع ركوب ظهورها عند الحاجة وشرب البانها عند
الضرورة ثم محل الشعائر الى البيت العتيق اي نحرها يكون في الحرم والبيت العتيق
عبارة عن كل الحرم كما قلنا في المسجد الحرام وقوله تعالى ولكل امة جعلنا
منسكا قرا حمزة والكسائي وخلف بكسر السين والباقون بفتحها وهما واحد
اي لكل اهل دين سلفوا قبلكم شرعنا قرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم
من بهيمة الانعام اي ليتقربوا بها ويذبحوها على اسم الله دون اسماء الاصنام
فالهكم اله واحد اي الهكم واله الامم كلها واحد والواجب ان يتقرب اليه ويذكر
على الذبائح اسمه دون اسم غيره فله اسلموا اي انقادوا بالعبودية وبشر
المخبتين اي المطمئنين الى وعد الله الخاضعين له من الخبت وهو المطمئن
من الارض وقال الخليل الخبت ما اتسع من بطون الارض فعلى هذا المخبت
هو الواسع الصدر في احتمال المكاره الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي
خافت من عظمته فعظمت شعائر الله وحذرت مخالفته والصابرين على
ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون في الزكوات والصدقات

يقول بشّر هؤلا بكل خير وكله تفسير المخبتين اذ لا يقدر على هذه الاشيا
الا الخاضع لله بالعبودية وقوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
هي جمع بدنة كالثمر جمع ثمرة وهي الابل التي تهدى سميت بها لبدانتها اي
ضخمها ونصبها بالفعل المذكور بعدها على تقدير الفعل كما في قوله والقمر
قدرناه من شعائر الله اي من اعلام دين الله لكم فيها خير وهو نفع الدين والدنيا
وقال القشيري الخيرات فيها كثيرة الركوب والحمل وشرب الالبان
والانتفاع بالاوبار ثم بالاعتبار بخلقها كيف سخرت للناس على قوتها وصورتها
ثم كيف تنقاد للصبيان في البروك للحمل والركوب والنزول وصبرها على
العطش في الاسفار واكتفائها بقليل العلف ثم ما في طبعها من اللطافة
حتى تستريح بالحداء مع كثافة صورتها الى غير ذلك فاذكروا اسم الله عليها
صواف جمع صافة وهي القائمة وهي نصب على الحال اي اذكروا اسم الله عليها
عند نحرها وهي قائمة شرطا للذكاة وتسمية لها لله دون جعلها للاصنام
لفعل الكفار فاذا وجبت جنوبها اي سقطت على الارض بعد نحرها قائمة
فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر قيل القانع الذي يرضى بما يعطى او بما عنده
ولا يسال والمعتر الذي يتعرض لك ان تطعمه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة القانع
الذي لا يسال والمعتر الذي يسال وقال الحسن وسعيد بن جبير القانع الذي
يسال والمعتر يتعرض ولا يسال وعليه اهل اللغة يقال قنع يقنع قنوعا

من باب صنع اى سال وقنع يقنع قناعة من باب علم اذا رضى بما رزق قال
الشماخ لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع اى السؤال
وقال مجاهد القانع جارك الغنى والمعتر الذى يجيك من الناس وقيل القانع
الهر والمعتر الكلب اى اجعلوا لهما منه نصيبا والهر يتقاضى بصاحبه والكلب
يقوم ساكتا وقوله فكلوا منها للاباحة ولو لم ياكل منها جاز وقوله واطعموا اذ
لو صرف كله الى نفسه لم يضمن شيئا وهذا فى كل هدى هو نسك لا كفارة
وكذا الاضحية واما هدى هو كفارة فعليه التصدق بجميعه وما اكله ضمنه
وكذا ما اطعمه الاغنيا وانما مصرفه الى الفقرا فاما هدى النسك والاضحية
فيحل لصاحبه وللاغنيا والمستحب فى ذلك ان يكون نصفه لاكله واطعام
اهله ونصفه للصرف الى غيره وقيل يجعل اثلاثا ثلث ياكله ويطعمه اهله
واضيافه فى هذه الايام وثلث يدخره لما بعد وثلث يدفعه الى الناس
وكان الحسن البصرى يجعله ارباعا الربع لنفسه واهله والربع للمساكين
والربع لليتامى والربع لاهل السجون ويتاول قوله ويطعمون الطعام على
حبه مسكينا ويتيما واسيرا وقوله تعالى كذلك سخرناها لكم اى كالذى
امرتكم بنحرها ذللناها لكم مع عظم اجسامها فلا تمتنع عليكم ولو
اعطيناها ما اعطيت السباع لصعب عليكم نحرها لعلكم تشكرون
فعلت ذلك بكم لتشكروا نعمتى بذلك وقوله تعالى لن ينال الله لحومها

ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اى لا يبلغ رضاه ولا يكون مقبولا عنده
اعيانها ولكن يناله التقوى منكم وهو قصد الائتمار وطلب الرضا والاحتياط
فى ذلك والتحرز عن الحرام والشبهة وقيل لما امرهم باكلها ظنوا انها ردت
اليهما وصارت لهم لا لله فاخبر ان لله من عنده ما اخلص له من النية
والعمل دون اعيان ما يتقرب بها وقال مجاهد كان اهل الجاهلية يذبحون
ويشرحون اللحم وينصبونه على انصاب حول الكعبة وينضحون ما اقبل منها
بدمائها فلما كان الاسلام ذكر المسلمون فعلهم لرسول الله عليه السلام
فسكت حتى نزلت هذه الاية وقوله تعالى كذلك سخرها لكم اى كالذى ذكر
ذلك لله هذه البدن لكم لتكبروا الله اى لتعظموا الله على ما هديكم اى
ارشدكم اليه من دينه واعاد ذكر التسخير لمعنى غير الاول فان الاول للشكر
والثانى للتعظيم وبشر المحسنين فى امور الحج والشعائر وسائر الشرائع وقال
الحسن ابو الفضل ولتكبروا الله على ما هديكم فيقول الله اكبر على ما هدانا
وقال القشيرى لا عبرة باعيان الافعال لكن العبرة لقرانها من
الاخلاص فاذا انضاف الى اكساب الجوارح خلاصات القصود وتجردت
عن ملاحظة اصحابها الاغيار صلحت للقبول وقال فى قوله وبشر المحسنين
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وامارته سقوط التعب عن صاحبه بالقلب
فلا يستثقل شيئا فى ذات الله ولا يتبرم بشى وقوله تعالى ان الله يدافع عن

الذين آمنوا قرأ ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ان الله يدفع والباقون ان
الله يدافع وقرأ نافع وابو جعفر وسهل ويعقوب ولولا دفاع الله الناس والباقون
ولولا دفع الله وعاد الكلام الى ذكر المؤمنين والكفار وبشارة المؤمنين بالنصر
والفتح والعود الى مكة الذين صدهم المشركون عنها وهذه الآيات في ذكرها وما
يقام من الحج والقرابين بها ان الله يدفع عن الذين آمنوا بشارة بدفع ضرر الكفار
عنهم وهو كما قال لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار وقال وان
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وقيل كان هذا قبل الهجرة فدفع عنهم بان
اذن لهم في الهجرة الى المدينة واعانهم وقواهم بالانصار واذن بالقتال وجهاد
الكفار وقيل يدفع عنهم بتوفيقه وتثبيته اياهم على الحق عن فتنة الكفار باعادتهم
الى الكفر وقيل يدفع عنهم شدائد الآخرة وكثيرا من شدائد الدنيا ان الله لا يحب
كل خوان كفور العادات امانات من خانها فقد خان وقيل المشركون كانوا
يتقربون بالاصنام يعبدون غيره وهذا خيانة وقيل كل انسان يظهر الشفقة
على نفسه وارادة الخير بها فاذا فعل ما يهلكها فقد خانها والخوان الكامل
على هذا والكفور الذي يكفر نعم الله عليه ومعنى لا يحب اي لا يريد بهم الخير
ولا يحط لهم العاقبة المحمودة بل يكون ذلك للمؤمنين بالدفع عنهم وقال
القشيري يدفع عن صدورهم نزغات الشيطان وعن قلوبهم خطرات العصيان
وعن ارواحهم طوارق النسيان قوله تعالى اذن للذين يقاتلون قرأ نافع

وابو جعفر وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم أُذن بالضم على ما لم يسم فاعله
والباقون أَذن ومعناه اذن الله للمؤمنين الذين يقاتلهم الكفار اي يحرصون
على قتالهم بالقتال وقوله بالقتال هذا مضمر وهذا طريق الذي قال يدفع
عن الذين آمنوا وقوله يقاتلون قرأ مدني وشامي وهو ابن عامر وحفص عن
عاصم يقاتلون بفتح التاء على ما لم يسم فاعله وهم المؤمنون ايضا لان الكفار يقاتلونهم
وذكر بعض المفسرين ان الصحابة لما اشتد عليهم اذى المشركين قبل الهجرة
استأذنوا النبي عليه السلام في قتل من قدروا على قتله سرا فلم يؤذن لهم ووعدهم
الله بالدفع عنهم وقال ان الله لا يحب كل خوان لما هموا به من قتلهم سرا فلما
هاجروا وقووا اذن لهم في قتالهم وقوله بانهم ظلموا اي بسبب ان المشركين
ظلموهم في صدهم عن المسجد الحرام واظهارهم دينهم وان الله على نصرهم
لقدير يورثهم ديار عدوهم وتشفى به صدورهم وهو اشارة الى البشارة بذلك
وهذه الآية اول آية انزلت في الامر بالقتال الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
وهو بيان قوله بانهم ظلموا الا ان يقولوا ربنا الله وهو استثناء منقطع معنى لكن
اي اخرجوا بغير حق اي من غير ان يستحقوا ذلك فيحق عليهم ذلك لكن لانهم قالوا
ربنا الله وحده لا شريك له على خلاف قولهم وهذا الاخراج من مكة الى المدينة
وان كانت الآية نزلت بعد الهجرة اليها وان كان قبلها فهو الاخراج من مكة الى الحبشة
اي الجاؤهم اياهم الى ان هاجروا عنها اليها ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

اى لولا ما شرع الله للانبيا والامم من الجهاد لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد
يذكر فيها اسم الله كثيرا اى لغلب اهل الشرك اهل الايمان وعطلوا ما يبنيه اهل
الديانات من مواضع عبادة الله قال مجاهد الصوامع للرهبان وقال قتادة
البيع للنصارى وقال مجاهد البيع كنايس اليهود جمع بيعه وقال الضحاك الصلوات
كنايس اليهود وقيل وصلوات هي مواضع صلوات المسلمين في منازلهم والمساجد
للجماعات وقيل وصلوات اى وتركت صلوات على ارادة لعبادها دون مواضعها
وقال الزجاج اى لهدمت صوامع في ايام شريعة عيسى وبيع في ايام شريعة موسى
ومساجد في ايام شريعة محمد عليه السلام وقيل ذكرت الصوامع والبيع وان كانت
تلك لغير اهل الاسلام وذلك لان النصارى ينكرون امر الجهاد ويرونه تشنيعا
في الحكمة والصابئون لا يرونه فنبهوا على حسنه في المعقول ان فيه بقا هذه الاثار
الديانات التي يعتقدها هؤلاء ثم قوله ولولا دفع الله الناس هم الكفار بعضهم
يدل عنه ببعض هم المؤمنون المقاتلون فالدفع يقع بهم وقيل معناه ولولا دفع
الله باهل هذا الدين عن الاديان كلها اى لولا انقماع عبدة الاوثان واهل التعطيل
لخوف سيوف المسلمين لتغلبوا على اهل الاديان كلها وفيه تعريف منة الله تعالى
بما عاد على اهل الاديان كلها من النفع بدين الاسلام وقوله يذكر فيها اسم الله
كثيرا اى في المساجد هو الصحيح فان الذكر في البيع وغيرها محرف عن معناه
وقيل يدفع الله بالمقاتلين عن القاعدين وبالشاكرين عن الكافرين وبالصابرين

وبالصابرين عن الجازعين وبالمصلين عن التاركين وبالمتصدقين عن المانعين
وبالمطيعين عن العاصين وبالذاكرين عن الناسين وقوله تعالى ولينصرن الله من
ينصره ان الله لقوي عزيز هذا ظاهر وقوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض هو
نعت الذين يقاتلون اى اذن بالقتال لهؤلاء الذين ان اعطيناهم المكنة والمكانة
في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر اقاموا
الدين بالسنتهم وايديهم والزموا الناس ما هو مستحسن العقل والشرع ومنعوهم
عما هو مستقبح العقل والشرع ولله عاقبة الامور اى خاتمتها اى النصر والعلو
والغلبة خاتمة من نصر دين الله وهي لله وان تاخرت مدة لحكمة فهي موعودة
لهم وهذا تطييب لقلوبهم وتثبيت على الصبر وقيل اى مرجع الامور الى الله في
الاخرة وهو المثيب والمعاقب وهذا تحريك لهم على الاعمال المذكورة في الاية
وكثير من المفسرين على ان هذه الاية في الخلفا الراشدين الاربعة وقال الحسن
هي في جميع هذه الامة وقال العسكري الذين ان مكناهم في الارض اذا طال
لهم المدة وساعدهم العمر لم يستفرغوا اعمارهم في استجلاب حظوظهم ولا
في اقتناء محبوبهم من الدنيا ومطلوبهم ولكن قاموا باداء حقوقنا اقاموا الصلوات
في الظاهر واداموا المواصلات في الباطن وقيل اقامة الصلوات الوفا بادابها
تعلم بين يدي من انت وتناجي من والرقيب عليك من والقريب منك من واتوا
الزكوة الاغنيا منهم يؤتون زكوة اموالهم وفقراؤهم يؤتون زكوة احوالهم فزكوة

فزكوة المال من مائتين خمسة للفقرا والباقي لهم وزكوة الاحوال ان يكون من مائتين
نفس مائة وتسعة وتسعون ونصف لله ونصف جزء من نفس من مائتين لك وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر يبتدئون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بانفسهم
ثم باغيارهم فاذا الحذر اي ذلك لم يتفرغوا من انفسهم الى غيرهم وقيل الامر
بالمعروف حفظ الجوارح عن مخالفة امره ومراعاة الانفاس مع اجلال القدر ه
ومن وجوه المنكر الريا والاعجاب والمساكنة والملاحظة وقوله تعالى وان
يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب
مدين وكذب موسى وهذا اسان قوله ولله عاقبة الامور وتسلية للنبي عليه السلام
لما نال له من جهة الكفار من المكروه والجحود يقول ان نسبك هولا الى الكذب
فقد فعلت قوم نوح كذلك والناس في كذبت لارادة القبيلة او الامة او الجماعة
وكذلك ما ذكر بعده كذبت كل امة نبيها وكذب موسى على ما لم يسم فاعله ولم يقل
وكذبت قوم موسى لان قومه بنو اسرائيل وهم صدقوه وانما كذبه فرعون وقومه ر
فامليت للكافرين اي طولت لهم الزمان الزاما للحجة وقوله تعالى ثم اخذتهم
اي ثم عاقبتهم على كفرهم وتكذيبهم ومعاصيهم وقوله تعالى فكيف كان نكير اي
اي انكاري وتغييري عليهم الم ابدلهم بالنعمة نقمة وبالكثرة قلة وبالحيوة هلاكا
وبالعمارة خرابا وكذلك حال قومك ه وكاين من قرية اي وكم من اهل قرية اهلكناها
وهي ظالمة اي اهلكناهم وهم ظالمون انفسهم بالكفر واضعون العبادة عن موضعها

وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب اهلكتها على موافقة فامليت ثم اخذتهم
وقرا الباقون اهلكناها على موافقة مكناهم فهي خاوية على عروشها فالقرية
ساقطة سقوفها اولا ثم ساقطة حيطانها على سقوفها وبئر معطلة وكم
من بئر معطلة يعني اهلها انقرضت وصارت لا وارد لها ولا شاربة منها
باندفانها وغور مائها وقصر مشيد وكم قصر مشيد قال عكرمة ومجاهد
اي مبني بالجص والشيد الجص وقال قتادة اي مرفوع وقيل شاد البنا اي رفعه
وطوله وقيل اي مزين وقد شاده اي زينه اي خلا عن سكانه وتداعى للخراب
بذهاب اهله وهذا تنبيه لهم ووعظ لمن كان قبلهم ممن كانوا اطول منهم
اعمارا واقوى اثارا فاهلكهم الله بعتوهم وتمردهم وقال الضحاك ان هذه البئر
كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضورا وذلك ان اربعة الاف نفر ممن
امن بصالح ونجوا من العذاب اتوا حاضورا ومعهم صالح فلما حضروا مات صالح
وسمي حضرموت لان صالحا لما حضر مات فبنوا حاضورا وقعدوا على هذه
البئر وامروا عليهم رجلا يقال له جلهس بن جلاس بن سويد وجعلوا وزيره
سنجاريب بن سوادة واقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا ثم عبدوا الاصنام
فارسل الله اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه في السوق فاهلكهم
الله عن اخرهم وتعطلت بئرهم وخرب قصر ملكهم وقيل ان ملكا كافرا كان له وزير
مسلم ومعه اربعة الاف مسلم من خواصه فحنق عليه الملك يوما فهجره الوزير

وذهب مع خواصه الى ارض طيبة ونزلوها وحفروا الابار وقد اخرج من
كلها ما عذب ومر بهم رجل فامرهم بان يحفروا في موضع ارامهم فنعلوا فخرج ما
عذب وسعوها وبنوها بحجر ذهبا وحجرا فضة وجعلوا لها حظيرة
ولها اربعة الاف باب بعدد كل رجل واتخذوا منازل وطالت بهم المدة
واتاهم الشيطان في صورة عجوز صالحة ومكثت عندهم ودلت النسا على
السحق عند غيبة الازواج فظهر ذلك فيهن واتاهم في صورة شيخ صالح بعد
ذلك وبعد مدة ودل رجالهم على اتيان البهائم اذ غابوا عن زوجاتهم ففشا
ذلك فيهم واتاهم هذا النبي وقيل نبي اسمه حنظلة فنهاهم فلم ينتهوا وغار
ماوهم فتضرعوا الى النبي حتى دعا فعاد الما فلم يومنوا فحق فيهم اتيان العذاب
بعد سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات فاتخذوا قصرا
مشيدا لبنة ذهبا ولبنة فضة وركبوا فيها اليواقيت وتحصنوا ولم
يومنوا به فلما انتهت هذه المدة وهو يجدد لهم التخويف كل ساعة فلم ينتهوا
امر الله جبريل فخسف بهم وبها وقوله تعالى افلم يسيروا في الارض افلم
يسافر هولاء في الارض فيشاهدوا هذه القرى والاثار وقايع الله بها فيكون
لهم قلوب يعقلون بها اي فتحضرهم عقول يتفكرون بها فيها فيعتبرون او اذان
يسمعون بها اي يدعوهم ما شاهدوا الى سماع وعظ الواعظ وهذا استفهام
بمعنى الاثبات اي قد سافروا اليها وشاهدوها لا يعتبرون بها لاعراضهم عن

التدبر فهم متعامون متصاممون وقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار قيل
فان القصة او الحادثة وقيل فان الابصار ثم اعاد الابصار تفسيرا للكناية
وازالة للاشتباه اي لا تعمى ابصارهم عن رؤية هذه الاثار عيانا ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور عن التفكر فيها والاعتبار بها وقيل معناه فان العمى
ليس بعمى البصر انما العمى في الحقيقة عمى القلب لان منفعة بصر العين
لا يهلك عدمها صاحبها وعدم بصر القلب يهلك صاحبه وهو كما قال
ليس الغنى غنى المال انما الغنى غنى النفس ووجود ذلك هو القلب لا يكون
الا في الصدر ومعنى تقييده به تحقيقه بخاصيته لا لتمييزه عن غيره كقوله
يقولون بافواههم ولا طاير يطير بجناحيه وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب
اي يقولون متى هذا العذاب الذي توعدنا به وتذكر انه كان للامم السالفة
ولن يخلف الله وعده فانه متعالي عن الخلف والكذب وهو اتي لا محالة
لكن لوقته الذي جعله له وقيل نزلت في النضر بن الحارث واتاه الوعد يوم بدر
وقتل وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
وابن زيد وان يوما من ايام الاخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا اي فلا معنى
لاستعجالهم وهم يصيرون الى الاخرة ويعدون فيها هذه المدة الطويلة وقيل
وان يوما من ايام العذاب في الثقل والطول كالف سنة مما يعدون في السلامة
كما قالوا ايام الغموم طوال وايام السرور قصار فلا معنى لاستعجالهم العذاب

وقيل وان يوما من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض كالف سنه
اي هولا يستعجلونك بالعذاب وان يوما من الايام التي خلقت فيها السموات والارض
كالف سنة وقد كنت قادرا على ان اخلق جميع ذلك في لحظة واقل ولكن خلقته في
المدة الطويلة ولم اعجل فكذلك انا قادر على انزال العذاب بهم ساعة عصوني
لكني لا اعجل ويدل عليه انه قال في سوره قاف وكم اهلكنا قبلهم من قرن ثم ذكر عقيبه
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فذكرها بعد ذكر اهلاكهم
اشارة الى هذا فكذا في هذه الاية وقيل هو اشاره الى ما ذكر في قوله يدبر الامر من
السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة فالملك ينزل مسيره خمسمائه
سنه وهي من السما الى الارض ويصعد كذلك في ساعة هي الف سنه يقول لما كان
في قدرتي هذا فكيف اعجز عن اهلاكهم لكن تاخيره لحكمة وقوله تعالى وكاين
من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها اي في الدنيا والى المصير اي المرجع في
عذاب الاخرة اي فما ينبغي لهولا ان يغتروا بامهالي وقوله تعالى قل يا ايها الناس
انما انا لكم نذير مبين اي جعلني الله الى الانذار دون انزال العذاب فلا تستعجلوني
فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة للذنوب ورزق كريم حسن في الجنة
هذا لمن خاف بانذاري فاتبعني والذين سعوا في اياتنا اي اجتهدوا في اعلام
الحق للابطال والتكذيب وصد الناس عنها معاجزين مغالبين مقدرين انهم
يغلبوننا فيفوتوننا وقرا ابو عمرو وابن كثير معجزين اي مثبطين عجزوا الانبيا والمومنين

على زعمهم وقال الكسائي معاجزين معاندين ومعجزين مثبطين وقال الخليل
عاجز فلان ذهب فلم يوصل اليه اولئك اصحاب الجحيم اي الذين في النار الموقده
وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي قيل الرسول صاحب
الشريعة والنبي هو الذي يتبع الرسول في الشريعة كهارون لموسى ولوط لابراهيم
وقيل الرسول المرسل بالوحي والنبي المخبر عن الله بالوحي اليه او بالوحي الى رسول
امر بان يامره بالتبليغ او بالرويا وقيل هما واحد وفي الاية جمع بينهما في الارسال
فقال وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
وهذا متصل بقوله سعوا في اياتنا معاجزين اي ان مشركي عصرك يسعون في
اياتي المنزلة عليك وكذا كان كل رسول يسعى الشيطان في الالقاء في قراته
وقوله تمنى اي تلا وقوله القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته قال الشاعر
رثى عثمان ابن عفان تمنى كتاب الله اول ليله واخرها لاقى حمام المقادر
وروي في ذلك ان النبي صلى الله عليه كان يقرا سوره النجم في الكعبه او في
المسجد بحضره المومنين والمشركين فلما انتهى الى قوله افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في قراته تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى فلما فرغ من السوره سجد وسجد المسلمون والمشركون
وبلغ الخبر من كان عند النجاشي من المهاجرين فرجع كثير منهم الى مكة لما توهموه
من دخول المشركين في دين رسول الله واخذ اصحاب الظاهر بظاهره

وحملوه على قراءة النبي عليه السلام ذلك كله وتكلمه بلسانه بهاتين الكلمتين وهذا
باطل على ما نبين فاما الغرانيق فقد ذكر في ديوان الادب ان الغرنوق الشاب
الناعم وذكر في شرح الغريبين انه الحسن العالي وقيل هو رئيس القوم وقال
الخليل الغرنوق الشاب الابيض والطاير وقال الاصمعي هو الكركي وقال
ابن الانباري الذكر من الطير وفي الغريبين ايضا الغرنوق والغرانيق والغرانقة
الشاب الناعم والطير وكان المشركون يزعمون ان الاصنام تقربهم الى الله
وتشفع لهم اليه فشبهوها بالطيور التي تعلو وترتفع في السما وقال الحسن
ان ثبت تكلم النبي عليه السلام بهذه الكلمات فهي على الانكار عليهم على تقدير
اثبات الف الاستفهام في اولها اتلك الغرانيق العلى كما في قوله هذا ربي اي اهذا
ربي والصحيح المعتمد ان النبي عليه السلام لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه هو تكلم
بها فلا يخلو من ثلاثة اوجه اما ان تكلم بها من جهة نفسه عمدا اختيارا وهو كفر
ولا يجوز ان يظن بالنبي عليه السلام ذلك فانه جاء داعيا الى الايمان ناهيا عن الكفر
طاعنا في الاصنام فكيف يمدحها واما ان اجرى الشيطان ذلك على لسان النبي
عليه السلام جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا لا يجوز لان الشيطان
لا يقدر على ذلك في حق غيره قال تعالى حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فكيف يقدر على ذلك في حق النبي عليه السلام واما ان يقال وقع ذلك
على لسانه عليه السلام سهوا وغفلة من غير قصد ولا يجوز ذلك ايضا

لانه عليه السلام كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف يجري عليه هذه الغفلة خصوصا
في حالة تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد والتصديق ولاحتمل الغلط والخطا
[illegible] ولان الله تعالى قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون فبطلت الوجوه كلها فلم يبق الا وجه واحد وهو ان النبي عليه
السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر فتكلم الشيطان
بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبي عليه السلام فوقع عند بعضهم ان النبي عليه السلام هو الذي
تكلم بها ويكون هذا القاء في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي
عليه السلام ويسمع كلامه كما ذكر عنه في اليوم الذي مكروا بالنبي عليه السلام في دار
الندوة وابليس ظهر على صورة شيخ نجدي ونادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل
وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وقيل لما استعجلوه بالعذاب
تمنى ان يعجل الله لهم العذاب فابطا فالقى الشيطان في امنيته وساوس كما قال
حتى اذا استيأس الرسل وظنوا وقال وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا
معه متى نصر الله وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يزيله عن القلب ثم
يحكم الله اياته اي يلهمه صدق مواعيده وعلى التاويل الاول فيبطل الله ما يتكلم به
الشيطان اي يظهر بطلانه بالوحي بعده ثم يحكم الله اياته يتقنها ويحفظها عن
لحوق الزيادة من الشيطان بها والله عليم حكيم عليم بوقت ازال العذاب وبقصد
الشيطان حكيم لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين

في قلوبهم مرض اي نفاق والقاسية قلوبهم اي وللقاسية قلوبهم وهم الكفار صار
ذلك فتنة لهم اعتقدوا كلام الشيطان كلام النبي عليه السلام وحققوا شفاعتها
ونفعها وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي وان المشركين لفي خلاف للحق بعيد
عنه وليعلم الذين اوتوا العلم اي اعطوا العلم بالله وبدينه وبالايات انه الحق
من ربك اي ان نسخ ما يلقي الشيطان وقيل ان القران الحق من ربك فيؤمنوا به اي
فيصدقوا به فتخبت له قلوبهم اي تلين وتطمئن وان الله لهادي الذين امنوا
اي لمثبتهم على الهدى الى صراط مستقيم دين الاسلام ولا يزال الذين كفروا
في مرية منه اي في شك من القا الشيطان وقيل من الحق حتى تاتيهم الساعة
بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم قيل يوم لا خير فيه ولا فرح كالريح العقيم فجاة
التي لا مطر معها قاله الضحاك وقيل يوم لا ليلة بعده كالعقيم لا ولد لها واختلف
في ذلك اليوم قال قتادة هو يوم بدر قتلوا فيه فلم يكن لهم بعده ليلة في الحيوة والشك
يزول للكافر اذا مات ويزول ايضا بالقيامة وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو
يوم القيامة لا ليلة بعدها ومعنى الجمع بين الساعة وبينه ان الاول ذكر القيامة
والثاني ذكر عذاب يوم القيامة وقيل الساعة هي النفخة الاولى وهو موت كل
الخلايق وبه تزول الشكوك والثاني هو يوم البعث والجزا وقوله الملك يومئذ
لله اي اذا قامت الساعة فزالت غلبة المتغلبين ومعارضة المعاندين
وهو كقوله مالك يوم الدين وكقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار يحكم بينهم

فينزل كل واحد من هذين الفريقين منزله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في
جنات النعيم هذا حكم احد الفريقين والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين وهذا حكم الفريق الاخر والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا
او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا في الجنة وان الله لهو خير الرازقين هو تخصيص
قوم من الفريق الاول وهو خير المعطين لانه لا يعطي احد عطاه في الكثرة والجلالة
والدوام وزوال الشوايب ليدخلنهم مدخلا يرضونه الجنة وهذا وصف لها فكل
جميل الا ما وقع موقع الرضا فقد كمل وقرا نافع وابو جعفر مدخلا بفتح الميم وهو
موضع الدخول وقرا الباقون بضمها وهو موضع الادخال وان الله لعليم باحوال
المهاجرين حليم بتاخير العذاب عن المشركين ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به
ثم بغي عليه لينصرنه الله اي ذلك الموجود للمهاجرين كما اعلمناكم به ولهم مع ذلك اني
انصرهم في الدنيا على من بغى عليهم وقال مقاتل لقي جماعة من المشركين جماعة من
المومنين وقد بقي من المحرم يومان فقال المشركون بعضهم لبعض ان اصحاب محمد لا يقاتلون
في الشهر الحرام فتعالوا نشد عليهم ونقتلهم فلما اضطرهم المشركون قاتلوهم
وغلبوهم ثم حدثوا انفسهم متهمين بما صنعوا في الشهر الحرام فنزلت الاية وعذرهم
الله وان الله لعفو غفور يعفو عنهم ويغفر لهم وقوله تعالى ذلك بان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير اي ذلك الذي اخبرتكم اني فاعله
هو باني قادر على ما اشا ادخل الليل في النهار وادخل النهار في الليل بنقصان احدهما
وزيادة الاخر

وبانى انا السميع للاصوات والبصير بالمبصرات لا يخفى على شى ولا يخفى على
المطيع من العاصى والمومن من الكافر والمهاجر من القاعد ومنتصر السلطان من
المخالف ولكل واحد جزا مثل على وفق عمله لا اعجز عنه وقوله ذلك بان الله هو
الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل اى ما ذكرته من ايات قدرتى بانى انا الله
المستحق للالهية ومن كان الها حقا كان قادرا على كل شى متصرفا كل شى على
ما اراد وان ما تدعون من دونه قرا اهل البصره واهل الكوفه غير ابى بكر وحماد
والمفضل بالمغايبه والباقون بالمخاطبه هو الباطل اى الاصنام خالية عن
هذه الصفات فبطل وصفها بالالهية وان الله هو العلى اى العالى على كل شى
بالقهر والسلطان دون توهم المكان الكبير بالجلال والقدره والكمال
وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما اى الم تعلم استفهام بمعنى التقرير
ان الله انزل من السما ما وهو المطر فتصبح الارض مخضرة اى فتصير بالنبات
خضرا من قدر على هذا قدر على انشا الاجسام وعلى احيا الموتى وعلى كل شى
ان الله لطيف عالم بواطن الاشيا خبير بظواهرها وقيل لطيف بما خلقه
خبير عالم بمصالحهم له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا وان الله لهو الغنى
المستغنى عن ذلك كله الحميد المحمود على جميع الافعال المنزه عن صفات
الذم وقيل اى المستحق للحمد وان ضل عن حمده الضالون وقوله تعالى الم
تر ان الله سخر لكم ما فى الارض وهذا بيان منته بتسخير ما فى الارض من الحيوان

وغيره مما بنا حاجة اليه فى معايشنا فلا اصلب من الحجارة والحديد وقد ذللهما
لنا نتخذ منهما ما نريد والفلك تجرى اى وان الفلك تجرى او تكون عطفها على ما له ما فى
الارض اى سخر لكم تجرى فى البحر بامره اى بتسخيره وتقديره اياها كذلك علمكم
صنعتها لتقطعوا بها المسافات البعيده فى المده القريبه وقوله تعالى ويمسك
السما ان تقع اى يمنعها عن الوقوع على الارض الا باذنه اى ارادته وتخليته تقع
اذا لم يمسكها ان الله بالناس لروف رحيم فلرافته ورحمته هيا لهم هذا كله
وهو الذى احياكم وكنتم علقا ومضغا وعظاما ولولا احياوه لكنتم جمادا فعل
بكم ذلك وسخر لكم هذا كله ليمتحنكم بالشكر ثم يميتكم لاجالكم ثم يحييكم للحساب
والجزا ان الانسان لكفور للنعم فى الغالب وقليل من عبادى الشكور وقوله تعالى
لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه قال ابن عباس اى عيدا وقال مجاهد ومراده اى
متعبدا فى اراقة الدم بمنا وغيره وقيل هو جميع العبادات واصل النسك العبادة
والناسك العابد والمنسك المتعبد ويطلق على الحج لانه منها وعلى القربان
كذلك لذلك قيل لما بينه الله على قدرته وعلمه وعلى انه الاله الحق ووعد
ما ذلك من جاهد فى دينه النصر بعد ان اذن لهم فى القتال وامرهم بالهجرة
امر رسوله عليه السلام بالجد فى الدعا الى الدين وعرفه وجه معاملتهم والاحتجاج
عليهم فقال ولكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اى شرعنا لكل امة خلت ضربا من العبادة
هم متمسكون به ماضون عليه وهو كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلا ينازعنك

اي فليس لاحد من بقايا تلك الامم منازعتك في الامر اي فيما تامر به امتك من الشرائع
اذ قد كانت لهم شرائع يخالف بعضها بعضا فكذا هذه الشريعة وان خالفت
تلك الشرائع فليس لهم منازعتك فيها وادع الى ربك الى دين ربك انك لعلى
هدى مستقيم اي دلالة على سبيل رشده وان جادلوك ليدحضوا باطلهم حقك
فلا تمارهم فقل الله اعلم بما تعملون من الكفر والجدال بالباطل والتعنت بعد
ظهور الحجة الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون فيجازي المحق
على حقه والمبطل على باطله وقيل ولكل امة جعلنا موضع قربان هم متقربون
بذلك الى الله فاهل الملل معترفون بذلك فليس لهم منازعتك فيما ابتغيتهم به
من الذبائح لاتفاقهم على شرعها في الماضين فلا معنى لمنازعتهم اياك في ذبائح
مكة وادع الى ربك اي الى طاعته فيما امرك به من الحج والنحر وهذا الجدل على
هذا كان من اهل الكتاب المنكرين فضل مكة وكون الكعبة قبلة وقيل هو جدال
المشركين المذكور في قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وهو
قولهم تاكلون ما امتم ولا تاكلون ما اماته الله وقال الزجاج فلا ينازعنك
في الامر اي فلا تنازعهم وهو مستقيم في كل فعل يكون بين اثنين ونهي لاحدهما
نهي للاخر لا تخاصمنك فلان اي لا تخاصمه وانما نهي عنه لانهم كانوا يجادلونه
لا لطلب الحق بل للتعنت وقوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض
فلا يخفى عليه حال المجادلين ويجزيهم على ذلك يوم الدين ان ذلك في كتاب

اي كل ما في السماء والارض فهو مكتوب في ام الكتاب عنده قبل خلقهما ان ذلك على
الله يسير ان اثباته في الكتاب سهل عليه لا يلحقه فيه مؤنة كما يلحق كتبة الخلق
وقيل اي الحكم بينهم يوم القيامة يسير لا يلحقه ما يلحق قضاة الخلق من الجهد
الى استنباط وجه الحكم ونحو ذلك وقيل نزلت في بديل بن ورقا الخزاعي وبشر
بن سفيان ويزيد بن خنيس من بني الحارث بن عبد مناف انهم قالوا لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون ما تقتلون ولا تاكلون ما يقتله الله
فنزلت فلا ينازعنك في الامر وقال القشيري جعل لكل فريق شرعة هم واردوها
ولكل جماعة طريقة هم سالكوها ومقاما هم سكانه ومحلا هم قطانه
ربط كلا بما اهله له واوصل كلا الى ما جعله محله فبساط التعبد موطوء
باقدام العابدين ومشاهد الاجتهاد معمورة باصحاب الكلف من المجتهدين
ومجالس اصحاب المعارف مانوسة بلزوم العارفين ومنازل المحبين ماهولة
بحضور الواجدين وقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي
حجة لانهم يعبدون ما لا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع وهذا ما لا حجة لاحد في
عبادته ولو كانت في ذلك حجة لانزلها الله في كتابه وما ليس لهم به علم اي يعبدون
ذلك مقلدين اباءهم من غير علم بذلك وما للظالمين من نصير وهذا وعيد لهم اي
واذا نزل بهم عذاب الله في الدنيا والاخرة لم يكن لهم منه مانع واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات اي واذا قرئ على هولاء الذين يعبدون كتابنا الذي جعلنا اياته

اعلاما للناس الى ما بهم اليه حاجة ووجدوها واضحات لا لبس فيها ولا
موضع اعتراض وعجزوا عن معارضته ٥ تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي
التغير لسماعه والكراهة والاغتياظ لما لديه ٥ يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم اياتنا يبطشون بهم ويثبون عليهم قل افانبئكم بشر من ذلكم اي باكره من
سماع هذا القران عندكم وقيل بشر من ذلكم اي باشد واغلظ النار اي ذلك هو
النار وعدها الله الذين كفروا وانتم منهم وبئس المصير اي بئس المرجع النار
وقوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له منتظم بقوله ويعبدون من
دون الله ما لم ينزل به سلطانا تقول يا ايها الناس جعل لي مثل اي مثل وهو كالشبه
والشبيه اي جعل الكفار الصنم لي شبيها فاستمعوا له اي استمعوا لاجل ما شبهوه
بي لتقفوا على جهلهم ان الذين تدعون من دون الله ايها المشركون اي تدعونهم الهة
وقيل اي تعبدونها لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلق ذباب مع صغره
وقلته ولو اجتمعوا له مع كثرتهم وان يسلبهم الذباب شيئا اي لو استلب
الذباب من هذه الاصنام شيئا ٥ لا يستنقذوه منه اي لا يقدروا على ان يخلصوه
منه وحذفه لكونه جزاء الشرط والجمع بالهاء والميم والواو وهي لا تعقل لما
انهم انزلوها في هذا منزلة العقلاء كما قلنا في قوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
ضعف الطالب والمطلوب ضعف الصنم الذي سلبه الذباب شيئا فصار
طالبا عند الذباب ما اخذه منه والمطلوب الذباب يثبت عليه ما سلبه

ويتوجه عليه الطلب وقيل معناه على هذا ضعف كل واحد منهما فلا فرق بين
من عبد هذا او ذاك بل الذباب اقرب الى القوة والعزة من الصنم الذي
لا يدفع سلب الذباب عنه وعن ابن عباس ان المشركين كانوا يلطخون اصنامهم
بالعسل في كل سنة مرة ويغلقون ابواب البيوت فيدخل الذباب في الكوى
فياكل ذلك العسل فاذا راوا ذلك قالوا اكلت الهتنا العسل فعلى هذا الطالب
الذباب والمطلوب الصنم وقال ابن كيسان وابن زيد كانوا يحلون الاصنام بالجواهر
واليواقيت فربما تسقط منها واحدة فياخذها طائر او ذباب فلا يقدر
الالهة على استردادها فالطالب في هذا القول الطائر والذباب
والمطلوب الصنم وقيل هذا منقطع عن الاول وهو الذباب ومعناه
ضعف الطالب من بني ادم حاجة الى الصنم والراجي منه نفعا او شفاعة
اذ صار يؤمل جمادا لا يدفع ولا ينفع ضعف الصنم المطلوب المطلوب
منه الحاجة وهو معنى قول الضحاك ضعف العابد والمعبود كانوا يطلبون
في عبادتهم الثواب ٥ ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته وقيل
ما وصفوه حق صفته قال الفراء هو كما تقول في الكلام ما عرفت لفلان قدره ان
الله لقوي على خلق ما يشاء من صغير وكبير عزيز اي منيع لا يقدر احد ان يسلب
من ملكه شيئا وقيل يا ايها الناس ضرب مثل اي بين مثل لعبادة الكفار الاصنام
لم نبينه في هذه السورة ويتبين في قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل
العنكبوت

وقيل ما ذكرها هنا مثل ايضا تقديرا يا ايها الناس مثلكم مثل من عبد الهة احتمعت
لان يخلقوا ذبابا فلم تقدر عليه وسلبها الذباب شيئا فلم تستنقذه منه وقوله تعالى ه
الله يصطفي من الملائكة رسلا اى يختار منهم رسلا يوحي الى السنتهم كجبريل وميكائيل
ونحوهما ومن الناس ايضا رسلا منهم محمد صلى الله عليه وسلم لتبليغ ما في هذه السوره
وساير رسالاته ان الله سميع بصير عالم بكل شي فهو يعلم مواضع الاختيار والاصطفا
قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين يعلم ما بين ايديهم قبل خلقهم وما خلفهم
بعد ان خلقهم وقال الكلبي ما بين ايديهم من امر الاخره وما خلفهم من امر الدنيا وقيل
على عكسه ه والى الله ترجع الامور اى الى علمه وتدبيره وقيل الى الله ترجع الامور
في الاخره فيجزي كلا بما عمله وهو تحريك على طاعة الرسل وقبول ما يؤدون ه ه
وقوله تعالى ه يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اى صلوا ودوموا عليها وخص
الركوع والسجود بالذكر من افعالها لانهما هما المقصودان في الصلاة في التذلل
والخشوع الذي لذلك شرعت واعبدوا ربكم بقول اقصدوا بالخدمة وافردوا بالعبادة
ربكم لا كما تفعله هولا المشركون من عبادة الاصنام الذين جعلوا الله شبها وافعلوا
الخير اى ما هو محمود في عقولكم من العدل والاحسان وايتا ذى القربى ونحوها لعلكم
تفلحون على رجا الفلاح والتعليق بالرجا لاحتمال الخلل الذى يقع فيها وجاهدوا
في الله حق جهاده فلا تستفرغوا جهدكم في احيا دين الله وقيل جاهدوا انفسكم و
ردوها عن الهوى واتباع الشهوه وقيل جاهدوا الشيطان في رد وساوسه

وقيل وجاهدوا الكفار والطاقة تصلح لتناول الكل حق جهاده وهو بلوغ
اقصاه وقيل هذا في الانتهار بالاوامر وقوله اتقوا الله حق تقاته هو في الانتها
عن نواهيه هو اجتبيكم هو اختاركم فلا اى هو الذب عن دينه والجهاد مع اعدايه
وما جعل عليكم في الدين من حرج من ضيق اى وان كان امر بالجهاد فلا تضييق فيه
ولذلك ازال الحرج في الجهاد عن الاعمى والاعرج وعادم النفقة والراحلة و
الذى لا ياذن له ابواه ثم هذا كل الدين ملة ابيكم ابراهيم نصب على الاغرا اى
الزموا ملة ابيكم ابراهيم هو سميكم المسلمين اى الله شرفكم بهذا الاسم من قبل
اى من قبل ان بعث محمدا عليه السلام لانه كان يسمى من اتبع ملة ابراهيم حنيفا
مسلما ه وفي هذا اى القران وقيل من قبل اى في اللوح المحفوظ وقيل هو سميكم ه
المسلمين اى ابراهيم بقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقوله ابيكم خطاب
للعرب لانه ابوهم في النسب وقال الحسن هو خطاب لكل الامة وهو ابوهم
ملة وحرمته عليهم كحرمة الاب وكذلك الشفقة وهو كما قال الله تعالى في حق نبينا
عليه السلام النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم ليكون الرسول شهيدا
عليكم اى في القيامة بانكم قبلتم ما اتى به وظهرت بذلك عدالتكم وتكونوا شهدا
على الناس للانبيا على الامم بتبليغهم اليهم الرسالة فاقيموا الصلوه واتوا الزكوه
دوموا على ذلك والصلوة تذلل لله والزكوه مواساة لضعفى عباد الله ه
واعتصموا بالله تقووا بالتوكل على الله وقيل تعلقوا بدين الله وقيل امتنعوا عن
اعدايكم بالله

هو مولیکم ای متولی امورکم ومصالح دینکم ودنیاکم وقیل ناصرکم فنعم المولی لان من تولاه
لم یضعه بحال ونعم النصیر فان من نصره لم یخذله بحال وقال القشیری المجاهدة
علی اقسام مجاهدة بالنفس وهی ان لا تدخر میسورا الا بذلته فی طاعته ومجاهدة
بالقلب وهی صونه عن الخواطر الردیه مثل الغفلة عنه والعزم علی مخالفته
ومجاهدة بالمال وهی بذل المال والجود والایثار فی حق خلیقته وقال فی قوله
هو اجتبیکم ومن حق اجتبائه ایاکم ان تعظموا امره لکم وقال علیم من خلقک
ما یکون منک ولم یمنعه ذلک عن اجتبائک فلا یمنعه ما یکون منک من العصیان عن
مغفرتک وقال واعتصموا بالله بالتبری من الحول والقوة وحسن الافتقار والاستعانة
وقال نعم المولی اختار عن عظمته ونعم النصیر اختار عن رحمته قال وقال السلمان
وابوب نعم العبد وقال لنا نعم المولی ونعم النصیر وهذا ارجی لنا واطیب لقلوبنا ٥

سورة المومنین

بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الذی خلق الانسان من سلالة من طین الرحمن الذی یرزق البر والفاجر
وهو خیر الرازقین الرحیم الذی یغفر ویرحم وهو خیر الراحمین ٥ وروی ابی بن
کعب عن النبی علیه السلام انه قال من قرا سورة المومنین بشرته الملائکه بالروح
والریحان وما تقر به عینه عند نزول ملک الموت وهذه السوره مکیة وهی
مایه وثمان عشره ایه وقیل تسعه الاختلاف فی قوله ثم ارسلنا موسی واخاه هارون

وکلماتها الف وثمانمائة واربعون وحروفها اربعة الاف وثلثمائة وسبعة
وتسعون ٥ واتصال اول هذه السوره باخر سورة الحج انه قال واعبدوا ربکم
وافعلوا الخیر لعلکم تفلحون وقرر ذلک بقیة السوره حیث امرنا بالمجاهده حق
المجاهده فیها ومدحهم بها و[illegible] افتتح هذه السوره بذکر ذلک الفلاح
وتفاصیل العباده ومدحهم بها واتصال السورتین ان هذه السوره مشتمله
علی ذکر صفات المومنین ومحاجة الکافرین والترغیب والترهیب للعالمین
وکذلک تلک السوره قوله تعالی قد افلح قال ابن عباس قد فاز بما رجا وامن مما
خاف ٥ المومنون الذین هم فی صلوتهم خاشعون قال متذللون واخافون وقیل
ساکنون وقیل الخشوع فی الصلوه سکون الاطراف وترک الالتفات والاشتغال
بما عما یشغل عنها وروی ان النبی علیه السلام رای رجلا یعبث بلحیته فی الصلوه
فقال اما ان هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه قال ابو العالیه یعنی ان الله
تعالی لما خلق الجنه اذن لها فی الکلام فکان اول ما نطقت به ان قالت قد افلح
المومنون الذین هم فی صلوتهم خاشعون الایات فانزل الله بها قرانا وقال عمر
رضی الله عنه کان النبی علیه السلام اذا انزل علیه الوحی یسمع عند وجهه کدوی النحل
فمکثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع یدیه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واکرمنا
ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علینا وارضنا وارض عنا ثم قال
لقد انزلت علی عشر ایات من اقامهن دخل الجنه ثم قرا علینا قد افلح المومنون الی قوله

خالدون وعن ابن سيرين قال كان النبي عليه السلام اذا قام الى الصلوة رفع
راسه الى السماء حتى نزلت هذه الاية قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون
فخفض نبي الله عليه السلام بصره ونظر الى موضع سجوده وقال مجاهد الخشوع
خشية القلب وغض البصر وخفض الجناح وكان الرجل من العلما اذا صلى هاب
الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشيء من شان الدنيا وقال
القشيري الخشوع في الصلوة اطراق السر على بساط النجوى باستكمال نعت
الهيبة والذوب تحت سلطان الكشف والامحا عند غلبات التجلي وقال
في قوله قد افلح اي ادرك ثواب القرب وفاز بكمال الانس ومن وقف على بساط
النجوى بنعت الهيبة ومراعاة آداب الخلة الحضرة ولا يكمل الانس بلقاء
الحبيب الا عند فقد الرقيب واشد الرقبا واكثرهم تنغيصا للقرب النفس
ولا راحة للمصلي مع حضور نفسه فاذا حبس عنه نفسه وشاهده عدم احساسه
بآفة نفسه طاب له العيش وتمت له النعمى وتجلت له البشرى وقوله تعالى
والذين هم عن اللغو معرضون قال ابن عباس هو الحلف والكذب وقال مقاتل هو
الشتم والاذى وقال الحسن والضحاك هو الباطل وقيل هو ما لا يجدي خيرا
معرضون اي لا يشغلون انفسهم به وقيل جملته الفضول وما لا يحسن من
القول والفعل وقال القشيري ما شغل عن الله فهو سهو وما ليس لله فهو
حشو وما ليس بمسموع عن الله او بمقول مع الله فهو لغو وما فيه حظ العبد فهو لغو

وقوله تعالى والذين هم للزكوة فاعلون اي مؤدون وقوله تعالى والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم قال الفرا اي الا من ازواجهم اي زوجاتهم
او ما ملكت ايمانهم اي اماءهم فانهم غير ملومين اي لا لوم عليهم ان لم يحفظوا
فروجهم عن نسائهم واماءهم فهذا حلال وما وراء ذلك حرام ه فمن ابتغى وراء
ذلك اي طلب قضاء شهوته من غير هذين فاولئك هم العادون اي المتعدون
حدود الله وقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقرا ابن كثير
لامانتهم والمراد بها الجنس وهذا يشتمل على حقوق الله وحقوق عباده
قال الله تعالى انا عرضنا الامانة فلجميع العبادات وما ائتمن الله عباده عليه
من فرايضه وشرايعه وامانات الخلق ظاهره وهي داخلة فيها والعهد
يقع على ما يوفق الله تعالى فيه على عباده بان يقوموا به قال تعالى واوفوا بعهدي
ويقع على النذور والايمان ايضا وعلى عهود الخلق فيما بينهم راعون اي حافظون
جميع ذلك وقال القشيري الامانات مختلفة فامانة قوم الوظايف بظواهرهم
وامانة آخرين اللطايف في سرايرهم وامانة قوم معاملاتهم ولآخرين
منازلاتهم ولآخرين مواصلاتهم وكذلك عهودهم مختلفة فمنهم من عاهده على
ان لا يعبد سواه ومنهم من عاهده على ان لا يقصد سواه ومنهم من عاهده على ان لا
يشهد في الكونين سواه وقوله تعالى والذين هم على صلوتهم يحافظون قرا حمزة
والكسائي وخلف على صلوتهم وقرا الباقون على صلواتهم يحافظون اي يداومون

في اوقاتها على شرايطها ومراعاة حدودها وحقوقها ومعانيها وقال العسكري
لا تصاد فهم اوقاتها وهم غير مستعدين لها ولا تدعوهم المنادي اليها وليسوا
بالباب فهم في الصف الاول بظواهرهم وكذلك في الصف الاول بسرايرهم وقوله
اوليك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس اي الواجدون لثمرات اعمالهم والفردوس
الجنة بلسان الحبش وقال السدي البساتين عليها الحيطان بلسان الروم وقال
مجاهد فردوس جنة في الجنة من اصله تنفجر انهارها وروى سمرة بن جندب عن
رسول الله عليه السلام انه قال الفردوس ربوة الجنة العليا وهي اوسطها
واحسنها هم فيها خالدون لا يموتون فيها ولا يخرجون عنها وقال العسكري
الارث على حسب النسب والنسب في استحقاق وعد الجنة الاصل في الايمان
ثم الطاعات في الفضل واستحقاق الارث على تفاوت في السهمان وبالفرض
وبالتعصيب كذلك في الطاعات فمنهم ومنهم ثم ان الله تعالى وعد الفلاح
بالايمان مع الطاعات في اول السورة ونفى الفلاح بالكفر في اخر هذه السورة انه
لا يفلح الكافرون ولولاه لوقع عند العصاة ان الفلاح اذا كان بالايمان مع الطاعات
وفاتت الطاعات فات الفلاح فسكن قلوبهم وذكر ان عدم الفلاح بالكفر
لا بالمعاصي وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان بين في هذه الاية ابتدا خلق
الانسان وذكر ان اخره الموت ثم البعث للجزا وهو يحرك على الايمان والطاعة
التي بها ينال الفردوس يقول ولقد خلقنا الادمي من سلالة من طين

اي من طينة مستلة من كل تربة لان ادم خلق منها فكان اصلا لاولاده مجازا ان
يضاف خلقهم اليها اذا كان اصلهم مخلوقا منها ثم جعلناه اي الانسان وهو ولد ادم
بعد ان كان اصله الطين نطفة في اصلاب الابا وارحام الامهات فقذفه الصلب
حاله الا انتقل الى رحم المراة في قرار مكين هو الرحم اي في مقر متمكن لذلك اي حصين لم
يصل اليه ولقد خلقنا الادمي من سلالة اي نطفة مسلولة من طين اي من مخلوق
من طين وهو ادم لان النطفة سلت منه والسلالة تقع على النطفة قال تعالى ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين وتقديره ولقد خلقنا الانسان اي الادمي من سلالة من طين
ادم قال الشاعر هل انت الا من سلالة ادم لكل على حوض المنية مورد
وقيل ولقد خلقنا الانسان اي ادم من سلالة من طين اي من طين اذا قبض عليه انسل
من بين الاصابع ثم جعلناه اي جعلنا ولده نطفة فاضمر واختصر هاهنا وبسطه
في موضع اخر بقوله وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين
والنطفة المني والنطفة الما القليل ونطفت القربة اي قطرت ثم خلقنا النطفة
علقة اي نقلنا النطفة فجعلناها علقة اي دما غليظا فخلقنا العلقة مضغة
اي نقلنا العلقة فجعلناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما قرا ابن عامر وعاصم
في رواية ابي بكر وحماد وجبلة عن المفضل عظما فكسونا العظم لحما على الواحد
في موقعه لما قبلها وقرا زيد عن يعقوب عظما فكسونا العظام وروى القطعي
عن زيد عن المفضل عظاما فكسونا العظم وقرا الباقون عظاما فكسونا العظام لحما

لان الوجود كذلك اخبر انه تعالى حول الانسان درجة درجة الى ان صارت
النطفة التي هي كالماء عظما ثم ابدع فيها عرضا بعد عرض ثم انشاناه خلقا آخر
اي بنفخنا فيه الروح فصار روحانيا جسمانيا بعد ان كان جمادا وقيل هو نبات الشعر
وقيل هو تصريفه اياه بعد الولادة في الطفولة وما بعدها وقال ابن عباس خلقا آخر
هو استواء الشباب وقيل هو جعله ذكرا او انثى فتبارك الله احسن الخالقين
قيل تعظم وقيل دامت نعمه وبركاته على خلقه وقيل تعالى وقيل هو دوام بقائه
اي المصورون والمقدرون ليسوا بهذه الصفة ولذلك قال بعده ثم انكم
بعد ذلك لميتون اي والبقاء للخالق دونكم وقوله احسن الخالقين اي احسن
المقدرين قال زهير ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
وقال تعالى احسن كل شيء خلقه اي خلقه محكما يصلح لما اريد له ثم انكم
بعد ذلك لميتون اي بعد نفخ الروح فيكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون اي للجزاء
بالاعمال اذ خلقتكم للتعبد اي فاعلموا انكم لم تخلقوا عبثا كما قال في آخر السورة
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقال ابن عباس كان عبد الله بن سعد بن ابي سرح
اخا عثمان من الرضاعة وكان يكتب لرسول الله عليه السلام فاذا املى عليه وكان
الله عليما حكيما كتب سميعا بصيرا واذا املى عليه سميعا بصيرا كتب [illegible]
فكان رسول الله عليه السلام يملي عليه هذه الآية فلما بلغ قوله ثم انشاناه
خلقا آخر خطر بباله فتبارك الله احسن الخالقين فلما قال رسول الله عليه السلام

فتبارك الله احسن الخالقين قال عبد الله ارايت نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي
وارتد ولحق بمكة كافرا وقال القشيري ولقد خلقنا الانسان من سلالة عرفهم
اصلهم كيلا يعجبوا بفعلهم وقال عرفهم نسبتهم لئلا يخرجوا عن حدهم ولا يغلطوا
في انفسهم وقيل بسط عذرهم عند الكافة فان المخلوق من سلالة ماذا ينتظر منه
وقيل خلقهم من طين لكن القدر للتربية لا للتربة وقيل سلالة ولكنها معدن العرفان
وموضع المحبة ومتعلق العناية ومن قال يحبهم ويحبونه ثم جعلناه نطفة قطرة
اجزاؤها متماثلة وابعاضها متشاكلة ثم جعل بعضها لحما وبعضها عظما وبعضها
شعرا وبعضها ظفرا وبعضها عصبا وبعضها جلدا وبعضها مخا وبعضها عرقا
ثم خص كل عضو بهيئة مخصوصة وكل جزء بكيفية معلومة ثم انشاناه خلقا آخر
لحمل ما سمع وبصر وفكر وغضب وارادة وقدرة وعلم وكياسة وجلادة وخلاعة
وشجاعة وجبن وجهد وجود الى غير ذلك من الاوصاف التي تتقاصر عنها
الحصر وقيل هو ان هيأتهم لاحوال عزيزة تظهرها عليهم بعد بلوغهم اذا استووا
وحصل لهم كمال التمييز من فنون الاحوال فلقوم زينة العبودية ولقوم تحرر من
رق البشرية ولآخرين تحقق بالصفات الصمدية فتبارك الله احسن الخالقين
خلق السموات والارضين والعرش والكرسي مع سائر المخلوقات من الجنة بزينتها
والنار باهوالها واخبر عنها ولم يعقبها بهذا التمدح الذي ذكر بعد ذكر خلقه بني آدم
تخصيصا لهم وقيل لما ذكر نعتك وثناءك جمالك ولم يكن لك لسان شكر ينطق ولا بيان
فصيح ينطق

نائب عنك بالثنا على نفسه فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم
بعد ذلك لميتون اخر الامر ما ترى الى القبر واللحد والثرى كسر على اهل الغفلة
سطوة غفلتهم وقل دونهم شاصولتهم بقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون
ثم انكم يوم القيامة تبعثون وقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ثم بين
انه خلق ما به قوام معايشهم وما يتوصلون به الى ادا ما عليهم قال الفرا
سبع طرائق سبع سموات كل سما طريقة سميت بها لان بعضها فوق بعض من
قولهم طارق بين ثوبين جعل احدهما فوق الاخر وقيل سميت بها لانها طرائق
الملائكة للنزول والصعود وما كنا عن الخلق غافلين اي عن حاجتهم اليه
في اقامة مصالحهم وانزلنا من السما ما بقدر الايات في بيان خلق ما يحتاجون اليه
وقيل ما كنا غافلين عما يفعله الخلق من الشكر على هذا الانعام ومن كفران ذلك
وعلى هذا كنا زايده وتقديره ولسنا عن الخلق غافلين كلهم ولهذا كيف نكلم من
كان في المهد صبيا وانزلنا من السما ما بقدر اي بمقدار ما علمناه كافيا لهم
مصلحا لهم لانه عايدا المنافع معايشهم فاسكناه في الارض في العيون ونحوها
وانا على ذهاب به لقادرون اي على اذهابه ورفعه عن الارض وتغوير
العيون فلا يبقى لكم ما تشربونه وتسقونه دوابكم وزروعكم وحينئذ تهلكوا
تهلكوا عطشا لقادرون لان القادر على انشا الشي قادر على افنائه
نعم منته في انشائه وابقائه فانشانا لكم به اي بهذا الما جنات من نخل

واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ظل اي من الرطب والعنب وقيل فواكه كثيرة من الجنات
سوى هذين ومنها تاكلون ومن الفواكه وثمار الجنات من حيث بها قوتا وتتفكهون
من فواكهها جمع الاطعمة والفاكهة في الذكر وشجرة تخرج من طور سيناء عطف على
جنات اي وانشانا لكم بهذا الما شجرة الزيتون من طور سيناء قال ابن عباس ومجاهد اي
من جبل البركة وقال قتادة والضحاك اي جبل الحسن وقال ابن عباس هو كلمة النبطي
وهو الجبل الذي نودي منه موسى عليه السلام وقيل هو فيعال من السنا اي الرفعة وقرا
اهل الحجاز وابو عمرو بكسر السين والباقون بفتحها وخصت هذه الشجرة بالذكر للعبرة
لانها لا يراعيها احد بسقي وغيره وتخرج الثمرة التي منها الدهن الذي يعظم به
الفايدة وتكثر المنفعة تنبت بالدهن مكي وابو عمرو ويعقوب غير روح بضم
التا والباقون بفتحها ووجه الفتح ان الفعل يتعدى بالبا ووجه الضم انه يتعدى
والبا زايده ومعنى انبات الدهن انبات ثمر الدهن وهو كعصر الخمر عصر ما يصير
من خارجه الخمر وقيل تنبت بالدهن اي هي ومعها الدهن كما يقال جا فلان بالسيف
اي ومعه السيف ومعنى معها الدهن اي في ثمرها مادة اذا استخرج كان دهنا
وصبغ للاكلين اي ادام يصطبغ والصبغ هو الدهن وانما ادخل الواو لاجتماع
معنيين في الزيت معنى الادهان ومعنى الاصطباغ تقديره تنبت بما يسمى به
انتفاع الدهن من الاستصباح والتداوي والادهان ويسمى بما ينتفع الادام بالضم
الى الطعام وخص النخل والاعناب والزيتون هاهنا لان الرطب في الحجاز والشام

كانوا يرون هذه الاشيا وذكر اخراج هذه الشجرة من طور سينا تعريف بركتها
فان هذا الجبل مبارك وقد قال في صفة الزيتون شجرة مباركة وقوله تعالى
وان لكم في الانعام لعبرة اي ما تعتبرون به اي تستدلون به على قدرة الله
وعجيب صنعه نسقيكم مما في بطونها قرا نافع وابن عامر وعاصم في رواية
ابي بكر وحماد وسهل ويعقوب بفتح النون من السقي والباقون بضمها من الاسقا
وهما واحد يقول نخرج لكم من بطونها لبنا سايغا خالصا من بين فرث ودم ولكم
فيها منافع كثيرة سوى الالبان وهي منافع الاصواف والاوبار والاشعار والجلود
وغيرها ومنها تاكلون وهي لحمان الازواج الثمانية وشحومها ونحوها وعليها
اي وعلى الانعام في البر وعلى الفلك اي على السفن في البحر تحملون في اسفاركم
كما قال وتحمل اثقالكم الى بلد الاية وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
ذكر بعد ما بدا الخلق انه هيا لهم اسباب القيام بما لاجله خلقهم من القيام
بما به تقوم المعاش ومواترة الرسل ليبين ما به يتعبدوا وبدا بقصة شيخ الانبيا
نوح صلوات الله عليه فقال ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
اي وحدوه واطيعوه ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي اتقوا فقال الملا الذين
كفروا من قومه اي الاشراف لرد دعوتهم ما هذا الا بشر مثلكم انكروا كون الرسول
من البشر واختصاصه بالرسالة من بينهم مع تساويهم في البشرية وقالوا
يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يكون افضل واعلى في المنزلة عليكم ولو شا الله

اي لا نعبد غيره لانزل ملايكة للدعا الى ذلك لا بشرا امثالنا ما سمعنا بهذا
اي بما يدعونا اليه نوح من التوحيد وترك الشرك في اباينا الاولين ان هو الا رجل
به جنة اي جنون ولو كان عاقلا لما ادعى الرسالة لان من المحال عنده ان يبعث البشر
رسولا فتربصوا به حتى حين اي هو مجنون فلا تعجلوا بعقوبته بل دعوه الى
مدة فاما ان يموت او يبرح عن هذا او يفعلون به ما شئتم قال رب انصرني
بما كذبون اي انتقم لي منهم واحفظني من شرهم وقيل انصرني بتحقيق قولي لهم
في العذاب انه نازل بهم بما كذبوني من العذاب الذي انذرتهم به ان لم يومنوا
وقال هذا حين ايس من ايمانهم حين اوحى اليه لن يومن من قومك الا من قد
امن فاوحينا اليه اي اجبنا دعاه وارسلنا اليه رسولا من السما ان
اصنع الفلك باعيننا ووحينا اي اتخذ السفينة بمراى منا وبما نوحي اليك
من صفتها وبعث اليه جبريل حتى علمه ذلك وحقيقة قوله باعيننا ووحينا
اي واعلم انا حافظون لك وموحون اليك بما تحتاج اليه في اقامته فاذا جا امرنا
اي عذابنا بامرنا وفار التنور ذكرنا الاقاويل فيه في سورة هود فاسلك فيها
فادخل فيها اي في الفلك من كل زوجين اثنين من كل ذكر وانثى من الحيوانات ذكرا
وانثى اراد الا يقطع نسلها قال قتاده والحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما
يلد ويبيض فاما البق والذباب والدود فلم يحمل معه شيا منها الا خرج هذا
من الطين وقرا عاصم في رواية حفص من كل بالتنوين زوجين اثنين اي من كل صنف

ومن ذكر وانثى ٥ واهلك اى وادخل اهلك ايضا وهم نساؤه واولاده الا
من سبق عليه القول منهم اى بالهلاك فلا تدخله الفلك ٥ ولا تخاطبنى فى
الذين ظلموا انهم مغرقون اى لا تسالنى نجاة الذين كفروا والاذن بالادخال فى
السفينة فانى اغرقهم بالطوفان فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
[illegible] اى فى الفلك اى تمكنتم عليها راكبين فقل الحمد لله الذى نجانا من
القوم الظالمين اى من عذابهم وفيه امر بالحمد على هلاكهم وفى هلاكهم نجاة
المؤمنين وقل رب انزلنى منزلا مباركا قرا عاصم فى رواية ابى بكر وحماد بفتح
الميم وكسر الزاى والباقون بضم الميم وفتح الزاى فالفتح النزول وموضع النزول
وبالضم الانزال وموضع الانزال ويصلح كل واحد منهما مرادا وانت خير
المنزلين تكفى من انزلته كل ما به اليه حاجة وغيرك لا يتهيا له ذلك
قيل امر بهذا الدعاء ان يقوله اذا نزل وقيل امر بان يدعو به وهو فى السفينة
ملتمس وجود ذلك له اذا نزل ومعنى انزلنى منزلا مباركا اجعله نزولا يتبع
به الخيرات والمنافع على وعلى من معى حتى يكثر اتباعى الدين فاجاب
ذلك فقال يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وقال
[illegible] الانزال المبارك ان يكون لله وبالله وعلى شهود الله من غير غفلة
عن الله والمخالفة لامر الله ان فى ذلك لايات اى فى ذلك الاقتصاص لعلامات
على الحق يعرف بها وجوب متابعة الانبيا واستحقاق العقوبة على مخالفتهم

وان الله لا يعذب الا بعد انتها الحجة وان من فعل فعلهم جوزى جزاءهم ٥ وان كنا
لمبتلين له وجهان فى اللغة وما كنا الا مبتلين وقد كنا مبتلين قال قتادة اى لمبتلى
الله الناس قبلكم وكشفه لم يزل الله يبتلى الامم ليظهر المطيع من العاصى فمن اطاع
نجا ومن عصى هلك ٥ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وقيل
وان كنا لمبتلين من بعد قوم نوح كما ابتليناهم وقيل اى ارسال الرسل الى الامم كان للابتلا
وقوله تعالى ٥ ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ولم يسمه
وقيل هو صالح وقيل هو هود ٥ ان اعبدوا الله اى ارسلناه اليهم بهذا ما لكم من
اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة اى البعث
ولقاء ما وعد الله فى الاخرة ٥ واترفناهم فى الحيوة الدنيا اى وسعنا عليهم ونعمناهم
ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون اى يحتاج الى الغذا
بعينه كما تحتاجون اليه انتم ولو كان نبيا كان ملكا مستغنيا عن هذا ٥ ولئن
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اى بالانقياد للمثل والرضا بان يكون دونه
خسران ٥ ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون خبر ان المذكورة
اولا قوله مخرجون وان الثانية مكررة للتاكيد وقيل انكم مخرجون جملة تامة جعلت
خبرا للاول وهو كقوله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم
ومعناه ايعدكم هذا المدعى للنبوة انكم بعد ان تصيروا ترابا وعظاما لا لحوم
عليها ولا جلود تخرجون من قبوركم احيا وهذا استفهام بمعنى الانكار هيهات

هيهات لما توعدون اى بعيد بعيد هذا الموعود اى هو ما لا يكون ان هى الا حياتنا
الدنيا اى ما الحيوة الا هذه الحيوة القربى التى نحن فيها ٥ نموت ونحيا قيل هو على
التقديم والتاخير نحيى مدة ونموت بعد ذلك ٥ وما نحن بمبعوثين بعد الموت وقيل على
الصدر على النظم معناه نموت بعضنا ونحيى بعضنا ٥ ان هو الا رجل افترى على الله
كذبا اى ما هذا الذى يدعى الرسالة الا رجل كذب على الله ٥ وما نحن له بمؤمنين اى بمصدقين
قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين اى قال الله تعالى اليه عن
قرب وهذا القليل من الزمان تحمله ليصبحن قومك اى ليصيرن نادمين على تكذيبهم
اياك اذا اخذهم العذاب ولا تنفعهم الندامة ٥ فاخذتهم الصيحة العقوبة الهائلة
او حقيقة الصيحة من جبريل ٥ بالحق اى باستحقاقهم ذلك وقيل بالامر من الله وهو
الحق ٥ فجعلناهم غثاء اى موتى بالين كالغثاء وهو ما ياتى على وجه السيل من القصب
والحشيش ونحوه شبهوا بالغثاء البالى وتفرق الاوصال وقيل فى انهم صاروا
لا ينتفع بهم بوجه ٥ فبعدا للقوم الظالمين اى فهلاكا وقيل بعدا من كل خير الاول
من باب علم والثانى من باب شرف الظالمين المشركين ٥ ثم انشانا من بعدهم
قرونا آخرين اى امما فى ازمنة شتى وهاهنا اضمار كذبوا انبياءهم فاهلكناهم
والاضمار لما ذكر فى آخره كلما جاء امة رسولها كذبوه ٥ ما تسبق من امة اجلها
اى ما كان يتقدم امة من هولاء القرون الوقت الموقت لعذابهم وما يستاخرون ولا
يتاخرون عنه ٥ ثم ارسلنا رسلنا تترى تباعا متصلين ٥ كلما جاء امة رسولها

كذبوه جهلا منهم وتقليدا لاسلافهم واستثقالا للشرايع فاتبعنا بعضهم
بعضا فى الاهلاك قال تعالى ألم نهلك الاولين الآيات ٥ وجعلناهم احاديث
اى صيرناهم الحكايات يتحدث الناس بعدهم بذكرهم ويتعجبون منهم فبعدا لقوم
لا يومنون وقوله تعالى ٥ ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا بالاعلام الدالة
على صحة نبوتهما وسلطان مبين اى حجة ظاهرة وقيل الآيات المعجزات
والسلطان القوة والقدرة والملك وقيل السلطان الخاص الانقياد لهما ٥ الى
فرعون وملائه فاستكبروا اى فتعظموا عن الانقياد لهما وكانوا قوما عالين
اى كانوا قد قهروا من فى ناحيتهم من الناس واستعبدوهم ٥ فقالوا انومن لبشرين
مثلنا اى انصدق آدميين مثلنا فى ادعاء الرسالة من ربهما ووجوب الانقياد
لهما علينا ٥ وقومهما لنا عابدون اى بنو اسرائيل لنا مطيعون يرون انفسهم لنا
عبيدا فكيف نكون نحن مطيعين لهما وهم عابدون دائبون ٥ فكذبوهما فكانوا من
المهلكين فصاروا من المغرقين فى اليم وقوله تعالى ٥ ولقد آتينا موسى الكتاب
التورية لعلهم يهتدون ليهتدوا بها الى الحق ٥ وجعلنا ابن مريم اى عيسى وامه
اى مريم آية ولم يقل آيتين لانهما باجتماعهما صارا آية واحدة وهو ولادتها اياه ٥
من غير اب وقال وجعلنا الليل والنهار آيتين لان كل واحد منهما آية على حدة
ومعنى هذه الآية وجعلناهما آية اى علامة يستدل بها على قدرتنا على اختراع
الاجسام من غير اصل كما خلقت عيسى من غير اب وعلى انى المتفرد بالخلق والاختراع

لا خالق غيري وعلى صدق عيسى في دعوى النبوة فلم اخل الناس في كل وقت من
رسول يدعوهم الى الحق وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين اى جعلنا مأواهما
مكانا مرتفعا والربوة بفتح الراء وضمها وكسرها المكان المرتفع على ما حوله واختلف
فيها اين كانت قال ابو هريرة هي الرملة من فلسطين وقال سعيد بن المسيب هي
دمشق وقال ابن زيد هي مصر قال وقراها على الربى ولولاها غرقت بالماء وهو
قول الكلبي ايضا وقيل هي بيت المقدس وهو قول قتادة وهو انشز الارض
قال كعب هي ادنى الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا ذات قرار ذات استواء
يستقر عليه وقال قتادة ذات قرار ذات ثمار اى لاجلها يستقر فيها ساكنوها
ومعين ماء جار ظاهر للعيون قاله سعيد والضحاك ومعين مفعول من عنته
اعينه اى اصبته بعيني قال ابن عباس هذا الايواء كان عند الولادة وهو كما ذكر في
سورة مريم قد جعل ربك تحتك سريا الآيات وقيل كان هذا حين فرت مريم
بابنها الى مصر وكانا بها سنين ثم رجعت به الى اهلها بعد ما مات الملك الذي
كانا هربا منه وقوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم قيل اى كنا نقول لكل رسول كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا واضمار القول في القرآن كثير وقيل كان هذا خطابا لعيسى على اضمار القول
وتسمية الواحد بالجماعة تشريف له وقيل هو خطاب للنبي عليه السلام وكذلك يعني
اضمار القول وتسميته بالرسل لكونه افضل الرسل وسيد الرسل اني بما تعملون عليم

لا يخفى علي ما تعملونه وانا مجازيكم عليه فاجتهدوا في الطاعات وهي الصالحات
وتجنب الحرام واكل الحلال وهي الطيبات واذا كان الامر للانبيا ولنبينا على
الخصوص بهذا فمن سواهم اولى به وقوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة
قرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم بكسر الالف وهو ابتدا وقرأ الباقون بفتحها
عطفا على قوله اني بما تعملون عليم وبان هذه امتكم قاله الكسائي وابو عمرو وقرأ
في قول وعنه انه قال اضمر في اوله واعلموا ان هذه يقول هذا الذي تقدم ذكره
من وصية الله لرسله بالتوحيد والطاعة ووصية الرسل لاممهم هو دينكم
وملتكم وهي واحدة لا تختلف في الاصل فالزموها وتمسكوا بها وانا ربكم وحدي
فاتقون اى فخافوا عقابي في مخالفتكم امري وقد اوضحنا هذا في اخر سورة الانبيا
وقيل الامة الجماعة والفريق والدين اى هؤلاء الذين ذكرتهم جماعتكم وفريقكم
الذي ينبغي ان تقتدوا بهم وتكونوا من جملتهم امة واحدة نصب على القطع و
معناه هم فرقة مجتمعة على التوحيد وقوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم اخبر
عن تفرق اهل الكتاب في دينهم يقول فصار هؤلاء الذين امروا بالاجتماع على
الدين الحق فرقا في امرهم اى في امر دينهم زبرا بضم الباء اى كتبا جمع زبور وقال
الحسن وقتادة ومجاهد وابن زيد تقطعوا وتقسموا كتبا دانوا بها وكفروا بما
سواها كاليهود في قبول التورية وكفرهم بالانجيل والقرآن وكالنصارى في قبول
الانجيل وكفرهم بالقرآن وقرأ ابو عمرو في رواية عباس زبرا بفتح الباء جمع زبرة

أي جماعات كقطع الحديد أي تقسموا جماعات مختلفة متفرقة وقال القشيري
فتقطعوا أمرهم بينهم فمستقيم على حقه وثابت في غيه ومصر على عصيانه
ونشقيه ومقيم على إحسانه وصدقه كل مربوط بحده موقوف على ما قسم
له في البداية من شأنه كل ينتحل طريقة ويدعي الحسن طريقته حقيقة وعند
صحو سما قلوب أرباب التوحيد لا غبار في الطريق وهم على نفس معارفهم ولا
ريب تتخالجهم ولا شبهة وأهل الباطل في عمام جهلهم وغبار جحدهم وظلمة
تقليدهم ومحنة شكهم وقوله تعالى فذرهم في غمرتهم حتى حين أي فدع
يا محمد هؤلاء الضلال المتقطعين أمرهم بينهم في ضلالتهم وغفلتهم و
الغمرة ما يغمر القلب ويغطي عليه فيغفل صاحبه عن النظر لنفسه ومنه
الرجل الغمر ومنه غمرة الماء ومنه قولهم دخل في غمار الناس أي في زحمتهم
بحيث يستتر عن الأبصار حتى حين أي إلى وقت نزول العذاب بهم ولا يضيق
قلبك بتأخير العذاب عنهم وذلك الوقت قد يكون بالموت بعد تواد ذلك وقد يكون
بنزول العذاب ولا ينفعهم الندم كما وقع لفرعون حين أدركه الغرق وقوله
تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
استفهام بمعنى الإنكار أي أتظنون أنما نزيدهم ونعطيهم على الترادف
من الأموال والأبناء نسارع لهم به في الخيرات أي نجعله ثوابا وكرامة معجلة
لهم على حسن صنيعهم عندنا بل هو رد ما قبله أي ليس كذلك لا يشعرون

لا يعلمون أن ذلك لنتعبدهم بالشكر عليها بالتوحيد والطاعة وقيل نفعله
استدراجا لهم وهو كقوله فلا تعجبك أموالهم إلى آخره والإضمار في قوله نسارع
لهم به في الخيرات كالإضمار في قوله ويفعلون ما يؤمرون أي به وقوله بل هم يعدلون
أي بالله غيره وقوله تعالى إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون أي من
خوفهم ربهم مشفقون من عذابه وقال الضحاك يخافون أن ينزع عنهم الإيمان
والذين هم بآيات ربهم يؤمنون أي بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين
تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب والذين هم بربهم لا يشركون كمشركي العرب
والذين يؤتون ما آتوا أي يعطون ما أعطوا من أموالهم في حقوق الله وقلوبهم
وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أي خائفة أن لا تقبل ولا تنفعهم ذلك إذا
رجعوا إلى جزاء الله يوم القيامة وقرأت عائشة يأتون ما أتوا أي يفعلون ما
فعلوا وسألت عائشة رسول الله عليه السلام فقالت أهم الذين يزنون ويسرقون
ويشربون الخمر قال لا هم الذين يصلون ويزكون ويحجون ويصومون ويخافون
أن لا يقبل منهم وقال كعب لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لخشي أن لا ينجو
من عذاب يوم القيامة وقال الحسن لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق
عدد هذا الحصى خشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم وقال الحسن لقد عمرت
عمرا وأدركت صدرا من الناس والذي لا إله إلا هو لهم فيما أحل لهم كانوا أزهد منكم
فيما حرم عليكم وهم بحسناتهم أن لا تقبل منهم كانوا أشد خوفا منكم لسيئاتكم أن

ان يؤاخذوا بها اولئك يسارعون في الخيرات اى هؤلاء هم الذين نسارع لهم فيها الا الذين تقطعوا امرهم بينهم وهم لها سابقون اى الى الخيرات واللام بمعنى الى كما فى قوله بان ربك اوحى لها اى اليها وقيل لها اى لاجلها اى من جهة خيراتهم هم سابقون الى الجنة وقال القشيرى اولئك يسارعون في الخيرات مسارع بقدمه من حيث الطاعات ومسارع بهمته من حيث المواصلات ومسارع بندمه من حيث تجرع الحسرات والكل مصيب ولكل امرئ ما له على ما يليق بحاله نصيب وقوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها اى لا نحمل من الخيرات احدا شيئا الا ما فى وسعه وهو دون طاقته قال القشيرى مطالبات الشريعة مقرونة بالسهولة واما مطالبات الحقيقة فعدوا لوا ليس الا بذل الروح والا فلا تشتغل بالترهات قال للمستضعفين وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال لاهل الحقائق وجاهدوا فى الله حق جهاده ولدينا كتاب كتبته الملائكة فيه اعمال العباد ينطق بالحق اى يشرح جميع ما عمله العبد على الصدق فهذا الكتاب محفوظ عند ملائكة الله واضافه الى نفسه لانهم يحفظونها بامره ويخرج يوم القيامة ويحاسب عليه ويجازى به وقيل ولدينا كتاب كتبناه فيه ما سبق ما هم عاملون فهم يعملون ذلك ونحن نجازيهم به وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يعذبون بغير ذنب بل قلوبهم فى غمرة بل رد للكلام مضمر وكانه هذا ليس تركهم الايمان لقصور فى البيان لكن قلوبهم فى غطا وغفلة للحمية الجاهلية والف التقليد وترك التدبر من هذا بل اى العذاب

وقيل اى بما سبق ذكره وقيل من الكتاب الذى عندنا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون قيل اى سوى ذلك يعنى هم عاملون اعمالا اخر سوى ذلك الى غمرتهم متعاقبون على الكل وقيل دون ذلك اى ادنى من ذلك وهو المعاصى والاول الكفر اى يعملون ذلك متعاقبون على الجميع وقيل معناه ولهؤلاء المشركين اعمال اخر اقبح من هذه الاعمال التى ذكرناها فهم يعملونها للحال لم نذكرها لكم وقيل بل هذا اخبار عما يعملون بعد هذا ولهم مدة يبقون البهائم ناخذهم اذا جاء وقتها وقيل معناه من دون ذلك اى من قبل نزول العذاب بهم وقوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم،، بالعذاب بيان غاية ذلك وقيل لهم اعمال من دون ذلك اى قلوبهم فى غفلة عن طلب الحق ولهم اشتغال سوى الحق هم بها مشتغلون منصرفون عن الحق وقال القشيرى لا يصلح لهذا الشان الا من كان فارغا عن جميع الاعمال واكثر اصحاب الدنيا مشغولون بدنياهم وارباب العقبى بعقباهم واهل النار سلوا بهم ومن الذى له فى الدارين عن مولاه خبر الفراغ عزيز قال الله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون وقوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اى منعميهم بالعذاب اذا هم يجارون اى يستغيثون ويضجون ضجيج من نزل به ما لا يقدر على دفعه ونزل بهم هذا يوم بدر اخذهم الله وسامتهم بالسيف تجار اهل مكة لذلك لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون اى لا تضجوا فلا استغاثة الى غيرنا فلا مانع لكم عن عذابنا ونحن لا تضجوا الينا فلا نصرة لكم عندنا والمراد

بهذا النهي الخبر انكم وان ضججتم فلا نصرة لكم ٥ قد كانت اياتي تتلى عليكم اى
القران فكنتم على اعقابكم تنكصون اى ترجعون القهقرى مستكبرين به قال اكثر
المفسرين به اى بالبيت او بالحرم وكانوا يفتخرون على كل الناس بكونهم اهل الحرم
واهل البيت سامرا تهجرون اى متكلمين بالسمر ليلا حول الكعبة تقولون الهجر وهو
الهذيان الذي من حقه ان يهجر ويرفض وسامرا واحد بمعنى الجمع لوجوه
احدها انه حسن فصلح للجمع والثاني انه موضع الجمع والثالث انه فاعل يستعمل
للمصدر ثم المصدر يصلح نعتا للجمع والرابع ما قال ابو عمرو الشيباني يقال
لمجلس القوم بالنهار النادي وبالليل السامر ثم ذكر المجلس يكون ذكرا للاهل قال
الله تعالى فليدع ناديه اى اهل ناديه وقال الشاعر
لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها وكانوا
يجتمعون بالليل حول الكعبة ويتحدثون بالقبيح في ذكر النبي عليه السلام وقرا
نافع تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وهما لغتان هجر واهجر وعلى القراءة الاولى
اى تهجرون الحق بالاعراض عنه او تهجرون النبي عليه السلام او القران وقوله به
كناية عن مكنى لم يسبق ذكره وهو كقوله ما ترك على ظهرها من دابة ثم يجوز ان
يكون به اى بالبيت صلة الاستكبار ويجوز ان يكون صلة السمر وقيل به اى
بالنكوص المذكور في قوله تنكصون وقال الضحاك حتى اذا اخذنا مترفيهم يعني
الجوع وذلك حين دعا النبي عليه السلام على مضر واجعلها عليهم سنين

في القنوت اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فالقى الله عليهم الجوع حتى اكلوا الجيف والاولاد وقوله تعالى
افلم يدبروا القول اى افلم يتدبروا هذا القران ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
وهذا توبيخ لهم بلفظ الاستفهام كانه قال ما عذرهم في الاعراض عن استماع
القران من الرسول والنكوص على الاعقاب الهو انهم لا يتدبرون القول الذي
يخاطبون به فالتقصير منهم ام يقولون لو كان لله رسول الى العرب لاتى ذلك
اباءنا الاولين واذ لم يات اباءهم لا ياتينا وهذا ليس بحجة ايضا لانه قد اتى غيرهم من
الامم رسل كثيرة قد سمعوا ذلك وتناهت به الاخبار المتواترة اليهم وهي
اخبار صالح وشعيب وهود وهم رسل الله الى العرب ام لم يعرفوا رسولهم فهم
له منكرون ام يحتجون في ترك سماعه من محمد انه مجهول فيهم لم يعرفوه بالصدق
والعقل وشرف الاصل وليس كذلك بل قد عرفوا مولده ومنشاه وصدقه
وامانته وخلاله المحمودة فما الذي ينفرهم عنه وهو اشارة الى ما مهد الله له
عليه السلام قبل ان بعثه من اسباب القبول من حسن التربية وتمام العصمة
من اول حاله الى مبعثه لم يخلق به امر شائن ليكون ذلك ادعى الى الركون
اليه والقبول منه ام يقولون به جنة اى جنون فليس من حقهم ان يسمع كلامه
وليس كذلك بل جاءهم بالحق اى ليس بهم شيء من هذا لكن جاءهم بالحق والانقياد
للحق ينفر عنه طباعهم بالجاهلية ميلا منهم الى الرياسة والانهماك
الجد والاثر

في لذاتها وذلك قوله واكثرهم للحق كارهون وقيل الحق التوحيد ٥ ولو اتبع الحق
اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن اي لو كان الحق تابعا لاهواء الناس
لبطل نظام العالم لان الاهواء مختلفة وطبايع الناس شتى متضادة فشهواتهم
تتضاد وتتنافر واجتماع المتضادات محال فلو اتبع الحق اهواءهم لافضى ذلك الى
وجود ما لا يتوهم وجوده في العقول وهو باطل ولان اهواءهم داعية الى القبيح
والحق يدعوا الى المحاسن فلو اتبع الحق اهواءهم لانقلبت الادلة وصارت الدلالة
على القبيح دليلا على الحسن والدلالة على الحسن دليلا على القبيح وفي انقلاب
الادلة انقلاب المدلول وسقوط حكم الادلة وفي ذلك فساد العالم فان بقاء العالم
ببقاء احكام الحق وبقاء الاحكام ببقاء ادلتها وقيل لو اتبع الحق اهواءهم فيما يعتقدونه
من الالهة لفسدت السموات والارض لما قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وقوله تعالى بل اتيناهم بذكرهم اي بما فيه شرفهم وعزهم فهم عن ذكرهم معرضون
بسوء اختيارهم وقيل معناه بذكر ما بهم الحاجة اليه في الدين وهذه الاية على القول
متصل بقوله واكثرهم للحق كارهون وما ينبغي ان يكرهوه ففيه شرفهم وفيه ذكر
ما يحتاجون اليه ٥ ام تسألهم خرجا فخراج قرا ابن عامر بغير الف فيهما وقرا
حمزة والكسائي وخلف بالالف فيهما وقرا الباقون خرجا بغير الف فخراج ربك بالالف
قال ابو عبيد وابو معاذ هما لغتان وقال الحسن هو الاجر على العمل يقول ام يتهمونك
فيما تدعوهم اليه انك تسألهم عليه اجرا فيظنون بك انك تطمع في اموالهم وهو

كقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ٥ فخراج ربك خير اي ما يؤتيك الله
من الاجر على طاعتك له في الدعاء اليه خير لك من عرض الدنيا ٥ وهو خير الرازقين
اي خير من اعطى عوضا على عمل لان ما نعطيه لا ينقطع ولا يتكدر وقد علمت ذلك
ورضيت به فما معنى اتهامهم لك بالطمع في اموالهم وفي هذا كله اخبار انهم
متعنتون محجوجون من كل وجه في ترك الاستماع اليك والتدبر لما جئتهم به
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تحقيق لما سبق ذكره ٥ وان الذين لا يؤمنون
بالاخرة عن الصراط لناكبون اي عن هذا الطريق المستقيم لعادلون مجانبون قال
القشيري زاغوا عن المحجة المثلى بقلوبهم فوقعوا في جحيم الفرقة وستزل اقدامهم
عن الصراط فيقعون في نار الحرقة فهم ناكبون في دنياهم وعقباهم وقوله تعالى
ولو رحمناهم متصل بقوله اذا هم يجارون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
للجوا في طغيانهم يعمهون اي لتمادوا في عتوهم مترددين اي لعادوا الى الطغيان
الذي به اخذناهم بالعذاب وهو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ٥ ولقد اخذناهم
بالعذاب فما استكانوا لربهم اي لقد اخذناهم قبل اخذنا مترفيهم بضرب من العذاب
فما تذللوا لربهم استكبارا منهم على الله وجراءة ثم اخبر عن عادتهم فقال وما يتضرعون
اي في الشدائد ولا يظهرون تذللا وانكسارا حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد اذا هم فيه مبلسون اي متحيرون لا يدرون ما يصنعون وقيل آيسون من
الفرج قبله ولقد اخذناهم بالعذاب هو ستة سنين في الجوع والقحط وهو قول مجاهد

وهو قوله قرية كانت آمنة مطمئنة الآية فما استكانوا لربهم ما زادوا على قولهم
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون على الوعد لا على التحقيق كقول قوم فرعون
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو
يوم بدر وقيل الاول عذاب الدنيا بالشدائد وقوله ذا عذاب شديد هو عذاب
الآخرة في النار وقوله تعالى وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا
ما تشكرون عدد نعمه وبين قدرته تنبيها على استغنائه عن طاعة خلقه وان
ارسال الرسل والامتحان لم يكن للحاجة فقال وهو الذي اي وربكم الذي خلق لكم
الاسماع والابصار لادراك الاصوات والالوان والافئدة للتمييز بين الحق والباطل
قليلا ما تشكرون اي لا تشكرون الا قليلا فخلقكم هو الصانع ثم تشركون به غيره وقيل
اي لا تشكرون له اصلا تقول العرب هذه ارض قلّ ما تنبت اي لا تنبت اصلا وهو
الذي ذرأكم اي خلقكم في الارض وبثكم فيها واليه تحشرون اي تبعثون وتجمعون
للجزاء وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي هو المالك والفاعل
لمجيء الليل والنهار احدهما بعد الآخر كما قال وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقيل
الاختلاف هو التفاوت بالزيادة والنقصان وهو الفاعل ذلك بهما افلا تعقلون
ان اختلافهما دليل حدوثهما وان لهما محدثا لا شريك له عالما قادرا مريدا بل قالوا
مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اي لم يعقلوا ذلك
ولم يتدبروا فيه ليعلموا ان من قدر على هذه الاشياء قدر على بعث الموتى فلا يستبعدوا

ذلك بل قالوا مثل ما قال سلفهم ائذا متنا وصرنا ترابا وعظاما بالية أئنبعث
وهذا انكار لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل اي قبل مجيء محمد ان هذا الا اساطير الاولين
ما هذا الا ما سطرته الاوائل من الاحاديث الاكاذيب وقيل نزلت الآية في آل
ابي طلحة منهم طلحة وشيبة وابو سعد ومسافع وارطاة بن شرحبيل والنضر
بن الحارث واخوه الحارث بن علقمة ابن كلدة هم الذين قالوا هذا القول
وقال العسكري ليس اختلاف الليل والنهار كله في ضيائهما وظلمتهما وطولهما
وقصرهما بل الليالي المختلفة تختلف في الطول والقصر وفي الروح وفي النوح فمن
الليالي ما هو اضوأ من النهار ومن النهار ما هو اشد ظلاما من الليل نقول كقولهم
وكم لظلام الليل عندك من يد تخبّر ان المانوية تكذب وقال آخر
ليالي وصال قد مضين كأنها لآلي عقود في نحور الكواعب
وايام هجر اعقبتها كأنها بياض مشيب في سواد الذوائب
وقوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فاجيبوا سيقولون لله
واقرارهم انها لله اقرار انه انشأها فهو مالكها قل افلا تذكرون كانه شيء كانوا
عالمين به لوضوحه فنسوه فذكروه بالتنبيه عليه فقال افلا تذكرون فتعلموا
بذلك ان من قدر عليها قدر على احياء الموتى وقيل افلا تتعظون بذلك فتتركوا الاشراك
بالله اذ هو القادر على هذا والاصنام غير قادرة عليه وقيل اي افلا تتعظون بذلك
فتتركوا جحود البعث اذ خالق هذه الاشياء لم يخلقها عبثا بل ليستأديكم شكره

عليها لم تميز بين المطيع منكم وبين العاصي وفي ذلك اثبات البعث والثواب
والعقاب ٥ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم قيل العرش
الملك ههنا وكانت العرب تقر بالملائكة وسكان السموات فقرر بذلك
فاما العرش الذي هو سرير فثبوته عند اهل الكتب وقيل كان ذلك عند العرب
تقرر
ايضا باخبار اهل الكتاب سيقولون لله وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب في هذا
وفي الذي بعده سيقولون الله وهذا ظاهر موافق للاسئلة وقرا الباقون سيقولون
لله قال الفرا وقطرب هذا محمول على المعنى لان من له الله اي لله هذه الاشيا وهذا
جواب صحيح فان من قال لاخر من مولاك فقال انا لفلان كفاه من ان يقول مولاي فلان
وانشدوا في ذلك

إذا قيل من رب القباب بموقف
ورب الجياد الجرد قيل لخالد

وانشدوا في عكسه
فقال السائلون لمن حفرتم   فقال المخبرون لهم وزير
اي وزير هو المحفور له
قل افلا تتقون اي عذاب الله في اتخاذكم غير الله الها معه وانتم تقرون انه
خالق هذه الاشيا ومالكها والاصنام لا تملك شيا منها ولا تخلقه وقيل افلا
تتقون في جحودكم قدرته على احيا الموتى مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه
الاشيا ٥ قل من بيده ملكوت كل شي اي يملك الاشيا كلها وقال مجاهد ملكوت
كل شي خزائن كل شي وهو يجير اي يمنع من يشاء من عباده ممن قصد الاضرار به
ولا يجار عليه ولا يمنع ولا يمكن منعه من اراده الله بسو ان كنتم تعلمون ذلك فاجيبوا

وقيل اي وهو يؤمن من اخافه غيره ومن اخافه هو لم يؤمنه غيره سيقولون
لله وجهه ما مر ان لله قدرة ذلك وملك ذلك ٥ قل فانى تسحرون اي فمن اي
وجه تخيل اليكم الباطل حقا حتى تشركوا به غيره وقيل فكيف تخدعون عن
الحق ٥ بل اتيناهم بالحق ليس شركهم على الله بنسبة الولد اليه لقصور البيان
بعد اتيناهم بالكتاب المبين ذلك واعطيناهم العقل الذي يتوصل به الى بطلان ذلك
وانهم لكاذبون في قولهم اتخذ الله ولدا وقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد لم يتخذ
الله الملائكة بنات له ٥ وما كان معه من اله وليس معه شريك في الالوهية اذا
لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض اي لو كان معه الهة لميز كل اله ما
خلقه هو وحده ولم يتركه مختلطا بمخلوق غيره وظهرت المنازعة واذ لا منازع
في شي من المخلوقات للتمييز بطل قول المشركين ولعلا بعضهم على بعض اي لغلب فان
الالهين لو توهمتا فاما ان يكونا اذا اراد احدهما شيا والاخر خلافه يحصل مرادهما او
لا يحصل شي او يحصل مراد احدهما ولا يجوز ان يحصل مرادهما جميعا لان الضدين لا يتصور
اجتماعهما ولو لم يحصل مرادهما جميعا فهما عاجزان فلا يكونان الهين واذا حصل
مراد احدهما دون الاخر فالذي حصل مراده هو القادر والاخر عاجز فبطل ان يكون
الها وهو في معنى قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا على ما قررناه ٥ سبحان
الله عما يصفون اي تنزيها لله عما يصفه به هولا وقيل هو بمعنى الامر اي نزهوه ٥ عالم
الغيب والشهادة قرا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وعاصم في رواية حفص

الا الخزاز بالخفض وصفا لقوله سبحان الله وقرا الباقون بالرفع على الابتدا
اي هو عالم الغيب والشهاده فلن يخفى عليه شي فخبره هو هو الحق دون قولهم هو كلا
فتعالى عما يشركون تقدس عن الشركا الذين يقولون وقوله تعالى قل رب اما تريني
ان شرط وما صله والنون المشدده تاكيد وكانه قسم وقوله ما يوعدون اي من العذاب
ويجوز من اوعد ويجوز من وعد كما قال وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون وقال
او نرينك الذي وعدناهم رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي معهم وفي جملتهم
في العذاب اخبر انه يعذبهم وامره ان يدعو بهذا وهو كما روي عنه انه كان يقول واذا
اردت بقوم فتنة وانا فيهم فاقبضني اليك غير مفتون والفا في فلا تجعلني لجواب
قوله اما تريني ولولاه لم يصلح الفا للابتدا ه وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
اي على ان نعذبهم ولكن نقبضك فتراه ه ادفع بالتي هي احسن اي بالمعاشرة التي
هي احمل السيئة اي معاملتهم القبيحة اي واحسن معاملتهم الحال تومر تقنا لهم
ليسلم بذلك من اذاهم نحن اعلم بما يصفون من الشرك فنجازيهم عليه وتاركك
تقنا لهم لوقته وقال القشيري ادفع بالتي هي احسن السيئة اي ادفع الجفا بالوفا
ادفع بما هو حظك بما هو حقه وقد فعل ذلك حين شج جبينه وادمي وجهه وكسرت
رباعيته والبيضه على راسه فقال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وقيل الاحسن
ما اشار اليه القلب والسيئة ما دعت اليه النفس ه وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين قيل اي نزغاته اي وساوسه واصله الطعن وهو طعن في القلب

[illegible]

من ترك دفع السيئة بالحسنى واستعجال العذاب واعوذ بك رب ان يحضرون
اي ياتوني وقيل هو حال حضره الموت واخوف ما يكون حضور الشيطان في تلك
الساعه وهو لتعليم الامة ان يدعوا به وقوله تعالى حتى اذا جا احدهم الموت
يتصل اذا ذكروا بالاخره والبعث قالوا ابدا كنا ترابا الى اخره هذا قولهم الى ان يحين
الموت فيتيقن بطلانه وجهالته في مقالته قال رب ارجعون يستغيث اولا
بالله فيقول رب ثم يقول للملايكة الذين حضروه لقبض الروح ارجعون اي ردوني
الى الدنيا لعلي اعمل صالحا اي لاعمل صالحا ولعل اصله للشك وها هنا لليقين لانه
جا له اليقين وهو كاطلاق لفظه الظن في معنى اليقين في ايات ه فيما تركت له
وجوه احدها في تركتي فاودي حقوق الله فيها واتقرب بها كما قال لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق والثاني فيما تركت في الموضع الذي تركت اي الدنيا تركت فيها
التوحيد والطاعة فالان اعمل صالحا في الدنيا التوحيد والطاعه والثالث فيما
تركت اي فيما تركت العمل الحسن الصالحات ه كلا ردع لما يسال اي لا يرجع وقيل ردا لما
بعده اي لو ردوا اليها لا يفي بها كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ه انها كلمة هو
قايلها قيل انها اي رب ارجعون كلمة يقولها الكافر عند الموت وقيل انها اي قول الله
كلا للرد كلمة هو اي الله قايلها وهو حق صدق لا خلف له وهو قوله ولن يوخر الله
نفسا اذا جا اجلها ه ومن ورايهم برزخ اي وامامهم حاجز يحجز بينهم وبين
الرجوع قال ابن زيد هو الحاجز بين الموت والبعث وقال مجاهد حاجز بين الموت

والرجوع الى الدنيا وقال الضحاك هو الحاجز بين الدنيا والاخرة ومن ورائهم حجز
بعد ذكر احدهم لان احدًا اصعب الى الجحيم فانصرف هذا الى اولئك الجمع الى يوم يبعثون
من قبورهم للحساب والجزا وقال ابن عباس هذا في الكافر اذا حضره الموت وراى
ما حل به من نقمة الله سال الرجعة الى الدنيا لانه علم ان الله لا يقبل توبة بعد الموت
لعلي اعمل صالحا اقول لا اله الا الله مخلصًا كلا اى هيهات يقوله عند موته لندامته
وقوله تعالى فاذا نفخ في الصور للبعث فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
اى اذا سيقوا الى موقف الحساب شغلهم الحزن والخوف عن ان يتناسبوا في ذلك
الموضع ليعرف بعضهم بعضًا بالنسب ولا يتفاخرون ايضا بالانساب كما فعلوا
في الدنيا ولا يسال بعضهم بعضا عن حاله كما يتساءلون في الدنيا على سبيل التعاطف
وقيل هذا حال الكل على العموم بدليل انه فصل بعده حال الفريقين فمن ثقلت موازينه
ومن خفت موازينه ولا يشكل هذا بقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان ذلك
قولهم من بعثنا من مرقدنا هذا ثم يتساءلون في الموقف ولا يتساءلون وقيل فاذا نفخ في
الصور اى النفخة الاولى فيسقط التواصل بالقرابات والتساءل عن الحالات وقال
ابن عباس اذا نفخ النفخة الاولى هلك كل شي الا ما شا الله وتقطعت الانساب وذهبت
المسايلة ثم نفخ النفخة الثانية فقاموا جميعًا لرب العالمين واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون وقال النبي عليه السلام في صفة الصور ان عظم دارة منه كعرض السما
والارض ويقول اسرافيل في النفخة الثانية ايتها الاجساد البالية والجلود الممزقة

والنجوم المتفرقة والعظام النخرة والعروق المتقطعة والشعور المتطايرة
قوموا لفصل الديان قد اقام القيامة فيجيبون جميعا في اقل لحظة وفي الخبر
ان بين النفختين اربعين سنة تمطر السما وتنبت الارض وتمضي فصول السنة
وليس في السما والارض حيوان وقيل ولا يتساءلون في القيامة عن الانساب
انما يسالون عن الاعمال قال تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون ٥
وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون فسرنا الاية في الاعراف وغيرها
وقوله تعالى تلفح وجوههم النار اى تحرقها وهم فيها كالحون الكلوح تقلص
الشفتين من العبوس حتى تبدو الاسنان اذا لفحت النار وجوههم تقلصت
شفاههم وبدت اسنانهم وتغيرت بذلك مناظرهم وقبحت صورهم وقال
عليه السلام تقلص شفة الكافر العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي
شفته السفلى حتى تضرب سرته وقوله تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم
اى يقال لهم في النار الم يكن كتابي المنزل على رسولي تقرا عليكم فكنتم بها تكذبون
وتزعمون انها ليست من الله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وحمزة والكسائي
وخلف شقاوتنا بالالف وفتح الشين وقرا الباقون شقوتنا بكسر الشين وحذف
الالف ومعناه قال اهل النار غلب علينا ما سبق لنا في سابق علمك وكتب في ام
الكتاب من الشقاوة وكنا قوما ضالين في الدنيا عن طريق الهدى وهو كقوله حقت

برجستن

عليهم كلمة ربك وقيل اى غلبت علينا الاعمال الرديه والامور القبيحة التي
شقينا بها وكنا في فعلها ضالين عن الحق والصواب ولبئس هذا الاعتذار بل
اعتراف منهم بسوء الصنيع ربنا اخرجنا منها اى من جهنم فان عدنا في الكفر
والمعصية فانا ظالمون بالعود اى فلا نعود قال اخسئوا فيها اى ابعدوا في النار
ولا تكلمون وهو ابلغ ما يكون من الاذلال قال الحسن وهو اخر كلام اهل النار فلا
يقدرون على الكلام بعده فلا يبقى لهم الا زفير وشهيق وقال ابو الدرداء يرسل
على اهل النار الجوع حتى ينسيهم ذلك كل عذاب فيستغيثون فيغاثون
بالضريع فينشب في حلوقهم فيذكرون انهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص
بالشراب فيستغيثون بالشراب فيسقون الحميم فاذا ادنوه من وجوههم
شوى وجوههم فاذا دخل بطونهم قطع امعاءهم فيدعون خزنة النار ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فيقولون ادعوا مالكا
فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجاوبون بعد الف سنة انكم ماكثون فيقولون
ادعوا ربكم فليس احد خيرا لكم من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا الى قوله
ظالمون وفي حديث عبد الله بن عمرو فلا يجاوبون قدر الدنيا مرتين ثم يقول الله لهم
اخسئوا فيها ولا تكلمون فما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق
في نار جهنم اصوات كاصوات الحمير اولها زفير واخرها شهيق وفي حديث محمد بن

كعب القرظي اقبل بعضهم على بعض ينبح نباح الكلب واطبقت عليهم قوله
انه كان فريق من عبادي وهم المؤمنون يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت
خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا قرا حمزة والكسائي وخلف وابو جعفر ونافع و
عاصم في رواية المفضل والخزاز بضم السين والباقون بكسرها قيل هما بمعنى الهزء
اي فضحكة يا معشر الكفار هؤلاء المؤمنين بل استهزءوا والقهر حتى انسوكم ذكري
اي انساكم بذلك ذكري واضاف اليهم بطريق التسبب وهو كقوله في الاصنام رب
انهن اضللن كثيرا من الناس وكنتم منهم تضحكون مستخفين بهم اني جزيتهم
اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية الخزاز انهم
بالكسر على الاستيناف وجزيتهم بفضيحتهم بما جزوا به الجنة او الكرامة وقرا
الباقون انهم على وقوع الجزاء عليه اي جزيتهم الفوز من العذاب والنيل للثواب
قال كم لبثتم في الارض عدد سنين يخاطبهم توبيخا لهم على انكار البعث و
استبعاده فيقول كم لبثتم في الدنيا من السنين الخالية بعد قالوا لبثنا يوما او
بعض يوم تقليلا لمدة الدنيا كقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او
ضحيها وقيل نسيانا له لعظم ما هم فيه فاسال العادين اي العارفين عدد ذلك
فانا قد نسيناه وعلى تاويل التقليل لا نتيقن مثله عددا للسنين فاسال من
يعرف ذلك وقيل المراد من العادين هم الملائكة لانهم كانوا يعدون الانفاس و
الاوقات وقيل المراد به المنجمون لانهم كانوا يحفظون ذلك وقال مجاهد وعكرمه

معاشر

والسدي وغيرهم فاسأل العادين يعني الملائكة الذين جعلهم الله حفظة
يكتبون ايام الدنيا وقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي اظننتم
في انكاركم البعث انا خلقناكم عبثا لعبا لغير فائدة لا نكلفكم في الدنيا ولا نبعثكم
للجزاء في العقبى وانكم الينا لا ترجعون قرا يعقوب وحمزة والكسائي وخلف بفتح
التاء والباقون بضمها الاول لازم والثاني هو ما لم يسم فاعله من المتعدي وقوله
فتعالى الله اي جل عن الاولاد والشركاء والانداد الله الملك الحق الذي يحق له
الملك دون غيره لا اله الا هو رب العرش الكريم الجليل في نفسه الخطير في
ذاته بجعل الله له ذلك الوصف وقال ابن عباس الكريم الشريف وقوله
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به اي لا حجة له عليه لان البرهان عقلي
او نقلي وليس في واحد منهما ما يجوز ان يكون معه اله اخر وهذا وان كان نحوا في
موضع الصفة فليس ليتبين من يدعي ذلك بلا برهان ممن يدعي ذلك ببرهان
بل هو صفة حقيقية لازمة تبين كما في قوله النبيون الذين اسلموا وقوله تعالى
فانما حسابه عند ربه هو جزاء هذا الشرط اي قد علم الله ذلك منه واعد له جزاءه
ثم هو لا يفلح ابدا انه لا يفلح الكافرون وما معنى قوله فانما حسابه عند ربه اي
هو الذي يحاسبه يوم القيامة ويجازيه انه لا يفلح الكافرون ذكر عدم فلاح
الكافرين في اخر السورة وذكر فلاح المؤمنين المطيعين في اول السورة وقوله هذا
في حالة الاكراه ومن يدع اي يتكلم به لا برهان له به اي لا حجة له وهذا التكلم

اي ولا يخبرك عن الغيوب مثل من يعلم حقيقتها وهو الله تعالى اي وقد اخبرتك
بما يكون من احوال هؤلاء يوم القيامة فتيقنه وقوله تعالى يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله اي المحتاجون اليه والله هو الغني اي المستغني عن كل الحميد
المستحق للحمد ما امركم ونهاكم لحاجة اليكم بل لحاجتكم اليه ونفع ذلك لكم
وضرره عائد اليكم ووجه اخر انتم الفقراء الى الله لا الى الاصنام فاياه فاعبدوا
ووجه اخر لا ترجوا الخلائق ولا تسالوهم فكلهم محتاجون بل الله فارجوا
اياه فاسئلوا ان يشا يذهبكم كلكم شريفكم ووضيعكم ويات بخلق جديد
وحده لان لفظ الخلق واحد واصله مصدر ومعناه مخلوق وما ذلك على
الله بعزيز اي بعسير وهو اذهابكم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى يوم القيامة فلا تغتروا بقول كبرائكم
المغترين بالدنيا القائلين لكم ولنحمل خطاياكم ولا تجزي نفس عن نفس شيئا
وان تدع مثقلة اي نفس مثقلة بالذنوب الى حملها لا يحمل من ذنوبها شيء لا يحمل
به شيء الكناية ترجع الى حملها ولو كان ذا قربى اي ولو كان مدعوها
قريبا لها من اب او ام او اخ او اخت او نحو ذلك فلكل امرئ منهم له شأن
يغنيه وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اي ان انذارك انما يقبله
وينتفع به من يخشى الله في حالة الغيب فاما من لم يخشه فلا ينتفع بانذارك
فكانه لم يسمع انذارك وكانك لم تنذره وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر

وخشي الرحمن بالغيب ولقوله هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب وقال انما
انت منذر من يخشيها واقاموا الصلوة ذكره بلفظ الماضي وذكر يخشون
بصيغة المستقبل لان الخشية صفة لازمة دايمة والصلوة موقتة لها
اوقات مخصوصة تنقضي بانقضايها وتنتهي بانتهايها ومن تزكى اي تطهر
من الاثام فانما يتزكى لنفسه فنفع ذلك له والى الله المصير اي مرجع الكل
من الخاشين المصلين المتزكين وغيرهم وقال بعض اهل المعرفة في قوله انتم
الفقرا الى الله وقال وانه هو اغنى واقنى ذكر الفقر في اية والغنا في اية فالمؤمن
فقير خلقة وغني خلعة وقال القشيري من افتقر الى شي استغنى بوجوده
فالمفتقر الى الله مستغني بالله والمستغني بالله مفتقر الى الله ومن اداب الفقر
الصادق اظهار التكسر عند كمال التكبر وقال الخوري (?) لم يسم عباده
فقرا اليه بانهم فان كرمه يتقدس عن ذلك ولا وصف نفسه غنيا افتخارا
به فان جلاله يتعالى عن ذلك لكن اراد به تقوية رجانا في جوده وكرمه
باعطاينا وقال [illegible] الم تدع ما هو صفته من استحقاق الغنى اولا كما تغنيك
واعطاك فوق ما يكفيك وقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير مثل
للضال والمهتدي ولا الظلمات ولا النور مثل للضلالات والهدى ولا الظل
ولا الحرور مثل الجزا للمهتدي وجزا الضال وقيل الظل الجنة قال تعالى وندخلهم
ظلا ظليلا والحرور النار واصل الحرور السموم وهي الريح الحارة والظل للراحة

والظل للراحة والحرور للتعب والشدة وقال الفرا الحرور يكون بالليل
والنهار والسموم لا يكون الا بالنهار وفي ديوان الادب الحرور شدة الحر
بالنهار وقال [illegible] بالليل والسموم شدة الحر بالليل وقد يعني بالنهار
ولا التي على الشك فيهما ه وما يستوي الاحيا ولا الاموات مثل
للمومنين والكفار قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه
وقال مثل العلما والجهال واما تكرار لا في قوله ولا الظلمات ولا النور فقد
قال الحسين (?) هي زايدة لتعديدها ولا الظلمات والنور وكلاما [illegible] وقال
غيره هي مقررة ومعناها ولا الظلمات تساوي النور ولا النور تساوي
الظلمات وكلاما [illegible] والاصل اثباتها في كل موضع فاما الاولى وما يستوي
الاعمى والبصير فلا [illegible] مقدرة على هذا وتقديرها وما يستوي الاعمى ولا
البصير اي لا يساوي الاعمى البصير ولا البصير الاعمى والاية تعريض [illegible] فانهما
[illegible] وقوله تعالى ان الله يسمع من يشا وما انت بمسمع من في
القبور ان انت الا نذير يقول يا محمد قد انذرت الكفار وما انت تقدر
على ان تسمع الموتى في القبور اي تدخل الايمان في قلوب الكفار اذ ذاك من
مقدور الله تعالى ولو شا الله لهداهم اجمعين ليس اليك الا الانذار وقد
انذرت انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بالدين الذي يحق اعتقاده
بشيرا بالجنة لمن امن ونذيرا بالنار لمن كفر وان من امة اي وما من امة

قل امة الا خلا فيها نذير معترض فيهما رسول ما اخلينا امة عن
رسول وان يكذبوك اهل عصرك فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم جاءتهم
رسلهم اى بالحجج وسلك اى بالمعجزات وعلا اى بالشرايع التى بانت صحتها و
حجيتها العقول وبالزبر اى وبالاخبار عن الكتب المتقدمة المنزلة
على الانبيا قبلهم والكتاب المنير اى الكتاب المنير عليه المعتور الموضح
لما احتاجوا اليه ثم اخذت الذين كفروا اى استاصلت الذين كذبوهم
فكيف كان نكير اى تغييرى عليهم وقوله تعالى الم تر ان الله انزل
من السما ما وهذا من محاجة المشركين ايضا يقول الم تشاهد يا محمد
عجايب صنع الله فيما خلق وهذا خطاب له ولامته معنى من ذلك
انه انزل من السما مطرا فاخرجنا به ثمرات رجوع من المغايبة الى
الى الاخبار عن نفسه وهو من تلوين الكلام مختلفا الوانها نصب
لانه نعت لثمرات وهى منصوبة لانها مفعول بها ولم يعمل مختلفة لانه فى
معنى تقديم الفعل على الاسم لان تقديره اختلف الوانها ثم اختلاف
الوانها مع اتفاق الما والتربة دليل ان الفاعل بها ذلك هو الله القادر
الذى لا يعجزه شى ومن الجبال جدد اى طرايق جمع جدة اى طريقة كالمدة
والمدد بيض وحمر مختلف الوانها وتذكير مختلف جايز لانه مقدم
على الاسم ورفعه هذه الكلمات بالابتدا والخبر دون العطف على الاول

بايقاع الفعل عليها وغرابيب جمع غربيب وهو الذى لونه لون الغراب ولذلك
قال بعدها سود لان الاول دلالة على السواد والثانى افصاح وتفسير له
وهى من صفات الجدد وبيان اختلاف الوانها بالبياض والحمرة والسواد ومن
الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك وهو ايضا ومختلف الوانه
على التذكير وقوله مختلف وفى قوله الوانه لما ان كلمة من للتبعيض وبعض
ان يكون تقديره ما يختلف الوانه فانصرفها الى البعض او الى كلمة ما وهو واحد فى
اللفظ وقال الوانه ولم يقل لونه للمعنى وهو جمع يقول ويختلف كذلك الوان
الناس والدواب وهى جمع دابة وهى فى الاصل اسم لكل ما يدب على الارض وعند
الاطلاق يقع على الخيل والبغال والحمير عند ذكر الركوب قال والانعام وهى
الابل والبقر والغنم وقد يقع الابل خاصة على كثرة انواعها واصنافها واجناسها
والحيوان يكون كونها بانفسها واختلافها ادل وابين على صانع قدير عالم حكيم
خلقها كذلك ومن قدر على ذلك قدر على احيا الموتى ولا يكون من الحكمة ان
يتركهم سدى بل يامرهم وينهاهم واذا خالفوه او وافقوه فلا بد من ان
يجازيهم على ذلك واذا لم يجازيهم به فى الدنيا فلا بد من دار اخرى يجازيهم
بها فيها ثم كان عالما بهذا كله خشى الله وهو معنى قوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلما وهولا المشركون لا يخشونه لجهلهم بالله قال النبى صلى الله
عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخشاكم لله انه عزيز غفور لا يعترض عليه

فيما يفعل بأهل الجاهلية غفور لا يعاجل بالعقوبة ويغفر ذنوب
أهل التوبة وقوله تعالى إن الذين يتلون كتاب الله أي القرآن
وهم العلماء الذين يخشون الله يقرؤون كتاب الله ويتعظون بمواعظه و
يتقون بوعيده ووعيده وقيل هو التوراة والإنجيل وهو مدح من
أسلم من أهل الكتاب وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم عطف الماضي
على المستقبل وهو سائغ ولعل معناه ولا أطاعوا الله في الماضي ويطيعونه
في المستقبل أيضا سرا وعلانية يجوز أن يكون في حق الإنفاق خاصة وفيه
قال تعالى إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم ويجوز أن يكون في حق الصلوة أيضا كذلك وحاصله أن الفرائض
يجهر بها والنوافل يخفى بها فهما جميعا يرجون تجارة لن تبور هو الحال
أي راجين بها متاجرة الله تجارة لن تكسد وليسوا ما طمعن القول بما
يعلمون من الطاعات أنهم يثابون عليها لأنهم يخشون ردها قال تعالى
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وهذا يبطل قول المعتزلة أنه يجب على
الله تعالى أن يقبلها ويثيب عليها ومعنى لن تبور أنهم يربحون فيها لأن
السلعة إذا كسدت على صاحبها لم ينتفع بها ليوفيهم أجورهم أي يتلون
ويصلون وينفقون ليتمم الله لهم ما وعدهم من الثواب على الطاعات
ويزيدهم من فضله على الموعود فقد قال وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه

أجرا عظيما إنه غفور للذنوب الكبيرة شكور للطاعات اليسيرة يرضاها
ويقبلها ويثني عليها ويحب صاحبها قال تعالى فأولئك كان سعيهم مشكورا
وقوله تعالى والذي أوحينا إليك من الكتاب أي القرآن الذي يتلوه هولا
هو الحق أي الصدق مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من التوراة والإنجيل
وسائر الكتب في التوحيد والعبادة والإخبار عن الأمور الكائنة ونصب
على القطع لأنه نكرة نعت به المعرفة إن الله بعباده لخبير يعلم ما يضمرون
بصير يرى [illegible]رون وإذا حمل قوله يتلون كتاب الله على التوراة والإنجيل
فقوله وأقاموا الصلوة وأنفقوا على الماضي أي وقد صلوا وزكوا قبل مجيء
محمد وقوله ويزيدهم من فضله هو ما قال أولئك يؤتون أجرهم مرتين إنه غفور
أي لما كان منهم قبل الإيمان بمحمد شكور لإيمانهم به والذي أوحينا إليك من
الكتاب وهو القرآن لا كالف ذلك الكتاب [illegible] إن الله بعباده لخبير
بصير لعلمه بهم وبمصالحهم أن أعلمكم وعلمهم الكتب ببيان مصالح الدين
والدنيا وقوله تعالى ثم أورثنا أي ثم [illegible] أي أعطينا الكتاب أي
هذا الكتاب وهو القرآن وقال القشيري سماه ميراثا لأنه بغير كسب
والإرث يستحق بنسب وسبب والنسب ها هنا هو الإيمان والسبب
هو الطاعة وفي الإرث يبدأ بصاحب الفرض وقد يقل نصيبه وكذا ها هنا
يبدأ بالظالم ونصيبه أقل من نصيب الآخرين الذين اصطفينا أي هذه الأمة

الذين اخترناهم من عبادنا اى وهم من خواصنا وهم ثلث طبقات فمنهم
ظالم لنفسه وهو الذى يقترف الذنوب غير مستحل لها ولا جاحد تحريمها
ومنهم مقتصد هو الذى لم يبلغ النهاية فى الطاعات مستكثرا منها
بل سلك القصد فى اعماله فاتى بالفرايض دون النوافل او بقليل من
النوافل كالمقتصد فى النفقه الذى لا يسرف ولا يقتر او خلط عملا صالحا
واخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات اى مبادر الى كلها مستكثر منها
مستفرغ وسعه فى مواصلتها باذن الله اى بتيسير الله ذلك
عليه لا باستبداده قال القشيرى كانه قال يا ظالم ارفع راسك
فانك وان ظلمت فما ظلمت الا نفسك ويا سابق اخفض راسك فانك
وان سبقت فما سبقت الا بتوفيقى وقد كثرت الاقاويل فيها كما روى فى
الحديث ونقل عن الصحابه والتابعين ومن بعدهم قال عمر سابقنا
سابق ومقتصدنا ناجى وظالمنا مغفور له وقال عثمان سابقنا
اهل الجهاد منا ومقتصدنا اهل حضرنا وظالمنا اهل بدونا وقالت
عايشة السابق بالخيرات من مضى على عهد رسول الله من اصحابه فشهد
له رسول الله عليه السلام بالحيوة والرزق والمقتصد من اتبع اثره من
اصحابه والظالم لنفسه مثلى ومثلك ومن اتبعنا وقال الربيع بن انس

الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب عن الصغائر
والكبائر وقال السدى السابق هو السابق الى الاسلام والهجره والمقتصد
هو السابق الى الهجره والظالم الذى اسلم بعد الهجره قبل فتح مكه وقال عكرمه
السابق اصحاب رسول الله عليه السلام والمقتصد من تبعهم من التابعين والظالم
قوم يكونون فى اخر الزمان وقال عطا السابق اصحاب رسول الله والمقتصد
التابعون والظالم من يجى بعد التابعين وقال مقاتل بن حيان الظالم يعذب
بذنبه ثم يخرج من النار والمقتصد ينجو بالشفاعه والسابق ينجو برحمه الله
وقال سفيان الثورى الظالم اكل الحرام والمقتصد اكل الشبهه والسابق
اكل الحلال وقال الحسن الظالم من رجحت سياته على حسناته والمقتصد
من استوت حسناته وسياته والسابق من رجحت حسناته على سياته
وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم طالب
الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى وقيل الظالم الذى
يسعى للمعاش والمقتصد الذى يسعى للمعاش والمعاد والسابق الذى يسعى
للمعاد وقيل الظالم الذى ظاهره خير من باطنه والمقتصد الذى ظاهره مثل
باطنه والسابق الذى باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم من يجمع الحرام والمقتصد
من يجمع الحلال والسابق الذى لا يجمع شيا وقيل الظالم الذى يرائى فى كل
الاعمال والمقتصد الذى يرائى فى بعضها ويخلص فى بعضها والسابق الذى يخلص فى كلها

ومثل الظالم الذي اذا انعم عليه بخل به والمقتصد الذي اذا انعم عليه جاد به
والسابق الذي اذا منع شكر عليه ومثل الظالم المصر والمقتصد التائب
والسابق المتقي ومثل الظالم الذي يعبد الله ليتخلص من النار والمقتصد الذي
يعبد الله ليدخل الجنة والسابق الذي يعبد الله لانه عبده ومثل الظالم الذي
يعظ بقوله والمقتصد الذي يعظ بفعله والسابق الذي يعظ بسيرته ومثل الظالم
الذي يجزع في البلية والمقتصد الذي يصبر فيها والسابق الذي يتلذذ بها
ومثل الظالم الذي يفرح بوجود الدنيا والمقتصد الذي يتمنى زوالها عنه والذي
لا يخطر بباله الدنيا ومثل الظالم الذي يعتمد على فعله والمقتصد الذي يعتمد على
دينه والسابق الذي يعتمد على ربه ومثل الظالم الذي هو في الطريق والمقتصد
الذي هو على الباب والسابق الذي هو على البساط ومثل الظالم الطالب و
والمقتصد الواجد والسابق المطلوب ومثل الظالم الذي هو بلا ذكر والمقتصد
الذي هو مع الذكر والسابق الذي هو مع المذكور ومثل الظالم الذي ينظر الى الطاعة
والمقتصد الذي ينظر الى التوفيق والسابق الذي ينظر الى الموفق ومثل الظالم
الذي يعاتب والمقتصد الذي يعاتب والسابق الذي يجد رحمته ومثل الظالم
الضاحك والمقتصد المتبسم والسابق الباكي ومثل الظالم صاحب الاقوال
والمقتصد صاحب الاحوال ومثل الظالم الذي يعمر البيت والمقتصد الذي يعمر
القبر والسابق الذي يعمر القلب وقال القشيري الظالم من جاد بنفسه

صاحب الافعال والسابق

والمقتصد من جاد بقلبه والسابق من جاد بروحه والظالم من له
علم اليقين والمقتصد من له عين اليقين والسابق من له حق اليقين والظالم
طالب النجاة والمقتصد طالب الدرجات والسابق طالب المناجاة وروى
اسامه بن زيد وابو سعيد الخدري عن النبي عليه السلام في هذه الاية
انه قال كلهم في الجنة وقدم رجل من الشام الى المدينة فلقي ابا الدردا فقال
ابو الدردا الا احدثك حديثا اتحفك به ما حدثت به غيرك منذ
سمعته من رسول الله عليه السلام سمعته تلا هذه الاية الى قوله [illegible]
ذلك هو الفضل الكبير قال يدخل السابق بالخيرات الجنة بغير حساب ويحاسب
المقتصد حسابا يسيرا ويحبس الظالم لنفسه في طول الحبس ثم يتلقاهم الله
جميعا برحمته فعند ذلك يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
شكور وعن ابي مسلم الخولاني ان رجلا من اهل الكتاب اسلم فقال له [illegible]
على الرجا في ديننا فقال رغبني فيكم وساحتكم انما الامة انكم تنزلون
يوم القيامة على ثلاث فرق فاما فرقة فيدخلون الجنة بغير حساب واما فرقة
فيحاسبون حسابا واما الثالثة فتقوم الملائكة فيقولون ربنا هولا اصحاب
الدما الحرام والاموال الحرام والفروج الحرام غير انا وجدناهم لا يشركون بك
شيا قال فيقول اجعلوا خطاياهم على اهل النار وادخلوهم الجنة ذلك هو
الفضل الكبير اي توفيق الله السابق الى الخيرات بالسبق فضل من الله كبير

وقيل ايراث الكتاب هو الفضل الكبير وقيل اصطفاؤهم وقيل اضافتهم الى نفسه
بقوله من عبادنا وقوله تعالى جنات عدن اى بساتين اقامة يدخلونها اي
هذه الفرق الثلاث يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير
وفي ذلك اللذة والزينة وقد سبق تفسيره والقراءة فيه في سورة الحج وقالوا الحمد
لله الذي اذهب عنا الحزن قيل هو حزن الحبس في موقف الحساب على ما روينا وقيل
هو حزن الفزع الاكبر كما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر وقيل هو حزن الموت يقولون
ذلك حين يذبح الموت وقيل هو حزن الدنيا والاهتمام للقوت ونحو ذلك وقال
عطاء الخراساني هو حزن الخبز وهو عام ويجوز ان يكون كل ذلك مرادا وقيل
هو حزن اخذ بتقصير الطاعات والعقوبة على ارتكاب الجنايات ويدل عليه
ما بعده ان ربنا لغفور شكور اي غفر الجنايات الكثيرة وقبل الطاعات اليسيرة
الذي احلنا دار المقامة وقيل هو نعت قوله ان ربنا وقيل هو عطف على قوله
شكور وقيل تقديره هو الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة من فضله اي هذا
بفضله لا باستحقاقنا لا يمسنا فيها اي في دار المقامة نصب اي تعب من جد
عمل ولا يمسنا فيها لغوب اي لا يصيبنا فيها اعياء وصفهم بانه دخل اي
لا سعي عليهم في اسباب المعاش فلا تعب ولا اعياء ولا يهتم قلوبهم بعلم مراد
فلا مشقة ولا عناء وقال العسكري اذا ارادوا ان يروه لم يحتاجوا الى قطع مسافة
ولا الى تحديق مقلة نحو جهة وقوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم هو ع

بعد وعد المؤمنين لا يقضى عليهم اي لا يماتون فيموتوا فيستريحوا بالبتة كانت
القاضية اي الموت وقوله موسى فقضى عليه اي اماته ولا يخفف عنهم من عذابها
فيستريحوا بعض الراحة ولا يعارضه قوله كلما خبت لان الالم لا ينقطع وان
خبت احيانا ثم تقسيم الفرق الثلث على المؤمنين في الاية الاولى قول
عامة المفسرين وهو ظاهر قوله والسابقون الاولون الاية وبعدها واخرون
اعترفوا بذنوبهم الايات وبعدها واخرون مرجون لامر الله وبعضهم حملوها
على غير هذا قال بعضهم هذه الثلاثة كما في سورة الواقعة فاصحاب الميمنة
واصحاب المشأمة والسابقون وفي اخر السورة فاما ان كان من المقربين واما ان
كان من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين فعلى قوله الظالم لنفسه هو
الكافر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية فمنهم ظالم لنفسه هو الكافر وقال
الحسن هو المنافق فعلى قول هؤلاء قوله فمنهم لا يرجع الى قوله الذين اصطفينا
وانما يرجع الى قوله من عبادنا اي من عبادنا خلقه كافر وكذا وكذا وقوله
[illegible] يرجع الى قوله الذين اصطفيناهم لا الى العموم قوله من عبادنا والى
الظالم لنفسه والمقتصد والسابق ويكون قوله والذين كفروا لهم نار جهنم
بيان موضع الظالم لنفسه ويستقيم ايضا على نظمه وظاهره وقوله
كذلك نجزي كل كفور مبالغة الكافر وهو الذي يجحد الله او رسله او كتبه

او البعث اوسنا ما الخبر به انه كاين وهم يصطرخون فيها اي يستغيثون
النار بصوت عالي والصراخ الصوت العالي في الاستغاثة ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل هذا بيان صراخهم يقولون ردنا الى دار الامتحان
نعمل الطاعات غير الذي كنا نعمل من المعاصي اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وهذا
رد عليهم ونص في اوله فقال لهم اولم نجعل لكم من العمر في الدنيا ما يمكن التذكر
والاتعاظ فيه بالكتب ومقالات الرسل وهذا الاستفهام بمعنى النفي
والتوبيخ وتقدير قوله من تذكر تذكر اي من اراد ان يتذكر وجاءكم النذير اي
الرسول المنذر وقيل هذا الزام الحجة عليهم بالعقل والسمع فان التذكر من باب
العقل والانذار من باب السمع وقيل في قوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر انه
ستون سنة وقيل سبعون سنة وقيل اربعون سنة وقال الحسن عشرون سنة
وقال ابن عباس ثماني عشرة سنة وقيل يوم واحد وقيل وجاءكم النذير اي
الشيب فذوقوا فما للظالمين من نصير وهذا يقوي قول من جعل قوله فمنهم
ظالم لنفسه على الكافر لانه خص وعيد الكفار بتسميتهم بهذا الاسم وقوله
ان الله عالم غيب السموات والارض يعلم انه لو ردكم الى الدنيا لم تعملوا غير الذي
كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور بخفيات القلوب فيعلم انكم كاذبون في هذا الكلام
وقيل الاية مبتدأة عامة شاملة للترغيب والترهيب وقوله هو الذي جعلكم
خلائف في الارض كما اورثكم الكتاب اورثكم الارض فجعلكم خلفا لمن تقدمكم

لم تقدمكم فيها فجعل سلطانها لكم انعم عليكم بذلك لتشكروا له فمن كفر فعليه
كفره مضرة كفرانه النعمة وجحده ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
اي بغضا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي هلاكا وقيل الا غبنا قل
ارايتم شركاءكم وهذا من محاجة المشركين ايضا يقول قل يا محمد للمشركين اخبروني
عن الاصنام التي جعلتموها شركاء لي الذين تدعون من دون الله اي تدعونهم آلهة
وقيل تعبدونهم وقيل اي تدعونهم في حوائجكم او تستغيثون بهم اروني ماذا
خلقوا من الارض اي اعلموني وقيل اشيروا الي عيانا اي شيء خلقوه من
الارض ام لهم شرك في السموات ام خلقوا شيئا في السموات فكان لهم فيها شركة
او نصيب بذلك ام آتيناهم كتابا اي انزلنا عليهم كتابا فيه تصويب شركهم
وان الاصنام شفعاؤهم فهم على بينة منه اي حجة وبصيرة ولا يمكنهم ان يدعوا
شيئا من ذلك فاذا لا حجة لهم سمعا ولا عقلا فالعقل ان خلقوا الخلق والسمع
ان ينزل بذلك كتاب فماذا عبدوا ما لم يكن فعلهم الا ضلالة وجهالة بل ان يعد
الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اي ما يعد وهو وعد الشيطان للكافر
فالبعض يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا متاهم ان يشفع لهم اصنامهم
ويقربهم الى الله زلفى وقيل هم المشركون يقول بعضهم لبعض ان آلهتنا هذه شفعاؤنا
عند الله وقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي عاذ
لم يكن لالهتهم شرك في السموات والارض فيستحقوا ان يعبدوا فاعلموا ان

مراصد

أي أنا المستحق لهما لا أنه حافظهما وحافظهما قال تعالى ولا يؤوده حفظهما
ولو لم أمسكهما لزالتا وقوله أن تزولا أي من أن تزولا وقيل أي لأن لا تزولا كـ
أن تضلوا أي كي لا تضلوا ولئن زالتا إن أمسكهما من بعده أي ما أمسكهما أحد
من بعد إمساكه إياهما وقيل أي بعد زوالهما وقيل أي غيره وقوله إنه كان
حليما غفورا تعليل لمعنى اقتضاه قوله إن أمسكهما من أحد بعده أي ولو زالتا
لردهما الله إلى أماكنهما وأمسكهما كما كانتا لمصالح العباد لأنه كان حليما قادرا
لا يعاجل بالعقوبة غفورا ساترا الذنوب للعباد ماحيا إذا تابوا ووجه
آخر في تفسير تمام الآية أن الله يمسك السموات والأرض ولولا إمساكهما لزالتا
لفظاعة مقالة المشركين في الله وهو كما قال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه ولئن زالتا إن أمسكهما
أحد من بعده إنه كان حليما غفورا لا يعاجل الكفار بالعقوبة ويستر عليهم
في الدنيا وقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى
من إحدى الأمم أي حلف هؤلاء المشركون قبل أن بعث الله محمدا بالله أيمانا
بالغوا في تأكيدها على أنفسهم لئن جاءهم رسول الله ينذرهم كما جاء من قبلهم
من الأمم ليكونن أهدى من إحدى الأمم أي أشد اتباعا له من أهل الكتاب لأنبيائهم
وذلك أن أهل الكتاب كانوا يظهرون الفضل لأنفسهم على العرب بالكتاب
والنبوة فيهم فكان العرب تسوءهم ذلك لما كانوا عليه من الأنفة والحمية

فكانوا يتمنون أن يكون منهم رسول فلما جاءهم نذير وهو محمد عليه السلام
ما زادهم إلا نفورا أي ما زاد مجيئه إلا نفورا عن الحق وهو كقوله فزادتهم
إيمانا فزادتهم رجسا والسورة لا تزيد إيمانا ولا رجسا لكن المراد هنا الإضافة
إلى النذير والسورة للتسبب قال ابن عباس لما بلغ قريشا أن اليهود والنصارى
كذبوا رسلهم وجحدوهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لئن جاءنا رسول
ليكونن أهدى منهم بطره وقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم إنه لقي مثل
بما وقوله لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وقوله استكبارا في
الأرض أي نفروا عنه ليكون لهم الكبرياء والعلو في الأرض أي في بلادهم ومكر السيئ
أي وليخدعوا الضعفاء التابعين لهم بالاحتيال ويصدوهم بذلك عن الإيمان
ليكونوا أعوانا لهم كما كانوا يقولون نحن أكثر أموالا وأتباعا وأعز نفرا وإضافة
المكر إلى السيئ إضافة الشيء إلى نعته كإضافة الحق إلى اليقين ويجوز أن
وصفه بالسيئ لأنه كان للصد عن الحق وقد يكون المكر حسنا إذا كان احتيالا
للدعاء إلى الحق ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أي ولا ينزل وقال الزهري
بلغنا أن النبي عليه السلام قال لا تمكر ولا تعن ماكرا فإن الله يقول ولا يحيق
المكر السيئ إلا بأهله ولا تبغ ولا تعن باغيا فإن الله يقول إنما بغيكم على
أنفسكم ولا تنكث ولا تعن ناكثا فإن الله يقول ومن نكث فإنما ينكث على نفسه
وقوله فهل ينظرون إلا سنة الأولين استفهام بمعنى النفي أي فما ينتظرون

الا طريقة الاولين ان ينزل بهم ما نزل بالاولين حين كذبوا انبياءهم ومكروا
بهم وهو كقوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم فلن تجد لسنة
الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي ان الله لا يبدل هذه الطريقة في
الكفار ولا يحولها عنهم اضاف السنة اليهم مرة والى نفسه مرة لانها سنة
الله فيهم وهو كقوله ان اجل الله فيهم وقوله فاذا جاء اجلهم اولم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة فينظروا
كيف كان سنة الله فيهم وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض
اي ليس من صفة الله العجز عن شيء من انزال العذاب بالاعداء وغير ذلك انه
كان عليما قديرا عالما بما يفعل بشيء قادرا على كل شيء ثم بين ان تاخير العذاب
عنهم ليس للعجز بل للحكمة فقال ولو يؤاخذ الله الناس اي بجناياتهم بما كسبوا
اي من الكفر والمعاصي ما ترك على ظهرها اي ظهر الارض ولم يتقدم ذكرها لكن
معلوم المراد من دابة اي حيوان يدب على وجه الارض لان الناس اذا اخذ
عنهم الارض وكان سائر الحيوانات خلقت لهم اهلكوا ايضا ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى معلوم عنده لكل قوم فاذا جاء اجلهم وقتهم عذبهم فان الله
كان بعباده بصيرا عالما بهم وبوقت عذابهم

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

يس ان الله الذي انزل الكتاب الحكيم الرحمن الذي من خشيه بالغيب فله مغفرة
واجر كريم الرحيم الذي لا يعلم لنا به في جنة سلام قولا من رب رحيم وهذه السورة
مكية وهي ثلاث وثمانون اية المدني وقيل اثنان وثمانون اية الاختلاف في يس انه اية
عند الكوفيين وكلماتها سبعمائة وخمس وعشرون وحروفها الفان وسبعمائة
وستة وتسعون وروى ابي بن كعب عن النبي عليه السلام انه قال ان لكل شيء
قلبا وقلب القران يس ومن قرأ يس يريد بها وجه الله تعالى غفر
الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القران اثنتا قال اثنتي عشرة مرة واي ما مسلم
قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف في سورة يس
عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون
غسله ويشيعون جنازته ويشهدون دفنه واي ما مسلم قرأ يس وهو في
سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة
بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه
وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ويبعث يوم القيامة وهو ريان ويحاسب
وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وروى
ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال من قرأ سورة يس كان كمن قرأ القران عشر مرات
وروى الحسن عن النبي عليه السلام ان اهل الجنة لا يقرؤون من القران الا يس وطه
وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال من قرأ في ليلة سورة يس ابتغاء وجه الله

غفر الله له تلك الليلة وقال النبي عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي
اكثر من قراءة يس فان فيها خصالا من البركات ما قراها جايع الا اشبعه الله
وما قراها خايف الا امنه الله وما قراها ملهوف ولا مكروب الا فرج الله
عنه وما قراها ظمان الا روي ولا عريان الا كسي ولا فقير الا استغنى
ولا عزب الا تزوج ولا مسافر الا اعين على سفره ولا مديون الا قضي عنه
دينه ولا محبوس الا اخرج ولا قرئت عند ميت قط الا خفف الله عنه
ولا اخذته تلك الساعة من كرب الموت وما قراها رجل ضلت له ضالة الا
ردها الله عليه ووجدها ومن قراها صباحا كان في امان الله حتى
يمسي ومن قراها مساء كان في امان الله حتى يصبح وقال النبي عليه السلام
من قرا يس لمام حاجة قضيت له واشتمال اول هذه السورة بالخبر
عن الملائكة بالكلمتين في اخر تلك باسمين من اسماء الله تعالى واول هذه
السورة كذلك وبالاشتراك في ختم تلك بقوله ولو يؤاخذ الله الناس بما
كسبوا وفي كسبهم تكذيب الرسل وفي اول هذه السورة بيان ارسال الرسول
وبالاتيان من اواخر تلك السورة لين جاءهم نذير وما بعده في تقرير ذلك
وفي اول هذه بيان ارسال النذير واشتمال السورتين ايضا في محاججة المشركين
المنكرين لبعث الرسل في الدنيا وبعث الموتى في العقبى وفي ذمهم ووعيدهم
وفي مدح المؤمنين المقرين بذلك ووعدهم قوله تعالى يس قيل هو اسم

من اسماء الله تعالى وهذا قسم به وقيل هو اسم القران وقيل هو اسم هذه السورة
وقال ابن عباس وابن مسعود وعكرمة والضحاك وجماعة معناه يا انسان وقال
الهيثم بن عدي هو يا انسان بلغة طي وقال ابن عباس هو بالسريانية وقيل
معناه يا سيد المرسلين وقيل يا يوم الميثاق وسين سر الله مع احبابه والقران
الحكيم قسم بالقران الحكيم فلا يلحقه تغيير وقيل اي ذو الحكمة وقيل اي الحاكم
بما فيه من الاحكام انك لمن المرسلين خطاب لنبينا محمد عليه السلام وقسم على
ارساله الى الخلق على صراط مستقيم له وجهان احدهما انك على صراط مستقيم
والثاني انه صفة للمرسلين اي انت منهم ودليل الاول قوله فاستمسك بالذي
اوحي اليك انك على صراط مستقيم ودليل الثاني قوله اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم تنزيل العزيز الرحيم قرا ابن عامر وحمزة والكسائي
وخلف وعاصم في رواية حفص والمفضل بالنصب على المصدر اي نزل القران
المنزل تنزيلا من العزيز الرحيم وقرا الباقون بالرفع اي هو او هذا تنزيل وهو
مصدر بمعنى المفعول اي منزل الله العزيز المنيع المنتقم من اهل معصيته
الرحيم باهل طاعته لتنذر قوما اي انك لمن المرسل لتنذر اي لتخوف من عذاب
الله قوما ما انذر اباؤهم له وجهان احدهما ان ما يكون اسما اي لتنذرهم
بالذي انذر الرسل المتقدمون اباء هولاء والثاني ان ما للنفي اي قوما لم تنذر اباؤهم
احد من الرسل اي لم ياتهم رسل كما قال وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فهم غافلون

اى على الذين فى انذار الرسل الماضين وعلى القول الثانى اى عن التدبر بالعقول
فيما يلزمهم من توحيد الله وفيما جاء به رسولهم هنا وقيل اى غافلون عما اعد لهم
من العقاب كالرجل يعد له ما يكرهه وهو لا يعلم به فيقال له انك لغافل عما
يراد بك وقيل ما انذر اباؤهم اى كما انذر اباؤهم فالكاف للجر وهو كقوله فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقوله تعالى لقد حق القول على
اكثرهم فهم لا يؤمنون اى لقد تحقق قول الله على هؤلاء لموتهم على الكفر فهم لا يؤمنون
وهم قوم علم الله منهم اختيار الكفر والاصرار عليه فتنا منهم ذلك واخبر عنهم
بذلك فهم كذلك وقيل حق القول عليهم هو قوله لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين فى تلك الاية هو معلق بشرط الاتباع وفى هذه الاية حق القول
وسقط الشرط لعلم الله منهم بالاتباع بدون الاقلاع وهو كقوله حقت
كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار وكقوله اولئك الذين حق عليهم القول
انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون الذى مقمح الجبين
والمقمح الغاض بصره بعد رفع راسه وقال مجاهد هو الذى رفع راسه
وشخص ببصره والغل ما يشد به اليد الى العنق للتعذيب والتشديد
من الحديد وغير الحديد وتقديرها انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا والاغلال
مع الايدى مجموعة الى الاذقان وهو عبارة عن منعه للتوفيق حتى صاروا
متكبرين مستثقلين للحق لان المتكبر يوصف بانتصاب العنق والمتواضع بوصف

اكثر

كذا

بصره قال تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين ويقول المستثقل للامر
ما استطيع ان انظر اليك والذى جمعت يداه الى عنقه الى الاذقان ومنتصب
الراس فجعل ذلك مثلا للمتكبر عن الحق والغاض بصره مثلا للمستثقل للحق
وقال عكرمة انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا يعنى بنى المغيرة بن مخزوم امسكنا
ايديهم عن الانفاق فى الخير وقال السدى كانت الاية نزلت فى قوم من قريش اجتمعوا
وكان النبى عليه السلام جالسا عند البيت فى نفر من اصحابه فقالت قريش
انطلقوا فناخذ محمدا واصحابه فنرتقى بهم فوق ابى قبيس فاما محمد فنضرب
عنقه واما اصحابه فانما رجل اصدقت عشيرته تدينه خلينا سبيله
والا ضربنا عنقه يا قلوا فجعل الله بين ايديهم سدا وظلمة ومن خلفهم
سدا وظلمة وغلت ايديهم الى اعناقهم تعنتر حتى لهم مقمحون وعن عكرمة
قال كان ناس من المشركين من قريش يقول بعضهم لبعض لو قد رايت محمدا
لفعلت به كذا وكذا ويقول بعضهم لو قد رايته لفعلت به كذا وكذا فاتاهم
النبى عليه السلام وهم فى حلقة فى المسجد فوقف عليهم فقرا عليهم يس والقران
الحكيم حتى بلغ فهم لا يبصرون ثم اخذ ترابا فجعل يذره على رؤسهم فما
يرفع اليه رجل منهم طرفه ولا يتكلم بكلمة ثم جاوزا النبى عليه السلام فجعلوا
ينفضون التراب عن رؤسهم ولحاهم وهم يقولون والله ما ابصرنا والله
ما سمعنا والله ما عقلنا وقيل هذا شئ يفعل بهم فى القيامة كما قال اذ الاغلال

في اعناقهم والسلاسل وكذلك السد من بين ايديهم ومن خلفهم والاغشاء هو
في معنى قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما واللفظ ماض
وهو بمعنى المستقبل لانه كائن لا محالة فالحق بالموجود المحقق وقوله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا على التاويل الاول اي منعناهم
الالطاف فانسدت عليهم المسالك فلم يقدروا على النفوذ منها فاغشيناهم
اي اعميناهم وغطينا ابصارهم فهم لا يبصرون وهذا من اشد ما يقع به
المنع من النفوذ وهو انسداد المسالك مع عدم البصر وقيل هو مثل لتحيرهم
وترددهم في ضلالتهم وقال الحسن وجعلنا من بين ايديهم سدا اي
البعث فلا يقرون به ومن خلفهم الدنيا فلا يطيعون الله فيها وقال الضحاك
على قلب هذا ما بين ايديهم الدنيا لانها حاضرة ومن خلفهم الآخرة لانها
آتية من بعد وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هم قوم علم الله
منهم ذلك انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب اي انما ينفع بانذارك
من اتبع القرآن كما انا نحن نزلنا الذكر وقيل من اتبع تذكيرك ووعظك وخشي
الرحمن بالغيب قيل بالعذاب الغيب الذي اخبر به قال قتادة يقول خشي عذاب الله
وناره وقيل خشي حين يغيب عن ابصار الناظرين وقيل خشي بالقلب الذكي هو
غائب عن الناس فبشره بمغفرة بان الله يغفر له ما سلف في شركه واجر كريم
ثواب خطير في الجنة انا نحن نحيي الموتى في الآخرة بالبعث للحساب والجزاء ونكتب

في الدنيا ما قدموا من الاعمال الصالحة والسيئة وآثارهم ما خلفوه مما يضاف
اليهم من الاموال والاولاد وسائر الآثار وقيل ما سنوه من الخير والشر فاتبعهم
على ذلك من بعدهم لهم اجر ذلك ووزر ذلك وكل شيء احصيناه عددناه وحفظناه
في امام مبين قال ابن عباس ومقاتل والضحاك وعكرمة والسدي اي في اللوح المحفوظ
والامام ما يؤتم به اي يعمل به ويتبع ولا يخالف وكل شيء اي من المعدوم والآثار
وغير ذلك وكل نصبه بفعل مضمر مقدر دل عليه المظهر بعده وقيل وآثارهم
خطاهم في الخير والشر قال ابن عباس كانت الانصار منازلهم بعيدة عن المسجد
فارادوا ان ينتقلوا قريبا من المسجد فانزل الله ونكتب ما قدموا وآثارهم فقالوا
بل نمكث مكاننا وقال المغيرة بن شعبة والضحاك نزلت الآية في بني عذرة وكانت
منازلهم بعيدة من المسجد وكان يشق عليهم حضورهم الجماعات فانزل الله ونكتب
ما قدموا وآثارهم يعني خطاهم الى المسجد وقال الضحاك انا نحن نحيي الموتى
اي نهدي الكفار ونكتب ما قدموا في الشرك وآثارهم ما عملوه في الاسلام وقوله
واضرب لهم مثلا اصحاب القرية امر نبيه عليه السلام ان ينذر هؤلاء المشركين
ان يحل بهم في الدنيا ما نزل بكفار اهل تلك القرية فقال واضرب لهم مثلا اي
وصف لهم شبها فمثلونه في امرك وامرهم اصحاب القرية ترجمة عن قوله مثلا
وهي انطاكية اذ جاءها المرسلون رسل الله وقيل رسل المسيح اذ ارسلنا
اليهم اثنين اي ارسلنا في الابتداء رسولين قال محمد بن اسحق اسمهما تاروص

والاخر ماروص وقال مقاتل سليمان توماس وماروص وقال وهب يحيى
وبولس فكذبوهما اي اهل القريه وحبسوهما فعززنا بثالث اي قوينا هما برسول
ثالث فقويناهما كما قال سنشد عضدك باخيك وقيل بعززناهما بالثالث كان سلطقه
التي بنتي في العضد ان سالله تعالى فقالوا انا اليكم مرسلون اي قال الثلاثه
لاهل القريه قد ارسلنا الله اليكم فصدقونا قال ابن عباس وقال مقاتل وجه عيسى
رسولين فلما قربا من المدينه راءيا شيخا يرعى غنيمات له فسلما عليه فقال
الشيخ لهما من انتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الله
قال امعكما ايه قالا نعم قال نحن نشفي المرضى ونبرئ الاكمه والابرص فقال
بعضهم كان لهذا الشيخ ابن صاحب فراش منذ سنين وقال بعضهم كان له ابن مقعد
الصمم فقال الشيخ لهما ادخلا علينا قالا ومن معك قال هو ولدي قالا فانطلق
بنا الى منزلك نطلع حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن
الله وشفاه الله ففشا الخبر في الناس وشفا الله على ايديهما كثيرا من
المرضى وكان لهم ملك يقال له شلاحن فانهي الخبر اليه فقال لهما من انتما



قالا رسولا عيسى قال وما ايتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى
قال وفيم جئتما قالا جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة
من يسمع ويبصر فقال شلاحن ولنا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك
قال قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس واخذوهما وضربوهما في السوق

وكان اسم الشيخ الذي ذهب بهما الى منزله حبيب النجار وقال مقاتل فلما اخذوا
الرسولين وضربوهما بعث عيسى رسولا ثالثا قال وهب ومحمد بن
اسحاق اسمه شمعون وكان من الحواريين وقال مقاتل واسمه شمعان
وهو الذي قال الله تعالى فعززنا بثالث وقال وهب بعث عيسى يحيى
وبولس الى انطاكيه فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما
فخرج الملك ذات يوم فكبرا اي فقابلاه وذكراه الله تعالى فغضب
الملك فامر بهما فاخذا وحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة ثم بعث
عيسى شمعون على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل
يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به وانس بهم فرفعوا خبره الى الملك
فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك
بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى
غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني
وبين ذلك قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما فدعاهما
الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى ها هنا قالا الله الذي خلق كل شيء
وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال شمعون وما ايتكما قالا ما تتمناه قال فامر الملك حتى
جاءوا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهه فما زالا يدعوان ربهما

حتى انشق موضع البصر فاخذ بندقتين من الطين فوضعهما في حدقتيه
فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ارايت ان سال
الهك حتى يصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس
لي عنك سر ان الهنا الذي نعبده لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع
وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيرا ويتضرع
حتى ظنوا انه على ملتهم فقال للملك ان ها هنا مثل هذا الغلام مطموس العينين
فامر حتى احضر مثل ذلك الغلام فصنعا به مثل ما صنعا بالاول ففرح
الملك بذلك ثم قال لصاحبيه اني سائلكما مسئلة فلا تهابا قال ان قدر
الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت امنا به وبكما فقالا الهنا قادر على كل
شي فقال الملك ان ها هنا ميتا مات منذ سبعة ايام ابن لدهقان وانا اخرته
فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجاءوا بالميت وقد تغير واصفر
واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا بعينهما
فقام الميت وقال لهم اني مت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت
في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا بالله ثم قال فتحت
ابواب السما فنظرت فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهولاء الثلاثة قال الملك
ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم
سمعون ان قوله قد اثر في الملك اخبر الملك بالحال ودعاه فامن و م

وكان الملك ممن امن وكفر اخرون فصاح بهم جبريل صيحة فماتوا
عن اخرهم فذلك قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ه
وقوله تعالى ه قالوا ما انتم الا بشر مثلنا قال اهل انطاكية ما انتم
ايها الثلاثة الا ادميون مثلنا فمن اين يجب علينا طاعتكم او يجعلكم الله
رسلا الينا وما انزل الرحمن من شي اي وحيا من السما ان انتم الا تكذبون
اي ما انتم الا كاذبون في دعوى الارسال والانزال قالوا ربنا يعلم انا اليكم
لمرسلون ويشهد لنا على صدق دعوانا والاستشهاد بالله تاكيد ونحو
وتقرير في النفوس وما علينا الا البلاغ المبين اي ليس علينا من طاعته
الا ان نبلغ رسالته اليكم ولا سلطان لنا على اجباركم على الايمان ولا
ان نوقع في قلوبكم العلم بصدقنا قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم يعني
سمعنا منكم ما هو من جهة الفال نذير مكروه يلحقنا في انفسنا او في
اهلنا او في اموالنا او غير ذلك من اسبابنا وامورنا فكفوا عن هذا الكلام
ولا تعاودونا به لئن لم تنتهوا لنرجمنكم اي لنقتلنكم بالحجارة وقيل
لنشتمنكم وحقيقته لنرمينكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم اي
غليظ شديد وجيع فان كان الاول قتلا فهذا ما دون القتل وقيل لنرجمنكم
لنطردنكم ولنبعدنكم اي ولنخرجنكم من قريتنا وقيل معنى قوله انا تطيرنا
بكم لم نر خيرا ولا سمعوا ما جرى على امم قبلهم كذبوا رسلهم فاهلكوا

نحا وامثال ذلك وهو معنى قول قتادة وقيل ان تطيرنا تعالوا للرسل اصابنا
من شومكم كما في قصة موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه قالوا طائركم
معكم اى ما تطيرتم به من المكروه فذلك بسبب الزهد منه اعمالكم وكسبه عليكم فهو
جار لكم ودائم بكم لا من جهتنا وقال اهل التفسير الطائر هاهنا هو
الحظ من الخير والشر وقيل طائركم معكم اى انما المكروه الواقع بكم بشوم اعمالكم
لا من جهة غيركم ائن ذكرتم اى ائن ذكرتم تطيرتم اى افتكون هذا ذا بكم
لا تتدبرون وعظا ولا تفكرون في نفسه ولا تزدادون ولنا بحجة اى فليس هذا
فعل العقلا وقيل معناه ائن ذكرتم بالله تهددوننا بالرجم والتعذيب بل انتم
قوم مسرفون اى ليس بكم التطير لعلمكم بانا صادقون ولكنكم قوم اسرفتم على
انفسكم في ارتكاب المعاصي اى الاثم من ذلك وجاوزتم الحد في قلة النظر
لانفسكم وقوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى ان تلك القرية
كانت مدينة متباينة الاطراف رجل يسعى قيل هو حبيب النجار الذي ذكرنا
ان الرسولين شفيا ولده وقيل كان رجلا مجذوما ينزل ناحية من المدينة
وقيل كان حراثا يعمل في حرثه خارج المدينة يسعى اى يعدو وقيل يقصد
وجه الله بالذب عن رسله وهو من قوله وسعى لها سعيها وروى ان
القوم عزموا على قتل هولا الرسل فسمع هذا الرجل بذلك وكان يكتم ايمانه
ليخلصهم قال يا قوم اتبعوا المرسلين بانتجا باسلامه ليشغل القوم عن ال



